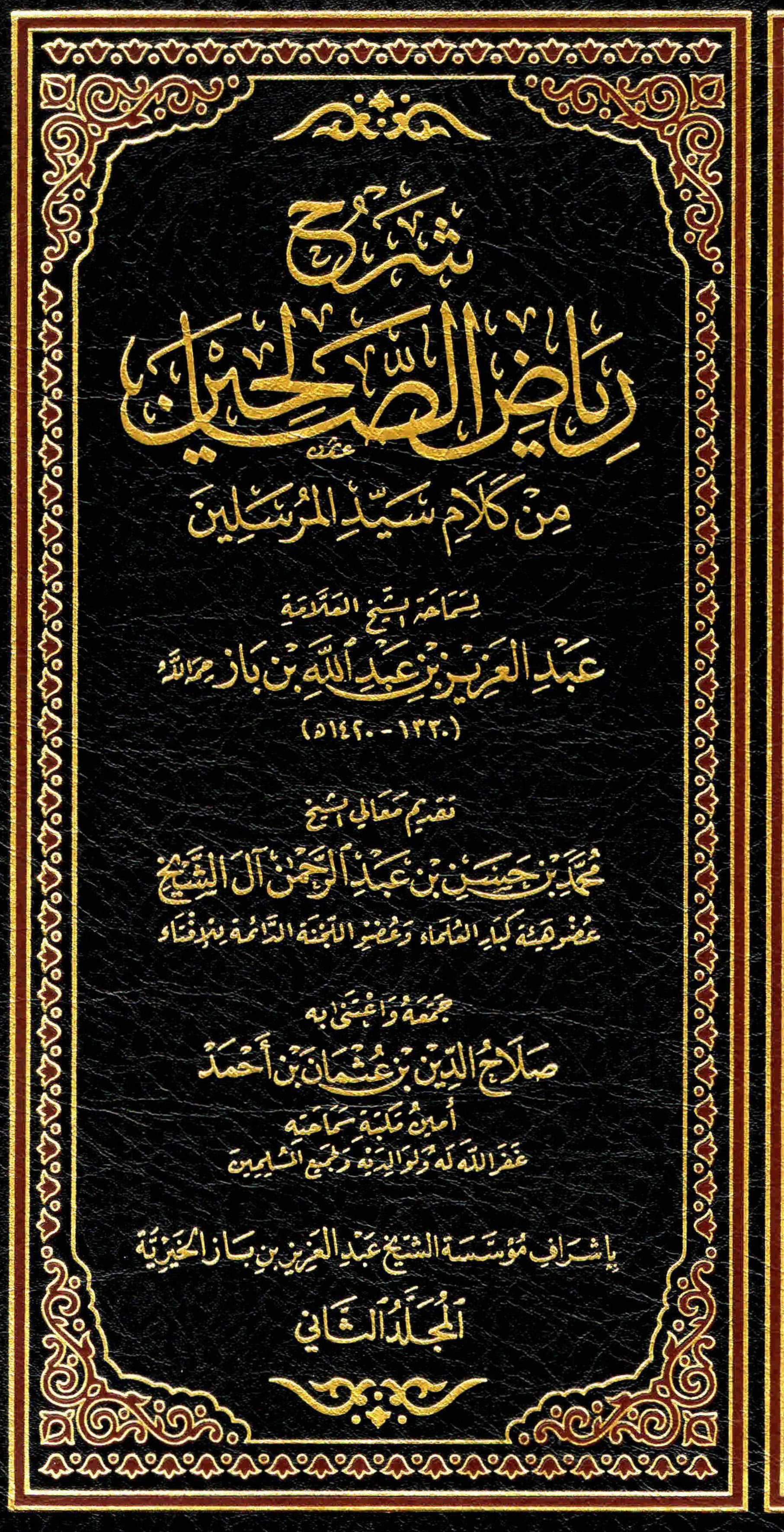
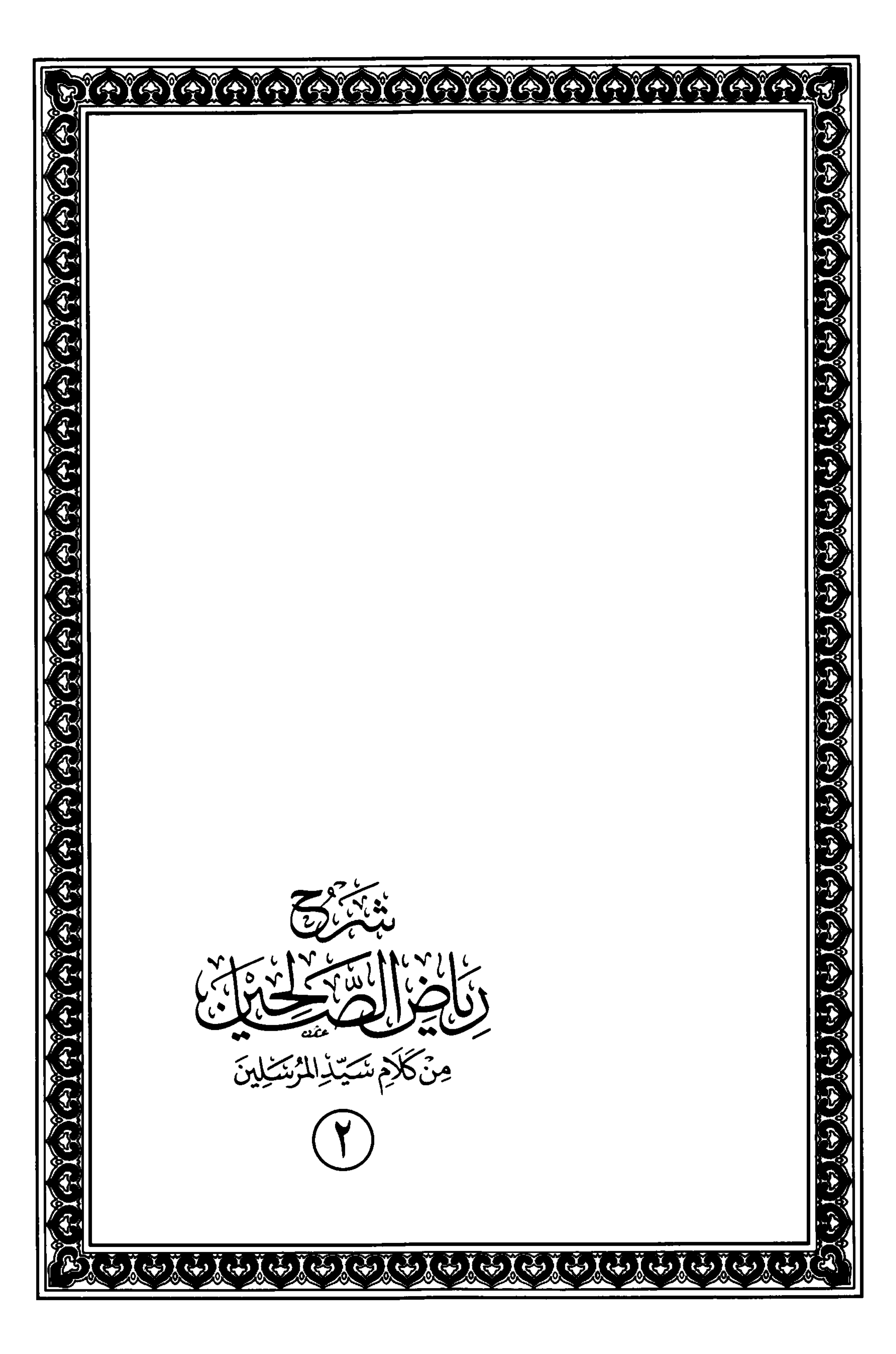

شرح
رياض الصالحين
من كلام سيد المرسلين ﷺ
لسماحة الشيخ العلامة
عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله
(١٣٣٠ - ١٤٢٠هـ)
تقديم معالي الشيخ
محمد بن حسن بن عبد الرحمن آل الشيخ
عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء
جمعه واعتنى به
صلاح الدين بن عثمان بن أحمد
أمين مكتبة سماحته
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين
بإشراف مؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية
المجلد الثاني


شرح
رياض الصالحين
من كلام سيد المرسلين
٢

ح صلاح الدين عثمان أحمد، ١٤٣٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

ابن باز، عبدالعزيز بن عبدالله

شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين. / عبدالعزيز بن عبدالله بن باز ؛ صلاح الدين عثمان أحمد - الرياض، ١٤٣٩هـ

٤ مج ٥٢٦ص، ١٧×٢٤سم

ردمك ٣-٦١٦-٧٠١٦-٢-٠٢-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٧-٧٠١٨-٢-٠٢-٦٠٣-٩٧٨ (ج٢)

١- الحديث - جوامع الفنون ٢- الحديث - شرح

أ- أحمد، صلاح الدين عثمان (محقق) ب- العنوان

ديوي ٢٣٧،٣ ١٤٣٩/٦٤٧٨

رقم الإيداع: ١٤٣٩/٦٤٧٨

ردمك: ٣-٧٠١٦-٢-٠٢-٦٠٣-٩٧٨(مجموعة)

٧-٧٠١٨-٢-٠٢-٦٠٣-٩٧٨(ج٢)

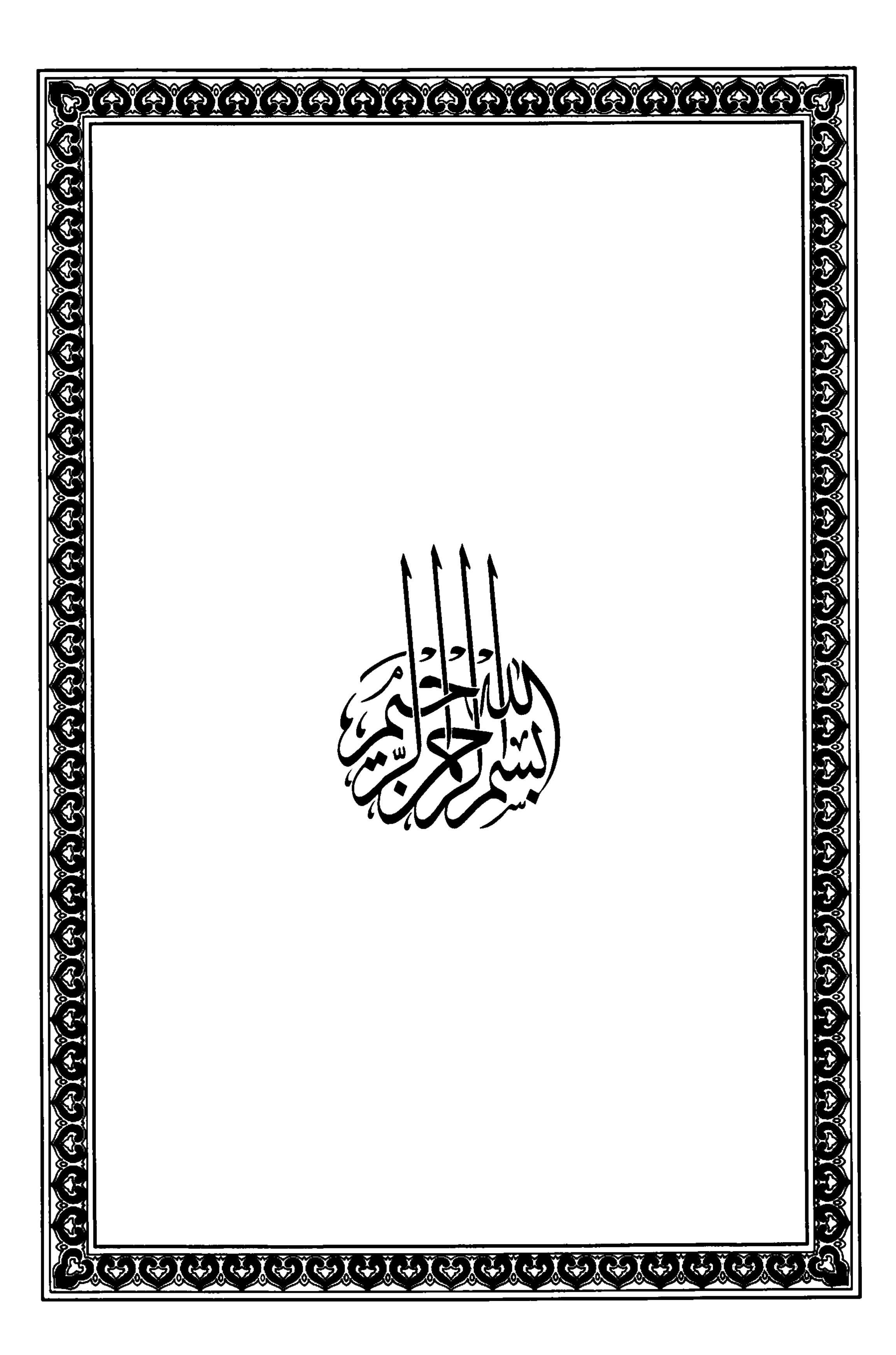
الطَّبْعَةُ الأولىٰ

١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م

قامت بطباعته وإخراجه دار قرطبة للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان جوال: ٠٠٩٦١٣٨٣١٠٤٣

dar_kortoba@hotmail.com


بسم الله الرحمن الرحيم




٤٠ ـ بَابُ بر الوالدين وصلة الأرحام

قال الله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۗ﴾ [النساء: ٣٦] وقال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ﴾ [النساء: ١] وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ [الرعد: ٢١] وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ﴾ [العنكبوت: ٨] ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤] وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ [لقمان: ١٤].

٣١٢ ـ **وعن** أَبي عبد الرحمٰن عبد الله بن مسعود ﷺ، قَالَ: سَأَلْتُ النبي ﷺ: أيُّ العَمَلِ أحَبُّ إلَى اللهِ تَعَالَى؟ قَالَ: «الصَّلاةُ عَلَى وَقْتِهَا»، قُلْتُ: ثُمَّ أيٌّ؟ قَالَ: «بِرُّ الوَالِدَيْنِ» قُلْتُ: ثُمَّ أيٌّ؟ قَالَ: «الجِهَادُ في سبيلِ الله» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1].

٣١٣ ـ **وعن** أَبي هريرة ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «لا يَجْزِي

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل الصلاة لوقتها برقم (٥٢٧)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال برقم (٨٥).

وَلَدٌ وَالِداً إِلَّا أَنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكاً، فَيَشْتَرِيهُ فَيُعْتِقَهُ» رواه مسلم[١].

٣١٤ ـ وعنه أيضاً رضي الله عنه؛ أن رَسُول الله ﷺ، قَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بالله وَاليَومِ الآخِرِ، فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَاليَوم الآخِرِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَومِ الآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَصْمُتْ» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[٢].

الشَّرح

هذه الآيات الكريمات والأحاديث كلها تتعلق ببر الوالدين وصلة الرحم، بر الوالدين من أهم الواجبات حقهما عظيم من جهة الإحسان إليهما والشكر لهما على جهودهما وأعمالهما وتحقيق رغباتهما المباحة والمشروعة، والحذر من العقوق والإساءة إليهما، قد جاءت الآيات الكريمات بذلك في مواضع كثيرة، وهكذا صلة رحمهما الأقارب بالإحسان إليهم، ومساعدتهم في الخير، ودفع الأذى عنهم أقربهم الآباء والأمهات والأولاد ثم الإخوة، ثم بنوهم، وهكذا؛ ولهذا يقول جلَّ وعلا: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣] ويقول سبحانه: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ [النساء: ٣٦] الآية، فأمر بالإحسان إلى الوالدين وبذي القربى، وقال سبحانه: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤] والآيات في هذا المعنى كثيرة ترشد إلى بر الوالدين والإحسان إليهما.

---

(١) أخرجه في كتاب العتق، باب فضل عتق الولد برقم (١٥١٠).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب إكرام الضيف وخدمته إياه بنفسه برقم (٦١٣٨) واللفظ له، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير، وكون ذلك كله من الإيمان برقم (٤٧) دون «صلة الرحم».

منها قوله جلَّ وعلا: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ﴾ [الأحقاف: ١٥]، ومنها قوله جلَّ وعلا في الأرحام: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ [محمد: ٢٢، ٢٣]، ومدح الواصلين فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٢١].

فالواجب على الولد أن يصل والديه وأن يكرمهما ويحسن إليهما، وهكذا الجد والجدة كلهم آباء وأمهات بلين القول وقضاء الحاجة المباحة، ووفاء الدين والإنفاق عليهما عند الحاجة، إلى غير هذا من وجوه النفع والسمع والطاعة لهما في المعروف، أما في المعصية فلا **«لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الخَالِقِ»**(١).

ومما جاء من الأحاديث في بر الوالدين قوله ﷺ لما سأله ابن مسعود: **أيُّ العَمَلِ أحَبُّ إِلَى اللهِ تَعَالَى؟ قَالَ: «الصَّلاةُ عَلَى وَقْتِهَا»** فالصلاة عمود الاسلام وأهم شيء بعد الشهادتين الصلاة، والمحافظة عليها وأداؤها في وقتها والرجل يؤديها في الجماعة، والمرأة تؤديها في وقتها بالطمأنينة والخشوع والحذر من النقر، فهي عمود الإسلام، من حفظها حفظ دينه ومن ضيعها فقد ضيع دينه، وهي الركن الثاني من أركان الإسلام، يقول فيها النبي ﷺ: **«رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلَامُ وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ»**(٢) ويقول فيها ﷺ: **«مَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا كَانَتْ لَهُ نُوراً وَبُرْهَاناً وَنَجَاةً يَوْمَ القِيَامَةِ، وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا لَمْ يَكُنْ لَهُ نُورٌ، وَلَا بُرْهَانٌ وَلَا نَجَاةٌ، وَكَانَ يَوْمَ القِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَأُبَيِّ بْنِ خَلَفٍ»**(٣) نسأل الله العافية.

ويقول فيها ﷺ: **«إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالكُفْرِ تَرْكَ الصَّلَاةِ»**(٤)

---

(١) أخرجه الإمام أحمد من حديث علي رضي الله عنه (١/ ٤٠٩).

(٢) سيأتي تخريجه في باب تحريم الغيبة والأمر بحفظ اللسان برقم (١٥٢٢) ج٤.

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ١٦٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٤) سيأتي تخريجه في باب المحافظة على الصلوات برقم (١٠٧٨) ج٣.

ويقول ﷺ: «العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلاَةُ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ»(١) فالواجب العناية بها، والمحافظة عليها سفراً وحضراً، وأداؤها في الجماعة في حق الرجل، والمرأة تؤديها في الوقت بالطمأنينة والخشوع والعناية بها، والحذر من التشبه بأعداء الله المنافقين المتكاسلين عنها، الذين قال فيهم سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾ [النساء: ١٤٢] نسأل الله العافية، وهكذا يجب على المؤمن أن يعتني بأدائها في الجماعة في المساجد؛ لقوله ﷺ: «مَنْ سَمِعَ النِّدَاءَ فَلَمْ يَأْتِهِ فَلا صَلاَةَ لَهُ إِلَّا مِنْ عُذْرٍ»(٢) قيل لابن عباس: ما هو العذر؟ قال: خوف أو مرض.

ثم قال ابن مسعود: (قُلْتُ: ثُمَّ أيٌّ؟ قَالَ: «بِرُّ الوَالِدَيْنِ») هذا الشاهد؛ يعني: بعد الصلاة قال: «بِرُّ الوَالِدَيْنِ» دل على عظم شأن برهما وأنه من أحب الأعمال إلى الله، (قُلْتُ: ثُمَّ أيٌّ؟ قَالَ: «الجِهَادُ في سبيلِ الله») فقدم بر الوالدين على الجهاد؛ ولهذا لما استأذنه رجل يريد الجهاد قال رسول الله ﷺ: «أَحَيٌّ وَالِدَاكَ؟» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ»(٣) في اللفظ الآخر: «ارْجِعْ فَاسْتَأْذِنْهُمَا، فَإِنْ أَذِنَا لَكَ» بِالخُرُوجِ لِلْجِهَادِ «وَإِلَّا فَبِرَّهُمَا»(٤).

والحديث الآخر يقول ﷺ: «لا يَجْزِي وَلَدٌ وَالِداً إِلَّا أَنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكاً، فَيَشْتَرِيهُ فَيُعْتِقَهُ» يعني: هذا من الجزاء العظيم، كونه يجد والده رقيقاً فيشتريه فيُعتقه يخلصه من الرق، هذا من أعظم البر.

(١) سيأتي تخريجه في باب المحافظة على الصلوات برقم (١٠٧٩) ج٣.
(٢) أخرجه ابن ماجه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما في كتاب الصلاة، باب التغليظ في التخلف عن الجماعة برقم (٧٩٢).
(٣) متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما. أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب الجهاد بإذن الأبوين برقم (٣٠٠٤)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب بر الوالدين وأنهما أحق به برقم (٢٥٤٩).
(٤) أخرجه أبو داود من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في كتاب الجهاد، باب في الرجل يغزو وأبواه كارهان برقم (٢٥٣٠).

ويقول ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَاليَومِ الآخِرِ، فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَاليَومِ الآخِرِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» هذا يدل على أن صلة الرحم من واجبات الإيمان؛ ولهذا لعن الله من قطع الرحم، وقال فيها ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ»(١) وقيل: يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ أَبَرُّ؟ قَالَ: «أُمَّكَ» قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «أُمَّكَ» قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «أُمَّكَ» قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَبَاكَ ثُمَّ الأَقْرَبَ فَالأَقْرَبَ»(٢).

وفَّق الله الجميع.

❋ ❋ ❋

٣١٥ ـ وعنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «إنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ الخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْهُمْ قَامَتِ الرَّحِمُ، فَقَالَتْ: هَذَا مُقَامُ العَائِذِ بِكَ مِنَ القَطِيعةِ، قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى، قَالَ: فَذَلِكَ لَكِ»، ثُمَّ قَالَ رَسُول الله ﷺ: «اقْرَؤُوا إنْ شِئْتُمْ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ۝٢٢ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾ [محمد: ٢٢، ٢٣]» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ(٣).

📖 وفي رواية للبخاري: فَقَالَ الله تَعَالَى: «مَنْ وَصَلَكِ، وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَكِ، قَطَعْتُهُ».

٣١٦ ـ وعنه رضي الله عنه، قَالَ: جاء رجل إِلَى رَسُول الله ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُول الله، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: «أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ:

---

(١) سيأتي تخريجه في (ص٣٨) برقم (٣٣٩).

(٢) أخرجه أبو داود من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده رضي الله عنهما في كتاب الأدب، باب في بر الوالدين برقم (٥١٣٩)، والترمذي في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في بر الوالدين برقم (١٨٩٧) وقال: هذا حديث حسن.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ [محمد: ٢٢] برقم (٤٨٣٠) ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها برقم (٢٥٥٤).

«أُمَّكَ»، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «أُمَّكَ»، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «أبُوكَ» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[١].

وفي رواية: يَا رَسُول الله، مَنْ أَحَقُّ بِحُسْنِ الصُّحْبَةِ؟ قَالَ: «أُمَّكَ، ثُمَّ أُمَّكَ، ثُمَّ أُمَّكَ، ثُمَّ أَبَاكَ، ثُمَّ أدْنَاكَ أدْنَاكَ».

□ (وَالصَّحَابَةُ) بمعنى: الصحبةِ. وقوله: (ثُمَّ أباك): هكذا هُوَ منصوب بفعلٍ محذوفٍ؛ أي: ثُمَّ بُرَّ أبَاكَ. وفي رواية: (ثُمَّ أبوك) وهذا واضح.

٣١٧ - وعنه، عَنِ النَّبيّ ﷺ، قَالَ: «رغِم أنفُ، ثُمَّ رَغِمَ أنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أنْفُ مَنْ أدْرَكَ أبَويهِ عِنْدَ الكِبَرِ، أَحَدهُما أوْ كِليهمَا فَلَمْ يَدْخُلِ الجَنَّةَ» رواه مسلم[٢].

﴾ الشَّرح ﴿

هذه الأحاديث الثلاثة كالتي قبلها في الحث على بر الوالدين وصلة الرحم، وأن الواجب على المؤمن والمؤمنة أن يبرا الوالدين ويحسنا إلى الوالدين، وأن يصلا الرحم، وفي بر الوالدين الأجر العظيم، والثواب الجزيل، وفي صلة الرحم كذلك الخير الكثير.

في الحديث الصحيح يقول ﷺ: **«إنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ الخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْهُمْ قَامَتِ الرَّحِمُ، فَقَالَتْ: هَذَا مُقَامُ العَائِذِ بِكَ مِنَ القَطِيعةِ، قَالَ الرب ﷻ: نَعَمْ، أمَا تَرْضَيْنَ أنْ أصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى»** وفي اللفظ الآخر: **«مَنْ وَصَلَكِ، وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَكِ، قَطَعْتُهُ»** في الحديث الآخر: **«رِضَا اللهِ فِي رِضَا الوَالِدَيْنِ، وَسَخَطُ اللهِ فِي سَخَطِ الوَالِدَيْنِ»**[٣] والله يقول جلَّ وعــلا: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب من أحق الناس بحسن الصحبة برقم (٥٩٧١)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب بر الوالدين وأنهما أحق به برقم (٢٥٤٨).

(٢) أخرجه في كتاب البر والصلة والآداب، باب رغم أنف من أدرك أبويه أو أحدهما عند الكبر فلم يدخل الجنة برقم (٢٥٥١).

(٣) أخرجه الترمذي من حديث عبد الله بن عمر ﷺ في كتاب الأشربة، باب ما جاء من الفضل في رضاء الوالدين برقم (١٨٩٩)، ووصححه الحاكم في المستدرك ووافقه الذهبي (٤/١٦٨) برقم (٧٢٤٩).

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ يَعْلَمُ﴾ [محمد: ٢٢، ٢٣] والآية الكريمة والحديث وما جاء في معناها كل ذلك يحذر من قطيعة الرحم، ويوجب صلة الرحم وبر الوالدين، أعظم الرحم بر الوالدين؛ يعني: أقرب رحم إليك هو والداك، ثم أولادك، فالمؤمن يحرص على بر والديه وصلة رحمه بالكلام والفعال، بالفعل والكلام.

ويقول ﷺ: «**رغِم أنفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أنفُ مَنْ أدْرَكَ أبويهِ عِنْدَ الكِبَرِ، أَحَدهُما أَوْ كِليهمَا فَلَمْ يَدْخُلِ الجَنَّةَ**» يعني: بقطيعته وعدم بره، ويقول ﷺ لما سأله أبو هريرة ؓ: **مَنْ أحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: «أُمُّك» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «أُمُّك»، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «أُمُّك» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «أبُوكَ»** في المرتبة الرابعة فحق الوالدة عظيم، فالواجب العناية ببرها، والإحسان إليها، أكثر من العناية بالأب؛ لأن تعبها أكثر، وإحسانها إليك أكثر.

في اللفظ الآخر يقول: يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ أَبَرُّ، قَالَ: «**أُمَّكَ ثُمَّ أُمَّكَ ثُمَّ أُمَّكَ ثُمَّ أَبَاكَ ثُمَّ الأَقْرَبَ فَالأَقْرَبَ**».

في الحديث الصحيح يقول ﷺ: «**لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ**»[1] فالوالدان والأولاد، والإخوة، وأولادهم، ثم الأب هو الآخر، الأقرب فالأقرب يصلهم بالكلام الطيب، بالمال إن كانوا فقراء مواساتهم بالمال، مكالمتهم بالهاتف، مكاتبتهم إذا كانوا بعيدين، المتيسر حسب الطاقة، بالشيء الذي يجمع بين القلوب، ويطيبها، ويحصل به التواصل، وعدم الهجران، سواء كان ذلك بالزيارة، أو بالمكاتبة، أو بالمكالمة الهاتفية، على حسب الاستطاعة، مع صلة الرحم بالمال إذا كانوا فقراء، فإن من أعظم الصلة مؤاساتهم والإحسان إليهم وفّق الله الجميع.

❊ ❊ ❊

---

(١) سيأتي تخريجه في (ص٣٨) رقم (٣٣٩).

٣١٨ ـ **وعنه** رضي الله عنه؛ أن رجلاً قَالَ: يَا رَسُول الله، إنّ لِي قَرابةً أصِلُهُمْ وَيَقْطَعُوني، وَأُحْسِنُ إلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إلَيَّ، وَأحْلَمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ، فَقَالَ: «لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكأنَّمَا تُسِفُّهُمْ المَلَّ، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذلِكَ» رواه مسلم(١).

□ (وَتُسِفُّهُمْ): بضم التاء وكسر السين المهملة وتشديد الفاءِ، (وَالمَلُّ): بفتح الميم، وتشديد اللام وَهُوَ الرَّمادُ الحَارُّ؛ أيْ: كَأنَّمَا تُطْعِمُهُمُ الرَّمَادَ الحَارَّ، وَهُوَ تَشبيهٌ لِمَا يَلْحَقَهُمْ من الإثم بما يلحَقُ آكِلَ الرَّمَادِ الحَارِّ مِنَ الألم، وَلَا شَيء عَلَى هَذَا المُحْسِنِ إلَيهِمْ، لكِنْ يَنَالُهُمْ إثمٌ عَظيمٌ بتَقْصيرِهم في حَقِّهِ، وَإدْخالِهِمُ الأذَى عَلَيهِ، وَاللهُ أعلم.

٣١٩ ـ **وعن** أنس رضي الله عنه؛ أنَّ رَسُول الله ﷺ، قَالَ: «من أحَبَّ أنْ يُبْسَطَ لَهُ في رِزْقِهِ، ويُنْسأَ لَهُ في أثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ(٢).

□ ومعنى (ينسأ لَهُ في أثرِهِ)؛ أي: يؤخر لَهُ في أجلِهِ وعمرِهِ.

٣٢٠ ـ **وعنه**، قَالَ: كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أكْثَرَ الأنْصَارِ بالمَدينَةِ مَالاً مِنْ نَخل، وَكَانَ أحَبُّ أمْوَاله إلَيْهِ بَيْرَحاء، وَكَانَتْ مسْتَقْبلَةَ المَسْجِدِ، وَكَانَ رَسُول الله ﷺ يَدْخُلُهَا، وَيشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّب، فَلَمَّا نَزَلَتْ هذِهِ الآيةُ: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾ [آل عمران: ٩٢] قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رسولِ الله ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُول الله، إنَّ الله تبارك وتَعَالَى، يقول: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾ وَإنَّ أحَبَّ مَالِي إلَيَّ بَيْرَحَاءُ، وَإنَّهَا صَدَقَةٌ للهِ تَعَالَى، أرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ الله تَعَالَى، فَضَعْهَا يَا رَسُول الله، حَيْثُ أرَاكَ الله، فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: «بَخ! ذلِكَ مَالٌ رَابحٌ، ذلِكَ مَالٌ رَابحٌ! وقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ، وَإنِّي أرَى أنْ تَجْعَلَهَا في الأقْرَبينَ» فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ:

---

(١) أخرجه في كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها برقم (٢٥٥٨).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب من أحب البسط في الرزق برقم (٢٠٦٧)، وفي كتاب الأدب، باب من بُسط له في الرزق بصلة الرحم برقم (٥٩٨٦)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها برقم (٢٥٥٧).

أَفْعَلُ يَا رَسُول الله، فَقَسَّمَهَا أَبُو طَلْحَةَ في أَقَارِبِهِ وبَنِي عَمِّهِ». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[١].

وسبق بيان ألفاظِهِ في باب الإنْفَاقِ مِمَّا يحب.

الشَّرح

هذه الأحاديث الثلاثة تتعلق بصلة الرحم، وسبق بعض الآيات والأحاديث في صلة الرحم، وأنها من أهم الواجبات، كما أن بر الوالدين من أهم الواجبات، هكذا صلة الرحم وهم: الأقارب يصلهم بالمال إذا افتقروا، وبالكلام الطيب، وبالسلام، وبعيادة المريض، وبغير هذا من وجوه البر والخير، سواء كان بنفسه أو بالمكاتبة إذا بعدوا، أو من طريق الهاتف.

المقصود: أنه تكون بينهم الصلة والمحبة والتعاون؛ لما تقدم في ثنائه سبحانه على من وصل من أمر الله به أن يوصل وتحذيره من القطيعة في قوله سبحانه: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾ [محمد: ٢٢، ٢٣]، وهنا يقول ﷺ لهذا الرجل الذي قال: يا رسول الله: (**إنّ لِي قَرابَةً أصِلُهُمْ وَيَقْطَعُوني، وَأُحْسِنُ إلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إلَيَّ، وَأحْلَمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ**) - يعني: يقابلونه بالضد -، فَقَالَ عليه الصلاة والسلام: «**لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكأنَّمَا تُسِفُّهُمْ المَلَّ، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذلِكَ**» يعني: أنك ما دمت تفعل هذا الفعل «**فَكأنَّمَا تُسِفُّهُمْ المَلَّ**» يعني: الرماد الحامي وهو أن هذه تعذبهم وتتعبهم لجهلهم وقطيعتهم، فأنت مأجور، ومحسن وهم آثمون، وهم في عذاب من هذه

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب الزكاة على الأقارب برقم (١٤٦١)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين، والزوج والأولاد والوالدين ولو كانوا مشركين برقم (٩٩٨).

القطيعة، عذاب معجل غير عذاب الآخرة لمن قطع الرحم، قد قال عليه الصلاة والسلام: «**لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ**» تقدم قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ [محمد: ٢٣] هذا يفيد الحذر، بعض الناس قد يتساهل في الصلة إذا رأى من أقاربه جفوة فلا ينبغي ذلك، لا ينبغي أن يقابلهم بالجفوة، بل يكون خيراً منهم إذا أساؤوا لا يسيء، وإذا جفوا لا يجفو بل يقابلهم بالإحسان، يقول النبي ﷺ: «**لَيْسَ الوَاصِلُ بِالمُكَافِئِ، وَلكِنَّ الوَاصِلَ الَّذِي إِذَا قَطعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا**» هذا الواصل «**الَّذِي إِذَا قَطعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا**»[1] ويقول ﷺ: «**من أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ في رِزْقِهِ، ويُنْسأَ لَهُ في أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**» فصلة الرحم من أسباب بسط الرزق وسعة الرزق، والخلف من الله ﷻ، وطول العمر في طاعة الله، فإن الأعمار لها حد محدود بشروطها التي قدرها الله، فمن أسباب طول العمر وحبس الأجل صلة الرحم، وبر الوالدين، والإحسان والجود، ومن أسباب نزع بركة العمر وقصره قطيعة الرحم وسوء العمل؛ ولهذا يقول ﷺ: «**من أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ في رِزْقِهِ، ويُنْسأَ لَهُ في أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**» تقدم قوله ﷺ لما خلق الله الخلق: «**قَامَتِ الرَّحِمُ، فَقَالَتْ: هَذَا مُقَامُ العَائِذِ بِكَ مِنَ القَطِيعةِ، فقَالَ الله للرحم: أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى يا رب**» قَالَ الله جلَّ وعلا: «**فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَّتُّهُ**».

وفي الصحيح يقول ﷺ: «**لَيْسَ الوَاصِلُ بِالمُكَافِئِ، وَلكِنَّ الوَاصِلَ الَّذِي إِذَا قَطَعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا**» ولما نزل قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] جاء أبو طلحة الأنصاري رضي الله عنه إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني سمعت الله يقول: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ البر؛ يعني: الجنة، وفُسر البر بكمال الدين ﴿حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾.

---

(١) سيأتي تخريجه في (ص١٦) برقم (٣٢٢).

(وَإِنَّ أَحَبَّ مَالِي إِلَيَّ بَيْرَحَاءُ) - بستان له عند المسجد طيب كَانَ رَسُول الله ﷺ يَدْخُلُهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّب - **«وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ للهِ تَعَالَى، أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ الله تَعَالَى، فَضَعْهَا يَا رَسُول الله، حَيْثُ أَرَاكَ الله. فَقَالَ له النبي ﷺ: «بَخٍ بَخٍ!»»** المعنى يعني أعظم من عظيم طيب هذا **«ذٰلِكَ مَالٌ رَابحٌ، ذٰلِكَ مَالٌ رَابحٌ!»**؛ يعني: فعلك هذا مَالٌ رَابحٌ وأي ربح أعظم من كونه يعامل الله ويحسن، ويتصدق على أرحامه يرجو ما عند الله هذا مال رابح، وفي لفظ: **«مَالٌ رَايِحٌ»**؛ يعني: يروح عليك ثوابه، أو مال ذاهب في الدنيا؛ لكن تجد ثوابه عند الله جلَّ وعلا **«وَإِنِّي أرَى أنْ تَجْعَلَهَا في الأقْرَبينَ» (فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَفْعَلُ يَا رَسُول الله، فَقَسَّمَهَا أَبُو طَلْحَةَ في أَقَارِبِهِ وبَنِي عَمِّهِ)**.

قسم **(بَيْرَحَاءُ)** قسمها بين أقاربه وانتفع بها أقاربه تقاسموها وباعوها بأثمان عظيمة، وانتفعوا بذلك، ففي هذا الصلة للرحم بالأرض، بالنخل، بالبيت، بالنقود، يصل الرحم بما يسر الله، من نقود، من أراضي، من سكن، من سيارة، من غير ذلك، بما يسر الله، توصل الرحم بما يسر الله، من مال، القليل والكثير، كل على حسب حاله ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦] ومن أعظم الوصل للرحم أن تنصحهم وتأمرهم بالمعروف وتنهاهم عن المنكر، وتجتهد في صلاحهم واستقامة أحوالهم حتى تكون سبباً لدخولهم الجنة ونجاتهم من النار، هذا من أعظم الصلة، يتفقد أحوالهم، تنصح لهم، تعينهم على الخير، توجههم، ترشدهم، تقف معهم في أعمال الخير، تنصحهم في ترك أعمال الشر، ومن أظهر المعصية وجاهر بها ينصح فإن استقام وإلا وجب هجره حتى يستقيم، حتى يرجع، حتى يتوب، إذا أظهر المعاصي والبدع، أما من كانت معصيته سراً فهذا ينصح سراً.

وفَّق الله الجميع.

❊ ❊ ❊

٣٢١ ـ **وعن** عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قَالَ: أقبلَ رَجُلٌ إلَى نَبيِّ الله ﷺ، فَقَالَ: أُبَايِعُكَ عَلَى الهِجْرَةِ وَالجِهَادِ أَبْتَغي الأجْرَ مِنَ الله تَعَالَى، قَالَ: «فَهَلْ لَكَ مِنْ وَالِدَيْكَ أحَدٌ حَيٌّ؟» قَالَ: نَعَمْ، بَلْ كِلاهُمَا، قَالَ: «فَتَبْتَغي الأجْرَ مِنَ الله تَعَالَى؟» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «فارْجِعْ إلَى وَالِدَيْكَ، فَأحْسِنْ صُحْبَتَهُمَا» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1] وهذا لَفظُ مسلِم.

📖 وفي رواية لَهُمَا: جَاءَ رَجُلٌ فَاسْتَأْذَنَهُ في الجِهَادِ، فقَالَ: «أحَيٌّ وَالِداكَ؟»، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَفيهِمَا فَجَاهِدْ».

٣٢٢ ـ **وعنه**، عن النَّبيِّ ﷺ، قَالَ: «لَيْسَ الوَاصِلُ بِالمُكَافِئ، وَلكِنَّ الوَاصِلَ الَّذِي إِذَا قَطَعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا» رواه البخاري[2].

□ وَ(قَطَعَتْ): بِفَتح القَاف وَالطَّاء. وَ(رَحِمُهُ): مرفُوعٌ.

٣٢٣ ـ **وعن** عائشة، قَالَتْ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالعَرْشِ تَقُولُ: مَنْ وَصَلَنِي، وَصَلَهُ اللهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي، قَطَعَهُ اللهُ» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[3].

الشَّرح

هذه الأحاديث كالتي قبلها في الحثِّ على بر الوالدين، وبرهما من أهم الواجبات، ومن أفضل القربات؛ ولهذا يقول الله جلَّ وعلا: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، قال ﷻ:

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب الجهاد بإذن الأبوين برقم (٣٠٠٤) وفي كتاب الأدب، باب لا يجاهد إلا بإذن الأبوين برقم (٥٩٧٢)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب بر الوالدين وأنهما أحق به برقم (٢٥٤٩).

(٢) أخرجه في كتاب الأدب، باب ليس الواصل بالمكافي برقم (٥٩٩١).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب من وصل وصله الله برقم (٥٩٨٩)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها برقم (٢٥٥٥).

﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [النساء: ٣٦]، قال تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤] وبرهما والإحسان إليهما من أهم القربات، ومن أعظم الواجبات

في الحديث الأول عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن هذا الرجل قال: يا رسول الله، يعني: يستأذنه في الجهاد؛ ولهذا قال ﷺ: «**أَحَيٌّ وَالِدَاكَ؟**» قال: «**نَعَمْ**»، قال: «**فارْجِعْ إِلَى وَالِدَيْكَ، فَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُمَا**»، في اللفظ الآخر: «**فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ**»؛ فبرهما والإحسان اليهما مقدم على الجهاد؛ ولهذا في الحديث الصحيح لما سئل: أي العَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**الصَّلَاةُ لِوَقْتِهَا**» قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «**بِرُّ الوَالِدَيْنِ**» قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «**الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ**»[1]؛ فبر الوالدين من أهم الواجبات، وذلك بالإحسان إليهما والرفق بهما، والسمع والطاعة لهما في المعروف، والإنفاق عليهما عند الحاجة، وإكرام صديقهما وإنفاذ وصيتهما من بعدهما، كل هذا من برهم.

يقول ﷺ: «**لَيْسَ الوَاصِلُ بِالمُكَافِئِ، وَلَكِنِ الوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قَطَعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا**» كونه يصلهم ويصلونه هذا وصل؛ لكن أفضل منه وأعظم الذي يصلهم مع قطيعتهم يحسن إليهم ويسيئون إليه، هذا هو الواصل على الكمال؛ ولهذا تقدم في الحديث: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ، فَقَالَ: «**لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ المَلَّ وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ**»[2]، هذا إنسان يصلهم ويقطعونه، يحلم عليهم ويجهلون عليه، ويجتهد في كل ما ينفعهم ويقابلونه بالإساءة، قال له النبي فكأنما تسفهم المل ولا يزال معك من الله ظهير ما دمت على ذلك، فالمؤمن يصل أرحامه ويجتهد ويبشر بالخير، وأعظم من ذلك وأهمه بر الوالدين، وإن أساؤوا وإن قطعوك تحسن إليهم، قال تعالى في

---

(١) سبق تخريجه برقم (٣١٢).

(٢) سبق تخريجه برقم (٣١٨).

حق الوالدين الكافرين: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥] ولو كانا كافرين؛ لا بد من الصبر والإحسان إليهما ودعوتهما إذا كانا كافرين أو عاصيين تدعوهم إلى الله بالحلم والرفق، والكلام الطيب، والأسلوب الحسن، يقول ﷺ: «**لَيْسَ الوَاصِلُ بِالمُكَافِئِ، وَلَكِنِ الوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قَطَعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا**»[1] هذا الواصل يعني: الكامل الذي جاهد نفسه حتى وصل رحمه مع القطيعة منهم.

وفي حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالعَرْشِ، تَقُولُ: مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللهُ**»، وتقدم قوله ﷺ: «**هَذَا مَقَامُ العَائِذِ بِكَ مِنَ القَطِيعَةِ، قَالَ: أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ، قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَذَاكِ**»[2] في الحديث الآخر: «**مَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَتُّهُ**». نسأل الله العافية.

وفق الله الجميع.

❋ ❋ ❋

٣٢٤ ـ وعن أم المؤمنين ميمونة بنتِ الحارث رضي الله عنها: أَنَّهَا أَعْتَقَتْ وَلِيدَةً وَلَمْ تَستَأْذِنِ النَّبيَّ ﷺ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُهَا الَّذِي يَدُورُ عَلَيْهَا فِيهِ، قَالَتْ: أَشَعَرْتَ يَا رَسُول الله، أَنِّي أعتَقْتُ وَلِيدَتِي؟ قَالَ: «أَوَ فَعَلْتِ؟» قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَ: «أما إِنَّكِ لَوْ أَعْطَيْتِهَا أَخْوَالَكِ كَانَ أَعْظَمَ لأَجْرِكِ» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[3].

٣٢٥ ـ وعن أسماءَ بنتِ أَبي بكر الصديق رضي الله عنهما، قَالَتْ: قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ مُشركةٌ في عَهْدِ رسولِ الله ﷺ، فاسْتَفْتَيْتُ رَسُول الله ﷺ، قُلْتُ:

---

(١) سبق تخريجه برقم (٣٢٢).

(٢) سبق تخريجه برقم (٣١٥).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الهبة، باب هبة المرأة لغير زوجها وعتقها برقم (٢٥٩٢) ومسلم في كتاب الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد والوالدين ولو كانوا مشركين برقم (٩٩٩).

قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ رَاغِبَةٌ، أَفَأَصِلُ أُمِّي؟ قَالَ: «نَعَمْ، صِلِي أُمَّكِ» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[(١)].

▫ وَقَولُهَا: (رَاغِبَةٌ) أَيْ: طَامِعَةٌ عِنْدِي تَسْأَلُني شَيْئاً؛ قِيلَ: كَانَتْ أُمُّهَا مِن النَّسَبِ، وَقيل: مِن الرَّضَاعَةِ، وَالصحيحُ الأول.

٣٢٦ ـ **وعن** زينب الثقفيةِ امرأةِ عبدِ الله بن مسعود رضي الله عنه وعنها، قَالَتْ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «تَصَدَّقْنَ يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ وَلَوْ مِنْ حُلِيِّكُنَّ».

قَالَتْ: فَرَجَعْتُ إِلَى عبد الله بنِ مسعود، فقلتُ لَهُ: إِنَّكَ رَجُلٌ خَفِيفُ ذَاتِ اليَدِ، وَإنَّ رَسُول الله ﷺ قَدْ أَمَرَنَا بِالصَّدَقَةِ فَأْتِهِ، فَاسأله، فإنْ كَانَ ذلِكَ يُجْزِئُ عَنِّي وَإلَّا صَرَفْتُهَا إِلَى غَيْرِكُمْ. فَقَالَ عبدُ اللهِ: بَلِ ائْتِيهِ أنتِ، فانْطَلَقتُ، فَإذا امْرأةٌ مِنَ الأنْصارِ بِبَابِ رسولِ الله ﷺ حَاجَتي حَاجَتُها، وَكَانَ رَسُول الله ﷺ قَدْ أُلْقِيَتْ عَلَيهِ المَهَابَةُ، فَخرجَ عَلَيْنا بِلَالٌ، فَقُلْنَا لَهُ: ائْتِ رَسُول الله ﷺ، فَأخْبِرْهُ أنَّ امْرَأتَيْنِ بالبَابِ تَسألانِكَ: أَتُجْزِئُ الصَّدَقَةُ عَنْهُمَا عَلَى أزْواجِهِمَا وَعَلَى أيْتَامٍ في حُجُورِهِما؟ وَلَا تُخْبِرْهُ مَنْ نَحْنُ، فَدَخلَ بِلَالٌ عَلَى رَسُول الله ﷺ، فسأله، فَقَالَ لَهُ رَسُول الله ﷺ: «مَنْ هُمَا؟» قَالَ: امْرَأةٌ مِنَ الأنْصَارِ وَزَيْنَبُ. فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: «أيُّ الزَّيَانِبِ هِيَ؟»، قَالَ: امْرَأةُ عبدِ الله، فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: «لَهُمَا أجْرَانِ: أجْرُ القَرَابَةِ وَأجْرُ الصَّدَقَةِ» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الهبة، باب الهدية للمشركين برقم (٢٦٢٠)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد والوالدين ولو كانوا مشركين برقم (١٠٠٣).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب الزكاة على الزوج والأيتام في الحجر برقم (١٤٦٦)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد والوالدين ولو كانوا مشركين برقم (١٠٠٠).

٣٢٧ ـ وعن أبي سفيان صخر بنِ حرب ﷺ في حديثِهِ الطويل في قِصَّةِ هِرَقْلَ؛ أنَّ هرقْلَ قَالَ لأبي سُفْيَانَ: فَمَاذَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ؟ يَعْنِي: النَّبيّ ﷺ، قَالَ: قُلْتُ: يقول: «اعْبُدُوا اللهَ وَحْدَهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيئاً، واتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلاةِ، وَالصِّدْقِ، والعَفَافِ، والصِّلَةِ» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1].

الشَّرح

هذه الأحاديث كلها تتعلق بالصدقة وصلة الرحم والإحسان إلى الأقارب، وأن ذلك من آكد القربات ومن أفضل الطاعات، حتى ولو كان الأقارب مشركين غير مسلمين إذا كانوا ليسوا حرباً لنا، إما في حال هدنة أو معاهدة وأمن وهم فقراء أو أقارب يصدق عليهم ويحسن إليهم لما في ذلك من صلة الرحم، ولما في ذلك من الدعوة إلى الإسلام؛ لأن الإسلام يأمر بهذه الأخلاق الفاضلة.

الحديث الأول: فيه أن ميمونة ﷺ بنت الحارث أم المؤمنين، كانت لها جارية فاعتقتها، فلما دار عليها النبي ﷺ في يومها، قالت: يا رسول الله أَشَعَرْتَ يَا رَسُولَ اللهِ أَنِّي أَعْتَقْتُ وَلِيدَتِي، قَالَ: **«أَوَ فَعَلْتِ؟»**، قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: **«أَمَا إِنَّكِ لَوْ أَعْطَيْتِهَا أَخْوَالَكِ كَانَ أَعْظَمَ لِأَجْرِكِ»** هذا يدل على الصدقة في الأخوال والأعمام أفضل من العتق، يدل على فضل عظيم، قد يدل على أنهم محاويج، وأن الصدقة فيهم أفضل من العتق.

في الحديث الثاني: حديث أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما؛ أن أمها وفدت عليها من مكة في حال الصلح الذي بين النبي وبين أهل مكة، والهدنة، تطلب الرفق والمساعدة وكانت مشركة لم تسلم، فاستفتت أسماء النبي ﷺ في ذلك فقالت: يا رسول الله إن أمي وفدت علي

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الشهادات، باب من أمر بإنجاز الوعد برقم (٢٦٨١)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام برقم (١٧٧٣).

وهي راغبة في الصلة وهي مشركة أفأصلها؟ قال النبي ﷺ: «**نَعَمْ، صِلِي أُمَّكِ**» هذا يدل على أن بر الوالدين مطلوب حتى ولو كانا كافرين، ولو كانا فاسقين، وهكذا صلة الرحم مطلوبة ولو كان الأقارب كفاراً، إذا كانوا ليسوا حرباً لنا وليس بينهم وبيننا حرب، بل كانوا في هدنة أو أمان أو ذمة، كما قال الله جلَّ وعلا في كتابه الكريم: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨] فالكفار المهادنون أو الذين في ذمة وعهد أو في أمان يوصلون إذا كانوا أرحاماً، ويتصدق عليهم إذا كانوا فقراء، بجامع فضل الرحمة والإحسان، ولأن ذلك من أسباب الدخول في الإسلام وتأليف القلوب.

* * *

٣٢٨ ـ وعن أبي ذرّ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ أَرْضاً يُذْكَرُ فِيهَا القِيرَاطُ».

📖 **وفي رواية: «سَتَفْتَحونَ مِصْرَ وَهِيَ أَرْضٌ يُسَمَّى فِيهَا القِيراطُ، فَاسْتَوْصُوا بأَهْلِهَا خَيْراً؛ فَإنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِماً».**

📖 **وفي رواية: «فَإذَا افْتَتَحْتُمُوهَا، فَأَحْسِنُوا إلى أَهْلِهَا؛ فَإنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِماً»، أَوْ قَالَ: «ذِمَّةً وصِهْراً»** رواه مسلم(١).

▫ قَالَ العلماء: (الرَّحِمُ): **الَّتي لَهُمْ كَوْنُ هَاجَرَ أُمِّ إسْمَاعِيلَ ﷺ مِنْهُمْ، (وَالصِّهْرُ): كَوْن مَارية أمِّ إبْراهيمَ ابن رَسُول الله ﷺ مِنْهُمْ.**

٣٢٩ ـ وعن أَبي هريرة ﷺ، قَالَ: لما نزلت هذِهِ الآية ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] **دَعَا رَسُول الله ﷺ قُرَيْشاً، فَاجْتَمَعُوا فَعَمَّ وَخَصَّ، وَقَالَ: «يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ، يا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ، أنقِذُوا أنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ،**

---

(١) أخرجه في كتاب فضائل الصحابة، باب وصية النبي ﷺ بأهل مصر برقم (٢٥٤٣).

يَا بَنِي مُرَّةَ بن كَعْبٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَاف، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي هاشم، أنقذوا أنفسكم من النار، يَا بني عبد المطلب، انقذوا أنفسكم من النار، يَا فَاطِمَةُ، أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ. فَإنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيئاً، غَيْرَ أَنَّ لَكُم رَحِماً سَأَبُلُّهَا بِبِلالِهَا» رواه مسلم(١).

▫ قوله ﷺ: (بِبِلالِهَا): هُوَ بفتح الباء الثانيةِ وكسرِها، (وَالبِلَالُ): الماءُ. ومعنى الحديث: سَأَصِلُهَا، شَبّه قَطِيعَتَهَا بالحَرارَةِ تُطْفَأُ بِالماءِ وهذِهِ تُبَرَّدُ بالصِّلَةِ.

٣٣٠ ـ وعن أَبي عبد الله عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قَالَ: سمعت رَسُول الله ﷺ جِهَاراً غَيْرَ سِرٍّ، يَقُولُ: «إنَّ آل بَني فُلَان لَيْسُوا بِأولِيَائِي، إِنَّمَا وَلِيِّيَ اللهُ وَصَالِحُ المُؤْمِنينَ، وَلَكِنْ لَهُمْ رَحِمٌ أَبُلُّهَا بِبِلَالِهَا» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ، واللفظ للبخاري(٢).

الشَّـرح

هذه الأحاديث الثلاثة كالتي قبلها في الحث على صلة الرحم والإحسان إلى الأقارب، فينبغي للمؤمن أن يُعنى بأقاربه ويحسن إليهم، إن كانوا مسلمين، فلهم حق القرابة وحق الإسلام، وإن كانوا غير مسلمين فلهم حق القرابة، فيصلهم إذا كانوا مسالمين ليسوا حرباً لنا، بل أهل ذمة أو أهل أمان وعهد، كما قال الله جلَّ وعلا: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ﴾ [الممتحنة: ٨].

تقدم حديث أسماء بنت الصديق رضي الله تعالى عنهما، أن أمها جاءتها في عهد الصلح بين قريش وبين النبي عليه الصلاة والسلام وهي مشركة، تطلب الرفق، فقالت أسماء: يا رسول الله إن أمي وردت عليَّ وهي راغبة في الصلة وهي مشركة، فقال النبي ﷺ: «**نَعَمْ، صِلِي أُمَّكِ**» فصلة

---

(١) أخرجه في كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] برقم (٢٠٤).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب تُبَلُّ الرَّحِمُ بِبِلالِهَا برقم (٥٩٩٠)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب موالاة المؤمنين ومقاطعة غيرهم والبراءة منهم برقم (٢١٥).

الرحم من أفضل القربات ومن أهم الطاعات، ومع الأقارب المسلمين أعظم وأفضل؛ لأن لهم حقين حق القرابة وحق الإسلام، وإذا كانوا جيراناً صارت لهم حقوق ثلاثة: حق الإسلام وحق القرابة وحق الجوار.

وفي هذا الحديث قصة مصر، أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: **«إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ أَرْضاً يُذْكَرُ فِيهَا القِيرَاطُ»** يعني: مصر **«فَإِذَا افْتَتَحْتُمُوهَا، فَأَحْسِنُوا إلى أَهْلِهَا؛ فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِماً»**، وفي رواية: **«ذِمَّةً وصِهْراً»** وأراد بالصهر والرحم إبراهيم ابنه عليه الصلاة والسلام، فإن إبراهيم أمه مارية المصرية، فالمقصود أن القرابة توصل وتحسن إلى أهلها، وهكذا المعاهدون والمستأمنون من غير المسلمين لفقرهم أو لقرابتهم أو لتأليفهم يحسن إليهم.

وهكذا لما أنزل قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] دعا عليه الصلاة والسلام قومه وجمعهم وأنذرهم وناداهم ببطونهم: يا بني فلان يا بني فلان، يا بني كعب بن لؤي، يا بني فهر بن مالك، يا بني عبد مناف، يا بني عبد المطلب، إلى غير ذلك مما نوع بطونهم عليه الصلاة والسلام، ثم يقول لهم: **«اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئاً»** يعني: بالتوحيد والإيمان والدخول في الإسلام **«فَإِنِّي لا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئاً»** وفي اللفظ الآخر: **«فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئاً»** حتى قال: **«يَا عَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ المُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئاً»** كما في الرواية الأخرى: **«يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئاً»** **«يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ رَسُولِ اللهِ سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئاً»** أوضح لهم عليه الصلاة والسلام أنه لا يغني عنهم من الله شيئاً وإن كانوا أقارب، وأمرهم بأن يشتروا أنفسهم من الله بالدخول في الإسلام والاستقامة على أمر الله وقبول الحق، هذا هو طريق النجاة وهذا هو طريق السعادة، ثم قال: **«غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِماً سَأَبُلُّهَا بِبِلالِهَا»** يعني: قرابة سوف أصلها؛ لأن صلة الرحم بلال لها والقطيعة لها حرارة ولها آلام،

والصلة تبلها تطفئ الحرارة وتقرب القلوب ويحصل بها من الترغيب في الإسلام والدعوة إليه ما هو معلوم عند كل من عقل ذلك؛ ولهذا فرض الله سبحانه للمؤلفة قلوبهم حقاً في بيت المال وحقاً في الزكاة؛ لأن المال له شأنه في تأليف القلوب وتقريبها وترغيبها في الإسلام، وأعظم ذلك أنه أوصاهم بالحق وبلّغهم الرسالة، هذا من النصح لهم ووصيتهم بالحق وأمرهم بالحق، هذا من أعظم الصلة ومن أعظم الإحسان أن الله أوصاهم بالحق وأمرهم به، وأخبرهم بأن قرابتهم منه لا تنفعهم ولا تغني عنهم من الله شيئاً إذا لم يسلموا وينقادوا للحق.

فهذا عمه أبو لهب مات على دين قومه وصار إلى النار هو وزوجته، وكذلك عمه أبو طالب، وهذا أبو إبراهيم عليه السلام آزر صار إلى النار لم تنفعه قرابته من ابنه إبراهيم عليه السلام لما مات على الكفر بالله، وهذا ولد نوح كذلك هلك مع الغارقين إلى النار لم تنفعه قرابته من نوح عليه السلام، فالنجاة والسعادة والقربة من الله بطاعته واتّباع شريعته، لا بالقرابات والصحبة والصداقة.

هكذا حديث عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه، أخبر عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ آل بَني فُلَان لَيْسُوا بِأَولِيَائِي**» لكفرهم «**إِنَّمَا وَلِيِّيَ اللهُ وَصَالِحُ المُؤْمِنِينَ**» يعني: بنو هاشم وبنو عبد المطلب وبنو مخزوم وبنو عدي وغيرهم، ليسوا في الحقيقة بأولياء إلا من أسلم منهم، من أسلم ودخل في الإيمان فهو ولي الله ورسوله ولهذا قال: «**إِنَّمَا وَلِيِّيَ اللهُ وَصَالِحُ المُؤْمِنِينَ، وَلَكِنْ لَهُمْ رَحِمٌ أَبُلُّهَا بِبِلَالِهَا**» أي: سأصلها بصلتها فإني لا أنسى قرابتهم، سوف أصلها، هذا هو الشاهد، وأن القرابة توصل وإن كانت من كافر إذا لم يكن حرباً لنا، إذا كان في عهد أمن وفي عهد ذمة يوصل ترغيباً له في الإسلام ودعوة إلى الإسلام، كما سمعتم في قوله جلَّ وعلا: ﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨].

أما الحربيون فلا يوصلون بشيء أبداً حتى يسلموا ليس بيننا وبينهم إلا السيف والقتال حتى يسلموا، أما من لهم ذمة لهم أمان، هؤلاء يوصلون ويرغبوا في الإسلام ويدعون إليه لعلهم يهتدون ولعلهم يستجيبون لداعي الحق.

وفَّق الله الجميع.

❋ ❋ ❋

٣٣١ - وعن أَبي أيوب خالد بن زيد الأنصاري رضي الله عنه أَنَّ رجلاً قَالَ: يَا رَسُول الله، أخْبِرْني بِعَمَلٍ يُدْخِلُني الجَنَّةَ، وَيُبَاعِدُني مِنَ النَّارِ، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «تَعْبُدُ الله، وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيئاً، وَتُقِيمُ الصَّلاةَ، وتُؤتِي الزَّكَاةَ، وتَصِلُ الرَّحمَ» مُتَّفقٌ عَلَيهِ[(١)].

٣٣٢ - وعن سلمان بن عامر رضي الله عنه، عن النَّبيّ ﷺ، قَالَ: «إِذَا أَفْطَرَ أحَدُكُمْ، فَلْيُفْطرْ عَلَى تَمْرٍ، فَإنَّهُ بَرَكَةٌ، فَإنْ لَمْ يَجِدْ تَمْراً، فالمَاءُ؛ فَإنَّهُ طَهُورٌ» وَقالَ: «الصَّدَقَةُ عَلَى المِسكينِ صَدَقَةٌ، وعَلَى ذِي الرَّحِمِ ثِنْتَانِ: صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ» رواه الترمذي[(٢)] وَقالَ: حديث حسن.

٣٣٣ - وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: كَانَتْ تَحْتِي امْرَأةٌ، وَكُنْتُ أُحِبُّهَا، وَكَانَ عُمَرُ يَكْرَهُهَا، فَقَالَ لي: طَلِّقْهَا، فَأبَيْتُ، فَأتَى عُمَرُ رضي الله عنه النَّبيّ ﷺ، فَذَكَرَ ذلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «طَلِّقْهَا» رواه أَبو داود والترمذي[(٣)] وَقالَ: حديث حسن صحيح.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة برقم (١٣٩٦)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة... برقم (١٣).

(٢) أخرجه في كتاب الزكاة، باب ما جاء في الصدقة على ذي القرابة برقم (٦٥٨).

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب في بر الوالدين برقم (٥١٣٨)، والترمذي في كتاب الطلاق واللعان عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الرَّجلِ يَسألهُ أبوهُ أن يطلق زوجته برقم (١١٨٩).

الشَرح

فهذه الأحاديث الثلاثة كالأحاديث السابقة فيما يتعلق بوجوب صلة الرحم وتحريم قطيعة الرحم، وأن الله جلَّ وعلا كما أوجب بر الوالدين أوجب صلة بقية الرحم، وأعظم الرحم رحم الوالدين ثم رحم الأولاد ثم من يليهم من الإخوة والأعمام والأخوال ونحو ذلك، فالصلة واجبة ولو قطعوا **«لَيْسَ الوَاصِلُ بِالمُكَافِئِ، وَلَكِنِ الوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قَطَعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا»** بالإحسان والكلام الطيب والمواساة، إذا كانوا فقراء مع ذلك وصلهم بالمال، ولهذا لما سأله رجل قال: يا رسول الله **(أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الجَنَّةَ)** قال عليه الصلاة والسلام: **«تَعْبُدُ الله، وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيئاً»** يعني: توحد الله تخصه بالعبادة من صلاتك ودعائك وذبحك ونذرك وغير ذلك، **«وَتُقِيمُ الصَّلاةَ، وتُؤتِي الزَّكَاةَ، وتَصِلُ الرَّحِمَ»** وجعل صلة الرحم قرينة لهذه الأمور العظيمة، فدل ذلك على عظم شأنها، وأن الواجب على المؤمن أن يصلها ولا يقطعها، كما قال الله جلَّ وعلا: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾ [محمد: ٢٢، ٢٣].

وفي الصلة فوائد كثيرة: من التحاب والتآخي والمواساة وتآلف القلوب والتعاون على الخير، إلى غير هذا من الفوائد التي تترتب على صلة الرحم والإحسان إلى القرابة، تقدم قوله ﷺ: **«مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»** فدل ذلك على أن صلة الرحم من موجبات الإيمان وجماعه، قوله ﷺ: **«مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ» «وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَصْمُتْ»**[1].

---

(١) سبق تخريجه برقم (٣١٤).

كل هذه الأعمال من موجبات الإيمان، فالإيمان يوجب إكرام الضيف وإكرام الجار، وحفظ اللسان، وصلة الرحم، فالواجب على المؤمن أن يلاحظ هذه الأمور، وأن يحرص عليها يرجو ما عند الله من المثوبة، ويخشى ما يترتب على القطيعة من العقاب.

وفي **حديث ابن عمر** أنه كانت له زوجة يحبها وأبوه يكرهها، فقال له عمر رضي الله عنه: طلقها فأبى عبد الله، فاشتكاه أبوه إلى النبي ﷺ، فقال له النبي ﷺ: «**طَلِّقْهَا**» هذا يدل على أن من بر الوالدين طاعتهما في طلاق المرأة إذا لم تناسبهما، وأبوه معلوم أنه من خيرة الناس وأفضل الصحابة بعد الصديق فلا يأمره بطلاقها إلا لعلة توجب ذلك؛ ولهذا أمره النبي أن يوافق أباه، فإذا كان الأب جيداً خيراً صالحاً فإنه لا يأمره بطلاقها إلا لعلة، إذا أمره أبوه وأمه وهما طيبان أو يعرف من المرأة إيذاؤهما وسوء الحال معهما؛ فالواجب طاعتهما في ذلك، أما إذا كان الأب ليس بذلك أو الأم ليست بذلك كرهاها لطاعتها واستقامتها فلا يطاعان في ذلك، «**إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي المَعْرُوفِ**» كما قال النبي ﷺ: «**إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي المَعْرُوفِ**»[1] وقال: «**لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ عز وجل**»[2] فطلاق المرأة وتفريق البيت وترك الرجل من دون زوجة أمره عظيم، فلا يطع والديه في ذلك، إلا إذا كان الوالدان معروفين بالخير والاستقامة، أو أمراه بذلك؛ لأن المرأة لا تُحسن معاملتهما أو تُسيء إليهما أو تؤذيهما أو نحو ذلك، فإذا كان لأمرهما وجه شرعي وجبت طاعتهما في ذلك، أما إذا كان بغضاً منهما للمرأة لكونها صالحة وأنها جيدة وهما فاسقان فلا طاعة لهما في ذلك.

---

(١) متفق عليه. عن علي رضي الله عنه أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب سرية عبد الله بن حذافة السهمي برقم (٤٣٤٠) وكرره برقم (٧١٤٥ ـ ٧٢٥٧)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية برقم (١٨٤٠).

(٢) أخرجه الإمام أحمد من حديث علي رضي الله عنه (١/٤٠٩).

كذلك حديث **سلمان بن عامر الضبي**، يقول النبي ﷺ: «**إِذَا أَفْطَرَ أَحَدُكُمْ، فَلْيُفْطِرْ عَلَى تَمْرٍ، فَإِنَّهُ بَرَكَةٌ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ تَمْراً، فالمَاءُ، فَإِنَّهُ طَهُورٌ**».

هذا يتعلق بالإفطار، والسُّنَّة أن تفطر على رطبات إن تيسرت، كما كان النبي يفعل، وإن لم تتيسر الرطب فالتمر، وإن لم تيسر فالماء، وإذا أفطر على شيء آخر مباح فلا بأس به، لكن هذا أفضل.

ثم قال: «**الصَّدَقَةُ عَلَى المِسكينِ صَدَقَةٌ، وعَلَى ذِي الرَّحِمِ ثِنْتَانِ: صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ**» وهذا هو الشاهد؛ فالصدقات على الفقراء فيها فضل عظيم وأجرٌ كبير، وإذا كان الفقراء من الأقارب صارت الصدقة مضاعفة؛ يكون صاحبها له أجران: أجر الصدقة وأجر الصلة، وتقدم حديث زينب[1] لما رفعت إلى النبي ﷺ أن لديها أيتاماً وأن زوجها خفيف ذات اليد فهل تجزئ الصدقة فيهما؟ قال لها أجران أجر الصدقة وأجر الصلة؛ فالمؤمن يحتسب في هذه الأمور ويتحرى ما هو أقرب إلى مرضاة الله ـ عز وجل ـ وما هو أكثر أجراً، وفَّق الله الجميع.

❋ ❋ ❋

٣٣٤ ـ وعن أَبي الدرداءِ رضي الله عنه؛ أن رجلاً أتاه، قَالَ: إِنَّ لِي امْرَأَةً وَإِنَّ أُمِّي تَأْمُرُنِي بِطَلاقِهَا؟ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُول الله ﷺ، يقول: «الوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الجَنَّةِ، فَإِنْ شِئْتَ، فَأَضِعْ ذلِكَ البَابَ، أَو احْفَظْهُ» رواه الترمذي[2]، وَقالَ: حديث حسن صحيح.

٣٣٥ ـ وعن البراءِ بن عازب رضي الله عنهما، عن النَّبيِّ ﷺ، قَالَ: «الخَالَةُ بِمَنْزِلَةِ الأُمِّ» رواه الترمذي[3]، وَقالَ: حديث حسن صحيح.

---

(١) سبق تخريجه برقم (٣٢٦).

(٢) أخرجه في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في عقوق الوالدين برقم (١٩٠١).

(٣) أخرجه في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في بر الخالة برقم (١٩٠٤).

وفي الباب أحاديث كثيرة في الصحيح مشهورة؛ مِنْهَا حديث أصحاب الغار[١]، وحديث جُرَيْجٍ[٢] وقد سبقا، وأحاديث مشهورة في الصحيح حذفتها اختِصَاراً، وَمِنْ أَهَمِّهَا حديث عَمْرو بن عَبسَة رضي الله عنه الطَّوِيلُ المُشْتَمِلُ عَلَى جُمَلٍ كَثيرةٍ مِنْ قَواعِدِ الإسْلامِ وآدابِهِ، وَسَأذْكُرُهُ بتَمَامِهِ إنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى في باب الرَّجَاءِ، قَالَ فِيهِ:

دَخَلْتُ عَلَى النَّبيِّ ﷺ بمَكَّةَ، يَعْني: في أوَّلِ النُّبُوَّةِ، فقلتُ لَهُ: مَا أنْتَ؟ قَالَ: «نبيٌّ» فَقُلْتُ: وَمَا نَبِيٌّ؟ قَالَ: «أرْسَلنِي اللهُ تَعَالَى» فقلت: بأيِّ شَيءٍ أرْسَلَكَ؟ قَالَ: «أرسَلَنِي بِصِلَةِ الأَرْحَامِ وَكَسْرِ الأَوْثَانِ، وَأنْ يُوَحَّدَ اللهُ لَا يُشْرَك بِهِ شَيء» وَذَكَرَ تَمَامَ الحَدِيث.[٣] والله أعلم.

الشَّرح

هذه الأحاديث كالتي قبلها في الحث على بر الوالدين وصلة الرحم والإحسان إلى الأقارب، وما في ذلك من الفضل والخير والعاقبة الحميدة والأجر الجزيل، ومن هذا حديث أبي الدرداء أن رجلاً سأله عن أمه، وقال: إنها تأمره أن يطلق زوجته فهل يطيعها؟ قال أبو الدرداء: سمعت النبي عليه الصلاة والسلام يقول: «الوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الجَنَّةِ، فَإنْ شِئْتَ، فَأضِعْ ذلِكَ البَابَ، أَو احْفَظْهُ» والمعنى: أطع أمك فإن برها والإحسان إليها وبر الأب والإحسان إليه من أسباب دخول الجنة والنجاة من النار؛ فالأعمال الصالحات التي رتَّب الله عليها الجزاء الحسن ودخول الجنة كثيرة.

(١) سبق تخريجه برقم (١٢).

(٢) سبق تخريجه برقم (٢٥٩).

(٣) أخرجه مسلم من حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب إسلام عمرو بن عبسة برقم (٨٣٢).

من ذلك: إذا طلب الوالدان أو أحدهما من ابنهما طلاق امرأته، كما تقدم[١] ما جاء عن عبد الله بن عمر حين أمره أبوه عمر بن الخطاب أن يطلق زوجته، توقف عبد الله في ذلك فرفع أمره إلى النبي ﷺ، فأمره النبي أن يطيع أباه، وتقدم أن هذا حق إذا كانت الزوجة تؤذيهما، أو كان الوالدان عرفا منها ما لم يعرف الولد، وهما ثقتان من أهل العدالة والخير، فليطعهما كما أمر النبي ابن عمر أن يطيع أباه، وكما في حديث أبي الدرداء هذا.

أما إذا كانت الحالة غير ذلك إن كان الوالدان كرهاها لدينها واستقامتها؛ لأنهما ليسا على هدى وليسا مستقيمين فليس من الواجب طاعتهما، وليس من البر طاعتهما في خلاف المعروف، إنما الطاعة بالمعروف، لكن يجاملهما الولد ويرضيهما بالكلام الطيب والأسلوب الحسن، ويعتذر إليهما ما دامت الزوجة صالحة، وما دام طلب الطلاق ليس في محله منهما، وهذه أمور مقيدة في قبولها من جهة الأدلة الشرعية.

وهكذا حديث البراء بن عازب؛ أن النبي ﷺ قال: «**الخَالَةُ بِمَنْزِلَةِ الأُمِّ**» أخرجه الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ وأصله في الصحيحين[٢]؛ أن النبي قضى بابنة حمزة لخالتها، وقال: «**الخَالَةُ بِمَنْزِلَةِ الأُمِّ**» والمعنى: أنه يجب برها والإحسان إليها وصلتها؛ لأن حقها عظيم، كما أن العم بمنزلة الأب، فالعم صنو الأب والخالة صنوة الأم، والواجب برهما والإحسان إليهما والرفق بهما وصلتهما.

---

(١) سبق في الحديث رقم (٣٣٣) وبرقم (٣٣٤).

(٢) أخرجه البخاري مطولاً في كتاب الصلح، باب كيف يُكتب هذا ما صالح فُلان ابن فُلان برقم (٢٦٩٩)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية برقم (١٧٨٣).

هكذا ما جاء في حديث الغار، من حديث عمرو بن عبسة من الأمر بصلة الرحم، من حديث أصحاب الغار الذين دخلوا الغار بسبب المطر وقد آواهم الليل فدخلوا غاراً وهم ثلاثة، فانطبقت عليهم صخرة من رأس الجبل فغطت عليهم الباب ولم يستطيعوا زحزحتها، فقالوا فيما بينهم: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم، فدعوا الله بصالح أعمالهم، توسلوا إليه بصالح أعمالهم، فخلصهم الله منها وأزاحها عنهم.

فالأول: توسل ببره لوالديه، وهذا يدل على عظم شأن الوالدين، وأن برهما من أسباب تفريج الكروب، بر الوالدين من أسباب تفريج الكروب عند المضايق وعند الشدة، فقال: «**اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَكُنْتُ لَا أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلاً وَلَا مَالاً**» الغبوق: الحليب يشرب بعد العشاء، من عادة البادية يشربون الحليب بعد العشاء يسمونه غبوقاً، وما كان في أول النهار يسمونه صبوحاً، فكان يأتي بالحليب إليهما قبل أهله، فنأى به طلب ذات ليلة فلم يرح إلا بعد ما مضى من الليل شيء كبير، فأدركهم وقد ناما فوقف والقدح على يده ينتظرهما، فلم يستحسن إيقاظهما وأن يكدر عليهما ولم ير إسقاء أولاده وأهله قبلهما، فلم يزل ينتظرهما حتى فلق الصبح فاستيقظا فسقاهما غبوقهما، ثم قال: «**اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ**» فانفرجت الصخرة شيئاً لكن لا يستطيعون الخروج منه لكنهم رأوا السماء.

ثم قال الثاني: «**اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَتْ لِي ابْنَةُ عَمٍّ، أُحِبُّهَا كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرِّجَالُ النِّسَاءَ، فَطَلَبْتُ إِلَيْهَا نَفْسَهَا**» يعني: الفاحشة فأبت، ثم إنها ألمت بها سنة ألمت بها حاجة شديدة، فجاءت إليَّ، وقالت: يا ابن عم أصابني كذا وكذا، يعني: تطلب منه المساعدة، فقال: لا حتى تمكنيني

من نفسك، فعند شدة الحاجة وافقت وأعطاها مئة دينار وعشرين ديناراً أي: مائة جنيه وعشرين جنيه من الذهب، فلما مكَّنته من نفسها وجلس بين رجليها قالت له: يا عبد الله اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فخاف من الله وأصابه عند ذلك وجل عظيم، فقام عنها وتركها وترك الذهب لها أيضاً فلم يأخذه منها، وقال: «**اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ**». ففرج الله عنهم بعض الشيء لكن لا يستطيعون الخروج.

ثم قال الثالث: اللَّهُمَّ إنه كان لي أجراء فأعطيتهم أجورهم إلا واحداً ترك أجره فنميته له وثمرته له حتى صار منه إبل وبقر وغنم ورقيق، وإنه جاء يطلب مني أجره، فقلت له: كل ما ترى من هذه الإبل والغنم والبقر والرقيق، أي: العبيد، كلها لك ثمَّرته لك، فقال الرجل: يا عبد الله اتق الله ولا تستهزئ بي، قلت: لا أستهزئ بك وإنه مالُك فساقه كله ساق الإبل، والغنم، والبقر، والرقيق «**اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ**» يعني: أديت هذه الأمانة ونصفت ذلك الرجل فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة فخرجوا بسبب هذه الأعمال الصالحة التي شكرها الله لهم وقبل دعاءهم بأسبابها يعني: هذا دلالة على أن التوسل إلى الله بالأعمال الصالحات من بر الوالدين وصلة الرحم وأداء الأمانة والعفة عن الفواحش؛ أنها أسباب وجيهة، من أسباب إجابة الدعاء، كما أن التوسل إلى الله بصفاته وأسمائه وتوحيده من أسباب الإجابة، فعُلم بهذا أن بر الوالدين من القربات العظيمة، وأنه من الأسباب لتفريج الكروب وإزالة الشدائد عند وقوعها، وفَّق الله الجميع.






٤١ ـ بَابُ تحريم العقوق وقطيعة الرحم

قال الله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾ [محمد: ٢٢، ٢٣] وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ۙ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥] وقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤].

٣٣٦ ـ وعن أبي بكرة نُفَيع بن الحارث رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «ألا أُنَبِّئُكُمْ بأكْبَرِ الكَبَائِرِ؟» ثلاثاً ـ قُلْنَا: بَلَى، يَا رَسُول الله، قَالَ: «الإشْرَاكُ بالله، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ»، وكَانَ مُتَّكِئاً فَجَلَسَ، فَقَالَ: «ألَا وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ» فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ. مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[١].

٣٣٧ ـ وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، عن النَّبيّ ﷺ، قَالَ: «الكَبَائِرُ: الإشْرَاكُ بالله، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ، وَقَتْلُ النَّفْس، وَاليَمِينُ الغَمُوسُ» رواه البخاري[٢].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الشهادات، باب ما قيل في شهادة الزور برقم (٢٦٥٤)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها برقم (٨٧).

(٢) أخرجه في كتاب الأيمان والنذور، باب اليمين الغموس برقم (٦٦٧٥).

▫ **(اليمين الغموس): التي يحلفها كاذباً عامداً، سميت غموساً؛ لأنها تغمس الحالِفَ في الإثم.**

الشَرح

هذه الآيات الكريمات والأحاديث عن رسول الله ﷺ تتعلق بوجوب بر الوالدين وصلة الرحم، وتحريم عقوق الوالدين وقطيعة الرحم، تقدمت آيات وأحاديث في وجوب بر الوالدين وصلة الرحم، وذكر هنا ما يتعلق بتحريم العقوق والقطيعة، والعقوق ضد البر، والقطيعة ضد الصلة، والله يقول جلَّ وعلا في كتابه العظيم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ۝٢٢ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾ [محمد: ٢٢، ٢٣].

فهذا وعيد شديد يتوعد سبحانه من تولوا أمور المسلمين، أو شيئاً منها أن يفسد في الأرض أو يقطع رحمه، بل يجب الحذر من ذلك، وأن يكون وصولاً للرحم مصلحاً لأمور المسلمين، بعيداً عن أسباب الفساد، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥] يدخل في هذا قطع الرحم وعقوق الوالدين، فإنه مما أمر الله بوصله البر، فمن قطع دخل في هذا العموم ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وهكذا قوله سبحانه: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣] يفيد الحذر من قطيعتهما وأوجب الله البر، والضد القطيعة والعقوق فحرم العقوق؛ لأنه ضد البر، وبيَّن أن قوله لهما أُفٍّ أو النهر لهما من جملة المنهي عنه وأنه من العقوق، فالنهر برفع الصوت عليهما، والأُف إظهار كراهة الرائحة، أو

التأفف مما قد يبدو من روائح، سواء كانت من البدن أو الخارج أو من أي شيء فلا يبدي لهما شيئاً من التأفف والتكره بشيء من حالهما، بل يتماسك ويحذر أن يريهما ما يسوؤهما أو يظهر لهما ما يسوؤهما، ويحرص على كل ما ينفعهما وكل ما يعود عليهما بالمنفعة والطهر والرائحة الطيبة والمنظر الحسن، يجتهد في الإحسان إلى والديه بكل ما يستطيع، ولا يتظاهر بشيء يؤلمهما ويؤذيهما.

وفي حديث أبي بكرة الثقفي نفيع بن الحارث، يقول: قال النبي ﷺ لأصحابه ذات يوم: «**ألا أُنَبِّئُكُمْ بأكْبَرِ الكَبَائِرِ؟**» يرددها ثلاثاً يقول: «**ألا أُنَبِّئُكُمْ بأكْبَرِ الكَبَائِرِ؟ ألا أُنَبِّئُكُمْ بأكْبَرِ الكَبَائِرِ؟ ألا أُنَبِّئُكُمْ بأكْبَرِ الكَبَائِرِ؟**» (قلنا: **بلى يا رسول الله**) إنما كرر ذلك لينتبهوا وليستعدوا لما سيقوله عليه الصلاة والسلام وليفهموه، فقال: «**الإشْرَاكُ بالله**» هذه الأولى «**وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ**» الثانية «**وَشَهَادَةُ الزُّور**» الثالثة، هذه الذنوب من أقبح الكبائر وأعظمها وأشدها وأخطرها: الشرك بالله: وهو أعظم الذنوب، وهو ذنب أهل النار الذين يخلدهم الله فيها بأسباب عبادة غير الله أو صرف بعض العبادة لغير الله من أصنام أو أشجار أو كواكب أو أموات أو جن أو غير ذلك، العبادة حق الله قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

يلي ذلك العقوق في أحاديث أخرى وآيات أخرى، يليه القتل قتل النفس بغير حقٍّ، وقتل النفس بغير حقٍّ من أعظم الجرائم، والعقوق من أعظم الجرائم كلاهما جريمتان عظيمتان، وقتل النفوس بغير حقٍّ وعقوق الوالدين من أقبح الجرائم قابل إحسانهما بالإساءة.

والثالثة: شهادة الزور شرها عظيم، فما زال يكررها شهادة الزور، «**ألَا وَشَهَادَةُ الزُّورِ، ألَا وَشَهَادَةُ الزُّورِ، ألَا وَشَهَادَةُ الزُّورِ**» حتى قال الصحابة: ليته سكت يعني: إشفاقاً عليه لئلا يشق على نفسه بأن لا يتعبها، كرر من تحذيره من شهادة الزور «**ألَا وَشَهَادَةُ الزُّورِ، ألَا وَشَهَادَةُ**

الزُّورِ، أَلَا وَشَهَادَةُ الزُّورِ» لماذا؟ لما يترتب عليها من الفساد العظيم يعني: شهادة الزور تُسفك بها الدماء بغير حقٍّ، وتستباح بها الفروج بغير حق، وتؤخذ بها الأموال بغير حق، شرها عظيم؛ ولذلك حذر منها عليه الصلاة والسلام وكرر ذلك، وفي هذا قوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠] جعل قول الزور قرين الشرك، وفي هذا الحديث جعله قرين الشرك أيضاً مع العقوق، وما ذاك إلا لعظم الخطر في ذلك والشر في ذلك، فيجب على المؤمن أن يحذر العقوق والقطيعة وأنواع الشرك كله، كما يحذر أيضاً قول الزور وشهادة الزور؛ لما فيها من الفساد العظيم والشر الكثير.

وكذلك حديث **عبد الله بن عمرو بن العاص** رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: **«الكَبَائِرُ: الإشْرَاكُ بالله، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ، وَقَتْلُ النَّفْس، وَاليَمِينُ الغَمُوسُ»** كل هذا من أعظم الكبائر، والعقوق يقرن مع الشرك، وهكذا القتل يقرن مع الشرك كما في حديث ابن مسعود قال: أَيُّ الذَّنْبِ عِنْدَ اللهِ أَعْظَمُ؟ قَالَ: **«أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدّاً وَهوَ خَلَقَكَ»** قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: **«ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ»**[1] وفي آية الفرقان قال: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ [الفرقان: ٦٨] فجعل القتل قرين الشرك، ثم بعده الزنى، وفي حديث أبي بكرة جعل العقوق قرين الشرك، ثم بعده شهادة الزور، ينوع المقال ﷺ في كل مقام له مقال، فينوع المقال وينوع التحذير عليه الصلاة والسلام، فتارة يجعل هذا وتارة يجعل هذا ليحذر الناس الجميع: العقوق والقتل والزنى واليمين المغموس.

---

(١) أخرجه البخاري من حديث عبد الله رضي الله عنه في كتاب التفسير، باب قوله ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: ٦٨] برقم (٤٧٦١).

كذلك اليمين الغموس شرها عظيم، سميت غموساً؛ لأنها تغمس صاحبها في الإثم، ثم في النار إن لم يعفُ الله عنه، وهي اليمين التي يقطع بها مال أخيه بغير حق، التي يأخذ بها شيئاً بغير حق، يقال لها: يمين غموس، في الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«من حلف عَلَى يَمِينِ صَبْرٍ يَقْتَطِعُ مَال امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِغَيْرِ حَقِّهِ لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ»**(١). وحديث أبي أُمامة الحارثي عن النبي ﷺ؛ أنه قال: **«مَنْ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الجَنَّةَ»**(٢) هذا يوجب الحذر من الأيمان الفاجرة، وهذا يقع للناس كثيراً، إذا كان صاحب الحق لا بيِّنة له فليس له إلا اليمين فيلجأ إليها.

فالواجب الحذر، الواجب على المسلم أن يتقي الله وأن لا يحلف إلا بحق، وأن لا يستغل تفريط أخيه بعدم البينة في جحد ماله أو جحد حقه، بل يجب أن يحذر ذلك ويتقيَ الله حتى يُقرَّ بالحق فإن أكله بيمينه واستحله بيمينه فله هذا الوعيد، نسأل الله السلامة، وفَّق الله الجميع.

❀ ❀ ❀

٣٣٨ ـ وعنه؛ أنَّ رَسُول الله ﷺ، قَالَ: «مِنَ الكَبَائِر شَتْمُ الرَّجُل وَالِدَيهِ!» قالوا: يَا رَسُول الله، وَهَلْ يَشْتُمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟! قَالَ: «نَعَمْ، يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أباه، وَيَسُبُّ أُمَّهُ، فَيَسُبُّ أُمَّهُ» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ(٣).

وفي رواية: «إنَّ مِنْ أَكْبَرِ الكَبَائِرِ أنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ!»، قِيلَ: يَا رَسُول الله، كَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيهِ؟! قَالَ: «يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ،

---

(١) متفق عليه من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا﴾ [آل عمران: ٧٧] برقم (٤٥٥٠)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين برقم (١٣٨)، باختلاف.

(٢) سبق تخريجه في ج١ الحديث برقم (٢١٤).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب لا يسب الرجل والديه برقم (٥٩٧٣)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها برقم (٩٠).

فَيسُبُّ أباهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ، فَيسُبُّ أُمَّهُ».

٣٣٩ ـ **وعن** أبي محمد جبيرِ بن مطعم ﷺ؛ أن رَسُول الله ﷺ، قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَاطِعٌ» قَالَ سفيان في روايته: يَعْنِي: قَاطِع رَحِم. مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1].

٣٤٠ ـ **وعن** أَبي عيسى المغيرة بن شعبة ﷺ عن النَّبيِّ ﷺ، قَالَ: «إنَّ اللهَ تَعَالَى حَرَّمَ عَلَيْكُمْ: عُقُوقَ الأمَّهَاتِ، وَمَنْعاً وهاتِ، وَوَأْدَ البَنَاتِ، وكَرِهَ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإضَاعَةَ المَالِ» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[2].

□ قوله: (مَنْعاً) مَعنَاهُ: مَنْعُ مَا وَجَب عَلَيهِ، وَ(هَاتِ): طَلَبُ مَا لَيْسَ لَهُ. وَ(وَأْد البَنَاتِ)؛ مَعنَاهُ: دَفنُهُنَّ في الحَيَاةِ، وَ(قِيلَ وَقَالَ)؛ مَعْنَاهُ الحَديث بكُلّ مَا يَسمَعهُ، فَيَقُولُ: قِيلَ كَذَا، وقَالَ فُلانٌ كَذَا مِمَّا لا يَعْلَمُ صِحَّتَهُ، وَلا يَظُنُّهَا، وَكَفَى بالمَرْءِ كذِباً أنْ يُحَدِّثَ بكُلِّ مَا سَمِعَ. وَ(إضَاعَةُ المَال): تَبذِيرُهُ وَصَرفُهُ في غَيْرِ الوُجُوهِ المأذُونِ فِيهَا مِنْ مَقَاصِدِ الآخِرةِ وَالدُّنْيَا، وتَرْكُ حِفظِهِ مَعَ إمكَانِ الحِفظِ. وَ(كَثْرَةُ السُّؤَال): الإلحَاحُ فيما لا حَاجَة إلَيْهِ.

وفي الباب أحاديث سبقت في الباب قبله كحديث: «وأَقْطَعُ مَنْ قَطَعَك» وحديث: «مَنْ قَطَعني قَطَعهُ الله»[3].

الشَّرح

هذه الأحاديث كالتي قبلها في بيان تحريم عقوق الوالدين وتحريم قطيعة الرحم، وأن تحريم عقوق الأمهات أشد وأعظم، فإن حق الوالدة

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب إثم القاطع برقم (٥٩٨٤)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها برقم (٢٥٥٦).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الاستقراض، باب ما ينهى عن إضاعة المال برقم (٢٤٠٨)، ومسلم في كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة، والنهي عن منع وهات وهو الامتناع من أداء حق لذمه أو طلب ما لا يستحقه برقم (٥٩٣).

(٣) سبق تخريجه برقم (٣٢٣).

أعظم وأكبر من حق الأب، وكلاهما يجب احترامه وبره والحذر من قطيعته، تقدم قوله ﷺ: «**أَلا أُنَبِّئُكُمْ بأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟**» ثلاثاً - قُلْنَا: بَلَى، يَا رَسُول الله، قَالَ: «**الإِشْرَاكُ بالله، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ**»(١) وجعل عقوق الوالدين من أكبر الكبائر، وقرنه بالشرك لعظم الجريمة.

وفي **هذا الحديث**، حديث عبد الله بن عمرو يقول ﷺ: «**مِنَ الكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيهِ!**» (قالوا: **يَا رَسُول الله، وَهَلْ يَشْتُمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟!** قَالَ: «**نَعَمْ، يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أَبَاه، وَيَسُبُّ أُمَّهُ، فَيَسُبُّ أُمَّهُ**») يعني: استنكر المسلمون ذلك فأمر الوالدين مغروز في الفطر، وبرهما والإحسان إليهما وطاعتهما أمر معروف في فطر العباد، حتى لو كانوا كفاراً يعرفون عظم شأن الوالدين، وإن كان المسلمون يعلمون بشرع الله أعلم منهم بذلك وأحق، ولكن هذا شيء مغروز في الفطر، ولهذا استنكر الناس (**وَهَلْ يَشْتُمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟!** قَال النبي: «**نَعَمْ، يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أَبَاه، وَيَسُبُّ أُمَّهُ، فَيَسُبُّ أُمَّهُ**») يعني: وإن لم يباشر لعنهما لكنه يتسبب، فإذا كان التسبب يعتبر عقوقاً وشتماً فكيف بحال من باشر اللعن والسب لهما يكون ذنبه أعظم، وجريمته أكبر، فلا يجوز للمسلم أن يسبهما، ولا أن يخاطبهما بما لا يليق، ولا أن يقول لهما أف كما تقدم، ولا ينهرهما، كل ذلك من العقوق، وليس له التسبب أيضاً في سبهما فإنه إذا سب أولاد الناس وسب آباء الناس سبوا وسبوا أباه وسبوا أمه، فيكون في هذه الحالة شاتماً لوالديه وساباً لهما لكونه تسبب في ذلك، فيجب عليه الحذر من ذلك وليحفظ المسلم لسانه حتى لا يتسبب فيما حرم الله عليه.

وفي **حديث جبير بن مطعم** رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ**» فهذا وعيد عظيم يجب على المسلم أن يحذره، فقطيعة الرحم من أسباب دخول النار ومن أسباب حرمان دخول الجنة، وهو من

(١) سبق تخريجه برقم (٣٣٦).

باب الوعيد وإن كان لا يكفر، ولكن من باب الوعيد يحرم دخول الجنة بسبب قطيعة الرحم، والمعنى والله أعلم؛ يعني: الدخول الكامل الذي تفوز به أهل السلامة، وإلا فالعصاة لا بد لهم من دخول الجنة وإن عذبوا ما داموا موحدين مسلمين، فعند أهل السُّنَّة والجماعة لا بد لهم من دخول الجنة وإن طال الأمد وإن عذبوا، وهم في النار على درجات وعلى طبقات متفاوتة في تعذيبهم على حسب معاصيهم، إلا من عفا الله عنه فلم يدخلها.

هذه الأحاديث التي يأتي لا يدخل الجنة كذا، من فعل كذا دخل النار، كله من باب الوعيد وأمرهم إلى الله ﷻ ما داموا مسلمين فأمرهم إلى الله، هم متوعدون بالنار على الزنى والسرقة وقطيعة الرحم وعقوق الوالدين وشهادة الزور وغير ذلك، لكن منهم من يعفو الله عنه لأسباب وأعمال صالحات، أو يمن الله عليهم بالتوبة، ومنهم من يبقى على حاله ولا يعفى عنه فيعذب على قدر معاصيه، ثم لا بد من خروجه من النار لتوحيده وإسلامه عند أهل السُّنَّة، ومن يرضى أن يدخل النار ولو لحظة؟! فالعاقل الذي تعز عليه نفسه عليه أن يحذر أسباب النار ويبتعد عنها بكل وسيلة شرعها الله.

وفي حديث (**المغيرة بن شعبة** رضي الله عنه **عن النبي** ﷺ **أنه قال**: «**إنَّ اللهَ تَعالَى حَرَّمَ عَلَيْكُمْ: عُقُوقَ الأمَّهَاتِ، وَمَنْعاً وهاتِ، وَوَأْدَ البَنَاتِ، وكَرِهَ لَكُمْ: قِيلَ وَقالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإضَاعَةَ المَالِ**») في اللفظ الآخر: «**وسخط لكم قيل وقال وإضاعة المال وكثرة السؤال**» فهي ست مسائل في حديث المغيرة، ثلاث صرَّح فيها رسول الله ما حرم علينا من العقوق، ومن الكبائر الوأد للبنات قتلهن حيَّات دسهن في التراب أو خنقهن أو غير هذا من أسباب القتل، كان بعض العرب لجفائه وجهله يقتل البنت ويئدها خوفاً من العار بزعمه؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: ٨، ٩] فالله حرَّم ذلك وبيَّن بشاعة ما كانت عليه الجاهلية من وأد البنات، وكره البنات وحرَّم على الناس منع

وهات؛ معناه: منع الواجب وطلب ما لا يحل، بعض الناس يمنع الواجب ويطلب ما لا يحل فهو حريص على المال بالطرق المحرمة من الربا، والخيانة، والنشل والسرقة، وغير هذا، ومع ذلك يمنع الواجب ولا يقيم النفقة الواجبة، فالله حرَّم على عباده أن يكونوا هكذا أن يكونوا بخلاء وأن يكونوا يكتسبون المال بغير حل، فلا يجوز المنع ولا يجوز منع وهات؛ يعني: طلب المال بغير حله. فالواجب أن يكتسبه من حله وأن ينفقه في وجهه هذا الواجب.

والله يسخط لنا: قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال، هذه الثلاث يسخطها ولا يرضاها ﷻ وهي إطلاق اللسان قيل وقال وعدم التحرز؛ لأن من كثر كلامه كثر سقطه ووقع فيما لا ينبغي من الغيبة والنميمة والكذب وغير ذلك، فالواجب أن يتحفظ وأن يصون لسانه إلا فيما ينفعه في دينه ودنياه. وسبق في الحديث الصحيح يقول ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت**»[1] يعني: إما يتكلم بخير وإما يحفظ لسانه، والله يقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا﴾ [الأحزاب: ٧٠]؛ يعني: حفظ الألسنة إلا من القول الطيب، كذلك يحرم إضاعة المال والله يسخط ذلك، وذلك بصرف المال فيما لا ينبغي من المحارم والمعاصي، والقمار والخمور، والربا، وغير ذلك، يجب أن يحفظ المال وألّا يضاع حتى يصرف فيما ينبغي فيما ينفع في الدين والدنيا، ويحرم على المكلف أن يصرفه فيما حرم الله، أو فيما لا ينفع فيكون تبذيراً أو إسرافاً، الله خلق المال ويسَّره لقضاء الحاجة وسد الخلة ونفع المسلمين وإقامة المشاريع الخيرية إلى غير هذا من منافع المسلمين، فلا يجب أن يضاع فيما حرم الله، ولا يجب تبذيره في غير فائدة ولا الإسراف فيه.

---

(١) سبق تخريجه برقم (٣١٤).

والخصلة السادسة: كثرة السؤال، كون الإنسان يسأل فُسر هذا بأمرين، أحدهما: كثرة السؤال في الدنيا المال فينبغي للإنسان ألّا يسأل إلا عند الضرورة ﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ [المعارج: ٢٤، ٢٥] لا يسأل إلا عند الضرورة والحاجة الشديدة قدر حاجته، ولا يكثر بغير حق، المعنى الثاني: كثرة السؤال في العلم ليس له كثرة السؤال التي تُبنى على المقاصد السيئة، يظهر جودة الفهم أو الرياء لطلب العلم، أو قصد إقلاق المسؤول وإيقاعه في الحرج هذا هو المذموم، أما السؤال للحاجة وبقصد صالح لطلب العلم ولا لإحراج المسؤول ومن غير رياء ولا سمعة فلا بأس به، بل هو المطلوب، قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣] فالسؤال مطلوب عن العلم بالنية الصالحة وبالقصد في ذلك وعدم الإحراج، وفَّق الله الجميع.





٤٢ ـ بَابُ فضل برِّ أصدقاء الأب والأم والأقارب والزوجة وسائر من يُندب إكرامه

٣٤١ ـ **عن** ابن عمر رضي الله عنهما؛ أنَّ النَّبيَّ ﷺ، قَالَ: «إنَّ أبَرَّ البرِّ أنْ يَصِلَ الرَّجُلُ وُدَّ أبيهِ».

٣٤٢ ـ **وعن** عبد الله بن دينار، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رَجُلاً مِنَ الأعْرَابِ لَقِيَهُ بطَرِيق مَكَّةَ، فَسَلَّمَ عَلَيهِ عبدُ الله بْنُ عُمَرَ، وَحَمَلَهُ عَلَى حِمَارٍ كَانَ يَرْكَبُهُ، وَأعْطَاهُ عِمَامَةً كَانَتْ عَلَى رَأسِهِ، قَالَ ابنُ دِينَار: فَقُلْنَا لَهُ: أصْلَحَكَ الله، إنَّهُمُ الأعرَابُ وَهُمْ يَرْضَوْنَ باليَسير، فَقَالَ عبد الله بن عمر: إن أَبَا هَذَا كَانَ وُدّاً لِعُمَرَ بنِ الخطاب رضي الله عنه، وإنِّي سَمِعتُ رَسُول الله ﷺ، يقول: «إنَّ أبرَّ البِرِّ صِلَةُ الرَّجُلِ أهْلَ وُدِّ أبِيهِ».

وفي رواية عن ابن دينار، عن ابن عمر؛ أنَّهُ كَانَ إِذَا خَرَجَ إِلَى مَكَّةَ كَانَ لَهُ حِمَارٌ يَتَرَوَّحُ عَلَيهِ إِذَا مَلَّ رُكُوبَ الرَّاحِلَةِ، وَعِمَامَةٌ يَشُدُّ بِهَا رَأسَهُ، فَبيْنَا هُوَ يَوماً عَلَى ذلِكَ الحِمَارِ إذْ مَرَّ بِهِ أعْرابيٌّ، فَقَالَ: أَلَسْتَ فُلاَنَ بْنَ فُلاَن؟ قَالَ: بَلَى. فَأعْطَاهُ الحِمَارَ، فَقَالَ: ارْكَبْ هَذَا، وَأعْطَاهُ العِمَامَةَ وَقَالَ: اشْدُدْ بِهَا رَأسَكَ، فَقَالَ لَهُ بعضُ أصْحَابِهِ: غَفَرَ الله لَكَ أعْطَيْتَ هَذَا الأعْرَابيَ حِمَاراً كُنْتَ تَرَوَّحُ عَلَيهِ، وعِمَامةً كُنْتَ تَشُدُّ بِهَا رَأسَكَ؟ فَقَالَ: إنِّي سَمِعتُ رَسُول الله ﷺ، يَقُولُ: «إنَّ مِنْ أبَرِّ البِرِّ أنْ يَصِلَ الرَّجُلُ أهْلَ وُدِّ أبيهِ بَعْدَ أنْ يُولِّيَ» وَإنَّ أبَاهُ كَانَ صَديقاً لعُمَرَ رضي الله عنه.

رَوَى هذِهِ الرواياتِ كُلَّهَا مسلم[١].

﴿ الشَّرح ﴾

هذه الأحاديث عن النبي عليه الصلاة والسلام تدل على شرعية إكرام الرجل أهل وُدِّ أبيه، وهكذا أهل وُدِّ أمه وأقاربه وزوجته كما في الأحاديث الأخرى، يقول عليه الصلاة والسلام: «**إنَّ أبرَّ البِرِّ صِلَةُ الرَّجُلِ أهْلَ وُدِّ أبِيهِ**» هذا من البر؛ يعني: من الطاعة والقربة إلى الله ﷻ أن يصل الرجل أصدقاء أبيه وأقارب أبيه كأعمامه وبني عمه ونحو ذلك، صلة للرحم وإكراماً للوالد؛ لهذا كان ابن عمر ﵄ يجتهد في ذلك، وكان مرة في طريقه إلى مكة فصادفه أعرابي قد كان أبوه وداً لعمر، كان أبو الأعرابي ودًّا لعمر صديقاً لعمر، فلما رآه ابن عمر أعطاه حماراً كان معه يتروح عليه إذا ملَّ من ركوب الدابة؛ يعني: الناقة إذا ملَّ من ذلك كان ينزل ويركب الحمار للاستراحة عليه، فلما رأى هذا الأعرابي الذي كان أبوه صديقاً لعمر أعطاه الحمار، وقال: اركب هذا وأعطاه عمامة كانت على رأسه، قال: شُدَّ بها رأسك، فقيل له في ذلك إنهم الأعراب يكفيهم اليسير، فقال: إن أبا هذا كان وداً لعمر؛ أي: صديقاً لعمر ومن أحباب عمر فرأيت أن أصله وأحسن إليه من أجل صداقة أبيه لأبي، ثم ذكر الحديث؛ أن الرسول ﷺ قال: «**إنَّ أبرَّ البِرِّ صِلَةُ الرَّجُلِ أهْلَ وُدِّ أبِيهِ**».

ويأتي في الحديث عن أبي أسيد؛ أن رجلاً سأل النبي ﷺ: هَلْ بَقِيَ مِنْ برِّ أَبَوَيَّ شَيْء أبرُّهُما بِهِ بَعْدَ مَوتِهمَا؟ فَقَالَ: «**نَعَمْ، الصَّلاةُ عَلَيْهِمَا، والاسْتغْفَارُ لَهُمَا، وَإنْفَاذُ عَهْدِهِمَا مِنْ بَعْدِهِما، وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتي**

(١) أخرجه في كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل صلة أصدقاء الأب والأم ونحوهما برقم (٢٥٥٢).

لا تُوصَلُ إلَّا بِهِمَا، وَإكرامُ صَدِيقهمَا» أي: يبقى من بر الأبوين إكرام الصديق، من برِّهم إكرام صديقهم، لوالديك وإخوتك في الله إخوانهم في الله وأصدقائهم في الله، وهكذا أقاربهم وإنفاذ وصاياهم الشرعية، كل هذا من بر الوالدين والأقارب.

صلة الرحم، وإكرام الأصدقاء في الله الأحبة في الله لوالديك، وإخوتك ونحو ذلك، وهكذا أصدقاء الزوجة في الله وأحباءها في الله المعروفين بالخير، كان الرسول ﷺ يكرم صديقات خديجة ويحسن إليهن، وربما ذبح الشاة ووزعها بين صديقات خديجة، فيقول: إنهم كانوا أصدقاء لخديجة، فالمقصود أن هذا من باب البر والإحسان للوالدين والأقارب والأصدقاء يبتغي ما عند الله من المثوبة، ويلاحظ أن يكون هذا في الله لا لأجل أطماع أُخرى، إنما هذا لله وفي الله من أقارب وأصدقاء كانوا أخلة في الله أو أحباباً في الله أو كانوا أقارب يحسن إليهم؛ لأنهم أقارب يحتسب فيهم صلة الرحم، أو مع ذلك الفقر إذا كانوا فقراء، فيجمع بين أمرين صلة الرحم ومواساة الفقير، كما تقدم في حديث سلمان الضبي يقول عليه الصلاة والسلام في حديث سلمان: **«الصَّدَقَةُ عَلى المِسْكِينِ صَدَقَةٌ وَهِيَ عَلَى ذِي الرَّحِمِ ثِنْتَانِ صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ»**(١).

وفَّق الله الجميع.

❁ ❁ ❁

٣٤٣ ـ وعن أبي أُسَيد ـ بضم الهمزة وفتح السين ـ مالك بن ربيعة الساعدي رضي الله عنه**، قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُول الله ﷺ إذ جَاءهُ رَجُلٌ**

(١) سبق تخريجه برقم (٣٣٢).

مِنْ بَنِي سَلَمَةَ، فَقَالَ: يَا رسولَ اللهِ، هَلْ بَقِيَ مِنْ برِّ أَبَوَيَّ شَيء أبرُّهما بِهِ بَعْدَ مَوتِهِمَا؟ فَقَالَ: «نَعَمْ، الصَّلاةُ عَلَيْهِمَا، والاسْتِغْفَارُ لَهُمَا، وَإنْفَاذُ عَهْدِهِمَا مِنْ بَعْدِهِما، وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتي لا تُوصَلُ إلَّا بِهِمَا، وَإكرامُ صَدِيقِهِمَا» رواه أبو داود[١].

٣٤٤ ـ **وعن** عائشة ﵂، قَالَتْ: مَا غِرْتُ عَلَى أحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبيِّ ﷺ مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَة ﵂، وَمَا رَأَيْتُهَا قَطُّ، وَلَكِنْ كَانَ يُكْثِرُ ذِكْرَهَا، وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ، ثُمَّ يقَطِّعُهَا أعْضَاء، ثُمَّ يَبْعثُهَا في صَدَائِقِ خَديجَةَ، فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ: كَأنْ لَمْ يَكُنْ في الدُّنْيَا إلَّا خَديجَةَ ـ! فَيَقُولُ: «إنَّهَا كَانَتْ وَكَانَتْ وَكَانَ لي مِنْهَا وَلَدٌ» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[٢].

📖 وفي رواية: «وإنْ كَانَ لَيَذْبَحُ الشَّاة، فَيُهْدِي في خَلَائِلِهَا مِنْهَا مَا يَسَعُهُنَّ»[٣].

📖 وفي رواية: كَانَ إِذَا ذبح الشاة، يقولُ: «أَرْسِلُوا بِهَا إلَى أصْدِقَاءِ خَديجَةَ»[٤].

📖 وفي رواية: قَالَت: اسْتَأذَنتْ هَالَةُ بِنْتُ خُوَيْلِد أُخْتُ خَدِيجَةَ عَلَى رَسُول الله ﷺ، فَعرَفَ اسْتِئذَانَ خَديجَةَ، فَارتَاحَ لِذَلِك، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ هَالَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ»[٥].

---

(١) أخرجه في كتاب الأدب، باب في بر الوالدين برقم (٥١٤٢)، وابن ماجه في كتاب الأدب، باب صِلْ من كان أبوك يَصِلُ برقم (٣٦٦٤).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها ﵂ برقم (٣٨١٨)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين ـ رضي الله تعالى عنها ـ برقم (٢٤٣٥).

(٣) أخرجها البخاري الموضع السابق برقم (٣٨١٦)، ومسلم في الموضع السابق أيضاً.

(٤) أخرجها مسلم في الموضع السابق.

(٥) متفق عليها أخرجها البخاري برقم (٣٨٢١)، ومسلم برقم (٢٤٣٧).

□ قولُهَا: (فَارتَاحَ): هُوَ بالحاء، وفي الجمعِ بَيْنَ الصحيحين للحُميدِي: (فارتاع): بالعينِ؛ ومعناه: اهتم بِهِ.

٣٤٥ ـ وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قَالَ: خرجت مَعَ جرير بن عبد الله البَجَليّ رضي الله عنه في سَفَرٍ، فَكَانَ يَخْدُمُني، فَقُلْتُ لَهُ: لَا تَفْعَل، فَقَالَ: إنِّي قَدْ رَأيْتُ الأنْصَارَ تَصْنَعُ برسول الله ﷺ شيئاً آلَيْتُ عَلَى نَفسِي أنْ لا أصْحَبَ أحَداً مِنْهُمْ إلَّا خَدَمْتُهُ. مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[١].

الشَّرح

هذه الأحاديث الثلاثة في شرعية إكرام أصدقاء الوالدين وإكرام الأقارب والأصدقاء والأحباب، وإكرام الزوجة وأصدقائها الطيبين ونحو ذلك، وأن هذا من البر، من الإحسان، ومن مكارم الأخلاق، تقدم قوله ﷺ في حديث ابن عمر؛ أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: «**إنَّ أبرَّ البِرِّ صِلَةُ الرَّجُلِ أهْلَ وُدِّ أبِيهِ**» هذا من أبر البر أن يصل أصدقاء أبيه وأحباب أبيه في الله، وهذا هو المراد بالأخلاء في الله والأحباب في الله، لا أصحاب الفجور والفساد؛ ولهذا تقدم أن ابن عمر لما وافاه أعرابي في الطريق، في طريقه إلى مكة، وكان أبو الأعرابي صديقاً لعمر أهدى إليه ابن عمر حماراً كان معه يتروح عليه، وأعطاه عمامة كان يشد بها رأسه، فقيل له في ذلك: لو أعطيته شيئاً أقل من هذا كفاه، فقال: إن أباه كان صديقاً لعمر، فأراد أن ينفذ رضي الله عنه ما قاله النبي ﷺ: «**إنَّ أبرَّ البِرِّ صِلَةُ الرَّجُلِ أهْلَ وُدِّ أبِيهِ**» هذا ابن صاحب أبيه.

وفي حديث أبي أسيد الساعدي مالك بن ربيعة رضي الله عنه؛ أن رجلاً

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب الخدمة في الغزو برقم (٢٨٨٨)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب في حُسْنِ صُحبَةِ الأنصار برقم (٢٥١٣).

قال: يا رسول الله هل بقي من بر والدي شيء أبرهما به بعد وفاتهما قال: «**نَعَمْ، الصَّلاةُ عَلَيْهِمَا، والاسْتِغْفَارُ لَهُمَا**» الصلاة عليهما يعني: الدعاء لهما يصلي عليهم يدعو لهم ومنها صلاة الجنازة «**والاسْتِغْفَارُ لَهُمَا**» يعني: طلب المغفرة لهما وأنواع الدعاء من دخول الجنة والنجاة من النار، كل هذا من برهما بعد وفاتهما، «**وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا مِنْ بَعْدِهِما**» يعني: الوصية التي يوصي بها الوالدان أو أحدهما من برهما أن تنفذها، إذا كانت موافقة للشرع أو تنفذ منها ما يوافق الشرع هذا من برهما.

ومن برهما أيضاً «**إكرامُ صَدِيقهمَا**» أحباب الوالد والوالدة وأصدقائهما من برك بوالديك في حياتهما وبعد وفاتهما أن تكرم أصدقائهما وأحبابهما، ومن برهما أيضاً «**وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتي لا تُوصَلُ إلَّا بِهِمَا**» كأعمامك وأخوالك ونحوهم، فإن هؤلاء أقارب الأب والأم، فصلتهم وإكرامهم إكرام للأبوين.

وهكذا حديث عائشة رضي الله عنها في قصة خديجة قالت: (**مَا غِرْتُ عَلَى أحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبيِّ ﷺ مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَة** رضي الله عنها)، وما ذاك إلا لما تسمع من رسول الله ﷺ في حقها من الثناء عليها رضي الله عنها وهي أم أكثر أولاده، كل أولاده من خديجة ما عدا إبراهيم فإنه من مارية المصرية، وكانت عائشة تقول: (**كَأنْ لَمْ يَكُنْ في الدُّنْيَا إلَّا خَديجَةَ!**) من شأن الضرائر يغرن حتى ولو من زوجة قبلهم طبيعة النساء، كان يقول: «**إنَّهَا كَانَتْ وَكَانَتْ**» يعني: إنها كانت طيبة الأخلاق إنها كانت كذا إنها كانت، فلهذا يثني عليها عليه الصلاة والسلام، «**وَكَانَ لي مِنْهَا وَلَدٌ**» كذا وكذا قالت: «**وإنْ كَانَ لَيَذْبَحُ الشَّاةَ، فَيُهْدِي في خَلَائِلِ خَديجَةَ**» من أصدقائها يقول ابعثوا بها إلى أصدقاء خديجة، ولما دخلت وسلمت أختها هالة عليه ارتاح لذلك رضي الله عنها قال: «**اللَّهُمَّ هَالةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ**» هذا فيه إكرام الزوجة وإكرام أصدقاء الزوجة الطيبة المؤمنة الخيرة، إكرامها وإكرام أصدقائها في الله وأحبائها في الله، هذا من الوفاء لها ومن برها ومن كمال العشرة لها.

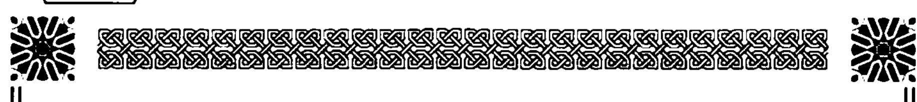
وهكذا حديث أنس ﷺ؛ أنه سافر ذات يوم مع جرير بن عبد الله البجلي، وهو من أعيان الصحابة رضي الله عنهم جميعاً، وكان جرير أكبر منه سناً يخدم أنساً، فقال له أنس: لا تفعل؛ يعني: أنت أكبر مني سناً وأنت أولى، فأبى جرير، وقال: إني رأيت من الأنصار شيئاً مع النبي ﷺ يعني: خدمة منهم للنبي ﷺ واحتراماً للنبي ﷺ فآليت على نفسي أني لا أصحب أحداً منهم إلا خدمته يعني: تقديراً لخدمتهم للنبي ﷺ لأخلاقهم الكريمة، فهم الذين آووا الرسول ﷺ وآووا الصحابة ونصروهم وأكرموهم وأنفقوا عليهم ﷺ، وأنزل الله فيهم: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ [الحشر: ٩] هم الأنصار، هم الذين قال الله فيهم جلَّ وعلا: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ [التوبة: ١٠٠] ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ [التوبة: ١١٧] فلهذا آل جرير ﷺ؛ أنه إذا صحب أحداً منهم أن يخدمه مكافأة لهم على خدمة النبي ﷺ، فكان جرير يخدم أنساً؛ لأن أنساً كان خادم النبي ﷺ فهو خدمه؛ لأنه خدم النبي ﷺ، فهذا يدل على أن خدمة الأحباب والأقرباء والأصدقاء خدمة للمحبوب، إذا خدمت حبيب أبيك وأمك وخليلهما وصديقهما فهو خدمة لهما.

وهكذا الترضي عن أصحاب النبي ﷺ ومحبتهم والوفاء لهم، هي من الوفاء للنبي ﷺ ومن محبة النبي عليه الصلاة والسلام، محبة أصحابه والترضي عنهم ومعرفة منازلهم وأقدارهم، هو في الحقيقة أيضاً خدمة للنبي عليه الصلاة والسلام؛ لأنهم أحبابه وأولياؤه وأنصاره رضي الله عنهم وأرضاهم جميعاً.

وهكذا أنصار أهل العلم في كل زمان ومكان، أنصار العلم النافع، أنصار الخير ودعاة الحق وأعوانهم المنفقون عليهم، ويساعدونهم في الحق، يجب أن يخدموا ويحبوا لأعمالهم الطيبة كما فعل التابعون مع الصحابة، وكما فعل العلماء مع الأخيار في الأمة من الخدمة والتنويه

بذكرهم والعناية بهم ومساعدتهم على أعمالهم، في ذات الله وفي سبيل الله، وفَّق الله الجميع.





٤٣ ـ بَابُ إكرام أهل بيت رسول الله ﷺ وبيان فضلهم

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

٣٤٦ ـ **وعن** يزيد بن حَيَّانَ، قَالَ: انْطَلَقْتُ أنَا وحُصَيْنُ بْنُ سَبْرَة، وَعَمْرُو بن مُسْلِمٍ إلَى زَيْد بْنِ أرقَمَ ﷺ، فَلَمَّا جلسْنَا إلَيْهِ قَالَ لَهُ حُصَيْن: لَقَدْ لقِيتَ يَا زَيْدُ خَيْراً كَثِيراً، رَأيْتَ رَسُول الله ﷺ، وسمعتَ حديثَهُ، وغَزوْتَ مَعَهُ، وَصَلَّيْتَ خَلْفَهُ: لَقَدْ لَقِيتَ يَا زَيْدُ خَيْراً كثيراً، حَدِّثْنَا يَا زَيْدُ مَا سَمِعْتَ مِنْ رسولِ الله ﷺ قَالَ: يَا ابْنَ أخِي، وَاللهِ لقد كَبِرَتْ سِنِّي، وَقَدُمَ عَهدِي، وَنَسيتُ بَعْضَ الَّذِي كُنْتُ أعِي مِنْ رسولِ الله ﷺ، فما حَدَّثْتُكُمْ، فَاقْبَلُوا، ومَا لا فَلَا تُكَلِّفُونيهِ. ثُمَّ قَالَ: قام رَسُول الله ﷺ يوماً فينا خَطِيباً بمَاء يُدْعَى خُمّاً بَيْنَ مَكَّةَ وَالمَدِينَةِ، فَحَمِدَ الله، وَأثْنَى عَلَيهِ، وَوعظَ وَذَكَّرَ، ثُمَّ قَالَ: «أمَّا بَعدُ، ألا أيُّهَا النَّاسُ، فَإنَّمَا أنَا بَشَرٌ يُوشِكَ أنْ يَأتِي رسولُ ربِّي فَأُجِيبَ، وَأنَا تارك فيكم ثَقَلَيْنِ: أوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ، فِيهِ الهُدَى وَالنُّورُ، فَخُذُوا بِكتابِ الله، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ» فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ الله، وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَأهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ الله في أهلِ بَيْتي، أذكرُكُمُ الله في أهل بيتي» فَقَالَ لَهُ حُصَيْنٌ: وَمَنْ أهْلُ بَيتهِ يَا زَيْدُ، أَلَيْسَ نِسَاؤُهُ مِنْ أهْلِ بَيْتِهِ؟ قَالَ: نِسَاؤُهُ مِنْ أهْلِ بَيتهِ، وَلكِنْ أهْلُ بَيتِهِ مَنْ حُرِمَ الصَّدَقَةَ بَعدَهُ، قَالَ:

وَمَنْ هُمْ؟ قَالَ: هُمْ آلُ عَلِيٍّ وَآلُ عقيل وَآلُ جَعفر وآلُ عَبَّاسٍ. قَالَ: كُلُّ هؤلاء حُرِمَ الصَّدَقَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ. رواه مسلم[1].

📖 وفي رواية: «أَلَا وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَحَدُهُما كِتَابُ الله وَهُوَ حَبْلُ الله، مَنِ اتَّبَعَهُ كَانَ عَلَى الهُدَى، وَمَنْ تَرَكَهُ كَانَ عَلَى ضَلالَة»[2].

٣٤٧ ـ **وعن** ابن عمر رضي الله عنهما، عن أَبي بكر الصديق رضي الله عنه مَوقُوفاً عَلَيهِ؛ أَنَّهُ قَالَ: ارْقَبُوا مُحَمداً ﷺ في أَهْلِ بَيْتِهِ. رواه البخاري[3].

◻ معنى (ارقبوه): راعوه واحترموه وأكرموه، والله أعلم.

الشَّرح

هاتان الآيتان والحديثان فيما يتعلق بأهل بيت النبي عليه الصلاة والسلام، وما ينبغي من إكرامهم والإحسان إليهم والذب عنهم وتقدير منزلتهم من الرسول ﷺ على الوجه الذي يرضي الله من غير غلو ولا جفاء، وأهل بيته هم أزواجه وأقاربه من بني هاشم هؤلاء هم أهل بيته، أزواجه رضي الله عنهن وأقاربه المسلمون من أهل بيته من بني هاشم كآل جعفر بن أبي طالب وآل علي بن أبي طالب وآل عقيل بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب وذريته، وهكذا بقية بني هاشم كلهم من أهل البيت؛ لأنهم رهطه الأدنو، قال الله جلَّ وعلا في كتابه الكريم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣] يريد الله، هذه الإرادة الشرعية؛ المعنى: يأمركم ويحب منكم ويرضى لكم هذه الأمور بعدما قال جلَّ وعلا: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٤].

---

(١) أخرجه في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي بن أبي طالب برقم (٢٤٠٨).
(٢) أخرجها مسلم في الموضع السابق.
(٣) أخرجه في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ برقم (٣٧١٣).

فالمقصود أنه ﷺ أوصى المؤمنين بأن يلاحظوا أهل البيت الذين أثنى عليهم بقوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٣٣] والرجس: الشرك والنجاسة والمعاصي والكفر ﴿وَيُطَهِّرَكُمۡ﴾ أي: من الكفر والشرك وسائر أنواع النجاسة التي هي المعاصي ﴿وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾ أي: من ذلك بالإسلام والإيمان والاستقامة، فإن الشرك أعظم النجاسة كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ﴾ [التوبة: ٢٨] فنجاسة الشرك ونجاسة الاعتقاد أعظم النجاسات القذر والخُبث، فالله جلَّ وعلا أمر أهل البيت، وشرع لهم وأراد لهم أن يتطهروا من هذا الشيء، وأن يذهب الله عنهم ذلك الشيء الرجس، بما شرع لهم وأمرهم به من طاعته وتوحيده واتباع شريعته، فالإرادة إرادتان شرعية وكونية، الكونية: بمعنى المشيئة، والشرعية: بمعنى الرضى والمحبة، والمراد هنا الشرعية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ﴾ يأمر ويرضى ويحب منكم أن تستقيموا على التوحيد الذي هو ضد الشرك وضد النجاسة، ﴿وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾ وهذا هو الواجب على جميع المؤمنين جميع المكلفين؛ أن يبتعدوا عن الشرك وأن يتطهروا منه وأن يحذروه، وأن يستقيموا على توحيد الله الذي هو في غاية الطهارة وغاية الهدى، وليس معناه أنها إرادة كونية وأنهم معصومون، لا؛ ليسوا معصومين كما يظن الرافضة، ليسوا معصومين إنما هم مأمورون بأن يتطهروا من الشرك ويعتصموا بحبل الله وأن يستقيموا على ما يرضي الله؛ لأن هذا هو الواجب عليهم وعلى غيرهم، ولكنهم بوجه أخص أحق الناس بأن يستقيموا لأنهم قرابة من النبي ﷺ وأهل بيته، فالواجب عليهم أعظم في أن يستقيموا؛ على دينه وعلى شريعته وأن يحذروا مخالفته، هذا هو الواجب عليهم وعلى غيرهم، ولكنهم بنسبة أخص، فالواجب عليهم أعظم لكونهم قرابته وأهل بيته عليه الصلاة والسلام.

وهكذا قوله جلَّ وعلا: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج: ٣٠] كل ما عظَّمه الله فهو من شعائر الله؛ فتعظيم الصلاة من شعائر الله، وتعظيم الزكاة من شعائر الله، ومن حرمات الله وتعظيم المعاصي من حرمات الله، وتعظيم أهل البيت بتوجيههم إلى الخير وإرشادهم وتعليمهم، وإزالة السوء عنهم من شعائر الله ومن محارم الله، طاعة الرب جلَّ وعلا في مواساة الفقراء والإحسان إليهم من شعائر الله كل ما يتعلق بأمر الله وتعظيمه وبنهي الله وتركه كله من الشعائر ومن علامات الدين، ومما يحبه الله ويرضاه أن تعظم الأوامر، وأن تترك النواهي وأن يعان من استقام على أمر الله وأن يشجع وأن يُدعى من انتهك محارم الله إلى طاعة الله وإلى التوبة من معاصي الله؛ لأن هذا كله من تعظيم شعائر الله ومن تعظيم حرماته ﷻ.

ولما سئل زيد بن أرقم ـ سأله هؤلاء الجماعة من التابعين ـ عن أهل بيت الرسول ﷺ قالوا: هنيئاً لك يا زيد لقيت رسول الله ورأيته وسمعت حديثه حدثنا بما سمعت من رسول الله فحدثهم بحديث؛ أنه سمع النبي ﷺ وذلك لما انصرف من حجة الوداع في آخر حياته عليه الصلاة والسلام، لما صار في أثناء الطريق راجعاً إلى المدينة خطب الناس في شهر ذي الحجة في ماءٍ يُدعى خُمّاً حول رابغ المعروف، خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ووعظهم وذكرهم ثم قال لهم إني تارك فيكم ثقلين؛ أي: للناس «**وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ فِيهِ الهُدَى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ**» وفي اللفظ الآخر: «**أَلَا وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ أَحَدُهُمَا كِتَابُ اللهِ ﷻ هُوَ حَبْلُ اللهِ مَنِ اتَّبَعَهُ كَانَ عَلَى الهُدَى وَمَنْ تَرَكَهُ كَانَ عَلَى ضَلَالَةٍ**»، ثُمَّ قَالَ: «**وَأَهْلُ**

بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي» كررها ثلاثاً عليه الصلاة والسلام يحث الناس على إكرامهم والإحسان إليهم وعدم العدوان عليهم وعدم ظلمهم وعدم الإساءة إليهم من زوجات وأقارب، يجب الإحسان إليهم وكف الأذى عنهم وإعطاءهم حقوقهم من غير غلو، كما تفعل الرافضة، ولا جفاء، كما تفعل النواصب، فلا جفاء ولا غلو ولكن بين ذلك، وهو التوسط، والإحسان إليهم وإكرامهم وإعطاؤهم حقوقهم والذب عنهم وعدم الغلو فيهم وعدم الجفاء.

والثاني: أثر الصديق رضي الله عنه، أبو بكر رضي الله عنه؛ أنه كان يقول للناس في خطبته: ارقبوا محمداً في أهله. ارقبوا؛ أي: لاحظوا محمداً في أهله لا تُسيئوا إليهم أحسنوا إليهم؛ لحقهم عليكم ولحق الرسول عليه الصلاة والسلام؛ يعني: ما داموا أهل بيته فلهم حق من جهتين: من جهة أنهم أهل بيت النبي ﷺ، ومن جهة أنهم إخوانكم ومسلمون ولهم حق الإسلام، وحق قربهم من رسول الله عليه الصلاة والسلام، فلهم حقان من جهة القرابة والزوجية، ومن جهة الإسلام والإيمان والشريكة في هذا الخير العظيم.

أما الكافر فلا؛ كأبي لهب وأبي طالب وغيرهم من الكفرة من أهل البيت ليس لهم حق على المسلمين إلا ذمهم وعيبهم على عملهم الخبيث، وإنما هذا في المسلمين الذين ماتوا على الإسلام واستقاموا على الإسلام، هم الذين لهم الحق على المسلمين؛ كالعباس وعلي وجعفر وعقيل ونحوهم من آل بيت النبي عليه الصلاة والسلام، الذين استقاموا على دين الله وساروا على نهج الرسول ﷺ، فهؤلاء هم المراد والذين جاؤوا من نسلهم وذرياتهم إلى يوم القيامة، إذا استقاموا على

الإسلام، إذا ثبتوا على دين الله فلهم الحق من جهة إسلامهم ولهم حق من جهة قرابتهم بالإحسان إليهم ومواساتهم وكف الأذى عنهم.

وفَّق الله الجميع.





٤٤ ـ بَابُ توقير العلماء والكبار وأهل الفضل وتقديمهم على غيرهم ورفع مجالسهم وإظهار مرتبتهم

قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩].

٣٤٨ ـ وعن أبي مسعودٍ عقبةَ بن عمرو البدري الأنصاري رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «يَؤُمُّ القَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ الله، فَإنْ كَانُوا في القِراءةِ سَوَاءً، فأَعْلَمُهُمْ بِالسُّنَّةِ، فَإنْ كَانُوا في السُّنَّةِ سَوَاءً، فَأَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً، فَإنْ كَانُوا في الهِجْرَةِ سَوَاءً، فَأَقْدَمُهُمْ سِنّاً، وَلَا يَؤمَّنَّ الرَّجُلُ الرَّجُلَ في سُلْطَانِهِ، وَلَا يَقْعُدْ في بَيْتِهِ عَلَى تَكْرِمَتِهِ إلَّا بِإذْنِهِ» رواه مسلم[1].

📖 وفي رواية لَهُ: «فَأَقْدَمُهُمْ سِلْماً» بَدَلَ «سِنّاً»؛ أيْ: إسْلاماً.

📖 وفي رواية: «يَؤُمُّ القَومَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللهِ، وَأَقْدَمُهُمْ قِراءةً، فَإنْ كَانَتْ قِرَاءتُهُمْ سَوَاءً فَيَؤُمُّهُمْ أقْدَمُهُمْ هِجْرَةً، فَإنْ كَانُوا في الهِجْرَةِ سَواء، فَلْيَؤُمَّهُمْ أكْبَرُهُمْ سِنّاً».

▫ والمراد (بِسلطانِهِ): محل ولايتهِ، أَو الموضعِ الَّذِي يختص بِهِ.

▫ (وتَكرِمتُهُ): بفتح التاءِ وكسر الراءِ: وهي مَا ينفرد بِهِ من فِراشٍ وسَريرٍ ونحوهِما.

٣٤٩ ـ وعنه، قَالَ: كَانَ رَسُول الله ﷺ يَمْسَحُ مَنَاكِبَنَا في الصَّلاةِ، ويَقُولُ: «اسْتَوُوا وَلَا تَخْتَلِفُوا، فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ، لِيَلِنِي مِنْكُمْ أُولُوا الأحْلَامِ

---

(١) أخرجه في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب من أحقُّ بالإمامة برقم (٦٧٣).

وَالنُّهَى، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» رواه مسلم(١).

▫ وقوله ﷺ: (لِيَلِني): هُوَ بتخفيف النون وليس قبلها ياءٌ، وَرُوِيَ بتشديد النُّون مَعَ يَاءٍ قَبْلَهَا. (وَالنُّهَى): العُقُولُ. (وَأُولُوا الأحْلام): هُم البَالِغُونَ، وقَيلَ: أَهْلُ الحِلْمِ وَالفَضْلِ.

٣٥٠ ـ وعن عبد الله بن مسعود ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «لِيَلِني مِنْكُمْ أُولُوا الأحْلام وَالنُّهَى، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» ثَلاثاً «وَإيَّاكُمْ وَهَيْشَاتِ الأسْوَاق» رواه مسلم(٢).

الشَّرح

هذه الأحاديث مع الآية الكريمة فيها الدلالة على تقدير أهل العلم، والقرآن، ورفع منازلهم وإعطائهم حقوقهم اللائقة بهم إلى غير ذلك مما جاءت به الشريعة، فإن الناس بالله، ثم بعلمائها وقرائها ودعاة الإصلاح والتوجيه فيها.

يقول الله جلَّ وعلا: ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ المعنى: لا يستوون؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزُّمَر: ٩] فلا يستوي من أعطاه الله العلم النافع مع من جهل أمر الله، فالواجب أن يُعرف لأهل العلم حقهم بما شرع الله جلَّ وعلا في تقديرهم واحترامهم وأخذ العلم عنهم وسؤالهم عما أشكل ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣] وعدم التكبر عن طلب العلم وسؤال أهله والأخذ عنهم، فإن الناس في حاجة شديدة إلى العلم ولا سبيل إلى ذلك إلا

(١) أخرجه في كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها... برقم (٤٣٢).
(٢) أخرجه في كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول منها والازدحام على الصف برقم (٤٣٢).

بسؤال أهل العلم والتلمذة عليهم، وعرض ما يشكل عليهم، حتى يحصل للجميع التعاون على البر والتقوى.

وفي هذا حديث أبي مسعود، وهو عقبة بن عمرو الأنصاري البدري، وهذا ليس عقبة بن عامر الجهني، هذا من الأنصار وهو أبو مسعود البدري واسمه عقبة بن عمرو الأنصاري البدري رضي الله عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام، يقول: «**يَؤُمُّ القَومَ أقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللهِ**» عند الاجتماع يؤمهم أقرَؤُهُمْ لكتاب الله «**فَإِنْ كَانُوا في القِراءةِ سَوَاءً، فأَعْلَمُهُمْ بالسُّنَّةِ**» أي: سُنَّة الرسول ﷺ «**فَإِنْ كَانُوا في السُّنَّةِ سَوَاءً، فَأَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً**» المهاجر الأول مقدم على المهاجر المتأخر إذا استويا في العلم بالكتاب والسُّنَّة «**فَإِنْ كَانُوا في الهِجْرَةِ سَوَاءً، فَأَقْدَمُهُمْ سِنّاً**» فعند الاستواء يقدم الأكبر؛ ولهذا في حديث مالك بن الحويرث رضي الله عنه قال: «قَدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ، فَلَبِثْنَا عِنْدَهُ نَحْواً مِنْ عِشْرِينَ لَيْلَةً»، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ رَحِيماً، فَقَالَ: «**لَوْ رَجَعْتُمْ إِلَى بِلَادِكُمْ فَعَلَّمْتُمُوهُمْ، مُرُوهُمْ فَلْيُصَلُّوا صَلَاةَ كَذَا فِي حِينِ كَذَا، وَصَلَاةَ كَذَا فِي حِينِ كَذَا، وَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ**»(١).

لما كانوا متقاربين في العلم والفضل، قال: فليؤمكم أكبركم، ولهذا يقول ﷺ: «**وَلَا يَؤُمَّنَّ الرَّجُلُ الرَّجُلَ في سُلْطانه ولا يقعد في بيته على تكرمته إلا بإذنه**» أي: لا يُتقدم على إمام المسجد الراتب وعلى إمام المحل إلا بإذنه، فهو أولى بمسجده وأولى بمحله الذي هو فيه إذا اجتمعوا عنده في حالة لا يكون فيها تقدمه للمسجد إما لعدم وجود المسجد أو لبعده عنهم، فحينئذٍ يقدم صاحب المحل حيث جازت

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب من قال: ليؤذن في السفر مؤذن واحد برقم (٦٢٨)، ومسلم في كتاب المساجد، باب من أحق بالإمامة برقم (٦٧٤).

الصلاة في المحل فيقدم صاحبه، وإن كان المحل المسجد فيقدم إمامه الراتب إلا بإذنه.

وهكذا في مجالس القوم لا يتقدم أحد على تكرمة صاحب المجلس إلا بإذنه، فإن كان له مكان خاص أو كرسي خاص فلا يجلس عليه إلا بإذنه في محله؛ ولهذا قال: **«وَلَا يَقْعُدْ فِي بَيْتِهِ عَلَى تَكْرِمَتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ»** يعني: في محل خاص محل جلوسه إلا بإذنه، فهذا كله من آداب الشريعة ومن تنزيل الناس منازلهم، قد روي عن النبي ﷺ أنه قال: **«أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ»**[1] هذا من إنزال الناس منازلهم.

وهكذا حديث أبي مسعود أيضاً؛ أنه كان ﷺ إذا أمهم في الصلاة **«يَمْسَحُ مَنَاكِبَهم»** يعني: يسويها وَيَقُولُ: **«لَا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ»** يحثهم على الاستقامة في الصف والتراص، وعدم تقدم بعضهم على بعض، ويبين لهم أن الاختلاف من أسباب اختلاف القلوب **«لَا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ»** وإذا كان هذا في الصف وعدم التساوي فكيف بالاختلاف في الآراء والمقاصد والأهداف، فإن هذا من أعظم الأسباب في الفرقة والاختلاف.

فالواجب على الأمة التعاون على البر والتقوى وتحري الحق وطلب الحق والحرص على الأخذ به من الجميع، ثم قال ﷺ: **«لِيَلِيَنِي مِنْكُمْ أُولُوا الأَحْلَامِ وَالنُّهَى، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، وَإِيَّاكُمْ وَهَيْشَاتِ الأَسْوَاقِ»**.

وهكذا في حديث ابن مسعود أيضاً رضي الله عنه، وهذا كله يدل على أنه ينبغي على أهل العلم والإيمان وكبار الناس أن يتقدموا في الصف الأول حتى يكونوا أسوة لغيرهم وأن يلوا الإمام، كما حث النبي ﷺ أصحابه

---

(١) سيأتي تخريجه برقم (٣٥٦).

المعروفين أن يتقدموا، وأن يكونوا قدوة لغيرهم في التقدم والمسارعة إلى الصف الأول، وأن يكونوا خلف الإمام ليعقلوا عنه ويفهموا عنه ويبلغوا عنه وينوبوا عنه إذا تخلف أحدهم؛ ولهذا قال: «**لِيَلِنِي مِنْكُمْ أُولُو الأَحْلَامِ وَالنُّهَى**» وهم: أهل العقول والبصائر والفهم والفقه في الدين، و«**وَهَيْشَاتِ الأسْوَاق**». ما يكون فيه من اللغط والصياح والقيل والقال والكلام السيئ، فينبغي لأهل العلم أن يتجنبوا ذلك ويكون وجودهم في الأسواق وجود إصلاح ودعوة إلى الله والتوجيه إلى الخير، ولا يكون مشاركة لأهل الصياح والكلام السيئ في الأسواق فهيشاتها ما يكون فيها من اللغط والكلام السيئ والكذب والأيمان الفاجرة وما أشبه ذلك مما يكون بين الناس في الأسواق، وفَّق الله الجميع.

***

٣٥١ ـ وعن أَبي يَحيَى، وقيل: أَبي محمد سهلِ بن أَبي حَثْمة ـ بفتح الحاءِ المهملة وإسكان الثاءِ المثلثةِ ـ الأنصاري ﷺ، قَالَ: انطَلَقَ عَبدُ اللهِ بنُ سهْلٍ، وَمُحَيِّصَة بن مَسْعُود إِلَى خَيْبَرَ، وَهِيَ يَومَئِذٍ صُلْحٌ، فَتَفَرَّقَا، فَأَتَى مُحَيِّصَةُ إِلَى عبدِ اللهِ بنِ سهل وَهُوَ يَتشَحَّطُ في دَمِهِ قَتِيلاً، فَدَفَنَهُ، ثُمَّ قَدِمَ المَدِينَةَ فَانْطَلَقَ عَبدُ الرحمٰن بنُ سهل وَمُحَيِّصَةُ وحوَيِّصَةُ ابْنَا مَسْعُودٍ إِلَى النَّبيِّ ﷺ، فَذَهَبَ عَبدُ الرحمٰن يَتَكَلَّمُ، فَقَالَ: «كَبِّرْ كَبِّرْ» وَهُوَ أَحْدَثُ القَوم، فَسَكَتَ، فَتَكَلَّمَا، فَقَالَ: «أَتَحْلِفُونَ وتَسْتَحِقُّونَ قَاتِلَكُمْ؟...» وذكر تمام الحديث. مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1].

□ **وقوله ﷺ: (كَبِّرْ كَبِّرْ) معناه: يتكلم الأكبر.**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجزية والموادعة، باب الموادعة والمصالحة مع المشركين بالمال وغيره برقم (٣١٧٣)، ومسلم في كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب القسامة برقم (١٦٦٩).

٣٥٢ ـ **وعن** جابر رضي الله عنه؛ **أَنَّ النَّبيَّ ﷺ كَانَ يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ قَتْلَى أُحُد؛ يَعْنِي: في القَبْرِ، ثُمَّ يَقُولُ: «أَيُّهما أكْثَرُ أخذاً للقُرآنِ؟» فَإذَا أُشيرَ لَهُ إِلَى أحَدِهِمَا قَدَّمَهُ في اللَّحْدِ.** رواه البخاري(١).

٣٥٣ ـ **وعن** ابن عمر رضي الله عنهما؛ **أَنَّ النَّبيَّ ﷺ، قَالَ: «أَرَانِي فِي المَنَام أَتَسَوَّكُ بِسِوَاكٍ، فَجَاءنِي رَجُلانِ، أحَدُهُما أكبر مِنَ الآخرِ، فَنَاوَلْتُ السِّوَاكَ الأصْغَرَ، فَقِيلَ لِي: كَبِّرْ، فَدَفَعْتهُ إِلَى الأكْبَرِ مِنْهُمَا»** رواه مسلم مسنداً والبخاري تعليقا(٢).

الشَّرح

هذه الأحاديث الثلاثة كالتي قبلها في بيان ما يتعلق بتوقير العلماء واحترامهم وبيان فضلهم وإعطائهم الحقوق اللائقة بهم وبيان منزلتهم حتى يقدرهم الناس وحتى يستفيدوا من علمهم ويسألوهم، وهكذا كان النبي يفعل عليه الصلاة والسلام، وتقدم قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩] فالفرق عظيم بين من يعلم ومن لا يعلم؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣] فينبغي للمؤمن أن يطلب العلم ويتفقه في الدين، وأن يسأل أهله عنه حتى يكون على بيِّنة، وأن يعرف لهم منازلهم وأن يحرص على تقديرهم حتى يستفيد من علمهم وحتى يستفيد الناس من علمهم، إذا رأوا من الناس تقديرهم واحترامهم وأنهم أهلٌ لأن يُسألوا ويستفتوا، وتقدم قوله ﷺ: **«يَؤُمُّ القَومَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللهِ، فَإِنْ كَانُوا في القِراءةِ سَوَاءً فأَعْلَمُهُمْ بِالسُّنَّةِ»** الحديث، وفي حديث سهل بن أبي حثمة الأنصاري رضي الله عنه في قصة الأنصار مع اليهود، كانت اليهود تسكن خيبر

---

(١) أخرجه في كتاب الجنائز، باب الصلاة على الشهيد برقم (١٣٤٣).

(٢) أخرجه البخاري تعليقاً في كتاب الوضوء، باب دفع السواك إلى الأكبر برقم (٢٤٦)، ومسلم في كتاب الرُّؤيا، باب رُؤيا النبي ﷺ برقم (٢٢٧١).

بعدما أجلاهم النبي ﷺ وغزاهم النبي في خيبر وحاصرهم مدة ثم فتح بلادهم وأخذها عنوة وصالحهم على شيء منها وأبقاهم فيها فلاحين عمالاً، وكان بينهم وبين المسلمين عداوة شديدة.

فاليهود أشد الناس عداوة لأهل الإيمان، فذهب عبد الله بن سهل وأخوه إلى خيبر لبعض الحاجات فأخذ عبد الله بعض حاجاته فقُتل، قتله اليهود فلما رجع إليه أخوه فإذا هو (**يَتشَحَّطُ**) في دمه قد قُتل ولا يدري من قتله، فأجرى ما يلزم في أمر تغسيله وتكفينه والصلاة عليه، ثم أتى النبي ﷺ هو وابنا عمه (**حوَيِّصَةُ ومُحَيِّصَةُ**) ابنا مسعود يشتكون اليهود في قتيلهم، وكان عبد الرحمٰن بن سهل أخو القتيل هو الصغير وهو الأحدث سناً وكان (**حوَيِّصَةُ ومُحَيِّصَةُ**) أكبر منه سناً، فقال له النبي ﷺ: «**كَبِّرْ كَبِّرْ كَبِّرْ كَبِّرْ**» فتكلم حويصة ثم تكلم مُحَيِّصَةُ إلى آخره.

الشاهد قوله: «**كَبِّرْ كَبِّرْ**» هذا يدل على أن في الدعاوي التي يتقدم بها الجماعة؛ ينبغي أن يقدموا أكبرهم حتى يتحدث عنهم، إذا كان أهلاً لذلك ولو كان الأصغر أقرب إلى القتيل في مسألة القتل أو أكثر سهماً في الدعوى أو ما أشبه ذلك؛ لأن عبد الرحمٰن أخوه والشخصان الآخران ابنا عمه لكنهم اشتكوا جميعاً، وهكذا قصة السواك لما أراد أن يعطي الأصغر قيل له: «**كَبِّرْ كَبِّرْ**».

وهكذا قصة قتلى أُحد كان الرسول ﷺ يجمع اثنين في قبر واحد بسبب كثرة القتلى، والمسلمون فيهم جراح وتعب كان يجمع بين اثنين في قبر واحد، ويقول: «**أَيُّهُما أَكْثَرُ أخذاً للقُرآنِ؟**» يُقدم فإذا أشاروا إلى أن هذا أكثر أخذاً للقرآن قد حفظ أكثر قُدِّم في اللحد وصار الآخر وراءه، هذا يدل على تقديم من كان أعلم من كان أقرأ على غيره في مثل هذا.

ويدل أيضاً على جواز دفن اثنين في قبر واحد إذا دعت الحاجة إلى ذلك لكثرة الموتى وسبب قتال شديد أو مرض عام نتج عنه وفاة

عامة، أو ما أشبه ذلك مما قد يقع بين الناس ويشق عليهم دفن كل واحد في قبر لضعفهم ومرضهم أو لكثرة الأموات، فلا مانع من أن يدفنوا اثنين أو ثلاثة في قبر واحد للحاجة، ويُقدم الأفضل فالأفضل، الأكثر علماً على من دونه والعالِم على من دونه وحافظ القرآن على من دونه والأكثر أخذاً للقرآن على من دونه إذا اجتمعوا.

وفَّق الله الجميع.

❊ ❊ ❊

٣٥٤ ـ وعن أَبي موسى ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «إنَّ مِنْ إجْلالِ اللهِ تَعَالَى: إكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ المُسْلِم، وَحَامِلِ القُرآنِ غَيْرِ الغَالِي فِيهِ، وَالجَافِي عَنْهُ، وَإكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ المُقْسِط» حديث حسن رواه أبو داود[١].

٣٥٥ ـ وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرنَا، وَيَعْرِفْ شَرَفَ كَبيرِنَا» حديث صحيح رواه أبو داود والترمذي[٢] **وَقالَ الترمذي: حديث حسن صحيح.**

📖 وفي رواية أبي داود: «حَقَّ كَبيرِنَا».

٣٥٦ ـ وعن ميمون بن أَبي شَبيب رحمه الله؛ أنَّ عائشة ﷺ مَرَّ بِهَا سَائِلٌ، فَأَعْطَتْهُ كِسْرَةً، وَمَرَّ بِهَا رَجُلٌ عَلَيهِ ثِيَابٌ وَهَيْئَةٌ، فَأقْعَدَتهُ، فَأكَلَ، فقِيلَ لَهَا في ذلِكَ؟ فقَالتْ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «أنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ» رواه أبو داود[٣].

لكن قال: ميمون لم يدرك عائشة. وقد ذكره مسلم في أول صحيحه تعليقاً فقال: وذكر عن عائشة ﷺ قالت: أمرنا رسول الله ﷺ «أنْ نُنزِلَ

---

(١) أخرجه في كتاب الأدب، باب في تنزيل الناس منازلهم برقم (٤٨٤٣).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب في الرحمة برقم (٤٩٤٣)، والترمذي في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة الصبيان برقم (١٩٢٠).

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب في تنزيل الناس منازلهم برقم (٤٨٤٢).

النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ»[١]، وذكره الحاكم أبو عبد الله في كتابه مَعرِفَة عُلُومِ الحَديث وَقالَ: هُوَ حديث صحيح[٢].

الشَّرح

فهذه الأحاديث الثلاثة كالتي قبلها، وأنه ينبغي إكرام الشيبة المسلم وحامل القرآن وأهل العلم، وهكذا رحمة الصغير وتوقير الكبير وإكرام السلطان المقسط، كل هذا مما جاءت به الشريعة؛ ولهذا قال النبي ﷺ: **«إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ المُسْلِمِ، وَحَامِلِ القُرْآنِ غَيْرِ الغَالِي فِيهِ، وَلَا الجَافِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ المُقْسِطِ»** في اللفظ الآخر **«لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا»**.

وفي حديث عائشة روي عنها رضي الله عنها وفي إسناده انقطاع أن النبي ﷺ قال: **«أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ»** والأدلة الشرعية تدل على هذا المعنى أن الناس لهم منازلهم، فالعالم له حقه، وشيخ القبيلة، ورئيس القوم له حقه، والصغير له حقه، وحامل القرآن وطالب العلم له حقه، وكبير السن بالنسبة إلى الصغير، وهكذا أنزل الناس منازلهم.

فالمؤمن يعرف لكل ذي حق حقه ولا يجفو من يستحق عدم الجفا؛ بل ينظر في منازل الناس حتى يعطي كل ذي حق حقه، من باب إنزال الناس منازلهم فإذا الفقير ترده اللقمة واللقمتان أعطاه، وإذا كان لذوي الشرف والهيئة ينزله الناس منازلهم يدعى في البيت، أو في المحل المناسب حتى يقدم له ما يحتاجه من غداء أو عشاء، أو نحو ذلك.

المقصود من هذا كله: أن المؤمن ينزل الناس منازلهم ولا يجعل كل أحد سواء في إكرامهم وتقديرهم؛ بل على حسب مراتبهم في الدين،

---

(١) ينظر: صحيح مسلم (ص٢٠) طبعة بيت الأفكار الدولية، بتحقيق أبي صهيب الكرمي.

(٢) ينظر: معرفة علوم الحديث (ص٩٥) طبعة دار الكتب، بيروت ط٢ ١٣٩٧هـ، بتحقيق السيد معظم حسين.

ومراتبهم في كبر السن، ومراتبهم في منازلهم ومراتبهم الشرعية، فالقاضي له حقه، والسلطان له حقه، والأمير له حقه، والشيخ الكبير له حقه، والوالد له حقه، والأخ الكبير له حقه، والجار له حقه، وهكذا كل إنسان يعطى حقه المناسب له حسب ما جاءت به الشريعة.

وفق الله الجميع.

***

٣٥٧ ـ وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قَالَ: قَدِمَ عُيَيْنَةُ بنُ حِصْن، فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أخِيهِ الحُرِّ بنِ قَيسٍ، وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمرُ رضي الله عنه، وَكَانَ القُرَّاءُ أَصْحَاب مَجْلِس عُمَرَ وَمُشاوَرَتِهِ؛ كُهُولاً كانُوا أَوْ شُبَّاناً، فَقالَ عُيَيْنَةُ لابْنِ أخيهِ: يَا ابْنَ أخِي، لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الأمِيرِ، فَاسْتَأذِنْ لِي عَلَيهِ، فاسْتَأْذَن له، فَأذِنَ لَهُ عُمَرُ رضي الله عنه، فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ: هِي يَا ابنَ الخَطَّابِ، فَوالله مَا تُعْطِينَا الجَزْلَ، وَلا تَحكُمُ فِينَا بالعَدْلِ، فَغَضِبَ عُمَرُ رضي الله عنه حَتَّى هَمَّ أنْ يُوقِعَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ الحُرُّ: يَا أميرَ المُؤْمِنينَ، إنَّ الله تَعَالَى قَالَ لِنَبيِّهِ ﷺ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] وَإنَّ هَذَا مِنَ الجَاهِلِينَ. والله مَا جَاوَزَهاَ عُمَرُ حِينَ تَلاَهَا عليه، وكَانَ وَقَّافاً عِنْدَ كِتَابِ الله تَعَالَى. رواه البخاري[١].

٣٥٨ ـ وعن أَبي سعيد سَمُرة بنِ جُندب رضي الله عنه، قَالَ: لقد كنت عَلَى عَهْدِ رَسُول الله ﷺ غُلاماً فَكُنْتُ أحْفَظُ عَنْهُ، فَمَا يَمْنَعُنِي مِنَ القَوْلِ إلَّا أنَّ هاهُنَا رِجَالاً هُمْ أسَنُّ مِنِّي. مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[٢].

---

(١) أخرجه في كتاب التفسير، باب ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] برقم (٤٦٤٢).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب الصلاة على النفساء إذا ماتت في نفاسها برقم (١٣٣١)، وفي باب أين يقوم من المرأة والرجل برقم(١٣٣٢)، ومسلم في كتاب الجنائز، باب أين يقوم الإمام من الميت للصلاة عليه برقم (٩٦٤) واللفظ لمسلم.

٣٥٩ ـ وعن أنس رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «مَا أَكْرَمَ شَابٌّ شَيْخاً لِسِنِّهِ إلَّا قَيَّضَ الله لَهُ مَنْ يُكْرِمُهُ عِنْدَ سِنِّه» رواه الترمذي، وَقالَ: حديث غريب[(١)].

الشَّرح

هذه الأحاديث الثلاثة كالتي قبلها في شرعية العناية بأهل الفضل والعلم وكبير السن وذوي السلطان في إكرامهم وإنزالهم منازلهم وحسن الأدب معهم والحذر من سوء الأدب، وأن الواجب على أهل العلم والإيمان، وأهل الأخلاق الفاضلة، وأهل المروءة التقيد بالأخلاق الفاضلة والحذر من الأخلاق السيئة.

في الحديث قصة عيينة بن حصن الفزاري رئيس فزارة، حين قدم على عمر في خلافته رضي الله عنه وكان الحر بن قيس من جلساء عمر وكان عمر رضي الله عنه يجالس القراء والعلماء والأخيار، وكانوا هم أهل مجلسه، كان أهل مجلسه الأخيار من العلماء والقراء وذوي المروة فيما كانوا شباباً، ومنهم العباس رضي الله عنه فقال عيينة بن حصن: استأذن لي على هذا الأمير حتى أكلمه؛ فاستأذن له الحر ودخل عيينة على عمر رضي الله عنه، فقال عبارة جافة غير لائقة: هِيْ يَا ابْنَ الخَطَّابِ، ما قال يا أمير المؤمنين: هِيْ يَا ابْنَ الخَطَّابِ، كلمة باطلة كلمة خبيثة فإن عمر يضرب بعدله المثل رضي الله عنه فهو أفضل الناس بعد الصديق وهو أكمل الناس في عدله وتحريه للحق بعد رسول الله وبعد الصديق رضي الله عنهما، ولكن هذا من رؤساء البادية قد يغلب عليهم الجهل والجفاء؛ لأن الغالب على رؤساء البادية الجهل والجفاء وسوء الكلام؛ فكره ذلك عمر وهم به أن يوقع به وأن يؤدبه على هذا الكلام السيئ، فقال له

(١) أخرجه في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في إجلال الكبير برقم (٢٠٢٢).

الحر رضي الله عنه: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

في الآية الأخرى ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣] من صفة عباد الرحمٰن، فلما تلا الحر هذه الآية ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ وَإِنَّ هَذَا مِنَ الجَاهِلِينَ، «وَاللهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلَاهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ اللهِ»، أعرض عنه عمر ولم يعاتبه على زلته لجهله وسوء خلقه؛ ولا بد أن الحر بن قيس نصحه وبيَّن له ما ينبغي.

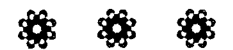
والمقصود: أن الواجب على المسلم أن يعرف قدر من يخاطب، وأن يكون خطابه حسن بالأسلوب المناسب، هكذا المؤمن في أساليبه وكلامه يستعمل الأساليب المناسبة، الكلام الطيب، ولا يستعمل خلاف ذلك: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾؛ فينبغي للمؤمن أن يتحرى الكلام الطيب في أساليبه مع الناس.

يقول سمرة بن جندب: كنت شاباً وكان يحفظ بعض الشيء عن النبي ﷺ ولا يمنعه أن يتكلم إلا أن هناك من هو أسنّ منه، هذا فيه تقدير من العالم الصغير للعلماء الكبار إذا حضر معهم أن يدع الكلام لهم إلا إذا كان عنده علم ليس عندهم فيه العلم الذي عنده، وإذا كان عنده ما عندهم ترك الكلام لهم.

كذلك حديث **«مَا أَكْرَمَ شَابٌّ شَيْخًا لِسِنِّهِ إِلَّا قَيَّضَ اللهُ لَهُ مَنْ يُكْرِمُهُ عِنْدَ سِنِّهِ»** الحديث، وإن كان غريباً لكن الشواهد كثيرة الجزاء من جنس العمل من أحسن أحسن إليه، ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠] مثل ما قال ربنا جلَّ وعلا، ربنا أكرم وأفضل وأرحم بعباده وهو

أحكم الحاكمين، وهو سبحانه وتعالى يجازي الحسنة بالحسنة يزيد جلَّ وعلا: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ هو سبحانه ذو الفضل وذو الجود والكرم، فإذا أكرم الشاب الشيخ ورعاه في مساعدته في تقديم حاجة إليه، في تقديمه في المجلس المناسب، رفع حاجته إليه إذا عجز عنها، وما أشبه ذلك يكون له أجر عند الله.

وفق الله الجميع.





٤٥ ـ بَابُ زيارة أهل الخير ومجالستهم ومحبتهم

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ۝٦٠ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ۝٦١ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ۝٦٢ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ۝٦٣ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ۝٦٤ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ۝٦٥ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٠ ـ ٦٦] وقال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الكهف: ٢٨].

٣٦٠ ـ وعن أنس رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ أَبُو بكر لِعُمَرَ رضي الله عنهما بَعْدَ وَفَاةِ رسولِ الله ﷺ: انْطَلِقْ بِنَا إِلَى أُمِّ أَيْمَنَ رضي الله عنها نَزُورُهَا كَمَا كَانَ رَسُول الله ﷺ يَزُورُهَا، فَلَمَّا انْتَهَيَا إِلَيْهَا، بَكَتْ، فَقَالَا لَهَا: مَا يُبْكِيكِ؟ أَمَا تَعْلَمِينَ أَنَّ مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِرَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَتْ: مَا أَبْكِي أَلَّا أَكُونَ أَعْلَم أَنَّ مَا عِنْدَ الله تَعَالَى خَيْرٌ لرسول الله ﷺ، ولَكِنْ أبكي أَنَّ الوَحْيَ قدِ انْقَطَعَ مِنَ السَّماءِ، فَهَيَّجَتْهُمَا عَلَى البُكَاءِ، فَجَعَلا يَبْكِيَانِ مَعَهَا. رواه مسلم[1].

٣٦١ ـ وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ: «أَنَّ رَجُلاً زَارَ أَخاً لَهُ في قَريَة أُخْرَى، فَأَرْصَدَ الله تَعَالَى عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكاً، فَلَمَّا أَتَى عَلَيهِ، قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أخاً لي في هذِهِ القَريَةِ. قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيهِ مِنْ نِعْمَة

---

(١) أخرجه في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أم أيمن برقم (٢٤٥٤).

تَرُبُّهَا عَلَيهِ؟ قَالَ: لا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ في الله تَعَالَى، قَالَ: فإنِّي رَسُول الله إلَيْكَ بَأنَّ الله قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أحْبَبْتَهُ فِيهِ» رواه مسلم[1].

□ يقال: (أرْصَدَهُ): لِكَذا: إذَا وَكَّلَهُ بِحِفْظِهِ، وَ(المَدْرَجَةُ): بِفْتْحِ الميمِ والرَّاءِ: الطَّرِيقُ، ومعنى (تَرُبُّها): تَقُومُ بِهَا، وَتَسْعَى في صَلاحِهَا.

٣٦٢ ـ وعنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «مَنْ عَادَ مَرِيضاً أَوْ زَارَ أخاً لَهُ في الله، نَادَاهُ مُنَادٍ: بِأنْ طِبْتَ، وَطَابَ مَمْشَاكَ، وَتَبَوَّأْتَ مِنَ الجَنَّةِ مَنْزِلاً» رواه الترمذي[2]، وَقالَ: حديث حسن، وفي بعض النسخ: غريب.

﴿ الشَّرح ﴾

هذه الآيات الكريمات والأحاديث الثلاثة كلها تتعلق بفضل زيارة الإخوان في الله والأحباب في الله ومحبتهم والأنس بهم وطلب دعائهم، وهكذا زيارة الأماكن الفاضلة؛ كالمسجد الحرام والمسجد النبوي والمسجد الأقصى كما جاءت به السُّنَّة، يقول ﷻ في قصة موسى لما خطب بني إسرائيل وسألوه: هل تعلم أحداً أعلم منك؟[3] قال: لا، فأوحى الله إليه أن لنا عبداً هو أعلم منك، فسأل ربه أن يسير إليه، فأذن الله له أن يسير إليه، فقال لفتاه: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا﴾ [الكهف: ٦٠] فسار عليه الصلاة والسلام مع فتاه إلى المنطقة الشرقية إلى محل الخضر، فاتصل به هناك وقصَّ الله علينا قصصه في سورة الكهف، وهذا يدل على شرعية الزيارة

---

(١) أخرجه في كتاب البر والصلة والآداب، باب في فضل الحب في الله برقم (٢٥٦٧).

(٢) أخرجه في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في زيارة الإخوان برقم (٢٠٠٨). وابن ماجه في كتاب الجنائز، باب ما جاء في ثواب من عاد مريضاً برقم (١٤٤٣).

(٣) متفق عليه عن أبي بن كعب أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب ما ذكر في ذهاب موسى ﷺ في البحر إلى الخضر برقم (٧٤)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب فضائل الخضر ﷺ برقم (٢٣٨٠).

لأهل الخير والعلم والفضل؛ للتعلم والاستفادة، وأن موسى ذهب إلى الخضر؛ لأجل الاستفادة وطلب العلم ﴿عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦].

والمقصود من ذلك: طلب العلم والاستفادة، هذا يدل على شرعية السفر لأهل العلم بقصد الطلب والاستفادة، وقد سافر جمع من الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم إلى أمصار كثيرة من أجل طلب الحديث، وهكذا أهل العلم بعدهم سافر الكثير منهم إلى البلاد البعيدة لطلب العلم، فسافروا إلى مكة والشام ومصر والعراق، وسافر بعض المغاربة إلى الشرق، كل ذلك لطلب العلم والاستفادة، ولهم رحلات في ذلك كثيرة كلها من أجل طلب العلم.

وهكذا قوله جلَّ وعلا: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ [الكهف: ٢٨] الآية ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ يعني: احبسها مع هؤلاء اصبر على صحبتهم والأُنس بهم وإن كانوا فقراء لكونهم صلحاء أخياراً عُباداً لله ﷻ؛ ولهذا أخبر عنهم أنهم ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ أي: يعبدونه ﷻ بالغداة والعشي ويتقربون إليه بالطاعات يبتغون مرضاته ويبتغون وجهه الكريم ﷻ وصحبة الأخيار، وإن كانوا فقراء، والأُنس بهم والاستفادة منهم، وإفادتهم أيضاً وتوجيههم إلى الخير إذا كانوا بحاجة إلى ذلك، كل هذا مما ينبغي للمؤمن، وكل هذا فعله أهل العلم والخير من الصحابة ومن بعدهم رضي الله عنهم وأرضاهم.

وفي هذه الآية وآية الأنعام أُمر النبي ﷺ بالصبر معهم وحبس النفس معهم لما في ذلك من الفائدة العظيمة من التواضع وحبس النفس وإفادتهم وتوجيههم وتعليمهم، وبكل ما فيه من الزهد في الدنيا والرغبة

في الآخرة؛ لأن صحبة الأغنياء وصحبة المترفين قد تجر العبد إلى إيثار الدنيا والتأسي بهم في ذلك، وإذا صحب الأخيار من الفقراء والمتوسطين كان هذا أقرب إلى لين قلبه وتواضعه ورغبته في الآخرة وزهده في الدنيا وما يشغله عن الآخرة.

وفي هذه الأحاديث التي ذكرها المؤلف الدلالة على فضل الزيارة والتحاب في الله ﷻ، وأن المؤمن يزور إخوانه في الله ويحبهم في الله، ومن ذلك قصة الرجل الذي زار أخاً له في الله، فرصد الله له ملكاً في صورة إنسان على مدرجته في طريقه الذي يمر عليه، فقال: أين تذهب قال: أريد فلاناً، فقال: هل لك من نعمة تَرُبُّها عليه، قال: لا، إلا أني أحبه في الله، فقال: إني رسول الله إليك، ثم قال له: إن الله قد أحبك كما أحببته هذا من فضل الله جلَّ وعلا وإحسانه وتشجيع الأخيار على صحبة الأخيار والتشجيع على المحبة في الله والتزاور في الله، وأن الله أرسل إليه ملكاً يخبره بهذا الخبر العظيم، هذا يدل على محبته سبحانه للتزاور في الله والتعاون في الخير وصحبة الأخيار.

وهكذا في الحديث الآخر حديث أبي هريرة «**مَنْ عَادَ مَرِيضاً أَوْ زَارَ أَخاً لَهُ فِي اللهِ نَادَاهُ مُنَادٍ من السماء أَنْ طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ وَتَبَوَّأْتَ مِنَ الجَنَّةِ مَنْزِلاً**»، كذلك يدل على الفضل في عيادة المرضى وزيارة الإخوان في الله، وأن زيارته فيها خير عظيم، وهي من أسباب دخول الجنة والنجاة من النار.

والوارد في هذا كثير فينبغي للمؤمن أن يكون له نصيب من هذا.

وهكذا قصة الصديق مع عمر في زيارة أم أيمن، وأم أيمن هذه حاضنة النبي ﷺ عُمِّرت عجوزاً كبيراً، وكانت تتولّى حضانة النبي عليه الصلاة والسلام، وكانت بمثابة أمه، ويسميها أمه لأنها حضنته وهو صغير؛ لأن أمه ماتت وهو صغير جدّاً، في سن الخامسة أو السادسة فحضنته أم أيمن وربته وأحسنت إليه، وكان يكرمها ويحبها كثيراً ويعظمها ويدعوها أمه

عليه الصلاة والسلام، فلما توفي النبي ﷺ قال عمر لأبي بكر: لو زرناها كما كان النبي ﷺ يزورها، كان النبي يزورها في حياته ويكرمها وينفق عليها عليه الصلاة والسلام، فزارها عمر والصديق رضي الله عنهما تأسياً بالنبي ﷺ، ولحبها في الله ولتقدير حبها للنبي ﷺ وإكرامها له وخدمتها له، والتأسي بالنبي ﷺ في زيارتها وإكرامها، وهي امرأة عجوز كبيرة ليس في زيارتها فتنة، فزاراها وسلما عليها، فلما رأتهما بكت فاستنكرا بكاءها وقالا لها: لم تبكين؟ ألا تعلمين أن ما عند الله خير لرسول الله من بقائه في الدنيا، قالت: لست أبكي لأني لا أعلم أن ما عند الله خير لرسول الله، ولكني أبكي لأن الوحي انقطع من السماء، كان في حياته يأتينا الوحي صباحاً ومساءً بالأوامر والنواهي والأحكام والبشارات والنذارات، فلما توفي ﷺ انقطع الوحي، فأنا أبكي من أجل هذا، فلهذا هيجتهما على البكاء حتى بكيا من بكائها رضي الله عنهم جميعاً.

فهذا فيه الزيارة في الله حتى ولو للنساء إذا كانت زيارة شرعية كريمة بعيدة عن ظن السوء وعن الفتنة والريبة، فإنها تزار في الله؛ كالعجوز الكبيرة والمرأة الصالحة أو مع محرمها إذا كانت تأبى ذلك، المقصود: أن الزيارة لله وفي الله ولو للنساء إذا كانت زيارة بعيدة عن الريبة وبعيدة عن الفتنة فلا بأس بها، كما فعل الصديق وعمر رضي الله تعالى عنهما مع أم أيمن وكما زار النبي ﷺ جدة أنس وأكرمته فأعدت له الطعام ودعته إلى الطعام، وزارها وصلى عندهم صلاة الضحى وصلى بهم عليه الصلاة والسلام، كل هذا يدل على أن الزيارة لله وفي الله مع الرجال والنساء بشرط أن يكون ذلك فيما يتعلق بالنساء بعيداً عن الريبة وعن ظن السوء، فكل هذا مشروع، وفيه خير عظيم وفيه تواص بالحق وتعاون على البر والتقوى وتكريم للأخيار وإيناس لهم وتقدير لهم وحث على التأسي بأخلاقهم.

وفَّق الله الجميع لما يحبه ويرضاه.

▓▓▓

٣٦٣ ـ **وعن** أَبي موسى الأشعري رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ، قَالَ: «إِنَّمَا مَثلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَجَلِيسِ السُّوءِ؛ كَحَامِلِ المِسْكِ، وَنَافِخِ الكِيرِ، فَحَامِلُ المِسْكِ: إمَّا أنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحاً طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الكِيرِ: إمَّا أنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإمَّا أنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحاً مُنْتِنَةً» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ(١).

▫ (يُحْذِيكَ): يُعْطِيكَ.

٣٦٤ ـ **وعن** أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ، قَالَ: «تُنْكَحُ المَرْأةُ لأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ(٢).

▫ ومعناه: أنَّ النَّاسَ يَقْصدونَ في العَادَة مِنَ المَرْأةِ هذِهِ الخِصَالَ الأرْبَعَ، فَاحْرَصْ أنتَ عَلَى ذَاتِ الدِّينِ، وَاظْفَرْ بِهَا، وَاحْرِصْ عَلَى صُحْبَتِهَا.

٣٦٥ ـ **وعن** ابن عباس رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ النَّبيُّ ﷺ لِجبريل: «مَا يَمْنَعُكَ أنْ تَزُورَنَا أكثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا؟» فَنَزَلَتْ: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [مريم: ٦٤] رواه البخاري(٣).

الشَّرح

هذه الأحاديث الثلاثة كالتي قبلها في شرعية زيارة الإخوان في الله ومجالسة الصالحين والأخيار؛ لما في ذلك من الخير العظيم والبعد عن

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب في العَطَّار وبيع المسك برقم (٢١٠١)، وفي كتاب الذبائح والصيد، باب المِسْكِ برقم (٥٥٣٤)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قُرَناء السُّوءِ برقم (٢٦٢٨).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين برقم (٥٠٩٠)، ومسلم في كتاب الرضاع، باب استحباب نكاح ذات الدين برقم (١٤٦٦).

(٣) أخرجه في كتاب التفسير، باب ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾ [مريم: ٦٤] برقم (٤٧٣١).

مجالسة الأشرار؛ لأن مجالسة الأخيار تزيدك خيراً وتنفعك في الدنيا والآخرة، وضده بضد ذلك، ولهذا قال ﷺ: **«إِنَّمَا مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ، وَالجَلِيسِ السَّوْءِ؛ كَحَامِلِ المِسْكِ، وَنَافِخِ الكِيرِ، فَحَامِلُ المِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا مُنْتِنَةً»**.

وهذا فيه الحث على مجالسة أهل العلم وأهل الخير والسيرة الحميدة، والبعد عن مجالسة الأشرار، وهذا أمر واضح كل يعرف هذا، مجالسة الأخيار فيها الخير العظيم، ومجالسة الأشرار فيها الشر الكبير، فينبغي للمؤمن أن يحرص على مجالسة الأخيار والحرص على صحبتهم والاستفادة من علمهم وسيرتهم والحذر من صحبة الأشرار.

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه يقول النبي ﷺ: **«تُنْكَحُ المَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ»** هذا فيه الحث على نكاح الزوجة الطيبة؛ فالمؤمن عند الخطبة يختار المرأة الطيبة التي يرغب الناس فيها، إما لجمال، أو لحسب، أو لمال، أو لدين، أوصى النبي ﷺ بالعناية بذات الدين **«فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ»** لا يكون همك مال أو جمال أو حسب، قد يطغيها جمالها قد يطغيها مالها، قد يطغيها حسبها؛ لكن عليك بذات الدين الحافظ بتوفيق الله، فإذا اجتمع مع الدين حسب أو مال أو جمال فهذا خير إلى خير.

وهكذا قصة جبرائيل: **«يَا جِبْرِيلُ، مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَزُورَنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا»** هذا فيه الحث على زيارة الأخيار واستزارتهم تزورهم وتطلب منهم أن يزوروك؛ لما في التزاور بين الأخيار من المصالح؛ ولهذا قال النبي ﷺ لجبرائيل: **«مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَزُورَنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا»** فأنزل الله قوله جلَّ وعلا: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ

ذَٰلِكَ﴾ [مريم: ٦٤] يعني: أن ذلك ليس لهم، إنما أمرهم بيد الله ينزلهم إذا شاء ويمنعهم إذا شاء ﷻ؛ ولهذا قال جلَّ وعلا: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ۝٢٧ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٧، ٢٨] عليهم الصلاة والسلام، والمقصود من هذا: الترغيب في زيارة الأخيار واستزارة الأخيار من أهل العلم والفضل والسيرة الحميدة.

وفق الله الجميع.

❊ ❊ ❊

٣٦٦ ـ وعن أَبي سعيد الخدري ؓ، عن النَّبيّ ﷺ، قَالَ: «لا تُصَاحِبْ إلَّا مُؤْمِناً، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إلَّا تَقِيٌّ» رواه أَبُو داود والترمذي[١] بإسناد لا بأس بِهِ.

٣٦٧ ـ وعن أَبي هريرة ؓ؛ أن النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ» رواه أَبُو داود والترمذي[٢] بإسناد صحيح، وَقالَ الترمذي: حديث حسن.

٣٦٨ ـ وعن أَبي موسى الأشعري ؓ؛ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ، قَالَ: «المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[٣].

📖 وفي رواية: قيل للنبي ﷺ: الرَّجُلُ يُحبُّ القَومَ وَلَمَّا يَلْحَقْ بِهِمْ؟ قَالَ: «المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ».

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب من يؤمر أن يجالس برقم (٤٨٣٢)، والترمذي في كتاب الزهد، باب ما جاء في صحبة المؤمن برقم (٢٣٩٥).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب من يؤمر أن يجالس برقم (٤٨٣٣)، والترمذي في كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب منه برقم (٢٣٧٨).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب علامة الحب في الله ﷻ برقم (٦١٧٠)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب المرءُ مع من أحب برقم (٢٦٤٠).

الشَرح

هذه الأحاديث الثلاثة كالتي قبلها في الحث على صحبة الأخيار والاستفادة منهم والحذر من صحبة الأشرار

وفي هذا الحديث يقول النبي ﷺ: «**لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ**» هذا عند أهل العلم، طعام الصحبة، وأما طعام الضيافة فلا يشترط فيها التقي؛ لكن التزاور بين الناس والتواصل بين الناس يكون بين المؤمنين وبين الأخيار، يجتنب صحبة الأشرار والفجار، ولا يأكل طعامه إلا الأخيار والأتقياء.

أما ما يتعلق بالضيافة، فالضيف يكون تقي وغير تقي، والضيوف لهم حقهم مطلقاً «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ**»[1] **والنبي ﷺ أكرم الضيوف الكفار وغير الكفار عليه الصلاة والسلام.**

وفي الحديث الثاني: يقول النبي ﷺ: «**الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ**» هذا يدل على أن الخليل في الغالب يؤثر على خليله في دينه وأخلاقه، فلينظر المؤمن أخلاءه وأحبابه حتى يختارهم، ويكون مع من تعرف منهم الأعمال الطيبة والسيرة الحميدة، في الحديث الصحيح يقول ﷺ: «**إِنَّمَا مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ، وَالجَلِيسِ السَّوْءِ، كَحَامِلِ المِسْكِ، وَنَافِخِ الكِيرِ، فَحَامِلُ المِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً متنة**»[2].

فالمؤمن يختار الصحبة الطيبة والأخيار ويزورهم ويستفيد منهم ويتذاكر معهم؛ لما في صحبتهم من الخير؛ ولهذا طلب موسى عليه السلام صحبة الخضر ليستفيد من علمه، والرسول ﷺ يقول: «**المَرْءُ مَعَ مَنْ**

---

(١) سبق تخريجه برقم (٣١٤).

(٢) سبق تخريجه برقم (٣٦٣).

أَحَبَّ» رَجُلٍ أَحَبَّ قَوْمًا وَلَمْ يَلْحَقْ بِهِمْ، قال ﷺ: «المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ» قال أنس رضي الله عنه: (مَا فَرِحَ المُسلِمُونَ بِشَيْءٍ بَعْدَ الإِسْلَامِ أَشَدَّ مِمَّا فَرِحوا بِهِ)، قال أنس رضي الله عنه: (أحب الله ورسوله وأرجو أن يحشرني الله معهم).

فالمقصود: أن المحبة للمؤمنين وصحبة المؤمنين من أسباب أن تحشر معهم يوم القيامة وتفوز بالجنة والسعادة، كما أن صحبة الأشرار والفجار من أسباب الخسارة وأن يكون معهم في الدنيا والآخرة، نسأل الله العافية.

وفق الله الجميع.

***

٣٦٩ ـ وعن أنس رضي الله عنه؛ أَنَّ أعرابياً قَالَ لرسول الله ﷺ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ رَسُول الله ﷺ: «مَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟» قَالَ: حُبَّ الله ورسولهِ، قَالَ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[١] وهذا لفظ مسلم.

📖 وفي رواية لهما: مَا أَعْدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثيرِ صَوْمٍ، وَلَا صَلَاةٍ، وَلَا صَدَقَةٍ، وَلَكِنِّي أُحِبُّ الله وَرَسُولَهُ[٢].

٣٧٠ ـ وعن ابن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: جاء رجلٌ إلى رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُول الله، كَيْفَ تَقُولُ في رَجُلٍ أَحَبَّ قَوْماً وَلَمْ يَلْحَقْ بِهِمْ؟ فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: «المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[٣].

٣٧١ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ، قَالَ: «النَّاسُ مَعَادِنٌ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه برقم (٣٦٨٨)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب المرءُ مع من أحب برقم (٢٦٣٩).

(٢) أخرجها البخاري في كتاب الأدب، باب علامة الحب في الله برقم (٦١٧١)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب المرء مع من أحب برقم (٢٦٣٩).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب علامة الحب في الله عز وجل برقم (٦١٦٨ و٦١٦٩)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب المرءُ مع من أحب برقم (٢٦٤٠).

كَمَعَادِنِ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ، خِيَارُهُمْ في الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ في الإسْلَامِ إِذَا فَقِهُوا، وَالأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، ومَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ» رواه مسلم[١].

📖 وروى البخاري قوله: «الأَرْوَاحُ...» إلخ مِنْ رواية عائشة رضي الله عنها[٢].

❁ الشَـرح ❁

هذه الأحاديث الثلاثة كالتي قبلها في الحث على حبّ الله ورسوله وحبّ الأخيار ومجالستهم وصحبتهم وزيارتهم، والبعد عن صحبة الأشرار، والحذر مما يريدون به، ومما يدعون إليه وفي هذا الحديث يقول ﷺ لما سأله الأعرابي: المرء يحب القوم وَلَمْ يَلْحَقْ بِهِم؟ قال: «المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ» وقال: متى الساعة؟ قال: «مَا أَعْدَدْتَ لَهَا» قَالَ: مَا أَعْدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثِيرِ صَلَاةٍ وَلَا صَوْمٍ وَلَا صَدَقَةٍ، وَلَكِنِّي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، قَالَ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ»، هذا الحديث والذي قبله كلاهما يدلان على أن الإنسان مع من أحب فمن أحب الله ورسوله والمؤمنين فهو معهم، ومن أحب الكفرة والظالمين فهو معهم.

فينبغي للمؤمن أن يحب الله ورسوله ويحب أهل الإيمان والتقوى والصلاح ويجتهد في صحبتهم واتخاذهم إخواناً وأخداناً، ويحذر من صحبة الأشرار «المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ» إن أحب الله ورسوله صار معهم، وإن كان أحب خلاف ذلك صار معهم، والله جلَّ وعلا أوجب على عباده حب الله ورسوله وحب الإيمان، يقول النبي ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»[٣] وقال لعمر لما قال: يا

---

(١) أخرجه في كتاب البر والصلة والآداب، باب الأرواح جنود مجندة برقم (٢٦٣٨).

(٢) أخرجه تعليقاً في كتاب أحاديث الأنبياء، باب الأرواح جنود مجندة برقم (٣٣٣٦)، ووصله في الأدب المفرد (٩٠٠) قال الحافظ في الفتح (٦/ ٢٦٣) ورويناه موصولاً في مسند أبي يعلى.

(٣) متفق عليه من حديث أنس رضي الله عنه. أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب حب =

رسول الله لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«لَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ»** فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الآنَ، وَاللهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«الآنَ يَا عُمَرُ»**[١].

الواجب حب الله ورسوله حباً صادقاً، ويقول ﷺ: **«ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا للهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»**[٢].

فالواجب على المؤمن هو أن يحب الله ورسوله ويحب المؤمنين، ويحب أهل التقوى ويتخذهم أصحاباً ويبتعد عن صحبة الأشرار الذين يجرونه إلى ما حرم الله عليه.

كذلك حديث: **«النَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ الفِضَّةِ وَالذَّهَبِ، خِيَارُهُمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلَامِ إِذَا فَقُهُوا، وَالأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ»** أهل الشهامة والجود والكرم في الجاهلية، هم خيارهم في الإسلام إذا فقهوا في دين الله، هذا يدل على الحث على الفقه في دين الله وصحبة الأخيار، يقول النبي ﷺ: **«مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»** فينبغي للمؤمن أن يحرص على صحبة الأخيار وأهل الإيمان والتقوى، وأن يبتعد عن صحبة الأشرار؛ فـ**«النَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ الفِضَّةِ وَالذَّهَبِ، خِيَارُهُمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلَامِ إِذَا فَقُهُوا»** فنسأل الله أن يوفقنا وإياكم للعلم النافع والعمل الصالح، وأن يمنحنا وإياكم الفقه في دينه وأن يرزقنا جميعاً صحبة الأخيار، والبعد عن صحبة الأشرار.

* * *

= الرسول من الإيمان برقم (١٥)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب وجوب محبة الرسول ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين برقم (٤٤).

(١) أخرجه البخاري من حديث عبد الله بن هشام في كتاب الإيمان والنذور، باب كيف كان يمين النبي ﷺ برقم (٦٦٣٢).

(٢) سيأتي تخريجه برقم (٣٧٥).

٣٧٢ ـ **وعن** أُسَيْر بن عمرو، ويقال: ابن جابر ـ وَهُوَ بضم الهمزة وفتح السين المهملة ـ قَالَ: كَانَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ ﷺ إذَا أتى عَلَيهِ أمْدَادُ أهْلِ اليَمَنِ سَألَهُمْ: أفِيكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟ حَتَّى أتى عَلَى أُوَيْسٍ ﷺ، فَقَالَ لَهُ: أنْتَ أُوَيْسُ بْنُ عَامِر؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مِنْ مُرادٍ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَكَانَ بِكَ بَرَصٌ، فَبَرَأْتَ مِنْهُ إلَّا مَوْضِعَ دِرْهَم؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: لَكَ وَالِدةٌ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: سَمِعْتُ رَسُول الله ﷺ، يقول: «يَأتِي عَلَيْكُمْ أويْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أمْدَادِ أهْلِ اليَمَنِ مِنْ مُرَادٍ، ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ كَانَ بِهِ بَرَصٌ، فَبَرَأَ مِنْهُ إلَّا موْضِعَ دِرْهَم، لَهُ وَالدةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ لَوْ أقْسَمَ عَلَى الله لأَبَرَّهُ، فإنِ اسْتَطَعْتَ أنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَل» فَاسْتَغْفِرْ لي فَاسْتَغْفَرَ لَهُ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أيْنَ تُريدُ؟ قَالَ: الكُوفَةَ، قَالَ: ألَا أكْتُبُ لَكَ إلَى عَامِلِهَا؟ قَالَ: أكُونُ في غَبْرَاءِ النَّاسِ أَحَبُّ إلَيَّ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ العَام المُقْبِلِ حَجَّ رَجُلٌ مِنْ أشْرَافِهِمْ، فَوافَقَ عُمَرَ، فَسَألَهُ عَنْ أُوَيْسٍ، فَقَالَ: تَرَكْتُهُ رَثَّ البَيْتِ قَليلَ المَتَاع، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُول الله ﷺ، يقولُ: «يَأتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أمْدَادٍ مِنْ أهْلِ اليَمَنِ مِنْ مُرَادٍ، ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إلَّا موضِعَ دِرْهَم، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ لَوْ أقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ، فَإنِ اسْتَطْعتَ أنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ، فَافْعَلْ» فَأتَى أُوَيْساً، فَقَالَ: اسْتَغْفِرْ لِي. قَالَ: أنْتَ أحْدَثُ عَهْداً بسَفَرٍ صَالِحٍ، فَاسْتَغْفِرْ لي. قَالَ: لَقِيتَ عُمَرَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فاسْتَغْفَرَ لَهُ، فَفَطِنَ لَهُ النَّاسُ، فَانْطَلَقَ عَلَى وَجْهِهِ. رواه مسلم[1].

📖 وفي رواية لمسلم أيضاً عن أُسَيَر بن جابر ﷺ: أنَّ أهْلَ الكُوفَةِ وَفَدُوا عَلَى عُمَرَ ﷺ، وَفِيهِمْ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ يَسْخَرُ بِأُوَيْسٍ، فَقَالَ عُمَرُ: هَلْ هاهُنَا أحَدٌ مِنَ القَرَنِيِّينَ؟ فَجَاءَ ذلِكَ الرَّجُلُ، فَقَالَ عمرُ: إنَّ رَسُول الله ﷺ قَدْ قَالَ: «إنَّ رَجُلاً يَأتِيكُمْ مِنَ اليَمَنِ يُقَالُ لَهُ: أُوَيْسٌ، لا

(١) أخرجه في كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب فضائل أويس القرني برقم (٢٥٤٢).

يَدَعُ باليَمَنِ غَيْرَ أُمٍّ لَهُ، قَدْ كَانَ بِهِ بَيَاضٌ فَدَعَا الله تَعَالَى، فَأَذْهَبَهُ إِلَّا مَوضِعَ الدِّينَارِ أَو الدِّرْهَمِ، فَمَنْ لَقِيَهُ مِنْكُمْ، فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ».

📖 وفي رواية لَهُ: عن عمر رضي الله عنه، قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُول الله ﷺ، يقول: «إنَّ خَيْرَ التَّابِعِينَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: أُوَيْسٌ، وَلَهُ وَالِدَةٌ وَكَانَ بِهِ بَيَاضٌ، فَمُرُوهُ، فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ».

◻ قوله: (غَبْرَاءِ النَّاسِ): بفتح الغين المعجمة، وإسكان الباءِ وبالمد: وهم فُقَرَاؤُهُمْ وَصَعَالِيكُهُمْ وَمَنْ لا يُعْرَفُ عَيْنُهُ مِنْ أخلاطِهِمْ. (وَالأَمْدَادُ): جَمْعُ مَدَدٍ: وَهُمُ الأَعْوَانُ وَالنَّاصِرُونَ الَّذِينَ كَانُوا يُمدُّونَ المُسْلِمِينَ في الجهَاد.

٣٧٣ ـ **وعن** عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قَالَ: اسْتَأذَنْتُ النَّبيَّ ﷺ في العُمْرَةِ، فَأَذِنَ لِي، وَقَالَ: «لَا تَنْسَنا يَا أُخَيَّ مِنْ دُعَائِكَ» فَقَالَ كَلِمَةً مَا يَسُرُّنِي أنَّ لِي بِهَا الدُّنْيَا.

📖 وفي رواية: وَقَالَ: «أَشْرِكْنَا يَا أُخَيَّ في دُعَائِكَ».

حديث صحيح رواه أَبو داود والترمذي[1]، وَقالَ: حديث حسن صحيح.

٣٧٤ ـ **وعن** ابن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: كَانَ النَّبيُّ ﷺ يزور قُبَاءَ رَاكِباً وَمَاشِياً، فَيُصَلِّي فِيهِ رَكْعَتَيْنِ. مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[2].

📖 وفي رواية: كَانَ النَّبيُّ ﷺ يَأتي مَسْجِد قُبَاءَ كُلَّ سَبْتٍ رَاكِباً، وَمَاشِياً وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَفْعَلُهُ.

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب الدعاء برقم (١٤٩٨)، والترمذي في كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب منه برقم (٣٥٦٢)، وابن ماجه في كتاب المناسك، باب فضل دعاء الحاج برقم (٢٨٩٤).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، باب إتيان مسجد قباء ماشياً وراكباً برقم (١١٩٤)، ومسلم في كتاب الحج، باب فضل مسجد قباء وفضل الصلاة فيه وزيارته برقم (١٣٩٩).

الشَّرح

هذه الأحاديث الثلاثة كالتي قبلها في شرعية التزاور في الله والتحاب في الله وزيارة الإخوان في الله وزيارة الأماكن الفاضلة؛ كالمساجد الثلاثة، ومسجد قباء لمن كان في المدينة، يقول النبي ﷺ **«قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ»**(١) وفي الصحيح: **«أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ، عَلَى مَدْرَجَتِهِ، مَلَكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ، قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ ﷻ، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ، بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيه»**(٢).

وفي هذا أن وفد اليمن الذين جاءوا، أمداد اليمن جاءوا لجهاد الفرس في عهد عمر وقد أخبر عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**يقدم عليكم في أمداد اليمن فيهم رجل يقال له: أويس القرني**» ثم من مراد، ثم من قرن، مراد بطن من قبائل اليمن كان به برص فدعى الله فابرأه إلا موضع درهم، وكانت له أم برّ بها فمن لقيه منكم فاستطاع أن يستغفر له فليستغفر له، قال عمر: استغفر لي، سأل عنه لما أخبر بالصفات، قال: استغفر لي، فهذا يدل على أن طلب الاستغفار من الرجل الصالح أو ممن يرجى إجابة دعوته لا بأس به، وقال عمر لأمداد اليمن الذين رأوا العراق أخبرهم عن أويس فلما عرفوه صاروا يسألونه الاستغفار، فلما عُرف انطلق على وجهه في غبراء الناس واختفى عن الناس حتى لا يفتتن.

وفي **الحديث الثاني**؛ أن عمر رضي الله عنه لما أراد العمرة، قال له النبي ﷺ: «**لَا تَنْسَنَا يَا أُخَيَّ مِنْ دُعَائِكَ**» أو قال: «**أَشْرِكْنَا يَا أُخَيَّ فِي**

(١) سيأتي تخريجه برقم (٣٨٢).
(٢) سيأتي تخريجه برقم (٣٧٩).

دُعَائِكَ» الحديث رواه أبو داود والترمذي وفي سنده عاصم بن عبيد الله فيه لين[١]، والترمذي والمؤلف صححاه، وفي سنده عند أهل العلم لين؛ لكن يُتقوَّى بحديث أويس.

فالتحاب في الله، كون الإنسان يقول لأخيه: استغفر لي أو: ادعوا لي لا بأس به ولا حرج في ذلك؛ لكن ينبغي أن يراعي عدم الإكثار الذي يمل أخاه ويؤذي أخاه.

كذلك **الحديث الثالث**: كان النبي ﷺ يزور قباء هذا يدل على زيارة الأماكن الفاضلة الذي شرع الله زيارتها؛ كالمساجد الثلاثة ومسجد قباء لمن كان في المدينة، كان يزوره كل سبت عليه الصلاة والسلام راكباً وماشياً؛ لكن لا يشد الرحل إليه إنما يزوره من في المدينة، الراحلة لا تشد إلا للمساجد الثلاثة: المسجد الحرام، ومسجد النبي ﷺ والمسجد الأقصى؛ لكن إذا كان في المدينة شرع له أن يزور قباء ويصلي فيه.

للحديث الآخر يقول النبي ﷺ: **«مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ أَتَى مَسْجِدَ قُبَاءَ، فَصَلَّى فِيهِ صَلَاةً، كَانَ لَهُ كَأَجْرِ عُمْرَةٍ»**[٢].

وفق الله الجميع.



---

(١) ابن عاصم بن عمر بن الخطاب، ضعيف من الرابعة روى له البخاري في خلق أفعال العباد، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، انظر: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص٢٨٥) ترجمة برقم (٣٠٦٥).

(٢) أخرجه ابن ماجه من حديث سهل بن حنيف ﷺ في كتاب إقامة الصلوات والسنة فيها، باب ما جاء في الصلاة في مسجد قباء برقم (١٤١٢).



٤٦ ـ بَابُ فضل الحب في الله، والحرص عليه، وإعلام الرجل من يحبه أنه يحبه، وماذا يقول إذا أعلمه

قال الله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ﴾ [الفتح: ٢٩] إلى آخر السورة، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ [الحشر: ٩].

٣٧٥ ـ وعن أنسٍ رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ، قَالَ: «ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلاوَةَ الإيمانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا للهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ الله مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ(١).

٣٧٦ ـ وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ، قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ الله عز وجل، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيهِ وتَفَرَّقَا عَلَيهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ حُسْنٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ الله، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ، فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ الله خَالِياً فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب من كره أن يعود في الكفر كما يكره أن يلقى في النار من الإيمان برقم (٢١)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان برقم (٤٣).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد برقم (٦٦٠)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة برقم (١٠٣١).

الشَّرح

هذه الآيات والأحاديث فيها الحثُّ على الحب في الله، الحب في الله من أهم واجبات الإسلام، ومن أعظم أسباب الإلفة والتعاون على الخير والتواصي بالحق، وضده من أسباب الفرقة والاختلاف، والواجب على المؤمنين أن يتحابوا في الله وأن يتعاونوا على البر والتقوى وأن يتواصوا بالحق والصبر عليه، هذا واجبهم، قال جلَّ وعلا: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩] هذه الرحمة تقتضي المحبة فيما بينهم التواصي والتعاون على البر والتقوى، قال جلَّ وعلا في الأنصار، ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ [الحشر: ٩]، والله يقول: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤] ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ يترتب عليه الحب في الله والبغض في الله.

ويقول عليه الصلاة والسلام: «**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا للهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**»، ويقول الله يوم القيامة: «**أَيْنَ المُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي، اليَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي**» فيجب على المؤمن أن يحب في الله ويبغض في الله ويعادي في الله ويوالي في الله، يرجو ثواب الله ويخشى عقابه، هكذا المؤمن أين ما كان؛ فالحب في الله من أهم واجبات الإيمان ومن أوثق عرى الإيمان، والله جلَّ وعلا أوجب على المؤمنين أن يتحابوا فيه وأن يتعاونوا على البر والتقوى، كما قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢] قال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ① إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ② إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ ـ ٣].

وثبت عنه ﷺ يقول الله جلَّ وعلا: «وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَالمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، وَالمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَالمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ» وهذا رواه مالك بإسناد صحيح عن النبي ﷺ.

التزاور يكون في الله، التجالس يكون في الله، المحبة تكون في الله، العطاء يكون لله هكذا المؤمن، هذه المحبة تثمر التعاون على البر والتقوى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعدم التساهل؛ لأن موجب المحبة أن تأمره بالخير، وأن تنهاه عن الشر، وأن تنصح له شهد أو غاب هذا موجب المحبة.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.

❖ ❖ ❖

٣٧٧ ـ وعنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «إنّ الله تَعَالَى يقول يَوْمَ القِيَامَةِ: أيْنَ المُتَحَابُّونَ بِجَلالِي؟ اليَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إلَّا ظِلِّي» رواه مسلم[١].

٣٧٨ ـ وعنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لا تَدْخُلُوا الجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أوَلَا أدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أفْشُوا السَّلامَ بينكم» رواه مسلم[٢].

٣٧٩ ـ وعنه، عن النَّبيّ ﷺ: «أنَّ رَجُلاً زَارَ أخاً لَهُ في قَرْيَةٍ أخْرَى، فَأرصَدَ اللهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكاً» وذكر الحديث إلَى قوله: «إنَّ الله قَدْ

(١) أخرجه في كتاب البر والصلة والآداب، باب في فضل الحب في الله برقم (٢٥٦٦).

(٢) أخرجه في كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون وأن محبة المؤمنين من الإيمان وأن إفشاء السلام سبب لحصولها برقم (٥٤).

أحبَّكَ كَمَا أحْبَبْتَهُ فِيهِ» رواه مسلم[١].

وقد سبق بالباب قبله.

الشَّرح

هذه الأحاديث الثلاثة كالتي قبلها في الحث على التحابِ في الله وأن المحبة في الله لها شأن عظيم وفضل كبير، فينبغي للمؤمن أن يكون حريصاً على الحب في الله والبغض في الله، قد روي عنه عليه الصلاة والسلام؛ أنه قال: «أَوْثَقَ عُرَى الإِيمَانِ، الحَبُّ فِي اللهِ، وَالبُغْضُ فِي اللهِ»[٢].

ومن هذا، هذا الحديث الصحيح يقول ﷺ: «إنّ الله تَعَالَى يقول يَوْمَ القِيَامَةِ: أيْنَ المُتَحَابُّونَ بِجَلالِي؟ اليَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إلَّا ظِلِّي» هذا تنويه وإظهار لشرفهم وفضلهم على رؤوس الأشهاد، تقدم قوله ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إلَّا ظِلُّهُ» ذكر منهم «وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ» والتحاب في الله؛ يعني: التحاب في دين الله بالتعاون على الخير والتواصي في الحق، لا من أجل مال أو نسب أو غير ذلك، وإنما الحب في الله من أجل طاعة الله والإيمان بالله واتباع شريعة الله.

هكذا الحديث الثاني: يقول ﷺ: «والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لا تَدْخُلُوا الجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أوَلَا أدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أفْشُوا السَّلَامَ بينكم» فأقسم عليه الصلاة والسلام

---

(١) أخرجه في كتاب البر والصلة والآداب، باب في فضل الحب في الله برقم (٢٥٦٧).

(٢) أخرجه عن ابن مسعود رضي الله عنه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٢٢٩) برقم (٩٢)، وأيضاً عن البراء رضي الله عنه (٨/ ١٣٠) برقم (٣٧).

«**والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ**» وهو الله ﷻ فإن نفوس العباد كلهم بيد الله جلَّ وعلا؛ ولهذا قال: «**والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ**» يعني: والله «**لا تَدْخُلُوا الجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا**» الجنة إنما هي للمؤمنين، في الحديث؛ أنه أُمر منادٍ ينادي في حجة الوداع «**أن لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُؤْمِنَةٌ**»[1] والله يقول: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [التوبة: ٧٢] الوعد للمؤمنة المسلمة؛ يعني: الموحدة لله المتبعة لشرعه، وفي هذا الحديث يبين لهم ﷺ أنهم لن يدخلوا الجنة حتى يؤمنوا، وأن هذا الإيمان لا يتم إلا بالتحاب في الله، إذا كان إيماناً خالياً من ذلك صار إيماناً ناقصاً ضعيفاً، ويخشى على صاحبه من دخول النار؛ لتفريطه فيما أوجب الله عليه من الحب في الله.

ثم بيَّن بعض أسباب التحاب في الله فقال: «**أوَلَا أدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلامَ بينكم**» فإفشاء السلام من أسباب المحبة في الله، والتعاون على الخير من أسباب المحبة، والزيارة في الله من أسباب المحبة، ومواساة الفقير والإحسان إليه ونصر المظلوم وردع الظالم من أسباب المحبة، والغفلة عن هذا والإعراض عن هذا كل واحد يشتغل بنفسه من أسباب البغضاء والشحناء والتكبر والتفرق، فينبغي للمؤمن أن تكون له همة عالية من التحاب في الله وزيارة الإخوة في الله وقضاء حوائجهم وإعانتهم على الخير، والحرص على أسباب المحبة في الله، ومن هذا إفشاء السلام لا يتكبر يفشي السلام ويرد السلام.

هكذا **الحديث الثالث**: يقول عليه الصلاة والسلام: «**أَنَّ رَجُلاً كان ممن قبلنا زَارَ أخاً لَهُ في الله في قَرْيَةٍ أخْرَى**» غير قريته وكان الحامل له

---

(١) أخرجه الترمذي من حديث علي رضي الله عنه في كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ومن سورة التوبة برقم (٣٠٩٢)، والنسائي في كتاب المناسك، باب قَوْلِهِ ﷻ: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١] برقم (٢٩٥٨).

على الزيارة الحب في الله؛ يعني: الذي حمله على الزيارة إنما هو حبه في الله «**فَأَرصَدَ اللهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ**» على طريقه «**مَلَكاً**» في صورة إنسان فلما مرَّ عليه قال: أين تذهب؟ قال: إلى فلان قال: هل لك من نعمة تربها عليه؟ قال: لا إنما أحبه في الله قال: أنا رسول الله إليك: «**إنَّ الله قَدْ أحبَّكَ كَمَا أحْبَبْتَهُ فِيهِ**» هذا فضل عظيم أن المحبة في الله من أسباب محبة الله للعبد ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤] من أسباب محبة الله العبد أن يحب في الله ويبغض في الله، وأن يوالي في الله ويعادي في الله، ويعطي لله ويمنع لله، هكذا المؤمن تصرفاته مقيدة بشرع الله، إن فعل بشرع الله وإن ترك بشرع الله، وذلك من كمال الإيمان وكمال التقوى، كمال العلم بالله والبصيرة.

وفَّق الله الجميع.

❊ ❊ ❊

٣٨٠ ـ **وعن** البراءِ بن عازب رضي الله عنه، عن النَّبيّ ﷺ؛ **أنَّهُ قَالَ في الأنصار**: «**لَا يُحِبُّهُمْ إلَّا مُؤمِنٌ، وَلَا يُبْغِضُهُمْ إلَّا مُنَافِقٌ، مَنْ أحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ الله، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أبْغَضَهُ الله**» مُتَّفقٌ عَلَيهِ[(١)].

٣٨١ ـ **وعن** معاذ رضي الله عنه، **قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ، يقول**: «**قَالَ الله عز وجل: المُتَحَابُونَ في جَلالِي، لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ**» رواه الترمذي[(٢)] وَقالَ: حديث حسن صحيح.

٣٨٢ ـ **وعن** أَبي إدريس الخولاني رحمه الله، **قَالَ: دخَلْتُ مَسْجِدَ دِمَشْقَ، فَإذَا فَتىً بَرَّاق الثَّنَايَا وَإِذَا النَّاسُ مَعَهُ، فَإذَا اخْتَلَفُوا في شَيْءٍ،**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب حب الأنصار من الإيمان برقم (٣٧٨٣)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي رضي الله عنه من الإيمان.. برقم (٧٥).

(٢) أخرجه في كتاب الشهادات، باب ما جاء في الحب في الله برقم (٢٣٩٠).

أَسْنَدُوهُ إِلَيْه، وَصَدَرُوا عَنْ رَأيِهِ، فَسَأَلْتُ عَنْهُ، فَقِيلَ: هَذَا مُعَاذُ بْنُ جَبَل ﷺ. فَلَمَّا كَانَ مِنَ الغَدِ، هَجَّرْتُ، فَوَجَدْتُهُ قَدْ سَبَقَنِي بالتَّهْجِيرِ، ووَجَدْتُهُ يُصَلِّي، فانْتَظَرتُهُ حَتَّى قَضَى صَلاتَهُ، ثُمَّ جِئْتُهُ مِنْ قِبَلِ وَجْهِهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيهِ، ثُمَّ قُلْتُ: وَاللهِ إنّي لأَحِبُّكَ للهِ، فقَالَ: آللهِ؟ فَقُلْتُ: اللهِ، فَقَالَ: آللهِ؟ فَقُلْتُ: اللهِ، فَأَخَذَنِي بِحَبْوَةِ رِدَائِي، فجبذني إِلَيْهِ، فَقَالَ: أبْشِرْ! فإنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ، يقول: «قَالَ الله تَعَالَى: وَجَبتْ مَحَبَّتي لِلْمُتَحابين فِيَّ، وَالمُتَجَالِسينَ فِيَّ، وَالمُتَزَاوِرِينَ فيَّ، وَالمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ» حديث حسن رواه مالك في الموطأ[1] بإسناده الصحيح.

▫ قوله: (هَجَّرْتُ) أيْ: بَكَّرْتُ، وَهُوَ بتشديد الجيم قوله: (آلله فَقُلْت: الله): الأول بهمزة ممدودة للاستفهام، والثاني بلا مد.

الشَّرْح

هذه الأحاديث في التحاب في الله والترغيب في ذلك، وأن المحبة في الله من القُرَبِ العظيمة ومن الأعمال الصالحة التي ينبغي للمؤمن أن يجتهد في تحصيلها، ومن ذلك هذا الحديث يقول ﷺ: «قَالَ اللهُ ﷻ المُتَحَابُونَ فِي جَلَالِي لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ» تقدم قوله ﷺ: «إنّ الله تَعَالَى يقول يَوْمَ القِيَامَةِ: أَيْنَ المُتَحَابُونَ بِجَلالِي؟ اليَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي» كما تقدم حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله ذكر منهم «وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ».

وفي حديث معاذ الدلالة على فضل التحابّ في الله، وأن الله جلَّ وعلا قال: «وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ وَالمُتَجَالِسِينَ فِيَّ وَالمُتَزَاوِرِينَ

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ (٢/ ٩٥٣).

فِيَّ وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ» فينبغي للمؤمن أن يكون له نصيب من هذا وأن يكون من المتحابين في الله مع إخوانه المتزاورين المتباذلين والبذل العطاء؛ يعني: يعطي لله ويمنع لله ويزور أخاه في الله ويجالسه لله ويحبه لله، هذا هو المقصود، لا من أجل نسب أو قرابة أو صداقة خاصة في الدنيا، ولكن يكون الباعث هو الحب في الله، هذا له بركته العظيمة وفضله الكبير، ويدل على صفاء الإيمان وقوة الإيمان والرغبة فيما عند الله ﷻ؛ لأنه أحبه لله لا لقرابة أو مال أو غير ذلك.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.

***

٣٨٣ ـ **وعن** أبي كَرِيمَةَ المقداد بن معديكرب رضي الله عنه، عن النَّبيّ ﷺ، قَالَ: «إِذَا أَحَبَّ الرَّجُلُ أَخَاهُ، فَلْيُخْبِرْهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ» رواه أبو داود والترمذي[1] وَقالَ: حديثٌ حسنٌ.

٣٨٤ ـ **وعن** معاذ رضي الله عنه: أن رَسُول الله ﷺ أخذ بيدِهِ، وَقالَ: «يَا مُعَاذُ، وَاللهِ، إِنِّي لأُحِبُّكَ، ثُمَّ أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ في دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ» حديث صحيح رواه أبو داود والنسائي[2] بإسناد صحيح.

٣٨٥ ـ **وعن** أنس رضي الله عنه؛ أَنَّ رَجُلاً كَانَ عِنْدَ النَّبيِّ ﷺ، فَمَرَّ رَجُلٌ بِهِ، فَقَالَ: يَا رَسُول الله، إنِّي لأُحِبُّ هَذَا، فَقَالَ لَهُ النَّبيُّ ﷺ: «أأعْلَمْتَهُ؟» قَالَ:

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب إخبار الرجلِ الرجلَ بمحبته إياه برقم (٥١٢٤)، والترمذي في كتاب الشهادات عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في إعلام المحب برقم (٢٣٩٢).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب في الاستغفار برقم (١٥٢٢)، والنسائي في كتاب السهو، باب نوع آخر من الدعاء برقم (١٣٠٣).

لا. قَالَ: «أَعْلِمْهُ» فَلَحِقَهُ، فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّكَ فِي الله، فَقَالَ: أَحَبَّكَ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي لَهُ رواه أبو داود[١] بإسناد صحيح.

الشَّـرح

هذه الأحاديث الثلاثة تتعلق بالحب في الله وإخبار المحب أخاه بأنه يحبه في الله؛ لأن ذلك مما يزيد في أواصر المودة والتعاون على الخير والتواصي بالحق، وإذا أعلمه يقول: أحبك الله الذي أحببتني له إذا أعلمه أو قال: إني أحبُك يقول له: أحبك الله الذي أحببتني له.

وفي هذا الحديث يقول عليه الصلاة والسلام إذا أحب أحدكم أخاه في الله فليعلمه؛ أي: فليخبره أنه يحبه لما تقدم أنه يزيد في المودة ويقوي أسبابها ويعين على التكاتف والتعاون في الخير، هكذا ينبغي للمؤمن وذلك أمر واقع ومعلوم؛ ولهذا قال ﷺ لمعاذ: «**يَا مُعَاذُ، وَاللهِ، إِنِّي لأُحِبُّكَ، ثُمَّ أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**» هذا في إعلام المؤمن أخاه بأنه يحبه في الله، وفي هذا الحديث وصيةٌ عظيمة وهي الدعاء بهذا الدعاء الموجز العظيم في آخر الصلاة دبرها؛ يعني: في آخرها قبل أن يسلم فالدبر نوعان:

أحدهما: آخر الشيء كدبر الحيوان.

والثاني: ما يليه بعد السلام ما يليه يسمى دبراً والأظهر هنا والأقرب هنا أن المراد قبل أن يسلم؛ لأنه محل دعاء؛ لأن الله شرع لنا في آخر التحيات الدعاء، فيقول في آخر التحيات قبل أن يُسلم: «**اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**» وإن قالها بعد السلام وبعد الذكر فلا بأس كله طيب، لكنها قبل السلام ألصق وأقرب؛ ولهذا شُرع

---

(١) أخرجه في كتاب الأدب، باب إخبار الرجلِ الرجلَ بمحبته إياه برقم (٥١٢٥).

في ذلك أن يقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ**»(١).

«**اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْماً كَثِيراً وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ**»(٢).

«**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ وَمَا أَسْرَفْتُ وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي أَنْتَ المُقَدِّمُ وَالمُؤَخِّرُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ**»(٣).

«**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ البُخْلِ ومِنَ الجُبْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ العُمُرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ**».

كل هذا جاء عن الرسول ﷺ كان يدعو بها في الصلاة كان يدعو بالدعوات الأخيرة في آخرها «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ**» إلى آخره «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ البُخْلِ**» إلى آخره.

وفي حديث معاذ يبدأ بـ: «**اللَّهُمَّ أعني**»، أما «**اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْماً كَثِيراً**» فهذا جاء في حديث عام، النبي ﷺ قال لأبي بكر الصديق: لما سأله هل من دعاء أقوله في صلاتي قال: «**قل اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي**» هذا يعم الدعاء، بهذا الدعاء في آخر الصلاة وفي السجود.

وفي الحديث الثالث: (**أن رجلاً كان عند النبي ﷺ فمر أخ له في الله فقال: يا رسول الله إني أحبُ هذا، فقال ﷺ: «أأعْلَمْتَهُ؟» قَالَ: لا. قَالَ: «أعْلِمْهُ» فذهب إليه وقال: إني أحبك في الله فقال له الرجل: أحبك الله الذي أحببتني له**) هذا هو المشروع أن يقول له: إني أُحبك في الله وهو يقول: أحبك الله الذي أحببتني له، فالتحاب في الله له شأن

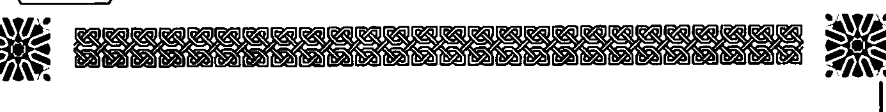
---

(١) سيأتي تخريجه برقم (١٤٢٣).
(٢) سيأتي تخريجه برقم (١٤٧٥).
(٣) سيأتي تخريجه برقم (١٤٢٤).

عظيم فإنه يعين على أسباب الخير، ويسبب التعاون على البر والتقوى، ويسبب التواصي بالحق والتواصي بالصبر، ويسبب أيضاً التذكير بالخير والنصيحة ودفع الأذى، إلى غير ذلك من فوائد المحبة في الله.

وفَّق الله الجميع.

❋ ❋ ❋



٤٧ ـ بَابُ علامات حب الله للعبد والحث على التخلق بها والسعي في تحصيلها

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤].

٣٨٦ ـ **وعن** أبي هريرة ﵁، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «إنَّ الله تَعَالَى قَالَ: مَنْ عَادى لي وَلِيّاً، فَقَدْ آذَنْتُهُ بالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إلَيَّ عَبْدِي بِشَيءٍ أَحَبَّ إلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيهِ، وَمَا يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإذَا أحْبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، ويَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإنْ سَأَلَنِي أعْطَيْتُهُ، وَلَئِن اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ» رواه البخاري[1].

□ معنى (آذنته): أعلمته بأني محارِب لَهُ. وقوله: (استعاذني): روي بالباءِ وروي بالنون.

٣٨٧ ـ **وعنه**، عن النَّبيّ ﷺ، قَالَ: «إذَا أَحَبَّ اللهُ تَعَالَى العَبْدَ، نَادَى جِبْرِيلَ: إنَّ الله تَعَالَى يُحِبُّ فُلاناً، فَأَحْبِبْهُ، فَيُحِبُّهُ جِبريلُ، فَيُنَادِي في أَهْلِ السَّمَاءِ: إنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلاناً، فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ

---

(١) أخرجه في كتاب الرقاق، باب التواضع برقم (٦٥٠٢).

القَبُولُ في الأَرْضِ» متفق عليه(١).

📖 وفي رواية لمسلم: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله تعالى إذا أحب عبداً دعا جبريلَ، فقال: إنّي أُحِبُّ فلاناً فأحببهُ، فيحبُّهُ جبريلُ، ثمَّ ينادي في السماءِ، فيقول: إنَّ اللهَ يحبُّ فلاناً فأحبوهُ، فيحبُّهُ أهلُ السماءِ، ثمَّ يوضعُ لهُ القبولُ في الأرضِ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْداً دَعَا جِبْريلَ، فَيَقُولُ: إنّي أُبغِضُ فُلاناً فَأَبْغِضْهُ. فَيُبغِضُهُ جِبريلُ ثُمَّ يُنَادِي في أَهْلِ السَّماءِ: إنَّ الله يُبْغِضُ فُلاناً فَأَبْغِضُوهُ، ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ البَغْضَاءُ في الأَرْضِ».

٣٨٨ ـ **وعن** عائشة ﵂؛ أَنَّ رَسُول الله ﷺ بعث رجلاً عَلَى سَرِيَّة فَكَانَ يَقْرَأُ لأَصْحَابِهِ فِي صَلَاتِهِمْ فَيَخْتِمُ بـ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذلِك لرسول الله ﷺ، فَقَالَ: «سَلُوهُ لأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذلِكَ»؟ فَسَأَلُوهُ فَقَالَ: لأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمنِ فَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرأَ بِهَا، فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: «أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللهَ تَعَالَى يُحِبُّهُ» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ(٢).

﴿ الشَّرح ﴾

هاتان الآيتان والأحاديث فيها الدلالة على شرعية تعاطي الأعمال التي تسبب حب الله للعبد، وأنه ينبغي للمؤمن أن يتحراها وأن يحرص عليها حتى يحبه مولاه ﷻ، وجماعها أنها طاعة الله ورسوله، من أطاع الله ورسوله أحبه الله، ومن عصى الله ورسوله أبغضه الله، أبغضه الله

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب كلام الرب مع جبريل ونداء الله الملائكة برقم (٧٤٨٥)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب إذا أحب الله عبداً حببه إلى عباده برقم (٢٦٣٧).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى برقم (٧٣٧٥)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص] برقم (٨١٣).

على قدر معصيته، وأعظمها الكفر بالله ﷻ، فجدير بالمؤمن وجدير بكل مكلف أن يسعى في أسباب محبة الله له ورضاه عنه، وأن يبتعد عن أسباب غضبه عليه وبغضه له، ومن ذلك قوله جلَّ وعلا: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١] فأوضح سبحانه أن العلامة الواضحة والبرهان الساطع والحجة القاطعة على حب الله للعبد أن يتبع الرسول عليه الصلاة والسلام، فإذا اتبع الرسول واستقام على دينه أحبه الله ﷻ وأحبه رسوله وأحبه المؤمنون، ولهذا قال: قل؛ يعني: قل يا محمد للناس المدعين محبتي: ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ فالحجة الواضحة والبرهان الساطع على صدق العبد لمحبة الله أن يتبع رسوله عليه الصلاة والسلام، وينقاد لشرعه ويقف عند حدوده ويتباعد عما نهى عنه الشرع، وبذلك تحصل له محبة الله وتحصل له أيضاً المغفرة، أما من ادعى المحبة لله ولرسوله مع التخلف عن طاعته واتباع شريعته، ومع الخوض في محارمه بالدعوة الكاذبة، أو ناقصة وضعيفة.

وقال جلَّ وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤] فإنه عند وجود المرتدين والناكبين عن شريعة الله، يأتي الله بالمحبين والمحبوبين المتبعين لشريعة الله فضلاً منه ﷻ، ولهذا قال: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ يعني: بدلاً منه وعوضاً من هذا المرتد، ثم بيَّن أسباب المحبة، فقال: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾؛ يعني: متواضعين لأهل الإيمان متحابين معهم، عزيزين على أهل الكفر بالله مبغضين لهم.

ثم ذكر صفة ثالثة ورابعة، فقال: ﴿يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ يجاهدون في سبيل الله بأنفسهم وبأموالهم وبألسنتهم، ولا

يخافون لومة لائم؛ أي: لا يخافون في هذا الأمر لومة لائم من الناس، لا يدعون محاب الله والجهاد في سبيله خوفاً من أن يلومهم فلان أو رأوا فلاناً أو يشره عليهم أو يسبهم أو يؤذيهم، لا بل هم سائرون في طاعة الله مصممون في طلب مرضاته، وإن غضب فلان وإن تكلم فلان وإن لام فلان؛ لأن إيمانهم يحملهم على ذلك، ويدعوهم إلى ذلك، بخلاف ضعيفي الإيمان أو معدومي الإيمان، فإنه لا يقوى على هذا، بل يضعف عند لوم اللوام ويضعف عند أذى المؤذين، ولا يتحمل الصبر.

وفي الحديث الصحيح يقول ﷺ: يقول الله ﷻ: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيّاً» يعني: مؤمناً «فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ» أولياء الله: هم أهل الإيمان، هم المسلمون، هم أهل التقوى، كما قال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣].

وقال في آية الأنفال عن المشركين: ﴿وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٣٤] فأولياء الله: هم أهل التقوى، هم أهل الإيمان، هم المطيعون لله ورسوله، فمن عاداهم فقد عادى الله؛ لأنه إنما عاداهم لإيمانهم وتقواهم، فإذا عاداهم من أجل هذا فقد عادى الله، أما العداوات التي تقع لأسباب دنيوية من خصومات ومضاربات فهذا شيء آخر لا تعلق له بهذا.

والواجب محبة المؤمنين في الله وموالاتهم، وبغض الكافرين ومعاداتهم في الله ﷻ، ولكن مع بغض الكافرين ومعاداتهم لا يظلمهم ولا يتعدى عليهم، إن كان لهم ذمة وفَّى لهم بذمتهم، وإن كان لهم عهد أعطاهم عهدهم، وإن كانت لهم قرابة وصل قرابتهم إذا كانوا ليسوا محاربين، كما قال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨]

يبغضهم في الله، ولكن يعطيهم حقوقهم، ويصلهم إن كانوا أرحاماً، ويعطف عليهم إن كانوا والدين، مع أنهم فيهم الكفر بالله، فينصح لهم ويدعوهم إلى الله ويبغضهم في الله، ويؤدي لهم الحق الذي شرع الله لهم ﷻ من الوفاء بالعهد، ووفاء الذمة واحترام الحقوق وصلة القرابة، إذا كانت الحالة حالة أمن ومعاهدة لا حالة حرب.

تقدم قوله عليه الصلاة والسلام في الأنصار: «**آيَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ**» فمن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله، هذا يدل على أن حب أهل الإيمان من أسباب محبة الله، وأن بُغضهم من أسباب بغض الله، فمحبة أهل الإيمان وموالاتهم والإحسان إليهم من أجل إيمانهم وتقواهم من أسباب محبة الله للعبد، ومعاداتهم وبغضهم من أجل إيمانهم من أسباب بغض الله للعبد ومعاداته له، وانتقامه منه، يقول الله ﷻ: «**وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ**» يعني: حتى أحبه كامل المحبة، المحبوب الأول بإيمانه وتقواه ولكن بتقربه إليه بالنوافل تزداد المحبة، يزداد حب الله له لتقربه بالنوافل مع الفرائض «**فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بها**».

في اللَّفظ الآخر: «**فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش**» والمعنى: أن الله إذا رضي عنه وأحبه سدد أموره ووفقه في سمعه وبصره وبطشه ومشيه يكون موفقاً، فلا يسمع ما حرم الله عليه، ولا ينظر إلى ما حرم الله عليه، ولا يبطش ما حرم الله عليه، ولا يمشي فيما حرم الله عليه، بل يحفظه الله في هذه الجوارح «**وَإِنْ سَأَلَنِي أَعْطَيْتُهُ، وَلَئِن اسْتَعَاذَنِي لأعِيذَنَّهُ**» هذه أيضاً من ثواب الله له على إيمانه وتقواه وأدائه للفرائض والنوافل، وإن سأل أُعطي وإن استعاذ أُعيذ، فينبغي للمؤمن أن يكون حريصاً على هذا الخير العظيم بتقوى الله، والحرص على أداء النوافل والتطوعات،

يرجو ما عند الله من المثوبة ﷻ ومع ذلك لا يُعجب ولا يأمن، بل يكون دائم الحذر ودائم الخوف من الله ودائم الاستغفار، هكذا المؤمن، هكذا المتقي لله ﷻ يقول ﷺ وهو اتقى الناس وأفضلهم: «**وَاللهِ إِنِّي لأَخْشَاكُمْ للهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ**».

والحديث الثاني: يقول ﷺ: «**إنَّ الله تعالى إذا أحب عبداً دعا جبريلَ، فقال: إنّي أُحِبُّ فلاناً فأحببهُ، فيحبُّهُ جبريلُ، ثمَّ ينادي في السماءِ، فيقول: إنَّ اللهَ يحبُّ فلاناً فأحبوهُ، فيحبُّهُ أهلُ السماءِ، ثمَّ يوضعُ لهُ القبولُ في الأرضِ**» والعكس بالعكس «**وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْداً دَعَا جِبْرِيلَ، فَيَقُولُ: إنّي أُبْغِضُ فُلاناً فَأَبْغِضْهُ. فَيُبغِضُهُ جِبريلُ ثُمَّ يُنَادِي في أَهْلِ السَّماءِ: إنَّ الله يُبْغِضُ فُلاناً فَأَبْغِضُوهُ، ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ البَغْضَاءُ في الأَرْضِ**» هذا من عاجل بشرى المؤمن ومن عاجل عقوبة الله للكافر المبغوض، فمن عاجل نِعَم الله للمؤمن ومن عاجل بشراه للمؤمن أن توضع له المحبة في السماء والأرض إذا أطاع الله واستقام على أمره وحفظ حدوده، فهو محبوب في السماء ومحبوب في الأرض، ولا عبرة بمن أبغضه من أعداء الله.

وإذا كان العكس، كفر بالله وعادى دينه وناقض وصارت له البغضاء من الله ومن أهل السماء ومن أهل الأرض، نسأل الله العافية.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.






٤٨ ـ بَابُ التحذير من إيذاء الصالحين والضعفة والمساكين

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨]، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: ٩، ١٠].

وأما الأحاديث، فكثيرة مِنْهَا:

حديث أبي هريرة ﷺ في الباب قبل هَذَا: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيّاً فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ».

ومنها حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ السابق في باب ملاطفة اليتيم، وقوله ﷺ: «يَا أَبَا بَكْرٍ، لَئِنْ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ»[١].

٣٨٩ ـ **وعن** جندب بن عبد الله ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «مَنْ صَلَّى صَلاةَ الصُّبْحِ، فَهُوَ في ذِمَّةِ الله، فَلَا يَطْلُبَنَّكُمُ الله مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ، فَإنَّهُ مَنْ يَطْلُبْهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ يُدْرِكْهُ، ثُمَّ يَكُبُّهُ عَلَى وَجْهِهِ في نَارِ جَهَنَّمَ» رواه مسلم[٢].

الشَرح

هذه الآيات مع الأحاديث فيها الدلالة على تحريم إيذاء المسلمين وظلمهم والعدوان عليهم، ولا سيما الضعفاء والمساكين، فإن الواجب

---

(١) انظر الحديث رقم (٢٦١).

(٢) أخرجه في كتاب المساجد، باب فضل صلاة العشاء والصبح في جماعة برقم (٦٥٧).

احترامهم وإعطاؤهم حقوقهم، وعدم الاستهزاء بهم أو السخرية بهم أو احتقارهم أو إيذائهم؛ بل يجب على كل مسلم أن يحترم أخاه فقيراً أم غنياً وألَّا يظلمه، وألَّا يتعدى عليه لا بقول ولا بفعل، قال النبي ﷺ: «**كُلُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ**»(١) وقال جلَّ وعلا: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠] فالمسلم أخو المسلم يجب احترامه وكف الأذى عنه، ويقول تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨] هذا وعيد عظيم والإيذاء يكون بالقول ويكون بالفعل، يكون بهما جميعاً، فالواجب الحذر من ذلك.

ويقول جلَّ وعلا: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: ٩، ١٠] ويقول جلَّ وعلا في سورة آل عمران: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

فالمسلم من صفته الرفق مع إخوانه والرحمة والعطف ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ۝١٥٦ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ﴾ الآية [الأعراف: ١٥٦، ١٥٧]. فالمؤمن ينقاد لشريعة الله ويستقيم على طاعة الله ورسوله، ومن ذلك كفه عن إيذاء المؤمنين واحترامه للمؤمنين وإعطاؤهم حقوقهم وعدم انتقاصهم من حقوقهم، وعدم ظلمهم وإذا كان المظلوم فقيراً وضعيفاً كان الإثم أكبر؛ لأنه لا يستطيع أن ينتصر لنفسه وأن يأخذ حقه، والله يقول جلَّ وعلا: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ ويقول جلَّ وعلا:

(١) سبق تخريجه برقم (٢٣٤).

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ﴾ [التوبة: ٧١] ويقول النبي ﷺ: «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ» ويقول ﷺ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا»(١).

ولما اتخذ الصديق مع الضعفاء من المهاجرين بعض الشيء، قال له النبي ﷺ: «لَئِنْ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ». فالواجب احترام المسلمين وكف الأذى عنهم، ولا سيما فقراءهم فهم أولى بالعطف والإحسان والمواساة، لا بالاحتقار والظلم.

وفَّق الله الجميع.



---

(١) سبق تخريجه برقم (٢٠٥).



٤٩ ـ بَابُ إجراء أحكام الناس على الظاهر وسرائرهم إلى الله

قال الله تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥].

٣٩٠ ـ **وعن** ابن عمر رضي الله عنهما؛ أنَّ رَسُول الله ﷺ، قَالَ: «أُمِرْتُ أنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أنْ لا إلهَ إلَّا الله، وَأنَّ مُحَمَّداً رَسُول الله، وَيُقيمُوا الصَّلاةَ، وَيُؤتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءهُمْ وَأمْوَالَهُمْ إلَّا بحَقِّ الإسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى الله تَعَالَى» مُتَّفقٌ عَلَيهِ(١).

٣٩١ ـ **وعن** أبي عبدِ الله طارق بن أشَيْم رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُول الله ﷺ، يقول: «مَنْ قَالَ: لَا إلهَ إلَّا الله، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى الله تَعَالَى» رواه مسلم(٢).

٣٩٢ ـ **وعن** أبي معبد المقداد بن الأسْود رضي الله عنه، قَالَ: قُلْتُ لرسول الله ﷺ: أرَأيْتَ إنْ لَقِيتُ رَجُلاً مِنَ الكُفَّارِ، فَاقْتَتَلْنَا، فَضَرَبَ إحْدَى يَدَيَّ بِالسَّيْفِ، فَقَطَعَهَا، ثُمَّ لاذَ مِنِّي بِشَجَرَةٍ، فَقَالَ: أسْلَمْتُ للهِ، أأقْتُلُهُ يَا رَسُول الله بَعْدَ أنْ قَالَهَا؟ فَقَالَ: «لا تَقْتُلهُ» فَقُلْتُ: يَا رَسُول الله، قَطَعَ إحْدَى يَدَيَّ، ثُمَّ قَالَ ذلِكَ بَعْدَ مَا قَطَعَهَا؟! فَقَالَ: «لا تَقتُلْهُ، فإنْ قَتَلْتَهُ، فَإنَّهُ بِمَنْزِلَتِكَ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾ برقم (٢٥)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة... برقم (٢٢).

(٢) أخرجه في كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة... برقم (٢٣).

قَبْلَ أنْ تَقْتُلَهُ، وَإِنَّكَ بِمَنْزِلَتِهِ قَبْلَ أنْ يَقُولَ كَلِمَتَهُ التي قَالَ» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ(١).

▫ ومعنى (إنه بمنزلتك) أي: معصوم الدم محكوم بإسلامه، ومعنى (إنك بمنزلته) أي: مباح الدمِ بالقصاص لورثتِهِ لا أنه بمنزلته في الكفر، والله أعلم.

﴿ الشَّرح ﴾

هذه الآية الكريمة والأحاديث الثلاثة كلها تدل على وجوب حمل الناس على ما ظهر منهم، وأن يؤخذوا بما ظهر منهم، وأن يعاملوا بما ظهر منهم من أعمال وأقوال، وأما قلوبهم فإلى الله جلَّ وعلا، السرائر إلى الله ﷻ، وولاة الأمور إنما يأخذون الناس بما ظهر من أعمالهم، وهكذا المعاملات بين الناس على ما ظهر من الأعمال، أما ما يتعلق بالقلوب والسرائر فهذا إلى الله ﷻ هو الذي يعلمها ويجازي عليها ﷻ؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ٥] يعني: ليس لكم حق في التنقيب عن بواطنهم، أمورهم إلى الله إذا كانوا منافقين وقالوها تقية فالله الذي يعلم ذلك ﷻ، إنما على العبد الأخذ بالظاهر، فمن أظهر الإسلام قُبل منه الإسلام وحُقن دمه وماله، ولو اتهم بالنفاق ولو اتهم بغرض آخر فالأمر معلق بالظاهر؛ لقوله تعالى: ﴿فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾ أي: لا تقتلوهم.

وفي الآية الأخرى قال: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ [التوبة: ١١] هم إخواننا في الدين على ما أظهروا، وما يتعلق بالقلوب فهو إلى الله ﷻ، ولهذا أُقر من يتهم بالنفاق في عهد النبي ﷺ، جم غفير اتهموا بالنفاق؛ لأنهم لم يظهروا وهم متهمون ولم

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدراً برقم (٤٠١٩)، وفي كتاب الديات، باب قول الله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ [النساء: ٩٣] برقم (٦٨٦٥)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إلـه إلا الله برقم (٩٥).

يؤخذوا به بل يؤخذون بما ظهر من أعمالهم، وهكذا في كل زمان إنما يؤخذ الناس بما ظهر من أعمالهم، فإذا تعلقت الأمور بالقلوب صار في ذلك من الفساد العريض ما لا يحصيه إلا الله ﷻ، فالقلوب ليس لأحد علمٌ بما فيها إلا الله ﷻ.

ولهذا جاء في حديث ابن عمر **«أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ»**.

وفي اللفظ الآخر: **«أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فَإِذَا قَالُوهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا»**.

وحديث طارق بن أشيم **«مَنْ قالَ لَا إِلهَ إِلَّا الله، وَكَفَرَ بما يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى الله تَعَالَى»**.

وفي اللفظ الآخر: **«مَنْ وَحَّدَ اللهَ تَعَالَى وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ ﷻ»**[1].

وحديث المقداد بن الأسود الكندي رضي الله عنه: سأل النبي ﷺ عما قد يقع بين لقاء الكفار فيقطع الكافر يد المسلم ثم يلوذ منه بشجرة أو حجر أو نحو ذلك، فيقول: أسلمت لله ويقول: لا إلـٰه إلا الله، فقال: يا رسول الله أأقتله قال: **«لا»** يعني: أظهر الإسلام وجب الكف عنه، فإن قتلته فهو بمنزلتك قبل أن تقتله؛ يعني: معصوم وأنت بمنزلته قبل أن يقول: ما قال؛ يعني: حلال الدم، وهذا يدل على وجوب الكف على من أظهر الإسلام وعدم قتاله ولو قاتل، إذا أظهر الإسلام وجب الكف عنه.

وهكذا حديث أسامة لما غزوا الحُرقة من جُهينة ولحق إنساناً منهم فقال: لا إلـٰه إلا الله، وكان معه شخص من الأنصار فكف الأنصاري

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي مالك عن أبيه في كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله برقم (٢٣).

عنه لما قال: لا إلـه إلا الله وأسامة قتله، فلما بلغ النبي ﷺ ذلك أنكر على أسامة **«أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»** قال: يا رسول الله إنما قالها تعوذاً قال: **«أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لَا»** كيف لك بلا إلـه إلا الله يوم القيامة.

المقصود: أن من أظهر الإسلام يكف عنه حتى ولو في حال القتال ولو بين الصفين، وهذا كله مما يدل على أنه ينبغي الترغيب في الإسلام وينبغي حث الناس على الإسلام، والكف عنهم إذا أظهروه ترغيباً لهم في الإسلام، ليس المقصود قتالهم، المقصود دعوتهم إلى الله، المقصود إخراجهم من الظلمات إلى النور، فإذا أظهروا الإسلام وجب الكف عنهم سواء كان قبل القتال أو في حال القتال، وإنما يكف عمَّن قال: لا إلـه إلا الله إذا كان لا يقولها قبل ذلك؛ كعُباد الأوثان في عهد النبي ﷺ لا يقولونها، إذا قالوها فهو علامة إسلامهم، أما كفار اليوم يقولونها وهم كفار وهم يعبدون غير الله، فلا يكف عنهم إلا إذا قالوا: تُبنا إلى الله من ذلك، أو رجعنا عما نحن عليه من تعلق بالقبور وعبادة الأوثان، حتى يصرحوا بشيء يدل على توبتهم مما هم فيه.

والخلاصة: أن الواجب الكف عمن أظهر الإسلام بأي لغة أظهرها بأي معنى أظهرها، إذا أظهرها بالمقابل أنه أظهر الإسلام بلغته أو بعلامة عرفها منه فإنه يكف عنه، فإن الناس يختلفون، ليس كلهم عرباً، قد يكون منهم أعاجم لا يعرفون أن يقولوا: لا إلـه إلا الله، ولكن متى أظهر الإسلام بطريقة عرفها منه فإنه يكف عنه، ثم ينظر في أمره فإن استقام على الإسلام فالحمد لله، وإن رجع إلى كفره صار مرتداً يُقتل لردته، **«من بدل دينه فاقتلوه»**[1] ثم أمر الناس على الظواهر في كل شيء في البيع والشراء والنكاح وغير هذا من شؤون الناس حتى يظهر خلاف ذلك، وإلا

---

(١) أخرجه البخاري من حديث علي ﷺ في كتاب الجهاد والسير، باب لا يعذب بعذاب الله برقم (٣٠١٧).

فيحمل على ما ظهر من إسلامه، في زواجه وفي معاملاته وفي إجابة دعوته إلى غير هذا من الشؤون، حتى يظهر منه ما يدل على كفره أو معصيته التي يستحق بها الهجر، أو ما أشبه ذلك.

وفَّق الله الجميع.

***

٣٩٣ ـ وعن أُسَامَةَ بْن زَيْدٍ ﷺ قال: «بَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الحُرَقَةِ فَصَبَّحْنَا القَوْمَ فَهَزَمْنَاهُمْ وَلَحِقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنْ الأَنْصَارِ رَجُلاً مِنْهُمْ فَلَمَّا غَشِينَاهُ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فَكَفَّ الأَنْصَارِيُّ فَطَعَنْتُهُ بِرُمْحِي حَتَّى قَتَلْتُهُ، فَلَمَّا قَدِمْنَا بَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا أُسَامَةُ أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟ قُلْتُ: كَانَ مُتَعَوِّذاً، فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ اليَوْمِ» متفقٌ عليه[١].

وفي رواية: فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: «قالَ: لا إلهَ إلَّا اللهُ وقَتَلْتَهُ؟!» قُلْتُ: يَا رَسُول الله، إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفاً مِن السِّلاحِ، قَالَ: «أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لا؟!» فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي أَسْلَمْتُ يَوْمَئِذٍ[٢].

□ (الحُرَقَةُ): بضم الحاءِ المهملة وفتح الراءِ: بَطْنٌ مِنْ جُهَيْنَةَ: القَبِيلَةُ المَعْرُوفَةُ، وقوله: (مُتَعَوِّذاً) أيْ: مُعْتَصِماً بِهَا مِنَ القَتْلِ لَا مُعْتَقِداً لَهَا.

٣٩٤ ـ وعن جندب بن عبد الله ﷺ: «أن رسول الله ﷺ بَعَثَ بَعْثاً مِنْ المُسْلِمِينَ إِلَى قَوْمٍ مِنْ المُشْرِكِينَ وَإِنَّهُمْ التَقَوْا فَكَانَ رَجُلٌ مِنْ المُشْرِكِينَ إِذَا شَاءَ أَنْ يَقْصِدَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ المُسْلِمِينَ قَصَدَ لَهُ فَقَتَلَهُ وَإِنَّ رَجُلاً مِنْ المُسْلِمِينَ قَصَدَ غَفْلَتَهُ، قَالَ: وَكُنَّا نُحَدَّثُ أَنَّهُ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ فَلَمَّا

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد برقم (٤٢٦٩)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إلـه إلا الله برقم (٩٦).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله برقم (٩٦).

رَفَعَ عَلَيْهِ السَّيْفَ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فَقَتَلَهُ فَجَاءَ البَشِيرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ حَتَّى أَخْبَرَهُ خَبَرَ الرَّجُلِ كَيْفَ صَنَعَ فَدَعَاهُ فَسَأَلَهُ فَقَالَ: «لِمَ قَتَلْتَهُ؟ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَوْجَعَ فِي المُسْلِمِينَ وَقَتَلَ فُلَاناً وَفُلَاناً، وَسَمَّى لَهُ نَفَراً، وَإِنِّي حَمَلْتُ عَلَيْهِ فَلَمَّا رَأَى السَّيْفَ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَقَتَلْتَهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ القِيَامَةِ؟، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ اسْتَغْفِرْ لِي، قَالَ: وَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ القِيَامَةِ، قَالَ: فَجَعَلَ لَا يَزِيدُهُ عَلَى أَنْ يَقُولَ: كَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ القِيَامَةِ» رواه مسلم(١).

٣٩٥ ـ وعن عبد الله بن عتبة بن مسعودٍ قال: «سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يقول: إِنَّ أُنَاساً كَانُوا يُؤْخَذُونَ بِالوَحْيِ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَإِنَّ الوَحْيَ قَدْ انْقَطَعَ، وَإِنَّمَا نَأْخُذُكُمْ الآنَ بِمَا ظَهَرَ لَنَا مِنْ أَعْمَالِكُمْ فَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا خَيْراً أَمِنَّاهُ وَقَرَّبْنَاهُ وَلَيْسَ إِلَيْنَا مِنْ سَرِيرَتِهِ شَيْءٌ اللهُ يُحَاسِبُهُ فِي سَرِيرَتِهِ، وَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا سُوءاً لَمْ نَأْمَنْهُ وَلَمْ نُصَدِّقْهُ وَإِنْ قَالَ: إِنَّ سَرِيرَتَهُ حَسَنَةٌ» رواه البخاري(٢).

الشَّرح

هذه الأحاديث الثلاثة كالتي قبلها في وجوب حمل الناس على ظواهرهم، وأخذهم بظواهرهم ومعاملتهم ديناً ودنيا على حسب ظواهرهم، أما السرائر فإلى الله هو الذي يعلم ما في القلوب ﷻ، من أظهر خيراً وجب أن يعامل معاملة أهل الخير، ومن أظهر شراً وجب أن يعامل بما يقتضيه ما أظهره من الشر، والسرائر إلى الله ﷻ، ولهذا جاء

---

(١) أخرجه في كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إلـه إلا الله برقم (٩٧).

(٢) أخرجه في كتاب الشهادات، باب الشُهداء العُدُول برقم (٢٦٤١).

في حديث أسامة وحديث جندب بن عبد الله البجلي؛ أن رجلاً لما غشى المسلمون بالسلاح، قال: لا إلـه إلا الله، فكف عنه بعضهم وقتله أسامة، فقال له النبي ﷺ لما سأل عن الواقع: «**أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**» قال: نعم لكن يا رسول الله إنما قالها تعوذاً خوفاً من السلاح، قال: هلَّا شققت عن قلبه حتى تعلم ذلك، ولم يزل يرددها عليه: كيف لك بلا إلـه إلا الله يوم القيامة إذا جاءت.

وتقدم حديث المقداد في الذي قطع يده، ثم قال: «**لا إلـه إلا الله**»، أو قال: «أسلمت لله»، فنهى النبي ﷺ عن قتله بعدما أسلم، فهذا يُبين لنا أن الإنسان الذي في صف المشركين إذا أظهر الإسلام بأي لغة أظهره وبأي كلام أظهر ذلك مما يعلمه الجنود المسلمون، فإنهم يكفون عنه، إذا أظهر الإسلام يكفون عنه ويمسكون عنه ويكون من المسلمين، فإن أظهر استقامة فالحمد لله، وإن بان منه بعد ذلك أنه قالها تعوذاً وارتد إلى دينه الباطل قُتِل، ويكون مرتداً، وهذا يعم جميع طوائف الكفار، فإذا كانوا لا ينطقون بلا إلـه إلا الله ويجحدونها إذا نطقها الواحد منهم حُكم بإسلامه، فإن ارتد عُومل معاملة المرتدين.

وهكذا إذا كان كفر بترك الصلاة إذا أدى الصلاة وتاب حُكم بإسلامه وكُف عن قتله، وإذا كان كفره بناقض آخر بأن استحل الخمر واستحل الزنى، ثم تاب، وقال: تُبت إلى الله من ذلك حُكم بإسلامه، وعُومل معاملة المسلمين في إقامة الحد الشرعي إلى غير ذلك.

فالمسلمون يحكمون مع المسلمين على الظواهر، والبواطن إلى الله ﷻ، والكافر على الظاهر والباطن إلى الله ﷻ، فالمسلم يعامل بظاهر إسلامه، والكافر يعامل بظاهر كفره، ولا يجوز أن تخالف الأحكام الإسلامية من أجل ظن السوء وأن هذا يظن به الشر، لا يكفي هذا إلا ببينة حتى يظهر منه ما يدل على خبثه وشره؛ ولهذا قال عمر ؓ

بعد وفاة النبي ﷺ: إن الوحي قد انقطع، وإن ما نأخذه الآن مما ظهر من أعمالهم؛ يعني: ولي الأمر يأخذ الناس بما ظهر من أعمالهم، فمن أظهر خيراً قربناه وأمناه وليس لنا من سريرته شيء، الله الذي يحاسبه في سريرته، ومن أظهر سوءاً لم نأمنه ولم نصدقه، وإن زعم أنه صالح السريرة، فهذا هو المعول على ما ظهر من العبد من خير وشر، ويجب أن يعامل على ما عُرف منه وثبت عليه والسرائر إلى الله تعالى.

وفَّق الله الجميع.





٥٠ - باب الخوف

قال الله تعالى: ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠] وقال تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج: ١٢] وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ [هود: ١٠٢ - ١٠٦] وقال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤ - ٣٧] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ١ - ٢] وقال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦] الآيات، وقال تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ [الطور: ٢٥ - ٢٨].

والآيات في هذا الباب كثيرة جداً والغرض الإشارة إلى بعضها وقد حصل.

وأما الأحاديث فكثيرةٌ جدّاً فنذكر منها طرفاً، وبالله التوفيق.

الشَّرح

فهذه الآيات الكريمات وما جاء في معناها كلها تدل على وجوب الخوف من الله، والخوف من عذابه وغضبه، ووجوب الاستعداد للقائه، وتذكر يوم القيامة وأهواله، حتى يعد العُدة لذلك اليوم العظيم، والله جلَّ وعلا كرر في كتابه الكريم الآيات التي توجب الخوف من الله والخوف من عقابه؛ ليستعد طالب النجاة، وليحذر من شهوات نفسه المحرمة، وما يزينه الشيطان من أسباب غضب الله؛ ولهذا قال ﷻ: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج: ١٢] يعني: أخذه وعقابه ﷻ، وقال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨].

وقال: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥] وقال: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾ [المائدة: ٤٤] وقال: ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠] وقال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢] ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ [التغابن: ٩]، ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤ ـ ٣٧] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣].

هذه الآيات وما جاء في معناها، كلها واضحة في وجوب الإعداد للقاء الله، ووجوب الحذر من بطشه وعقابه في هذه الدار؛ وذلك بترك المعاصي والحذر منها، والاستقامة على أمر الله، والتواصي بالحقِّ والتعاون على البر والتقوى، هذا هو طريق النجاة، هذا هو طريق السلامة، فالعبد لا يخشى الناس في ترك ما أوجب الله وفعل ما

حرم الله، بل يخشاه سبحانه غاية الخشية، ويخافه سبحانه غاية الخوف، ويحذر بطشه فيؤدي ما أوجبه الله عليه، ويدع ما حرَّم الله عليه، فالناس وعقابهم ينتهي، إنَّما المهم عقاب الله وبطشه ﷻ.

فالواجب تقديم حقّ الله، وعدم خشية الناس في الله، وعدم تقديم حقهم إذا خالف أمر الله، وعدم طاعتهم بمعاصي الله «**لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ** ﷻ» وبهذا يوفق العبد لأسباب النجاة وتحصل له العاقبة الحميدة بسبب عنايته بأمر الله سبحانه، وتقديم حقه ﷻ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملك: ١٢].

ثم في آية [لم يكن] يقول ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾ [البينة: ٧ ـ ٨] هذا الخير العظيم لمن خشي الله وراقب الله وعظَّم حرماته، ووقف عند حدوده هذا هو مصيره، مصيره الجنة والكرامة والسعادة والرضا من الله ﷻ، رزق الله الجميع ذلك.

***

٣٩٦ ـ عن ابن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: حدثنا رَسُول الله ﷺ وَهُوَ الصادق المصدوق: «إنَّ أحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ في بَطْنِ أُمِّهِ أربَعِينَ يَوماً نُطْفَةً، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذلِك، ثُمَّ يُرْسَلُ المَلَكُ، فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ وَأَجلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، فَوَالَّذِي لا إلهَ غَيْرُهُ إنَّ أحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أهْلِ الجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وبيْنَهَا إلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أهْلِ النَّارِ فَيدْخُلُهَا، وَإنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ

وَبَيْنَهَا إِلَّا ذراعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيهِ الكِتَابُ فَيعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ(١).

٣٩٧ ـ وعنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «يُؤتَى بِجَهَنَّم يَومَئذٍ لَهَا سَبْعُونَ ألفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبعُونَ ألْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا» رواه مسلم(٢).

٣٩٨ ـ عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعْتُ رَسُول الله ﷺ يقول: «إنَّ أهْوَنَ أهْلِ النَّارِ عَذَاباً يَوْمَ القِيَامَةِ لَرَجُلٌ يوضعُ في أخْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ، مَا يَرَى أنَّ أَحَداً أشَدُّ مِنْهُ عَذَاباً، وَأنَّهُ لأَهْوَنُهُمْ عَذَاباً» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ(٣).

الشَّرح

هذه الأحاديث الثلاثة كالتي قبلها في وجوب الخوف من الله عز وجل والخشية له، والخوف من عقابه وغضبه، وما أعده لأعدائه من العذاب والنكال، والواجب على المكلف أن يحذر أسباب الهلاك وأن يخاف ربه جلَّ وعلا ويخشاه ويمتثل أوامره، وينتهي عن نواهيه، ويقف عند حدوده، يرجو فضله وإحسانه وجوده وكرمه.

وبيَّن حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن خَلْق ابن آدم على أطوار، كما قال جلَّ وعلا: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: ١٤] هو طور نطفة، وطور علقة، وطور مضغة، ثم يكون إنساناً حياً سوياً، وفي الرحم يكون أول خلقه نطفة، وهي الماء الضعيف المهين الذي حصل من الرجل

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة برقم (٣٢٠٨)، ومسلم في كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه... برقم (٢٦٤٣).

(٢) أخرجه في كتاب الجنة، باب في شدة حرِ نار جهنم وبُعد قعرها وما تأخذ من المُعذبين برقم (٢٨٤٢).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار برقم (٦٥٦١)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب أهون أهل النار برقم (٢١٣).

والمرأة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ٢] فهو ماء مختلط، ثم بعد الأربعين تكون هذه النطفة علقة، قطعة من الدم في الرحم تنمو، كما يشاء الله ﷻ، حتى تكون في الأربعين الثالثة مضغة، قطعة من اللحم كما ينظر الناظر، ثم هذه المضغة تتطور وتنمو ويُخلق منها الإنسان عظاماً ولحماً وسمعاً وبصراً وعروقاً وغير ذلك، ثم بعد كمال المائة والعشرين يوماً يرسل الله له الملك، فينفخ فيه الروح، ويكتب رزقه وأجله، وعمله وشقاوته وسعادته، ثم يطوى ذلك الكتاب حتى يصير إلى ما صار إليه هذا الإنسان.

وقد سبق في علم الله كل ما يكون من هذا الإنسان، فإن الله قد قدر مقادير الخلائق جميعاً قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وهذا الخلق الذي يكون في بطن أم الإنسان، وهذا التقدير تفصيل مما سبق، وهكذا ما يكون من التقدير في ليلة القدر هو تفصيل مما سبق، وهكذا ما يكون في كل يوم، وكل يوم هو في شأن ﷻ، كلها تفاصيل مما سبق في علم الله من تقدير أمور الناس وأرزاقهم وآجالهم وأعمالهم وشقاوتهم وسعادتهم وغير ذلك من شؤونهم.

حتى **«وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ»** وفي الرواية الأخرى **«فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ»** **«حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ»** يعني: إلا مدة يسيرة ومسافة قصيرة **«فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا»** والعكس كذلك **«وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّار حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ»** يعني: إلا مدة يسيرة **«فَيَسْبِقُ عَلَيهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجنَّة فَيدْخُلُهَا»**.

فالحاصل: أن العبد على حسب ما سبق في علم الله له، وقد يعمل

دهراً طويلاً ومدة طويلة، وعشرات السنين بعمل أهل الجنة، ثم يسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار من المعاصي والكفر فيصير إلى النار، ـ أعوذ بالله ـ، والعكس كذلك قد يعمل بعمل أهل النار المدة الطويلة ثم يسبق عليه الكتاب فيهديه الله ويسلم فيدخل الجنة، وكم من إنسان أسلم قبل موته بلحظات وصار من أهل الجنة بعد الكفر العظيم في سنواته الكثيرة، فالمؤمن العاقل يفهم هذا الشيء ويعد له عدته ويسأل ربه دائماً أن يحسن له الختام، وأن يكفيه شر نفسه وهواه.

كان السلف رضي الله عنهم يهتمون بالسابقة واللاحقة، ما سبق لهم وما يختم لهم، ويسألون ربهم جلَّ وعلا أن يحسن لهم الختام وأن يعيذهم من سوء الخاتمة، هكذا ينبغي للمؤمن أن يكون حريصاً على الضراعة إلى الله وخوفه وخشيته رجاء فضله وإحسانه أن يحسن له الختام، يقول عليه الصلاة والسلام «**الجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ، وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ**»[1] معناه: أنه يموت على هذا فيدخل الجنة، وعلى هذا ويدخل النار، خروج الروح التي قد تخرج في لحظة وهو على عمل سيئ فيموت ويدخل النار، وقد تخرج على توبة واستقامة فيدخل الجنة، فالجنة قريبة والنار قريبة على حسب ما يختم لهم، فإن ختم له بالتوبة والاستقامة صار من أهل الجنة، وإن ختم له بالفساد والكفر والضلالة صار من أهل النار، نعوذ بالله من ذلك، وهذا لا شك يوجب الخوف ويوجب الحذر، فإن العبد دائماً يخشى ربه ويحذر أسباب نقمته ويلزم الحق ويستقيم عليه ويسأل ربه الثبات عليه حتى يلقى ربه جل وعلا، هذا من الأسباب التي سبق بها علم الله وقدره جل وعلا.

وهكذا الحديث عن رسول الله ﷺ: «**يُؤتَى بِجَهَنَّمَ يَومَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ**

(١) أخرجه البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه في كتاب الرقاق، باب الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله والجنة مثل ذلك برقم (٦٤٨٨).

أَلفَ زِمَام، مَعَ كُلِّ زِمَام سَبعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا» يبرزونها يوم القيامة، كما قالَ تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ [الشعراء: ٩١] ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾ [النازعات: ٣٦] تبرز يوم القيامة ليراها الناس على عظمتها وسعتها، وما فيها من الأهوال بيد هذا الجمع العظيم من الملائكة «كُلِّ زِمَام» بيد «سَبعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ» ولَهَا سَبْعُونَ ألفَ زِمَامٍ فكم يحصيهم هذا العدد الكبير الضخم الذي يوكل بإبراز هذه النار للناس؛ ليعرفوا خطرها وعظمتها، وسوء حالها، وما فيها من الأغلال والبلاء والشر العظيم لأهلها، نسأل الله العافية.

وفي حديث النعمان بن بشير ﷺ يقول ﷺ: «إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً يَوْمَ القِيَامَةِ لَرَجُلٌ يوضعُ في أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ، مَا يَرَى أَنَّ أَحَداً أَشَدُّ مِنْهُ عَذَاباً، وَإِنَّهُ لأَهْوَنُهُمْ عَذَاباً».

وفي اللفظ الآخر «إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً مَنْ لَهُ نَعْلَانِ وَشِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ».

منهم: أبو طالب يغلي منه دماغه، فكيف بحال من تغشاه النار يميناً وشمالاً وفوقاً وتحت، كيف بحال هؤلاء الذين لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش، فلحافهم من النار وفراشهم من النار، وعن يمينهم النار، وعن شمالهم النار، وهم فيها مغموسون قد أُصلوها، وصارت فوقهم وتحتهم، وعن أيمانهم وعن شمائلهم، والله كتب عليهم ألّا يموتوا بل في عذاب أبداً، نسأل الله العافية، كما قال ﷻ: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٣٦] وقال سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [طه: ٧٤] نسأل الله العافية، هذه حال الكفرة، لا موت يريحهم ولا حياة سليمة، نسأل الله العافية بسبب ما قدموا في الدنيا من أعمال السوء والكفر والضلال، نسأل الله

العافية هذا يوجب للعبد الحذر من شر نفسه وهواها وشيطانه وهواه، لعله ينجو برحمة ربه وفضله وإحسانه سبحانه.

وفَّق الله الجميع.

***

٣٩٩ ـ وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه؛ أَنَّ نَبِيَّ الله ﷺ، قَالَ: «مِنْهُمْ مَنْ تَأخُذُهُ النَّارُ إِلَى كَعْبَيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأخُذُهُ إِلَى رُكْبَتَيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأخُذُهُ إِلَى حُجزَتِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأخُذُهُ إِلَى تَرْقُوَتِهِ» رواه مسلم(١).

▫ (الحُجزَةُ): مَعْقِدُ الإزار تَحْتَ السُّرَّةِ، وَ(التَّرْقُوَةُ): بفتح التاءِ وضم القاف: هي العَظمُ الَّذِي عِنْدَ ثُغْرَةِ النَّحْرِ، وَلِلإنْسَانِ تَرْقُوتَانِ في جَانبَي النَّحْرِ.

٤٠٠ ـ وعن ابن عمر رضي الله عنهما؛ أَنَّ رَسُول الله ﷺ، قَالَ: «يَقُومُ النَّاس لِرَبِّ العَالَمينَ حَتَّى يَغِيبَ أحَدُهُمْ في رَشْحِهِ إِلَى أنْصَافِ أُذُنَيهِ» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ(٢).

▫ وَ(الرَّشْحُ): العَرَقُ.

٤٠١ ـ وعن أنس رضي الله عنه، قَالَ: خطبنا رَسُول الله ﷺ خطبة مَا سَمِعْتُ مِثلها قطّ، فَقَالَ: «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أعْلَمُ، لَضحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيتُمْ كَثِيراً» فَغَطَّى أصْحَابُ رَسُول الله ﷺ وَجُوهَهُمْ، وَلَهُمْ خَنِينٌ. مُتَّفَقٌ عَلَيهِ(٣).

📖 وفي رواية: بَلَغَ رَسُول الله ﷺ عَنْ أَصْحَابِهِ شَيْءٌ فَخَطَبَ،

---

(١) أخرجه في كتاب الجنة، باب في شدة حرّ نار جهنم وبُعد قعرها وما تأخذ من المُعذبين برقم (٢٨٤٥).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ٦]، برقم (٤٩٣٨) وفي الرقاق برقم (٦٥٣١)، ومسلم في كتاب الجنة، باب في صفة يوم القيامة أعاننا الله على أهوالها برقم (٢٨٦٢).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١] برقم (٤٦٢١)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه... برقم (٢٣٥٩).

فَقَالَ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَلَمْ أرَ كَاليَوم في الخَيرِ وَالشَّرِّ، وَلَوْ تَعْلَمونَ مَا أعلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً» فَمَا أتى عَلَى أصْحَابِ رَسُول الله ﷺ يَوْمٌ أشَدُّ مِنْهُ، غَطَّوْا رُؤُسَهُمْ وَلَهُمْ خَنِينٌ.

▫ (الخَنِينُ): بالخاءِ المعجمة: هُوَ البُكَاءُ مَعَ غُنَّة وانتِشَاقِ الصَّوْتِ مِنَ الأنْفِ.

الشَّـَرح

هذه الأحاديث الثلاثة كالتي قبلها في الدلالة على أنه يجب على المؤمن أن يخاف الله ﷻ، وأن يراقبه وأن يتذكر المواقف العظيمة يوم القيامة التي يشيب من هولها الوليد، ويجب على المؤمن أن يكون له عناية بهذه الأمور حتى يعظم خوفه من الله، وحتى يُعد العدة للقاء الله، وحتى يبتعد عن الغفلة؛ فالإنسان متى غفل عن الله وعن الآخرة استولت على قلبه الشهوات، واستحوذ عليه الشيطان وزين له أعمال السوء وثبطه عن الخير، ومتى تذكر وحاسب نفسه وجاهدها في الله كان ذلك أقرب إلى سلامة نفسه من شر نفسه وهواه وشيطانه، ومن ذلك هذه الأحاديث التي تُذكِّر بيوم القيامة وأهوال يوم القيامة.

الحديث الأول: أن العصاة الذين يدخلون النار يوم القيامة، منهم من تأخذه النار إلى كعبه، ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه النار إلى حجزته، ومنهم من تأخذه النار إلى ترقوته، على حسب أعمالهم الخبيثة، أما الكفار فهي تغشاهم من فوقهم ومن أسفل منهم فلهم لحف من النار، وبُسط من النار فهم في النار يتقلبون فوقاً وتحت ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى﴾ يدخلها مكبل من جميع الوجوه ﴿إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴾ ﴿ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [الليل: ١٥ ـ ١٦] الأشقى الذي كفر بالله وتولى عن دينه تصلاه النار من جميع الجوانب، من تحته ومن فوقه وعن يمينه وعن شماله.

أما العصاة: فهم درجات إذا دخلوها فهم طبقات على حسب معاصيهم، منهم من تأخذه إلى كعبه يخوضها خوضاً، كما تقدم في حديث النعمان؛ أن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة من يوضع على قدميه جمرتان من نار يغلي منهما دماغه[١]، فهو يرى أنه أشد الناس عذاباً وهو أهونهم عذاباً، وفي اللفظ الآخر: «إن أهون أهل النار عذاباً أبو طالب، وإنه لفي ضحضاح من النار يغلي منه دماغه.

وهكذا **الحديث الثاني**: أن الناس يوم القيامة يعظم عليهم الكرب ويشتد بهم الكرب حتى يُلجمهم العرق من شدة الأمر، وحتى يغيب عرقه في الأرض سبعين ذراعاً من شدة الأهوال والكروب، ومنهم من يصل العرق إلى كعبه، إلى ركبته، إلى حجزته، ومنهم من يلجمهم إلجاماً إلى أنصاف أذنيه يخوضه خوضاً، ـ نعوذ بالله من ذلك ـ من شدة الأهوال والكروب، ولكنه يُيسر على المؤمن الذي اتقى الله، وهو يوم عسير لكنه على الكافرين، أما على المؤمن مُيسرٌ الذي اتقى الله وعظم حرماته واستقام على أمره فالله يُيسرُ عليه هذه الكربات ولا تضره هذه الكربات وهذه الأهوال؛ لأنه أعد لها العُدة من طاعة الله في حياته واستقام على أمره فوقاه الله شرَّ ذلك اليوم، كما قال ﷻ عن المؤمنين: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٠ ـ ١٢] من اتقى ذلك اليوم وأهوال هذا اليوم في هذه الدنيا بطاعة الله والقيام بأمره وقاه الله شرَّ ذلك اليوم، شر العذاب بالعرق وهو نوع من العذاب ليغشى الناس يوم القيامة من شدة الأهوال.

وفي **الحديث الثالث**: يقول ﷺ: **«عُرِضَتْ عَلَيَّ الجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَلَمْ أَرَ كَاليَومِ في الخَيرِ وَالشَّرِّ، وَلَوْ تَعْلَمونَ مَا أعلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ**

---

(١) سبق تخريجه برقم (٣٩٨).

كَثِيراً» فاشتد بهم البكاء ﷺ وغطوا رؤوسهم ولهم خنين بالبكاء من شدة ما سمعوا من وعظه وتذكيره بيوم القيامة، وأهواله وما فيه من الكروب العظيمة، إلا لمن يسر الله عليه ذلك لإيمانه وتقواه.

رزق الله الجميع الإعداد والاستقامة والأُهبة لهذا اليوم العظيم، وأعاذنا وإياكم من شر نفوسنا وسيئات أعمالنا، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

❋ ❋ ❋

٤٠٢ ـ وعن المقداد ﷺ، قَالَ: سمِعْتُ رَسُول الله ﷺ يقول: «تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنَ الخَلْقِ حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ» قَالَ سُلَيْم بنُ عامِر الراوي عن المقداد: فَوَاللهِ مَا أدْرِي مَا يعني بالمِيلِ، أمَسَافَةَ الأرضِ أَمِ المِيلَ الَّذِي تُكْتَحَلُ بِهِ العَيْنُ؟ قَالَ: «فَيكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أعْمَالِهِمْ في العَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ، ومنهم من يكون إِلَى ركبتيه، ومنهم مَنْ يَكُونُ إِلَى حِقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ العَرَقُ إلْجَاماً». قَالَ: وَأشَارَ رَسُول الله ﷺ بيدهِ إِلَى فِيهِ. رواه مسلم[1].

٤٠٣ ـ وعن أبي هريرة ﷺ؛ أن رَسُول الله ﷺ، قَالَ: «يَعْرَقُ النَّاسُ يَومَ القِيَامَةِ حَتَّى يَذْهَبَ عَرَقُهُمْ في الأرضِ سَبْعِينَ ذِراعاً، وَيُلْجِمُهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ آذَانَهُمْ» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[2].

□ ومعنى (يَذْهَبُ في الأرضِ): ينزل ويغوص.

---

(١) أخرجه في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في صفة يوم القيامة أعاننا الله على أهوالها برقم (٢٨٦٤).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب قول الله تعالى: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ﴾ [المطففين: ٤] برقم (٦٥٣٢)، ومسلم في كتاب الجنة، باب في صفة يوم القيامة أعاننا الله على أهوالها برقم (٢٨٦٣).

٤٠٤ ـ **وعنه**، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُول الله ﷺ إذْ سمع وجبة، فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَا هَذَا؟» قُلْنَا: الله وَرَسُولُهُ أعْلَمُ. قَالَ: «هذا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ في النَّارِ مُنْذُ سَبْعينَ خَرِيفاً، فَهُوَ يَهْوِي في النَّارِ الآنَ حَتَّى انْتَهى إِلَى قَعْرِها فَسَمِعْتُمْ وَجْبَتَهَا» رواه مسلم[(١)].

الشَّرْح

هذه الأحاديث الثلاثة كالتي قبلها فيما يتعلق بالخوف من الله، والإعداد ليوم القيامة والحذر من شر ذلك اليوم، وأنه يوم عظيم شديد الأهوال، لكنه مُيسرٌ على أهل الإيمان والهدى، كما قال جلَّ وعلا عن الأبرار: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝١٠ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسان: ١٠ ـ ١١] فهو يوم عسير على الكافرين، يسير على أهل الإيمان، وفي هذا اليوم يعرق الناس ويشتد بهم الرشح حتى يبلغ كعوبهم وركبهم وتراقيهم، إلى أن يُلجمهم وهو على حسب أعمالهم، فمن كان من أهل الاستقامة كفاه الله شرَّ ذلك، ومن كان عنده شيء من المعاصي فعلى قدره، إلى كعبه إلى ركبته إلى حقوه إلى ترقوته، ومنهم من يلجمه إلجاماً.

كما دلَّ عليه هذا الحديث، حديث المقداد، وحديث أبي هريرة، وفيها أنها تدنو الشمس من الناس قريبة قدر ميل؛ يعني: مسافة معروفة من الأرض، وهو يدل على أن الشمس تدنو منهم حتى يسحرهم الحر ويشتد بهم الحر، إلا من وقاه الله شرَّ ذلك بأعماله الصالحة وتقواه لله وقيامه بحقه، فإنه لا يضره ذلك اليوم، فهو عسير على الكافرين يسير على أهل الإيمان، لكن ينبغي للعاقل أن يخاف شر ذلك اليوم كما خافه

(١) أخرجه في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في شدة حرِ نار جهنم وبُعد قعرها وما تأخذ من المُعذبين برقم (٢٨٤٤).

الأبرار، وأن يُعد له العُدة بتقوى الله وطاعته ﷻ، وفي ذلك اليوم يشتد العرق حتى يذهب في الأرض سبعين ذراعاً من كثرته كالسيل العظيم، وهذا يدل على أن الناس يُصَابُون بكرب عظيم وشدة عظيمة، حتى يصل هذا العرق الذي بيَّنه النبي عليه الصلاة والسلام، فينبغي للعاقل أن يحذر شر ذلك اليوم، وأن يعد له العدة الصالحة من الإيمان والتقوى والاستقامة على أمر الله، لعله ينجو لعله يسلم، فإن الأعمال الصالحات جعلها الله جلَّ وعلا أسباباً للنجاة والسعادة، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ﴾ [لقمان: ٨] ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الحجر: ٤٥] ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [القلم: ٣٤] والله وعدهم بهذا الثواب العظيم؛ لتقواهم وقيامهم بحق الله ﷻ، بخلاف من حاد عن السبيل واتبع الهوى فهو على خطر عظيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

كذلك حديث الحجر؛ فيه أن النبي ﷺ سمع وجبة وهو بين أصحابه ذات يوم وسمعها أصحابه وسألهم عنها وأخبرهم، أن هذه الوجبة صوت حجر وصل إلى قعر جهنم هوى به من شفيرها ومكث في هويه سبعين خريفاً ثم بلغ القاع، وهذا يدل على عمقها العظيم، وأنها عميقة جداً، وأن عمقها من أعلاها إلى أسفلها مسيرة سبعين خريفاً؛ أي: سبعين عاماً، وهذا يدل على العمق العظيم، ومع ذلك تمتلئ بأهلها يوم القيامة، نسأل الله العافية والسلامة، وقودها الناس والحجارة بعد ما يضع الجبار فيها رجله فينزوي بعضها إلى بعض، وهي تقول: هل من مزيد، هل من مزيد، حتى يضع فيها قدمه ﷻ. قد وعد كل واحدة ملئها، وعد الجنة ملئها، ووعد النار ملئها، فالجنة يُنشئُ لها أقواماً ويدخلهم الجنة فضلاً منه وإحساناً، والنار يضع الجبار قدمه فينزوي بعضها إلى بعض، وتقول: قط قط؛ يعني: قد امتلأت.

فالحاصل أن الله جلَّ وعلا أعد لجهنم أهلاً قصروا في أمر الله وتابعوا الهوى والشيطان وصاروا من أهلها، وهذه عمقها بيَّنه عليه

الصلاة والسلام، وتقدم قوله ﷺ: «**يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا**» لإبرازها للناس، كما قال تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾ [النازعات: ٣٦] يوم القيامة، وقال: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ [الشعراء: ٩١] أي: تُبرز حتى يراها الناس ويُروا خطرها وعظمها وما فيها من البلاء نسأل الله العافية، ليعلم المؤمن ما هو فيه من الخير العظيم، وما هو فيه من السعادة فيزداد شكره لله وحمده لله، على ما أعطاه من السلامة والعافية من هذه النار، نسأل الله العافية من شرها، وفَّق الله الجميع.

❊ ❊ ❊

٤٠٥ ـ وعن عدي بن حاتم ؓ، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[١].

٤٠٦ ـ وعن أَبي ذر ؓ، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «إنِّي أَرَى مَا لا تَرَوْنَ، أطَّتِ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أنْ تَئِطَّ، مَا فِيهَا مَوضِعُ أَرْبَع أَصَابعَ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِداً للهِ تَعَالَى، والله لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ، لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بالنِّساءِ عَلَى الفُرُشِ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَى اللهِ تَعَالَى» رواه الترمذي[٢] وَقالَ: حديث حسن.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب كلام الرب ﷻ يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم برقم (٧٥١٢)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو بكلمة طيبة برقم (١٠١٦).

(٢) أخرجه في كتاب الزهد، باب قول النبي ﷺ: «**لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً**» برقم (٢٣١٢)، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب الحزن والبكاء برقم (٤١٩٠).

▫ وَ(أطَّت): بفتح الهمزة وتشديد الطاءِ و(تئط): بفتح التاءِ وبعدها همزة مكسورة، وَالأطيط: صوتُ الرَّحْلِ وَالقَتَبِ وَشِبْهِهِمَا، ومعناه: أنَّ كَثرَةَ مَنْ في السَّماءِ مِنَ المَلائِكَةِ العَابِدِينَ قَدْ أثْقَلَتْهَا حَتَّى أطَّتْ. وَ(الصُعُدات): بضم الصاد والعين: الطُرُقات: ومعنى: (تَجأرُون): تَستَغيثُونَ.

٤٠٧ ـ وعن أَبي برزة ـ براء ثُمَّ زاي ـ نَضْلَة بن عبيد الأسلمي ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَومَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أفناهُ؟ وَعَنْ عِلمِهِ فِيمَ فَعَلَ فِيهِ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وَفيمَ أنْفَقَهُ؟ وَعَنْ جِسمِهِ فِيمَ أبلاهُ؟» رواه الترمذي[1]، وَقالَ: حديث حسن صحيح.

الشَّـرح

هذه الأحاديث الثلاثة كالتي قبلها فيها: الحث على العناية بالإعداد للآخرة والتأهب للقاء الله والخوف من أسباب الهلاك يوم القيامة؛ لأن النار لا بد من لقائها لمن لم يستعد بالعدة الصالحة، فينبغي للمؤمن أن يُعد العدة الصالحة لعله يسلم من شرها ووبالها، كما أنه يسلم من غضب الله وعقابه ﷻ إذا قدم صالحاً واستقام على دين الله ولزم التوبة حتى يلقى ربه ﷻ؛ فالأمر عظيم والخطر جسيم، فإن النار قد أُعدت لأعداء الله وأُعدت لأهل المعاصي إلا من رحم الله، وأول منزل ينزله العبد القبر هو: إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار، فليتق الله وليعد العُدة التي يرجو من ورائها أن يرحمه مولاه، وأن يقيه شر هذه النار، وشرَّ مقدماتها في القبر.

من ذلك ما ذكره النبي عليه الصلاة والسلام في هذه الأحاديث الصحيحة، ومنها: حديث عدي بن حاتم الطائي ﷺ يقول: قال رسول الله ﷺ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ**» الناس يوم القيامة

---

(١) أخرجه في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب في القيامة برقم (٢٤١٧).

يكلمهم الله صالحهم وطالحهم «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ» ليس بينهم واسطة «فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ» فمن لم يجد فبكلمة طيبة، هذا يبين لنا أن الصدقة لها شأن عظيم في السلامة من عذاب الله، والوقاية من عذاب الله، فينبغي للمؤمن أن يقدم أعمالاً صالحة ومن جملتها: الصدقة على الفقراء والمحاويج، والإنفاق في وجوه البر وأعمال الخير، فإنها تكون وقاية له يوم القيامة.

وفي الحديث الآخر يقول عليه الصلاة والسلام: «كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّى يُفْصَلَ بَيْنَ النَّاسِ»[1].

والصدقات والإحسان من أسباب وقاية حر الشمس يوم القيامة، ومن أسباب الوقاية من عذاب الله يوم القيامة، والمال ذاهب ولا بد، فإما أن يذهب في الخير وإما أن يذهب في الشر، فينبغي أن تحرص أن يذهب في الخير، وأن ينفق في الخير ينفعك في الدنيا والآخرة.

وفي حديث أبي ذر يقول عليه الصلاة والسلام «أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ» أي: تحركت من ثقل ما عليها من الملائكة «أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ، مَا فِيهَا مَوضِعُ أَرْبَع أَصَابعَ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِداً للهِ تَعَالَى» وفي اللفظ الآخر «إلا وَفِيهِ مَلَكٌ قَائِمٌ أَوْ مَلَكٌ رَاكِعٌ أَوْ مَلَكٌ سَاجِدٌ» يعبد ربه ﷻ في هذه السماء الواسعة الأرجاء، وقال: «والله لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ» أي: ما عند الله من العقوبة لمن عصاه وخالف أمره «لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُم كَثِيراً، وَمَا تَلَذَّذْتُم بالنِّساءِ عَلَى الفُرُشِ، وَلَخَرَجْتُمْ

(١) أخرجه الإمام أحمد من حديث عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ ﷺ (٤/ ١٤٧).

إِلَى الصُّعُدَاتِ» يعني: الطرقات **«تَجْأَرُونَ إِلَى اللهِ تَعَالَى»** أي: تضرعون إليه بالدعاء أن الله يقيكم شر ما أنذركم من العذاب.

والمقصود من هذا: أن هناك أهوالاً عظيمة لو يعلمها العاقل ما تهنأ بعيش ولا بأهل ولا بغيره من شدة الأهوال التي تكون يوم القيامة لا تخطر بالبال، وقد بيَّن النبي ﷺ الكثير منها عليه الصلاة والسلام؛ ليعد المؤمن العدة الصالحة وليحذر أن يلقى ربه وهو مفلس من الأعمال الصالحة، والله جلَّ وعلا جعل الأعمال سبباً للخير وجعلها سبباً للسلامة، قال تعالى: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢] ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف: ٧٢] فالأعمال جعلها الله سبباً للخير، سبباً للسلامة من عذاب الله، فينبغي للمؤمن أن يقدم أعمالاً صالحة وأن يجتهد في ذلك لعله ينجو لعله يسلم من عذاب الله ﷻ.

والله ﷻ بعث الرسل وأنزل الكتب لبيان حقه وبيان أسباب النجاة وبيان أسباب الهلاك، فليحذر المؤمن أن يتساهل بأسباب النجاة أو بأسباب الهلاك؛ بل يحرص على أن يأخذ بأسباب النجاة ويبتعد عن أسباب الهلاك، والتوفيق بيد الله، يضرع إلى الله ويسأله التوفيق ويحتمي به ﷻ وهو الذي يقول جلَّ وعلا: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

كذلك حديث أبي برزة، يقول ﷺ: **«لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَومَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أفناهُ؟ وَعَنْ عِلمِهِ فِيمَ فَعَلَ فِيهِ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وَفيمَ أنْفَقَهُ؟ وَعَنْ جِسمِهِ فِيمَ أبلاهُ؟»** فأنت مسوؤل عن هذه الأمور فعليك أن تُعِدَّ جواباً، هذا الجسم وهذا الشباب فيما أفنيته وفيما أبليته هل في طاعة الله؟ أو في معاصي الله؟ وهذا العلم الذي أعطاك الله قليلاً أو كثيراً ماذا عملت فيه؟ هل عملت به في طاعة الله؟ هل تركت به محارم الله؟ أو خالفت ونبذته وراء الظهر ولم تبال بما علمك الله ﷻ؟

وهذا المال الذي أعطاك الله من أين جاء؟ هل هو بالطرق المحرمة فبادر بالتوبة والإصلاح، ثم فيما أنفقته، هل أنفقته في الخير أو في الشر؟ فأنت مسؤول عن مدخله وعن مخرجه فلتستعد للجواب الصالح الذي ينفعك عند الله ويخلصك عند الله، ولا سبيل إلى ذلك إلا بتحري الكسب الحلال والصرف الطيب في وجوه الخير، هذا هو الطريق أن تحرص على كسب الحلال من وجوهه التي أباحها الله، وأن تجتهد في صرف هذا المال في الوجوه التي شرعها الله وأباحها ﷻ.

❋ ❋ ❋

٤٠٨ ـ **وعن** أبي هريرة ﷺ، قَالَ: قرأ رَسُول الله ﷺ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة: ٤] ثُمَّ قَالَ: «أتَدْرونَ مَا أخْبارهَا»؟ قالوا: الله وَرَسُولُهُ أعْلَمُ. قَالَ: «فإنَّ أخْبَارَهَا أنْ تَشْهَدَ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ أَوْ أَمَةٍ بما عَمِلَ عَلَى ظَهْرِهَا، تَقُولُ: عَمِلْتَ كَذَا وكَذَا في يَومِ كَذَا وكَذَا فهذِهِ أخْبَارُهَا» رواه الترمذي(١) وَقالَ: حديث حسن.

٤٠٩ ـ **وعن** أبي سعيد الخدري ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «كَيْفَ أنْعَمُ! وَصَاحِبُ القَرْنِ قَدِ التَقَمَ القَرْنَ، وَاسْتَمَعَ الإذْنَ مَتَى يُؤمَرُ بالنَّفْخِ فَيَنْفُخُ» فَكَأنَّ ذلِكَ ثَقُلَ عَلَى أصْحَابِ رسولِ الله ﷺ فَقَالَ لَهُمْ: «قُولُوا: حَسْبُنَا الله وَنِعْمَ الوَكِيلُ» رواه الترمذي(٢) وَقالَ: حديث حسنٌ.

▫ (القَرْنُ): هُوَ الصُّورُ الَّذِي قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ [الكهف: ٩٩]: كذا فسَّره رَسُول الله ﷺ.

---

(١) أخرجه في كتاب التفسير عن رسول الله ﷺ، باب ومن سورة ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [الزلزلة: ١] برقم (٣٣٥٣).

(٢) أخرجه في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في شأن الصور برقم (٢٤٣١).

٤١٠ ـ **وعن** أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «مَنْ خَافَ أدْلَجَ، وَمَنْ أدْلَجَ بَلَغَ المَنْزِلَ. ألا إنَّ سِلْعَةَ اللهِ غَالِيَةٌ، ألَا إنَّ سِلْعَةَ الله الجَنَّةُ» رواه الترمذي[١] وَقالَ: حديث حسن.

□ وَ(أدْلَجَ): بإسكان الدال؛ ومعناه: سار من أول الليلِ، والمراد: التشمير في الطاعة، والله أعلم.

٤١١ ـ **وعن** عائشة رضي الله عنها، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُول الله ﷺ، يقول: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً» قُلْتُ: يَا رَسُول الله، الرِّجَالُ وَالنِّساءُ جَمِيعاً يَنْظُرُ بَعضُهُمْ إِلَى بَعْض؟! قَالَ: «يَا عائِشَةُ، الأمرُ أشَدُّ مِنْ أنْ يُهِمَّهُمْ ذلِكَ».

📖 وفي رواية: «الأَمْرُ أهمُّ مِنْ أنْ يَنْظُرَ بَعضُهُمْ إِلَى بَعض» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[٢].

□ (غُرلاً): بِضَمِّ الغَينِ المعجمة؛ أيْ: غَيرَ مَختُونينَ.

الشَّرح

هذه الأحاديث الأربعة كلها تتعلق بما يوجب الخوف من الله والخوف من لقائه والخوف من عذاب الله يوم القيامة والإعداد ليوم القيامة، وتقدم في الأحاديث والآيات ما يدل على وجوب الخوف من الله، وتعظيم حرماته والإعداد للقائه والحذر من أعمال توجب النار وتوجب غضب الجبار عز وجل، ومن ذلك هذا الخبر في تفسير قوله جلَّ وعلا: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة: ٤، ٥] يقول

---

(١) أخرجه في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب منه برقم (٢٤٥٠).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب كيف الحشر برقم (٦٥٢٧)، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة برقم (٢٨٥٩).

لهم عليه الصلاة والسلام: «**أتدرون ما أخبارها؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**أخبارها أن تشهد على**» من عمل عليها بخير وشر «**تقول:**» عمل كذا وعمل كذا، فهذه يوجب الحذر، وأن المؤمن يبتعد عما حرَّم الله ﷻ، وليحرص أن يعمل بطاعة الله حتى تشهد له هذه البقاع التي مرَّ عليها وسكنها ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [الزلزلة: ٤ ـ ٦] يعني: يوم القيامة؛ الحاصل: أن هذا اليوم يوم العمل؛ يعني: الدار دار العمل وهذه البقاع هي محل العمل، فينبغي للمؤمن أينما كان أن يحفظ نفسه من معاصِ الله، وأن يجاهد نفسه بطاعة الله، حتى تشهد عليه بقاعه وأرضه بطاعة الله ﷻ.

وهكذا **الحديث الثاني**: يقول عليه الصلاة والسلام: «**كَيْفَ أَنْعَمُ! وَصَاحِبُ القَرْنِ قَدِ التَقَمَ القَرْنَ وَحَنَى جَبْهَتَهُ وَأَصْغَى سَمْعَهُ يَنْتَظِرُ أَنْ يُؤْمَرَ أَنْ يَنْفُخَ فَيَنْفُخَ**» يعني: إسرافيل عليه الصلاة والسلام، والمراد به: الصور الذي جعله الله محلاً للنفخ يوم القيامة، ينفخ فيه نفخة الفزع والصعق فيموت الناس، ثم ينفخ النفخة الأُخرى نفخة البعث والنشور هذا يوم عظيم، ينبغي للعاقل أن يتذكره كثيراً، وأن يعُد له وأن يخاف العاقبة في هذا اليوم عاقبة السوء.

وقالوا: ماذا نقول يا رسول الله؟ (**فَقَالَ لَهُمْ**: «**قُولُوا: حَسْبُنَا الله وَنِعْمَ الوَكِيلُ**») يعني: كافينا الله ونعم الوكيل، لمن استقام على طاعته وتوكل عليه، وحفظ حدوده، ووقف عند أوامره ونواهيه، فإنه على خير عظيم والله يكفيه جميع ما يهمه، والحاصل: أنها أمور عظيمة ينبغي للعبد الإعداد لها، والتأهب للقاء الله لعله ينجو، لعله يسلم من ذلك اليوم الطويل العظيم.

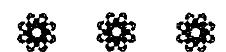
وهكذا حديث عائشة رضي الله عنها **(قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُول الله ﷺ، يقول: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً»)**؛ يعني: في يوم القيامة، فقالت عائشة: النساء والرجال ينظرون بعضهم إلى بعض، قال لها عليه الصلاة والسلام: «**يَا عائِشَةُ، الأمرُ أشَدُّ مِنْ ذلك**» وفي اللفظ الآخر «**يَا عائِشَةُ، الأمرُ أشَدُّ مِنْ أنْ يُهِمَّهُمْ ذلِكَ**» يعني: الأهوال عظيمة تشغلهم أن ينظر بعضهم إلى بعض، فينبغي للمؤمن أن يعد العُدة لهذا اليوم، وأن يحذر التساهل بأمر الله فيندم غاية الندامة.

كذلك حديث أبي هريرة، يقول الرسول ﷺ: «**مَنْ خَافَ أدْلَجَ، وَمَنْ أدْلَجَ بَلَغَ المَنْزِلَ، ألا إنَّ سِلْعَةَ اللهِ غَالِيَةٌ، ألَا إنَّ سِلْعَةَ الله الجَنَّةُ**» معناه: أن من خاف من قُطّاع الطريق في الدنيا أدلج السير حتى يصل إلى المأمن، وهكذا من خاف الآخرة وخاف لقاء الله أدلج في السير في طاعة الله والقيام بأمره حتى يصل إلى ساحة الأمن، وذلك بالموت على خير العمل، «**مَنْ خَافَ أدْلَجَ**» والإدلاج السير في الليل يُجدُّ في الليل؛ لأنه وقت النشاط والقوة، ووقت غفلة قُطّاع الطريق والخفاء عن نظرهم.

فالحاصل: أن المؤمن الذي يخاف الله يجدُّ في السير بطاعة الله، ويأخذ بأسباب النجاة، ويحرص حتى يلقى ربه على خير العمل، وحتى يختم له بالخاتمة الحسنة؛ ولهذا قال: «**وَمَنْ أدْلَجَ بَلَغَ المَنْزِلَ**» من جدَّ في السير واستقام على الطريق ووصل إلى المنزل الذي يريد، فهكذا الإنسان في هذه الدار إذا استقام على أمر الله وجاهد نفسه لله وصل إلى الجنة بالسلامة، وقال: «**ألا إنَّ سِلْعَةَ اللهِ غَالِيَةٌ، ألَا إنَّ سِلْعَةَ الله الجَنَّةُ**» فنعمت السلعة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١].

فالواجب أن يعمروا هذه الدار بطاعته، وأن يُسلموا النفس للذي

اشتراها منهم حتى يتسلموا الثمن، وهو الجنة التي أعدها الله للمتقين بسبب أعمالهم الطيبة، والمعول على فضله ورحمته لا على الأعمال، لكنها أسباب، رزق الله الجميع التوفيق والهداية.





٥١ ـ بَابُ الرجاء

قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣] وقال تعالى: ﴿وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٧] وقال تعالى: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [طه: ٤٨] وقال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

٤١٢ ـ وعن عبادة بن الصامتِ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «مَنْ شَهِدَ أن لا إلهَ إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأنَّ مُحمداً عَبْدهُ ورَسُولُهُ، وَأنَّ عِيسى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ ألْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ ورُوحٌ مِنْهُ، وَأنَّ الجَنَّةَ حَقٌّ، وَالنَّارَ حَقٌّ، أدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[(١)].

📖 وفي رواية لمسلم: «مَنْ شَهِدَ أنْ لا إلَهَ إلَّا اللهُ، وَأنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ، حَرَّمَ اللهُ عَلَيهِ النَّارَ»[(٢)].

٤١٣ ـ وعن أَبي ذر رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبيّ ﷺ: «يقول الله عز وجل: مَنْ جَاء بالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أمْثَالِهَا أَوْ أزيد، وَمَنْ جَاءَ بالسَّيِّئَةِ فَجَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا أَوْ أغْفِرُ، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْراً تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعاً، وَمَنْ تَقرَّبَ مِنِّي ذِرَاعاً تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعاً، وَمَنْ أتَانِي يَمْشِي أتَيْتُهُ هَرْوَلَةً، وَمَنْ لَقِيَنِي بِقُرَابِ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾ [النساء: ١٧١] برقم (٣٤٣٥)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً برقم (٢٨).

(٢) أخرجها في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً برقم (٢٩).

الأَرْض خَطِيئَةً لا يُشْرِكُ بِي شَيئاً، لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغفِرَةً» رواه مسلم[١].

□ معنى الحديث: (مَنْ تَقَرَّبَ): إِلَيَّ بطَاعَتِي (تَقَرَّبْتُ): إِلَيْهِ بِرَحْمَتِي وَإِنْ زَادَ زِدْتُ (فَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي): وَأَسرَعَ في طَاعَتِي (أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً): أيْ: صَبَبْتُ عَلَيهِ الرَّحْمَةَ وَسَبَقْتُهُ بِهَا وَلَمْ أحْوِجْهُ إِلَى المَشْيِ الكَثِيرِ في الوُصُولِ إِلَى المَقْصُودِ (وقُرَابُ الأَرضِ): بضم القافِ، ويقال: بكسرها والضم أصح وأشهر ومعناه: مَا يُقَارِبُ مِلأَهَا، والله أعلم.

٤١٤ ـ وعن جابر رضي الله عنه، قَالَ: جاء أعرابي إِلَى النَّبيّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُول الله، مَا الموجِبَتَانِ؟ قَالَ: «مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بالله شَيئاً دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً دَخَلَ النَّار» رواه مسلم[٢].

الشَّرْح

هذه الآيات الكريمات والأحاديث الثلاثة كلها تتعلق بشأن الرجاء، والعبد مأمور بأن يرجو الله ويخافه ﷻ دائماً دائماً، وأن يسير إلى الله بين الرجاء والخوف، فلا يقنط ولا يأمن، ولكنه يخاف عقاب الله وغضبه ويرجو رحمته وإحسانه وفضله ﷻ؛ ولهذا ندب عباده وحثهم على خوفه وعلى خشيته، وحثهم على رجائه وحسن الظن به ﷻ، قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ يعني: بالكفر والمعاصي ﴿لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣] يعني: للتائبين، أجمع العلماء أن هذه الآية في التائبين، وأنه سبحانه يغفر الذنوب جميعاً لمن تاب إليه وأناب من الشرك وما دونه، فينبغي للمؤمن أن يحسن ظنه بالله ويبادر بالتوبة ويحاسب نفسه، والله يتوب على

(١) أخرجه في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله تعالى برقم (٢٦٨٧).

(٢) أخرجه في كتاب الإيمان، باب من مات لا يُشرك بالله شيئاً دخل الجنة ومن مات مُشركاً دخل النار برقم (٩٣).

من تاب جلَّ وعلا، كما قال سبحانه: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢].

ويقول ﷻ: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧] ويقول ﷻ: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦] ويقول سبحانه: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [طه: ٤٨] فمن مات على الشرك بالله وأعرض عن دينه فهذا له العذاب والخلود فيه، نسأل الله العافية.

أما من مات على المعاصي فهو على خطر وتحت مشيئة الله، إذا كان مات على التوحيد والإخلاص لله وعدم الإشراك فهو يرجى له الخير ويرجى له النجاة، لكنه على خطر من دخول النار لأعماله السيئة التي دون الشرك، فالواجب على المؤمن أن يحذر من شر نفسه وسيئاته، وألَّا يعتمد على مجرد الرجاء فيهلك، ولكن يكون عنده رجاء وخوف، وعنده حذر حتى يدع المحارم ويستقيم على الطاعات، ويقف عند الحدود يرجو ثواب الله ويخشى عقابه ﷻ.

وفي حديث عبادة وما جاء في معناه: الدلالة على أن من مات على التوحيد والإخلاص لله فهو موعود بالجنة؛ لهذا يقول ﷺ: **«مَنْ شَهِدَ أن لا إلهَ إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمداً عَبْدهُ ورَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ ورُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ الجَنَّةَ حَقٌّ، وَالنَّارَ حَقٌّ، أدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ»** وفي اللفظ الآخر **«مَنْ شَهِدَ أن لا إلَهَ إلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ، حَرَّمَ اللهُ عَلَيهِ النَّارَ»** وفي اللفظ الآخر **«أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. فَإِذَا قَالُوها عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ»**.

وفي الحديث الآخر يقول ﷺ **«أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَن لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ،**

فَإِذَا فَعَلُوا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ»[١].

والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة كلها دالة على أن من مات على التوحيد والإيمان فهو على طريق النجاة، لكن إن كانت له ذنوب أو سيئات لم يتب منها فهو على خطر، وهو تحت المشيئة، كما قـــــال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨] فما دون الشرك تحت مشيئة الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه.

وكثرت الأحاديث وتواترت عن الرسول عليه الصلاة والسلام أن جملة من أهل المعاصي يدخلون النار ويعذبون فيها بأسباب معاصيهم التي ماتوا عليها ولم يتوبوا منها، ثم يشفع فيهم النبي ﷺ، ويشفع فيهم الشفعاء من المؤمنين والملائكة والأفراط، فيخرجون منها وقد امتحشوا واحترقوا، فيلقون في نهر الحياة، فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل، وهم أقسام وطبقات في عذابهم في النار على قدر معاصيهم، منهم من يقيم بها طويلاً، ومنهم من يقيم بها لمدة قصيرة على حسب ما مات عليه من المعاصي إذا لم يعف الله عنه ولم يتب منها قبل أن يموت، فلا ينبغي للعاقل أن يغتر بأحاديث الرجاء وأحاديث التوحيد فيقع في المعاصي ويسرف على نفسه، بل ذلك خطر عظيم، فإن التوحيد إنما تكون به النجاة لمن استقام عليه، وأدى حقه بترك المعاصي والمخالفات، أما من لم يؤدِ حق التوحيد ومات على المعاصي فهو على خطر وعلى شفا جرف، وتحت مشيئة الله ﷻ، وإنما يُضمن للعبد المسلم دخول الجنة والنجاة من النار إذا استقام على حق التوحيد، فوحَّد الله وأدى حقه من ترك المعاصي وأداء الفرائض، هذا إذا مات على ذلك سليماً من الذنوب أدخله الله الجنة من أول وهلة، ولا ينبغي للعاقل أن يتساهل في معاصي الله وليحذر غاية الحذر.

---

(١) سبق تخريجه برقم (٣٩٠).

وهكذا حديث أبي ذر عن النبي عليه الصلاة والسلام؛ أن الله جلَّ وعلا يقول: «**مَنْ جَاء بالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا أَوْ أزيد، وَمَنْ جَاءَ بالسَّيِّئَةِ فَجَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا أَوْ أَغْفِرُ**» فهو سبحانه بين الفضل والعدل جلَّ وعلا، فقد يزيدهم حسنات على حسناتهم ويضاعف لهم، وهكذا قد يعفو عن السيئات، وإن لم يعف فالسيئة بواحدة فضلاً منه وإحساناً.

«**وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْراً تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعاً، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعاً تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعاً، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**» وهذا يدل على سبقه في الخيرات ﷻ، وأنه أسرع إلى عبده لما ينفعه إذا تقرب إليه عبده بالطاعات واستقام على الخيرات، والله أسرع إليه بالخير ﷻ، وهذه صفات تليق بالله لا يعرف كيفيتها إلا هو سبحانه تُمرُّ كما جاءت على الوجه اللائق بالله، لكن مضمونها ومقتضاها أنه سبحانه أسرع بالخير والرحمة والإحسان إلى عبده إذا بادر إليه بالطاعة وسارع إليه بالطاعة، وفيه يقول: إن الله، يقول: «**وَمَنْ لَقِيَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطِيئَةً لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئاً لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً**» فالعبد إذا أتى الله بالخطايا لكنه أتاه بالتوحيد والإخلاص فهو موعود بالمغفرة، وهذا الوعد لا يخلف، لكن تارة يكون من أول وهلة وتارة يعذب على قدر المعاصي التي مات عليها ولم يتب منها، ثم ينقل من النار بعد ذلك إلى الجنة بعد التمحيص والتطهير، كما أخبر به النبي عليه الصلاة والسلام، والعاقل لا يرضى لنفسه أن يعرضها للنار، بل يحرص على أن يبتعد عن أسباب دخول النار، ويجتهد في أسباب النجاة حسب طاقته، حتى يلقى ربه.

وفي حديث جابر بن عبد الله، يقول عليه الصلاة والسلام، لما سئل ما الخصلتان الموجبتان للجنة والنار؟ قال: «**مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بالله شَيئاً دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً دَخَلَ النَّار**» فالتوحيد موجب للجنة، والشرك موجب للنار، وبين ذلك معاصي وسيئات، صاحبها على

خطر، فإن تاب منها ألحق بأهل التوحيد ودخل الجنة، وإن لم يتب منها ألحق بأهل النار إلا إن يعفو الله عنه، وإلا لا بد من تعذيبه على قدر هذه المعاصي؛ ولهذا كما تقدم جاءت الأحاديث المتواترة عن النبي ﷺ من دخول الكثير من أهل المعاصي في النار وبقائهم فيها وتعذيبهم فيها على قدر معاصيهم.

فالواجب على كل مسلم وعلى كل مسلمة الحذر من أسباب عذاب الله، وأسباب عذاب الله: المعاصي والسيئات، أما الشرك فهو أعظم الذنوب وهو الكفر بالله وصرف العبادة لغيره أو صرف بعض العبادات لغيره ﷻ، وهذا غير قابل للعفو، ومن مات عليه فهو مخلد في النار أبد الآباد، نسأل الله السلامة والعافية، أما ما دون الشرك من المعاصي كالزنى والسرقة والعقوق والربا وقطيعة الرحم والغيبة والنميمة وأشباه ذلك من المعاصي تحت مشيئة الله، صاحبها على خطر من دخول النار، إلا أن يتوب ويبادر قبل أن يموت، رزق الله الجميع التوفيق والهداية.

❊ ❊ ❊

٤١٥ ـ وعن أنس ﷺ؛ أن النَّبيّ ﷺ ومعاذ رديفه عَلَى الرَّحْل، قَالَ: «يَا مُعَاذُ» قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُول الله وَسَعْدَيْك، قَالَ: «يَا مُعَاذُ» قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُول الله وَسَعْدَيْك، قَالَ: «يَا مُعَاذُ» قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُول الله وسَعْدَيْك، ثَلاثاً، قَالَ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَشْهَدُ أن لا إلهَ إلَّا الله، وَأنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صِدْقاً مِنْ قَلْبِهِ إلَّا حَرَّمَهُ الله عَلَى النَّار» قَالَ: يَا رَسُول الله، أفَلَا أخْبِرُ بِهَا النَّاس فَيَسْتَبْشِروا؟ قَالَ: «إذاً يَتَكِلُوا» فأخبر بِهَا مُعاذٌ عِنْدَ موتِه تَأثُّماً. مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب من خصَّ بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن =

□ وقوله: (تأثُماً): أي: خوفاً مِنْ الإثم في كَتْم هَذَا العلم.

٤١٦ ـ **وعن** أَبي هريرة أَوْ أَبي سعيد الخدري رضي الله عنهما شك الراوي، ولا يَضُرُّ الشَّكُّ في عَين الصَّحَابيّ؛ لأَنَّهُمْ كُلُّهُمْ عُدُولٌ، قَالَ: لَمَّا كَانَ غَزوَةُ تَبُوكَ، أَصَابَ النَّاسَ مَجَاعَةٌ، فقالوا: يَا رَسُول الله، لَوْ أَذِنْتَ لَنَا فَنَحرْنَا نَواضِحَنَا فَأَكَلْنَا وَادَّهَنَّا؟ فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: «افْعَلُوا» فَجاء عُمَرُ رضي الله عنه، فَقَالَ: يَا رَسُول الله، إنْ فَعَلْتَ قَلَّ الظَّهْرُ، وَلَكِن ادعُهُمْ بفَضلِ أزْوَادِهِمْ، ثُمَّ ادعُ الله لَهُمْ عَلَيْهَا بِالبَرَكَةِ، لَعَلَّ الله أنْ يَجْعَلَ في ذلِكَ البَرَكَةَ، فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: «نَعَمْ» فَدَعَا بِنَطْع فَبَسَطَهُ، ثُمَّ دَعَا بِفضلِ أزْوَادِهِمْ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجيءُ بكَفّ ذُرَة وَيَجيءُ بِكَفّ تمر، وَيجيءُ الآخرُ بِكِسرَة، حَتَّى اجْتَمَعَ عَلَى النّطعِ مِنْ ذلِكَ شَيء يَسيرٌ، فَدَعَا رَسُول الله ﷺ بِالبَرَكَةِ، ثُمَّ قَالَ: «خُذُوا في أوعِيَتِكُمْ» فَأَخَذُوا في أوْعِيَتهم حَتَّى مَا تَرَكُوا في العَسْكَرِ وِعَاء إلَّا مَلؤوهُ وَأَكَلُوا حَتَّى شَبعُوا وَفَضَلَ فَضْلَةٌ، فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: «أشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وَأنّي رَسُولُ الله، لا يَلْقَى الله بِهِما عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فَيُحْجَبَ عَنِ الجَنَّةِ» رواه مسلم[1].

الشَّـرح

هذان الحديثان الصحيحان عن رسول الله عليه الصلاة والسلام فيهما الدلالة على أن أهل التوحيد والإسلام والاستقامة على خير عظيم، ويرجى لهم من الله فوز كبير، والسعادة الأبدية إذا ماتوا على التوحيد الخالص الصادق الذي تواطأ عليه القلب واللسان؛ ولهذا أخبر عليه الصلاة والسلام في حديث معاذ لما سأله وهو معه رديفه، قال: يا معاذ

= لايفهموا برقم (١٢٨، ١٢٩)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً برقم (٣٢).

(١) أخرجه في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً برقم (٢٧).

ثلاث مرات ويقول معاذ: لبيك وسعديك وكررها عليه لينتبه وليستعد للجواب، ثم قال: «**مَا مِنْ عَبْدٍ يَشْهَدُ أن لا إلهَ إلَّا الله، وَأنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صِدْقاً مِنْ قَلْبِهِ إلَّا حَرَّمَهُ الله عَلَى النَّار**».

وفي اللفظ الآخر: «**يَا مُعَاذُ تَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى العِبَادِ؟**» قَالَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**حَقُّ اللهِ عَلَى العِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وَحَقُّ العِبَادِ عَلَى اللهِ ﷻ أَلَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً**» قلت: يا رسول الله أفلا أُبشر الناس قال: «**لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا، فَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذُ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّماً**»[1]؛ يعني: تحرجاً من الإثم وخوفاً من الإثم، وقد أخبر النبي بها عليه الصلاة والسلام في أحاديث كثيرة، أخبرهم بها وبيَّن لهم ذلك عليه الصلاة والسلام ليعلموا الحقيقة.

ولهذا في الحديث: إثبات أنَّ الله حرَّم عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله يبتغي بها وجه الله، وفي حديث عبادة كما تقدم أن «**مَنْ شَهِدَ أن لا إلهَ إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأنَّ مُحَمداً عَبْدهُ ورَسُولُهُ، وَأنَّ عِيسى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ ورُوحٌ مِنْهُ، وَأنَّ الجَنَّةَ حَقٌّ، وَالنَّارَ حَقٌّ، أدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ**» وهكذا في حديث أبي سعيد وأبي هريرة لما قلَّ الزاد عليهم في غزوة تبوك، كانت غزوة عظيمة في شدة الحر وإلى عدو عظيم وهم الروم، وكان الجيش كثيراً قد بلغ نحو ثلاثين ألف مقاتل اشتد بهم الأمر وقلَّ عليهم الزاد واستأذنه بعضهم أن ينحر رحله، ينحر بعيره ليدهنوا ويأكلوا من لحمه، فأذن لهم ﷺ في ذلك، بأن يستفيدوا من هذه الظهور التي معهم ويعتقبوا على البقية، فقال عمر: يا رسول الله إذن يقل الظهر، وفي رواية: ما شأن الناس وما حال الناس إذا قلَّ ظهرهم، فلو دعوت بما عندهم من أزواد ودعوت الله لهم فيها لعل الله يبارك لهم فيها،

---

(١) سيأتي تخريجه برقم (٤٢٦).

فوافق عليه الصلاة والسلام وأمرهم أن يحضروا ما لديهم من فضول الطعام، فأحضروا ما لديهم، هذا يأتي بكف ذرة، وهذا يأتي بكف شعير، وهذا يأتي بكسرة الخبز، وهذا يأتي بكف تمر، على ما يسر الله عندهم، حتى اجتمع على النطع المبسوط من ذلك شيء ليس بالكثير، ثم دعا لهم بنزول البركة، دعا الله أن يبارك فيه، فأنزل الله فيه بركة عظيمة حتى صار شيئاً عظيماً، وأمرهم أن يأخذوا في أوعيتهم وهم خلق كثير وجمع عظيم، فأخذوا في أوعيتهم وملؤوا أوعيتهم، وفضل فضلة من هذا الشيء الذي جعلت فيه البركة، هذه من آيات الله العظيمة ومن الدلائل على قدرته العظيمة ﷻ الذي يقول: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢] وفيه الدلالة على صدق رسوله محمد عليه الصلاة والسلام، وأنه رسولُ الله حقاً حيث أجاب الله دعوته وأنزل البركة في هذا الشيء اليسير حتى صار شيئاً عظيماً، وكفى هذا الجيش العظيم فأكلوا، وأخذوا في أوعيتهم وفضل من ذلك فضلة، وهذا وقع له عدة مرات عليه الصلاة والسلام، ودعا بالبركة في أطعمتهم فبارك الله فيها حتى ملؤوا منها ما عندهم من الأوعية.

وهكذا وقع له في الماء حينما قلَّ عليهم الماء في مواطن كثيرة، وفي المدينة أيضاً في بعض الأحيان فدعا بماء في قدح فيه شيء من ماء فوضع يده فيه فجعل الماء ينبع من بين أصابعه ويفور حتى شرب الناس واستقى الناس وأخذوا في أوعيتهم من ذلك الماء العظيم[١].

وهكذا يوم الحديبية لما نضب ماء البئر أخذ سهماً من كنانته وأخذ ماءً ومجَّ فيه ثم ألقاه في البئر، فجعلت تفور بالماء حتى كفت الجيش، وآيات الله الدالة على صدق رسوله محمد ﷺ كثيرة، وهي أيضاً دالة على قدرة الله العظيمة، وأنه سبحانه قادر على كل شيء، وأنه يقول للشيء كن فيكون؛ ولهذا قال لما رأى البركة: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي

(١) يشير لحديث أنس ؓ أخرجه الإمام أحمد (٣/ ١٤٧).

رَسُولُ الله، **لَا يَلْقَى الله بِهِما عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فَيُحْجَبَ عَنِ الجَنَّةِ**» هذا يدل على أن العبد إذا استقام على توحيد الله، فإن الله يوفقه حتى تستقيم أعماله، وحتى يستقيم على أداء الفرائض وترك المحارم، فيستحق دخول الجنة والنجاة من النار؛ لأن التوحيد الخالص الذي يتواطأ عليه قلبه ولسانه يدعو صاحبه إلى ترك المحارم وإلى أداء الفرائض، وبهذا يموت على حالة حسنة فيدخل الجنة وينجو من النار، أما من غلب عليه الهوى وطاعة الشيطان بفعل المعاصي أو ترك بعض الواجبات، فهذا يكون نقص في توحيده ونقص في إيمانه وضعفٌ في دينه، فلهذا يستحق العقاب ويكون تحت مشيئة الله إن شاء الله غفر له وإن شاء عذَّبه على قدر معاصيه التي مات عليها غير تائب منها.

فهذه الأحاديث ليس بينهما منافاة ولا بين الأحاديث والآيات الدالة على الخطر على أهل المعاصي، وأنهم يعذبون إلا من عفا الله عنه، هذا له معنى وهذا له معنى؛ فأحاديث التوحيد وأحاديث الوعد بالجنة لأهل التوحيد هم الذين حققوا توحيده وأدوا واجب التوحيد واستقاموا على طاعة الله وتركوا معاصي الله؛ لأن التوحيد إنما يرفع أهله وينجيهم بتوفيق الله إذا أدوا حقه؛ ولهذا في الحديث «**إلا بحقها**» إلا بحق الإسلام فإذا حملهم توحيدهم ودعاهم توحيدهم إلى ترك المحارم وأداء الفرائض فهؤلاء لهم الجنة من أول وهلة، أما إذا ضعف التوحيد وضعف الإيمان حتى أقدموا على المعاصي والسيئات، فإنهم يكونون تحت مشيئة الله، كما في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨] تحت مشيئة الله إن شاء عفا عنهم لتوحيدهم وإيمانهم وأعمالهم الصالحة التي معهم، وإن شاء عذبهم على قدر معاصيهم التي ماتوا عليها ولم يتوبوا منها، وهو سبحانه الحكيم العليم ذو الفضل العظيم جلَّ وعلا.

فالواجب على المؤمن: أن يحذر شرَّ نفسه وشر شيطانه، وأن

يحذر الإصرار على الذنوب، وأن يبادر بالتوبة منها إذا وقع فيها لعله ينجو، ولا يجوز له أن يعتمد على مجرد التوحيد ويُقدم على معاصي الله ومحارم الله، فإنها على غرور من الشيطان ودعوة من الشيطان وخطرها عظيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.

❊ ❊ ❊

٤١٧ ـ وعن عِتْبَانَ بن مالك ﷺ، وَهُوَ مِمَّن شَهِدَ بَدراً، قَالَ: كنت أُصَلِّي لِقَوْمِي بَنِي سَالِم، وَكَانَ يَحُولُ بَيْنِي وبَيْنَهُمْ وَادٍ إِذَا جَاءتِ الأَمْطَار، فَيَشُقُّ عَلَيَّ اجْتِيَازُهُ قِبَلَ مسْجِدِهم، فَجِئتُ رسولَ الله ﷺ فقلت لَهُ: إِنِّي أَنْكَرْتُ بَصَرِي وَإِنَّ الوَادِي الَّذِي بَيْنِي وبَيْنَ قَومِي يَسيلُ إِذَا جَاءتِ الأَمْطَارُ فَيَشُقُّ عَلَيَّ اجْتِيَازُهُ فَوَدِدْتُ أَنَكَ تَأْتِي فَتُصَلِّي في بَيْتِي مَكَاناً أَتَّخِذُهُ مُصَلّى، فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: «سَأَفْعَلُ» فَغَدَا رسولُ الله ﷺ وَأَبُو بكر ﷺ بَعْدَ مَا اشْتَدَّ النَّهَارُ، وَاسْتَأْذَنَ رَسُول الله ﷺ فَأَذِنْتُ لَهُ، فَلَمْ يَجْلِسْ حَتَّى قَالَ: «أَيْنَ تُحِبُّ أَنْ أُصَلِّيَ مِنْ بَيْتِك؟» فَأَشَرْتُ لَهُ إِلَى المَكَانِ الَّذِي أُحبُّ أَنْ يُصَلِّيَ فِيهِ، فَقَامَ رَسُول الله ﷺ فَكَبَّرَ وَصَفَفْنَا وَرَاءَهُ فَصَلَّى رَكعَتَينِ ثُمَّ سَلَّمَ وَسَلَّمْنَا حِينَ سَلَّمَ فَحَبَسْتُهُ عَلَى خَزيرَةٍ تُصْنَعُ لَهُ، فَسَمِعَ أهلُ الدَّارِ أَنَّ رَسُول الله ﷺ في بَيْتِي فَثَابَ رِجالٌ مِنْهُمْ حَتَّى كَثُرَ الرِّجَالُ في البَيْتِ، فَقَالَ رَجُلٌ: مَا فَعَلَ مَالِكٌ لا أَرَاهُ! فَقَالَ رَجُلٌ: ذلِكَ مُنَافِقٌ لا يُحِبُّ الله ورسولَهُ، فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: «لا تَقُلْ ذلِكَ، أَلَا تَرَاهُ قَالَ: لا إلهَ إِلَّا الله يَبْتَغي بذَلِك وَجهَ الله تَعَالَى» فَقَالَ: اللهُ ورسُولُهُ أَعْلَمُ، أَمَّا نَحْنُ فَوَاللهِ مَا نَرَى وُدَّهُ وَلَا حَدِيثَهُ إِلَّا إِلَى المُنَافِقينَ! فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: «فإِنَّ الله قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لا إلهَ إِلَّا الله

يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[١].

□ وَ(عِتْبَان): بكسر العين المهملة وإسكان التاءِ المثناةِ فَوق وبعدها باءٌ موحدة، وَ(الخَزِيرَةُ): بالخاءِ المعجمةِ والزاي: هِيَ دَقيقٌ يُطْبَخُ بِشَحم، وقوله: (ثَابَ رِجَالٌ): بالثاءِ المثلثةِ: أيْ: جَاؤُوا وَاجْتَمَعُوا.

٤١٨ ـ وعن عمر بن الخطاب ﷺ، قَالَ: قدِم رَسُول الله ﷺ بسَبْي فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ تَسْعَى؛ إِذْ وَجَدَتْ صَبياً في السَّبْيِ أخَذَتْهُ فَألْزَقَتْهُ بِبَطْنِهَا فَأَرضَعَتْهُ، فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: «أتَرَوْنَ هذِهِ المَرْأةَ طَارِحَةً وَلَدَها في النَّارِ؟» قُلْنَا: لَا وَاللهِ، فَقَالَ: «للهُ أرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هذِهِ بِوَلَدِهَا» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[٢].

٤١٩ ـ وعن أَبي هريرة ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ الخَلْقَ كَتَبَ في كِتَابٍ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوقَ العَرْشِ: إنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبي»[٣].

📖 وفي رواية: «غَلَبَتْ غَضَبي».

📖 وفي رواية: «سَبَقَتْ غَضَبي» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[٤].

٤٢٠ ـ وعنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُول الله ﷺ، يقول: «جَعَلَ اللهُ الرَّحْمَةَ مِئَةَ جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ، وَأنْزَلَ في الأرْضِ جُزْءاً

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب المساجد في البيوت برقم (٤٢٥)، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر برقم (٣٣) ساقه بعد رقم (٦٥٧) وقبل (٦٥٨).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومُعانقته برقم (٥٩٩٩)، ومسلم في كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه برقم (٢٧٥٤).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧] برقم (٣١٩٤)، ومسلم في كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه برقم (٢٧٥١).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾ [البروج: ٢١] برقم (٧٥٥٣، ٧٥٥٤)، ومسلم في كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه برقم (٢٧٥١).

وَاحِداً، فَمِنْ ذلِكَ الجُزْءِ يَتَرَاحَمُ الخَلائِقُ، حَتَّى تَرْفَعَ الدَّابَّةُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا خَشْيَةَ أنْ تُصِيبَهُ»[١].

📖 وفي رواية: «إنّ للهِ تَعَالَى مِئَةَ رَحمَةٍ، أنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الجنِّ وَالإنس وَالبهائِمِ وَالهَوامِّ، فبها يَتَعاطَفُونَ، وبِهَا يَتَرَاحَمُونَ، وبِهَا تَعْطِفُ الوَحْشُ عَلَى وَلَدِهَا، وَأخَّرَ اللهُ تَعَالَى تِسْعاً وَتِسْعينَ رَحْمَةً يرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ القِيَامَة» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[٢].

📖 ورواه مسلم أيضاً مِنْ رواية سَلْمَانَ الفارِسيِّ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «إنَّ للهِ تَعَالَى مِئَة رَحْمَةٍ فَمِنْهَا رَحْمَةٌ يَتَرَاحمُ بِهَا الخَلْقُ بَيْنَهُمْ، وَتِسْعٌ وَتِسعُونَ لِيَوم القِيَامَةِ»[٣].

📖 وفي رواية: «إنَّ الله تَعَالَى خَلَقَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاواتِ وَالأَرْضَ مِئَةَ رَحْمَةٍ كُلُّ رَحْمَةٍ طِبَاقُ مَا بَيْنَ السَّماءِ إِلَى الأرْضِ، فَجَعَلَ مِنْهَا في الأرضِ رَحْمَةً فَبِهَا تَعْطِفُ الوَالِدَةُ عَلَى وَلَدِهَا، وَالوَحْشُ وَالطَّيْرُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْض، فَإذا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ أكملَهَا بِهذِهِ الرَّحمَةِ»[٤].

❁ الشَّرح ❁

هذه الأحاديث كالتي قبلها في بيان سعة رحمة الله ﷻ وجوده وكرمه، وأنه ينبغي للمؤمن أن يحسن ظنه بالله وأن يعظم رجاءه في الله فالرجاء مطلوب، يقول الله ﷻ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب جعل الله الرحمة مائة جزء برقم (٦٠٠٠)، ومسلم في كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه برقم (٢٧٥٢).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب الرجاء مع الخوف برقم (٦٤٦٩) باختلاف يسير في آخره، ومسلم في الكتاب والباب السابقين برقم (٢٧٥٢).

(٣) أخرجها في كتاب التوبة برقم (٢٧٥٣).

(٤) أخرجها في كتاب التوبة برقم (٢٧٥٣).

﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [البقرة: ٢١٨] فالمؤمن مطلوب منه بأن يكون راجياً خاشعاً فيخاف الله ويعظم حرماته ويبتعد عن معاصيه ويرجو رحمته ويسارع إلى طاعته، فيكون بين الرجاء والخوف يسير إلى الله جلَّ وعلا ويعبده بين الرجاء والخوف، والخوف يحمله على الحذر من المعاصي والسيئات، والرجاء يحمله على حسن الظن بالله وعظيم الرجاء برحمته وإحسانه مع الجد في طاعته والقيام بحقه ﷻ، هكذا يكون المؤمن راجياً خائفاً حذراً مشفقاً يحسن الظن بالله ﷷ لا يقنط ولا يأمن، قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩] قال تعالى: ﴿وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧] فلا يأس ولا أمن، ولكنه يخافه ويرجوه، يخاف الله ويخشاه، ويعظم حرماته ويبتعد عن معاصيه خشية غضبه وعقابه، ويرجوه ويحسن الظن به فلا يقنط ولا ييأس، ويسارع إلى مراضيه ﷻ وأداء حقه.

وفي حديث **عتبان بن مالك الأنصاري** ﷺ عن النبي عليه الصلاة والسلام؛ أنه قال: «**فَإِنَّ الله قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلَّا الله يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ الله**» وهذا من دلائل فضل التوحيد؛ أن من مات عليه صادقاً حرَّم الله عليه النار إن كان ليس معه ذنوب وسيئات ومات على التوحيد والإيمان والاستقامة، حرَّمه الله على النار مُطلقاً ولم يدخلها، بل أدخله الله الجنة من أول وهلة، أما من كانت له ذنوب وسيئات مات عليها ولم يتب منها فهو تحت مشيئة الله إن شاء الله عفا عنه وأدخله الجنة، وإن شاء عذبه على قدر معاصيه التي مات عليها، ثم نهايته ومصيره بعد ذلك إلى الجنة، كما جاءت الأحاديث عن رسول الله عليه الصلاة والسلام؛ أن كثيراً من أهل المعاصي يدخلون النار ويحترقون فيها؛ لذنوبهم وسيئاتهم، ثم يخرجهم الله من النار بعد ذلك لشفاعة الشُفعاء، وبرحمته ﷻ في آخرين، بشفاعة الشُفعاء ورحمته جلَّ وعلا،

وبرحمته المجردة دون شفاعة أحد، فيخرجون من النار وقد احترقوا، فيلقون في نهر الحياة، فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل، فإذا تم خلقهم واستكمل خلقهم نُقلوا إلى الجنة، بسبب أنهم ماتوا على الإسلام وعلى التوحيد، والله حرَّم على النار أن تأكل آثار سجود بني آدم، فيدخلها بعض المصلين يدخلونها بسيئات عملوها ولكن تبقى آثار السجود في جباههم وفي مواضع السجود يُعرفون بها، لكنهم دخلوا النار بأسباب أخرى من الزنى والسرقة وعقوق الوالدين أو أحدهما وقطيعة الرحم وأكل الربا والغيبة والنميمة وغيرها، هذا من المعاصي إلا من تاب، من تاب تاب الله عليه جلَّ وعلا، وهذا يوجب من المؤمن الحذر من السيئات والبُعد عنها والوقوف عند حدود الله يرجو ثوابه ويخشى عقابه.

ومن ذلك[١] **حديث السبي**: كانت امرأة فقدت لها صبياً في السبي في بعض مغازي النبي ﷺ فجعلت تلتمس صبيها، فكلما وجدت صبياً أخذته تظنه ولدها حتى وجدت ولدها فألصقته في صدرها، فقال ﷺ: «**أتُرون**» ـ بالضم ـ أتظنون و«**أتَرونَ**» ـ بالفتح ـ؛ يعني: تعتقدون أن «**هذِهِ المَرْأَةَ طَارِحَةً وَلَدَها في النَّارِ؟**» قالوا: لا، قال: «**للهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هذِهِ بِوَلَدِهَا**» هو أرحم بعباده من المرأة بولدها، إذا أخذوا بأسباب الرحمة إذا تعاطوا أسباب الرحمة إذا اتقوه وأخذوا بالأسباب، فهو أرحم بهم من أمهاتهم، أما إذا اعتدوا وتباعدوا وأخذوا بأسباب الغضب فهم الذين جنوا على أنفسهم، أما من أخذ بأسباب الرحمة فالله سبحانه أرحم بعباده من الوالدة بولدها؛ ولهذا كتب في الكتاب عنده فوق عرشه «**إنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبي**» فالواجب على أهل الإسلام التراحم والتعاطف وتقوى الله في ذلك والحذر من الظلم، فهو سبحانه الرحمٰن يحب الرحمة، جواد يحب الجود، لطيف يحب اللطف من عباده؛ كريم يحب الكرم من

---

(١) من هذا الموضع إلى آخر الباب ألحق الشرح من شروحات سماحة الشيخ في مكة بقراءة الشيخين ناصر الزهراني، وجمعان الزهراني.

عباده، عفو يحب العفو، فليتق الله المؤمن وليرحم عباد الله ويرحم من تحت يده من أولاد وعمال وبهائم وغير ذلك، ليتق الله وليأخذ بأسباب الرحمة حتى لا يغضب الله عليه الرحمٰن الرحيم.

وفي **الحديث الثالث**: يقول ﷺ: «**إنَّ الله تَعَالَى خَلَقَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاواتِ وَالأَرْضَ مئَةَ رَحْمَةٍ كُلُّ رَحْمَةٍ طِبَاقُ مَا بَيْنَ السَّماءِ إِلَى الأَرْضِ**» «**أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً**» يتراحم بها الخلائق في هذه الدنيا، حتى إن الدابة لترفع حافرها عن ولدها خشية أن تصيبها بهذه الرحمة وأمسك «**عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ**» رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة وتضاف إليها الرحمة التي أنزلها في الأرض، فهذا كله يدل على أنه ينبغي للمؤمن حسن الظن بالله وعدم اليأس، كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣] والمعنى: يغفرها للتائبين، ولهذا قال جلَّ وعلا: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [الأعراف: ١٥٦] أما من أباها وأعرض عنها واشتغل بأسباب الغضب فهو الذي أهلك نفسه، أما من سعى إلى الخير وطلب الخير وأخذ بأسباب الرحمة فالله أرحم به من أمه، ولكن ليحذر العاقل أسباب الغضب، ليحذر العاقل أسباب الانتقام، وذلك بركوب المعاصي أو الكفر بالله الذي هو أعظم الذنوب، هذا هو سبب الانتقام، هو سبب الغضب، هو سبب عدم الرحمة، أما من اتقى الله وراقب الله؛ فالله جلَّ وعلا أرحم به من أمه.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.

❋ ❋ ❋

٤٢١ ـ وعنه، عن النَّبيّ ﷺ فيما يحكِي عن ربهِ تبارك وتعالى، قَالَ: «**أذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْباً، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أذنَبَ عبدي ذَنباً، فَعَلِمَ أنَّ لَهُ رَبّاً يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ**

فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبي، فَقَالَ تبارك وتعالى: أذنَبَ عبدِي ذَنباً، فَعَلِمَ أنَّ لَهُ رَبّاً، يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بالذَّنْبِ، قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي فَلْيَفْعَلْ مَا شَاءَ» مُتَّفَقٌ عليهِ[١].

وقوله تَعَالَى: «فَلْيَفْعَلْ مَا شَاءَ»؛ أيْ: مَا دَامَ يَفْعَلُ هكذا، يُذْنِبُ وَيَتُوبُ أغفِرُ لَهُ، فَإنَّ التَّوْبَةَ تَهْدِمُ مَا قَبْلَهَا.

٤٢٢ ـ **وعنه**، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا، لَذَهَبَ الله بِكُمْ، وَجَاءَ بِقَومٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ الله تَعَالَى، فَيَغْفِرُ لَهُمْ» رواه مسلم[٢].

٤٢٣ ـ **وعن** أبي أيوب خالد بن زيد ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُول الله ﷺ، يقول: «لَوْلَا أنَّكُمْ تُذْنِبُونَ، لَخَلَقَ الله خَلْقاً يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرونَ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ» رواه مسلم[٣].

الشَّرح

هذه الأحاديث الثلاثة كلها تتعلق بالتوبة والاستغفار من الذنوب، وأن العبد متى بادر بالتوبة واستغفر فالله يغفرها جلَّ وعلا، كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]، قد سبق في علمه وتقديره السابق؛ أن القوم يذنبون وتقع منهم المعاصي ثم يتوبون فيغفر الله

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥] برقم (٧٥٠٧)، ومسلم في كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة برقم (٢٧٥٨).

(٢) أخرجه في كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة برقم (٢٧٤٩).

(٣) أخرجه في كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة برقم (٢٧٤٨).

لهم، وقوم لا يتوبون فيعاقبون على قدر معاصيهم؛ لما سبق في علم الله بوجود الذنوب والمعاصي، وأنه سبحانه كتب معاقبة من يستحق العقوبة، وإثابة من يستحق الثواب فالعبد ما دام إذا أذنب بادر بالتوبة وعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به فالله يتوب عليه، إنما المصيبة الإصرار على الذنوب وعدم التوبة.

أما ما دام يتوب فالله يتوب عليه، وإن تعددت الذنوب ما دام كلما زلَّت قدمه بادر بالتوبة والصدق، فالله يتوب عليه، وليس معناه القول باللسان بغير صدق، فالتوبة باللسان بغير صدق ما تنفع، لا بد من توبة صادقة، ثم يبتلى فيتوب توبة صادقة.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٥، ١٣٦] فقيَّد ذلك بعدم الإصرار؛ يعني: يتوب ويقلع ويندم ولا يصر، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣] يعني: من تاب إليه وصدق في التوبة، أما من لم يتب فقد قال في حقه سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] من مات على غير توبة، فهو تحت مشيئة الله في معاصيه إن شاء غفر له وإن شاء عذبه على قدر معاصيه.

قد ثبت في الأحاديث المتواترة عن رسول الله ﷺ أن كثيراً من العصاة يُعذبون في النار على قدر معاصيهم، ويمكثون فيها ما شاء الله من المدة على قدر معاصيهم، وأنه يشفع فيهم الشفعاء، يشفع فيهم النبي ﷺ، ويشفع فيهم الشفعاء، من الملائكة والأفراط والمؤمنين وغيرهم، وأن الله يخرج بشفاعة الشفعاء جماً غفيراً، ويبقى في النار بقية

من العصاة لم تشملهم الشفاعات، ويخرجهم الله من النار بعدما امتحشوا، يخرجهم من النار إلى الجنة برحمته جلَّ وعلا.

ولهذا قال جلَّ وعلا: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا، لَذَهَبَ الله بِكُمْ، وَجَاءَ بِقَومٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ الله تَعَالَى، فَيَغْفِرُ لَهُمْ**» حتى تظهر آثار رحمته وآثار عفوه وآثار إحسانه لوجود الضد من المعاصي، يظهر آثار المغفرة والعفو فالحسنات يجود على أهلها سبحانه بالكرم والجود والجنة والنجاة من النار، والسيئات يجود عليهم بقبول التوبة إذا تابوا إليه وأنابوا إليه ولم يصروا على ما فعلوا فضلاً منه، فالذنوب دواؤها التوبة والرجوع إلى الله وعدم الإصرار، ومعنى قوله: «**لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا، لَذَهَبَ الله بِكُمْ**»؛ يعني: أنه جلَّ وعلا قدر هذا وهذا، فهو غفور رحيم، وهو تواب رحيم، وهو جواد كريم، فيتوب على التائبين، ويعاقب من يستحق العقاب، ويأجر من يستحق الأجر فضلاً منه ﷻ.

فالواجب على من بُلي بالذنب أن يبادر بالتوبة، وعدم الإصرار حتى يتاب عليه، وما دام إذا أذنب بادر بالتوبة ولم يصر وأقلع والله يتوب عليه جلَّ وعلا، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورى: ٢٥] قال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١] فينبغي للعبد الحذر، أولاً الحذر من السيئات الحذر منها غاية الحذر، ثم إذا بُلي بها فليبادر بالتوبة، إذا بُلي بالذنب فليبادر بالتوبة، وليحذر الإصرار، رزق الله الجميع التوفيق والهداية.

❋ ❋ ❋

٤٢٤ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه، **قَالَ: كُنَّا قُعُوداً مَعَ رَسُول الله** ﷺ، **مَعَنَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمْرُ** رضي الله عنهما، **في نَفَرٍ فَقَامَ رَسُول الله** ﷺ **مِنْ بَيْنِ أظْهُرِنَا، فَأبْطَأَ عَلَيْنَا فَخَشِينَا أنْ يُقتطَعَ دُونَنَا، فَفَزِعْنَا فَقُمْنَا فَكُنْتُ أوَّلَ مَنْ فَزِعَ فَخَرَجْتُ**

أَبْتَغِي رسولَ الله ﷺ، حَتَّى أَتَيْتُ حَائِطاً للأنْصَارِ وَذَكَرَ الحَدِيثَ بِطُولِهِ إِلَى قوله: فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: «اذهَبْ فَمَن لَقِيتَ وَرَاءَ هَذَا الحَائِطِ يَشْهَدُ أنْ لا إلـه إلَّا الله، مُسْتَيقِناً بِهَا قَلبُهُ فَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ» رواه مسلم(١).

٤٢٥ ـ وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما؛ أنَّ النَّبيّ ﷺ تَلَا قَولَ الله عز وجل في إبراهيم ﷺ: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى﴾ [إبراهيم: ٣٦] **الآية، وقَولَ عِيسَى ﷺ: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾** [المائدة: ١١٨] **فَرَفَعَ يَدَيهِ وَقالَ: «اللَّهُمَّ أُمَّتي أُمَّتي» وبَكَى، فَقَالَ الله عز وجل: «يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ وَرَبُّك أعْلَمُ فَسَلْهُ مَا يُبْكِيهِ؟» فَأَتاهُ جبريلُ، فَأَخْبَرَهُ رسولُ الله ﷺ، بِمَا قَالَ، وَهُوَ أعْلَمُ، فَقَالَ اللهُ تَعَالَى: «يَا جِبريلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، فَقُلْ: إنَّا سَنُرْضِيكَ في أُمَّتِكَ وَلَا نَسُوؤكَ»** رواه مسلم(٢).

الشَّرح

هذان الحديثان الصحيحان من الدلائل على أن رسالة محمد ﷺ أكمل الرسالات وأفضلها، وأن أمته التي أجابت دعوته واستقامت على دينه على خير عظيم، وأن الله سوف يعطيه فيرضيه، قال تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحى: ٥] ولهذا لما قرأ قوله جلَّ وعلا عن إبراهيم: ﴿فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٣٦] وعن عيسى قال: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨] قال: «**اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي**» يقوله ﷺ، فأرسل الله له

---

(١) أخرجه في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً برقم (٣١).

(٢) أخرجه في كتاب الإيمان، باب دعاء النبي ﷺ لأمته وبكائه شفقة عليهم برقم (٢٠٢).

جبريل وأخبره أنه سيرضيه في أُمته، وأنزل قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحى: ٥] فالله سوف يعطيه في أُمته ما يرضيه من التوبة عليهم وإدخالهم الجنة وإنجائهم من النار إذا تبعوه واستقاموا على دينه وصدقوه؛ ولهذا قال عليه الصلاة والسلام لأبي هريرة: «اذهَبْ فَمَن لَقِيتَ وَرَاءَ هَذَا الحَائِطِ يَشْهَدُ أنْ لا إلـه إلَّا الله، مُسْتَيقِناً بِهَا قَلبُهُ فَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ»، وتقدم حديث معاذ: من شهد أن لا إلـه إلا الله وأن محمداً رسول الله لا يلقى بها أحدٌ ربه صادقاً إلا أدخله الله الجنة «مَا مِنْ عَبْدٍ يَشْهَدُ أن لا إلـهَ إلَّا الله، وَأنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صِدْقاً مِنْ قَلْبِهِ إلَّا حَرَّمَهُ الله عَلَى النَّار»[(١)] من هذا حديث عتبان «فإنَّ الله قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لا إلـهَ إلَّا الله يَبْتَغِي بذَلِكَ وَجْهَ الله»[(٢)] من هذا قوله ﷺ: «مَنْ لَقِيَ اللهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ دَخَلَ النَّارِ»[(٣)].

وقوله جلَّ وعلا في هذه الأمة يقول ﷺ: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ يا محمد لأُمته ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ ويقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ [المائدة: ٣]. الواجب على كل مكلف أن يتقي الله، وأن يراقب الله، وأن يصدق في اتباعه رسول الله محمداً عليه الصلاة والسلام، وأن يكون موحداً لله مخلصاً له العبادة منقاداً لشريعته معظماً لشريعته مصدقاً لنبيه محمد ﷺ بالقول والعمل لا بمجرد القول، فإن التصديق يكون بالقلب والعمل، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩] التصديق بالقول ما ينفع، المنافقون صدقوا بالقول وكذبوا بالعمل وكذبوا بالقلب

---

(١) سبق تخريجه برقم (٤١٥).

(٢) سبق تخريجه برقم (٤١٧).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ومن مات مشركاً دخل النار برقم (٩٣).

فلم ينفعهم، قال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١] شهد عليهم أنهم كاذبون في قولهم: إن محمداً رسول الله، يكذبون لو كانوا صادقين لاتبعوه وانقادوا لشريعته؛ ولهذا قال عنهم في الآية الأُخرى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ﴾ [آل عمران: ١٦٧] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢ ـ ٣] فالمراد صدقاً من قلبه أو صادقاً أو مخلصاً أو ما أشبه ذلك كلها.

المراد بذلك أن يكون محققاً للقول بالعمل، فالصادق يعمل، من قال: إن هذا هو الطريق، ثم سلك غيره ليس بصادق، من قال: هذا طريق مكة، ثم سلك طريقاً أُخرى ليس بصادق، وإذا قال: هذا طريق الجنة، ثم سلك طريقاً آخر ليس صادقاً، الصادق من وصل الطريق واتبع الطريق ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩] قال تعالى: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [المائدة: ١١٩] ويقول: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥] بيَّن ما للصادقين، هذا أعمال الصادقين: إيمان وإسلام وانقياد لشرع الله وقنوت ودوام الطاعة، مع تصديق بالقلب واللسان، وصبر على طاعة الله وصبر عن محارم الله وخشوع في طاعة الله، وأداء لحق الله من الزكاة وأداء للصلاة وأداءٌ للصيام، ثم الاستقامة على ذكر الله خوفاً ورجاءً وتعظيماً، هذا شأن المحبين، وهذا شأن الصادقين، أما القول باللسان والقلب منحرف والعمل منحرف هذا

كلام الكذابين، هذا دين الكذابين من المنافقين، فالمنافق يقول ما لا يفعل، يقول باللسان ما ليس في قلبه.

فالحاصل: أن الواجب على كل مكلف أن يتقي الله ويصدق في اتباع الشرع، وأن يؤدي ما أوجب الله صادقاً، وأن ينتهي عما حرم الله صادقاً، محققاً لقوله: لا إلـه إلا الله محمد رسول الله، أما أن يقول: لا إلـه إلا الله وأن محمداً رسول الله، ثم ينحرف ويتبع غير سبيل المؤمنين وغير سبيل محمد هذا ليس بصادق في الشهادة، إنما الصادق من قالها وعمل بها، هذا هو الصادق، وهكذا شأن الصادقين يقولون ويعملون بخلاف الكذابين يقولون ما لا يفعلون.

نسأل الله أن يوفقنا وإياكم في الصدق في القول والعمل، ونعوذ بالله من حال المنافقين وصفاتهم الذميمة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

***

٤٢٦ ـ وعن معاذ بن جبل ﷺ، قَالَ: كُنْتُ رِدْفَ النَّبيِّ ﷺ عَلَى حِمَارٍ، فَقَالَ: «يَا مُعَاذُ، هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الله عَلَى عِبَادِهِ؟ وَمَا حَقُّ العِبَادِ عَلَى الله؟» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أعْلَمُ. قَالَ: «فإنَّ حَقَّ اللهِ عَلَى العِبَادِ أنْ يَعْبُدُوهُ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيئاً، وَحَقَّ العِبَادِ عَلَى اللهِ ألّا يُعَذِّبَ مَنْ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيئاً» فقلتُ: يَا رَسُول الله، أفَلا أُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: «لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1].

٤٢٧ ـ وعن البراءِ بن عازب ﷺ، عن النَّبيِّ ﷺ، قَالَ: «المُسْلِمُ إذَا سُئِلَ في القَبْرِ يَشْهَدُ أنْ لَا إلَهَ إلَّا الله، وَأنّ مُحَمّداً رَسُول الله». فذلك قوله

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب اسم الفرس والحمار برقم (٢٨٥٦)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً برقم (٣٠).

تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧] متفقٌ عليه[١].

٤٢٨ ـ وعن أنس ﷺ، عن رَسُول الله ﷺ، قَالَ: «إنّ الكَافِرَ إِذَا عَمِلَ حَسَنَةً، أُطعِمَ بِهَا طُعْمَةً مِنَ الدُّنْيَا، وَأَمَّا المُؤْمِنُ فَإنَّ الله تَعَالَى يَدَّخِرُ لَهُ حَسَنَاتِهِ في الآخِرَةِ، وَيُعْقِبُهُ رِزْقاً في الدُّنْيَا عَلَى طَاعَتِهِ»[٢].

في رواية: «إنَّ الله لَا يَظْلِمُ مُؤْمِناً حَسنَةً يُعْطَى بِهَا في الدُّنْيَا، وَيُجْزَى بِهَا في الآخِرَةِ، وَأَمَّا الكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ للهِ تَعَالَى في الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الآخرَةِ، لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا» رواه مسلم[٣].

الشَّرْح

هذه الأحاديث الثلاثة تدل على سعة فضل الله وجوده وكرمه، وفضل التوحيد والتمسك بالإسلام، وأن العباد الذين مَنَّ الله عليهم بالتوحيد والتمسك بالعبادة التي خلقوا لها، فإن مصيرهم إلى الجنة مع ما يعطون في الدنيا من الخير والرزق، فالمؤمن يجمع الله له بين الخيرين، يجزى بالحسنات في الآخرة بالجنة، ويطعم في الدنيا بما يسَّر الله له منها، فله جزاء في الدنيا على حسناته وأعماله الصالحة، وله جزاء في الآخرة بدخوله الجنة ونجاته من النار، وفي بيان أن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، يقول ﷺ لمعاذ: **«يَا مُعَاذُ، هَلْ تَدْرِي مَا**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ [إبراهيم: ٢٧] برقم (٤٦٩٩)، ومسلم في كتاب الجنة، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه برقم (٢٨٧١).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجنة والنار، باب جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا، والآخرة وتعجيل حسنات الكافر في الدنيا برقم (٢٨٠٨).

(٣) ينظر: الحاشية السابقة.

حَقُّ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ؟ وَمَا حَقُّ العِبَادِ عَلَى اللهِ؟» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ؟ قَالَ: «فإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَى العِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيئاً، وَحَقَّ العِبَادِ عَلَى اللهِ أَلّا يُعَذِّبَ مَنْ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيئاً» في هذا بيان أن حق الله على عباده التوحيد والإخلاص لله، وأن يعبدوه وحده دون كل ما سواه، هذا حق فَرْضٍ وإيجاب، فرضه الله عليهم، حقه على عباده: أن يعبدوه وحده بدعائهم وخوفهم ورجائهم وذبحهم وصلاتهم وصومهم، وعباداتهم كلها لله وحده، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥] قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] فحق الله على العباد أن يعبدوه وحده، وأن يخصوه بالعبادة دون كل ما سواه.

وفي كون معاذ ركب مع النبي على الحمار ما يدل على جواز الإرداف على الدابة، وأنه لا بأس أن يركبها اثنان أو ثلاثة إذا كانت قوية تطيق، فإن معاذاً كان مع النبي ﷺ على حمار رديفاً له، هذا يدل على تواضع النبي ﷺ فهو ركب الحمار وأردف عليه، هذا يدل على التواضع العظيم، وأنه ﷺ كان في غاية من التواضع وعدم التكبر، فركب الحمار، ركب البغل وأردف، فدل على تواضعه عليه الصلاة والسلام، وعلى جواز الإرداف على الدابة، وأنه لا بأس أن يردف على الدابة إذا كانت قوية تطيق لا بأس أن يردف عليها، وفي الحديث بيان حق العباد على الله إذا أطاعوه وعظموه وعبدوه أن يدخلهم الجنة فضلاً منه وإحساناً، وهذا حقهم عليه إذا أطاعوه وعظموه واتبعوا شريعته أن يدخلهم الجنة وينجيهم من النار، بفضله وإحسانه، هذا فضل من ربنا ﷻ أنه سبحانه يتفضل على عباده المؤمنين إذا أدوا حقه وماتوا على الإيمان أن يدخلهم الجنة تفضلاً وإحساناً، أما حقه عليهم حق إيجاب وفريضة، واجب عليهم أن يعبدوا الله وحده دون كل ما سواه.

وفي **الحديث الثاني**: أن المؤمن إذا وضع في قبره وسُئل، يشهد

أن لا إلـه إلا الله وأن محمداً رسول الله؟ هذا المؤمن إذا وضع في القبر وسُئل قال: أشهد أن لا إلـه إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، وإذا قيل: من ربك؟ قال: ربي الله، وإذا قيل: ما دينك؟ قال: ديني الإسلام، وإذا قيل: من نبيك؟ قال: محمد ﷺ، فيثبته الله ويفسح له في قبره مد بصره ويفتح له باب إلى الجنة يأتيه من نعيمها وريحها، وهذا معنى قوله جلَّ وعلا: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

فأهل التوحيد والإيمان وأهل الصدق والاستقامة على طاعة الله يثبتهم الله في القبر عند السؤال، فإذا قال له: من ربك؟ قال: ربي الله، وإذا قال له: ما دينك؟ قال: ديني الإسلام، وإذا قال: من نبيك؟ قال: محمد ﷺ، وإذا سُئل عن الشهادتين قال: أشهد أن لا إلـه إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، فعند هذا يكون قبره روضة من رياض الجنة، ويفتح له باب إلى الجنة يأتيه من ريحها ونعيمها. أما الكافر: إذا سُئل فيقول: ها ها لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته، فيضرب بمطرقة من حديد، فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الثقلين، هذا عذاب معجل غير عذاب الآخرة، نسأل الله العافية.

فيجب على المؤمن: أن يستقيم على طاعة الله، وأن يتفقه في دينه وأن يتعلم، حتى يكون على بصيرة، وحتى يكون على بينة، حتى يعبد ربه على بصيرة، حتى يؤدي ما فرض الله على بصيرة، وحتى يبتعد عما حرم الله على بصيرة، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨] وقال النبي ﷺ: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**»[١].

---

(١) يأتي تخريجه في باب العلم برقم (١٣٧٦).

وفي **الحديث الثالث**: يقول ﷺ: «**إنّ الكَافِرَ إذَا عَمِلَ حَسَنَةً، أُطعِمَ بِهَا طُعْمَةً مِنَ الدُّنْيَا، وَأَمَّا المُؤْمِنُ فَإنَّ الله تَعَالَى يَدَّخِرُ لَهُ حَسَنَاتِهِ في الآخِرَةِ، وَيُعْقِبُهُ رِزْقاً في الدُّنْيَا عَلَى طَاعَتِهِ**» يجمع له بين الأمرين جزاءً في الدنيا بالخير والرزق الحلال وجزاء في الآخرة بالنعيم والجنة، أما الكافر إذا عمل عملاً طيباً في الدنيا بما يحبه الله أُطعم طُعمة في الدنيا، مثل أن يصل أرحامه، مثل أن يتصدق على الفقراء، وما أشبه ذلك يطعم طعمة بذلك في الدنيا، أي: يجزى به في الدنيا، أما المؤمن فإن الله يجمع له بين الأمرين، يجازى في الدنيا بما يسَّر الله له من الخير، ويجازى في الآخرة على ذلك أيضاً، يعطيه الله جزاءين: جزاءً في الدنيا وجزاءً في الآخرة، جزاء الآخرة بالجنة والنجاة من النار، وجزاء الدنيا بما يسَّر الله له من الخير في الدنيا.

ومعاذ لما سأله الرسول: ما حق الله على العباد؟ قال: الله ورسوله أعلم، هذا يقال في حياة النبي ﷺ، في حياة النبي ﷺ يقال: الله ورسوله أعلم، وبعد وفاة النبي: الله أعلم، إذا سُئل الإنسان عما لا يعلم يقول: الله أعلم، أو يقول: لا أدري، أما في حياة النبي ﷺ؛ لأنه ينزل الوحي فيقول: الله ورسوله أعلم، كما قال الصحابة ﷺ. وبعد وفاته يقال: الله أعلم؛ لأنه ﷺ لا يدري عن الناس ما أحدثوا بعده عليه الصلاة والسلام، ففي يوم القيامة يزاد الناس عن حوض النبي ﷺ فلا يشربوا فيقول الرسول: «**يَا رَبِّ أُصَيْحَابِي، فَيُقَالُ: إنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ كَمَا قَالَ العَبْدُ الصَّالِحُ**: ﴿وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [المائدة: ١١٧] **فَيُقَالُ: إنَّ هَؤُلَاءِ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ**»[١].

---

(١) متفق عليه. من حديث ابن عباس ﷺ أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب =

دلَّ على أنه لا يدري عن حال من جاء بعده ممن ارتد وكفر، هو يعلم ما كان في حياته بلَّغه الله إياه؛ ولهذا يقال: الله ورسوله أعلم في حياته ﷺ، أما بعد وفاته فيقول: الله أعلم، أو يقول: لا أدري، إذا سُئل عما لا يعلم، يقول: الله أعلم، أو يقول: لا أدري، هذا من الواجب اللازم، الواجب إذا سُئل الإنسان عما لا يعلم لا يتكلف، ولا يقول بغير علم، بل يقول: الله أعلم، إذا لم يكن عنده علم، أو يقول: لا أدري.

وفَّق الله الجميع.

❋ ❋ ❋

٤٢٩ ـ وعن جابر ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ «مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ كَمَثَلِ نَهْرٍ جَارٍ غَمْرٍ عَلَى بَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْم خَمْسَ مَرَّات». رواه مسلم[(١)].

□ (الغمر): الكثير.

٤٣٠ ـ وعن ابن عباس ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُول الله ﷺ، يقول: «مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِم يَمُوتُ، فَيقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعونَ رَجُلاً لَا يُشْرِكُونَ بِاللهِ شَيئاً، إلَّا شَفَّعَهُمُ اللهُ فِيهِ» رواه مسلم[(٢)].

٤٣١ ـ وعن ابن مسعود ﷺ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُول الله ﷺ في قُبَّة نَحْوَاً مِنْ أربَعِينَ، فَقَالَ: «أَتَرْضَونَ أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الجَنَّةِ؟» قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: «أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أهلِ الجَنَّةِ؟» قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: «وَالَّذِي

= ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ [المائدة: ١١٧] برقم (٤٦٢٥)، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء برقم (٢٨٦٠).

(١) أخرجه في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب المشي إلى الصلاة تُمحى به الخطايا وتُرفع به الدرجات برقم (٦٦٨).

(٢) أخرجه في كتاب الجنائز، باب من صلى عليه أربعون شفعوا فيه برقم (٩٤٨).

نَفْسُ مُحَمّدٍ بيَدِهِ، إنِّي لأَرْجُو أنْ تَكُونُوا نِصْفَ أهْلِ الجَنَّةِ، وذلك أنَّ الجنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا إلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، ومَا أنْتُم في أهْلِ الشِّرْكِ إلَّا كَالشَّعْرَةِ البَيْضَاءِ في جلدِ الثَّورِ الأَسْوَدِ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ السَّودَاءِ في جلدِ الثَّورِ الأحْمَر» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1].

الشَّرح

هذه الأحاديث الثلاثة فيها بيان فضل الصلاة، وفضل الأعمال الصالحات من صلاة الجنازة وغيرها، وفضل الاستقامة على الإيمان، وأن أهل الإيمان بالنسبة إلى غيرهم هم القليل، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣] قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [الأنعام: ١١٦].

يقول النبي ﷺ: «**مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ**» يعني: بالنسبة لمن حافظ عليها واستقام عليها في أوقاتها وأدى حقها «**كَمَثَلِ نَهْرٍ جَارٍ غَمْرٍ عَلَى بَابِ أحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْم خَمْسَ مَرَّات**» في آخر الرواية؛ يعني: أن اغتساله كل يوم خمس مرات من النهر الجاري لا يبقي من درنه شيئاً، فهكذا الصلوات الخمس إذا حافظ عليها المؤمن وأدى حقها كفَّر الله به خطاياه، يقول النبي ﷺ: «**الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ وَالجُمُعَةُ إلَى الجُمُعَةِ وَرَمَضَانُ إلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إذَا اجْتَنَبَ الكَبَائِرَ**»[2].

فهذه الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا ويحط بها السيئات لمن أدى حقها وحافظ عليها في أوقاتها في الجماعة، فهي عمود الإسلام، والركن الأعظم من أركان الإسلام بعد الشهادتين، فمن حافظ عليها وأدى حقها كفَّر الله بها سيئاته، وصار بمثابة من كان عند بابه نهر

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب كيف الحشر برقم (٦٥٢٨)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب كون هذه الأمة نصف أهل الجنة برقم (٢٢١).

(٢) سبق تخريجه برقم (١٣٠).

جارٍ يغتسل منه كل يوم خمس مرات؛ لكن بشرط اجتناب الكبائر من المعاصي المعروفة؛ كالزنى والسرقة وشرب المسكر، والربا، والغيبة، والنميمة، والعقوق وأشباه ذلك؛ لقوله ﷺ: «**الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ وَالجُمُعَةُ إِلَى الجُمُعَةِ وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الكَبَائِرَ**»[١] خرّجه مسلم في الصحيح. وفي اللفظ الآخر «**مَا لَمْ تُغْشَ الكَبَائِرُ**»[٢] والله يقول: في كتابه العظيم ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١].

فالمؤمن إذا اجتنب كبائر الذنوب وحذرها وابتعد عنها كفَّر الله ما قد يقع من الصغائر في جنب اجتنابه من للكبائر، وحَذَرِه وتوبتِه من غير إصرار، لا بد أن يكون تائباً نادماً غير مصر، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٥ ـ ١٣٦] هذه الآية تبين أن من أصر على الذنوب ولم يتب لا يغفر له، إنما ذلك لمن تاب ولم يصر.

ويقول ﷺ: «**مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ، فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعونَ رَجُلاً لَا يُشْرِكُونَ بِاللهِ شَيئاً، إِلَّا شَفَّعَهُمُ اللهُ فِيهِ**» هذا أيضاً من أسباب الخير؛ كونه يصلى على جنازته عدد كبير، هذا من أسباب قبول الشفاعة له، وفي اللفظ الآخر من حديث عائشة: «**لَا يَمُوتُ أَحَدٌ مِنَ المُسْلِمِينَ فَيُصَلِّي عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ، فَيَبْلُغُوا أَنْ يَكُونُوا مِائَةً فَيَشْفَعُوا إِلَّا شُفِّعُوا فِيهِ**»[٣].

---

(١) سيأتي تخريجه برقم (١٠٤٥).

(٢) سيأتي تخريجه برقم (١٠٤٥).

(٣) أخرجه عنها الترمذي في كتاب الجنائز، باب ما جاء في الصلاة على الجنازة والشفاعة للميت برقم (١٠٢٩) وقال حديث صحيح، النسائي في كتاب الجنائز، باب فَضْلِ مَنْ صَلَّى عَلَيْهِ مِائَةٌ برقم (١٩٩٢).

هذا فيه أن الصلاة على الجنازة كلما كثر المصلون صار هذا أقرب إلى أن يغفر الله له بدعائهم واستغفارهم له، ففي هذا أن الجنازة يتحرى بها المسجد الذي هو أكثر جماعة؛ لما في ذلك من الخير والفضل، مع مراعاة الحذر من الكبائر وعدم الإصرار عليها؛ لا بد من الحذر من الكبائر، قال تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١] وقال ﷺ: «**الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ وَالجُمُعَةُ إِلَى الجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ مَا لَمْ تُغْشَ الكَبَائِرُ**». في اللفظ الآخر: «**إِذَا اجْتَنَبَ الكَبَائِرَ**».

ويقول: عليه الصلاة والسلام لأصحابه ذات يوم وهو جالس بينهم «**أَتَرْضَونَ أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الجَنَّةِ؟**» قالوا: بلى يا رسول الله، **قَالَ**: «**أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أهلِ الجَنَّةِ؟**» **قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ**: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنِّي لأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الجَنَّةِ، وذلك أَنَّ الجنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، وَمَا أَنْتُم فِي أَهْلِ الشِّرْكِ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ البَيْضَاءِ فِي جلدِ الثَّورِ الأَسْوَدِ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ السَّودَاءِ فِي جلدِ الثَّورِ الأَحْمَرِ**» لكثرة المشركين، أهل التوحيد والإيمان هم القليل من أتباع الرسل من عهد آدم إلى يومنا، هم القليل من أتباع الرسل، كما قال ﷻ في قصة نوح: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٨] في آيات ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦] قال تعالى: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣] قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ: ٢٠] يعني: في قوله: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٧] هذا ظن منه؛ ولكن وقع الأكثرون في هذا، وقع الأكثرون في متابعة الشيطان متابعة الهوى، أكثر الخلق يتابع هواه في المعاصي والسيئات والشرك بالله وغير ذلك؛ لجهله وضلاله وقلة بصيرته، وقلة إيثاره للآخرة والواجب الحذر.

الواجب على المؤمن: أن يستقيم على طاعة الله ورسوله، وأن يحذر الإعراض عن ذلك والإصرار على السيئات، فإن الإصرار عليها من أسباب عدم المغفرة.

ومن أسباب السعادة: صحبة الأخيار، والاستقامة على طاعة المولى، والحذر من صحبة الأشرار، والحذر من التقلب تارة مع العصاة وتارة مع المطيعين، الحذر، ليستقيم، الله يقول: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ [هود: ١١٢] ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ يعني: ثبتوا واستمروا على الخير ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠] والصلاة هي أم الدين، هي عمود الإسلام، هي أعظم الأركان بعد الشهادتين، فمن حافظ عليها حفظ دينه، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع، يقول عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ العَبْدُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلاَتُهُ، فَإِنْ صَلُحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ**»[(١)].

وفي لفظ آخر: «**مَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا كَانَتْ لَهُ نُوراً وَبُرْهَاناً وَنَجَاةً يَوْمَ القِيَامَةِ، وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا لَمْ يَكُنْ لَهُ نُورٌ وَلَا بُرْهَانٌ وَلَا نَجَاةٌ، وَكَانَ يَوْمَ القِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَأُبَيِّ بْنِ خَلَفٍ**»[(٢)].

هذا وعيد عظيم، قال بعض أهل العلم في الكلام على هذا الحديث: إنما يحشر من ضيَّع الصلاة مع فرعون وهامان وقارون وأُبي بن خلف؛ لأن من ضيعها بسبب الملك والإمارة صار شبيهاً بفرعون، وإن ضيعها ولم يحافظ عليها بسبب الوزارة والوظيفة صار شبيهاً بهامان، وإن

---

(١) أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الصلاة، باب ما جاء أن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة برقم (٤١٣).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسند عبد الله بن عمرو (٢/ ١٦٩).

ضيعها ولم يحافظ عليها بأسباب المال والشهوات شابه قارون الذي خسف الله به وبداره الأرض، وإن ضيعها بأسباب التجارة والبيع والشراء أشبه أُبي بن خلف تاجر أهل مكة، ويحشر معهم يوم القيامة، هذا فيه: الحذر من التساهل بأمر الصلاة، فهي عمود الإسلام من حفظها حفظ دينه ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع، ومن أهم واجباتها العناية بالصفوف، كثير من الناس لا يبالي بالصفوف، الواجب على المصلين أن يعتنوا بالصفوف، ويكملوا الصف الأول ثم الثاني ثم الثالث، وهكذا الرسول أمر بهذا قال: «**أَتِمُّوا الصَّفَّ الأَوَّلَ ثُمَّ الَّذِي يَلِيهِ، وَإِنْ كَانَ نَقْصٌ فَلْيَكُنْ فِي الصَّفِ الْمُؤَخَّرِ**»[1] وقال ﷺ: **اسْتَووا وَتَرَاصُوا وَسُدُّوا الفُرَج**»[2] أمرهم أن يستووا في الصفوف، وأن يتراصوا وأن يسدوا الفرج، وقال ﷺ: «**أَلَا تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا**» فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ وَكَيْفَ تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟ قَالَ: «**يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الأُوَلَ وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ**»[3].

هكذا تكون الملائكة عند ربها، فأنت يا عبد الله في الصلاة كذلك عليك أن تكمل الأول فالأول، لا تبدأ في الثاني حتى يكمل الأول، ولا في الثالث حتى يكمل الثاني، ولا في الرابع حتى يكمل الثالث، وهكذا يجب تكميل الأول فالأول طاعة لله ورسوله، وعملاً بما شرعه الله لعباده، وتعاوناً على البر والتقوى، رزق الله الجميع التوفيق والهداية.

* * *

---

(١) أخرجه النسائي من حديث أنس ﷺ في كتاب الإمامة، باب الصف المؤخر برقم (٨١٨) والإمام أحمد (٣/ ١٣٢ و٢١٥).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ٨٦) من حديث أنس ﷺ بدون ذكر «**وسُدُّوا الفُرَج**».

(٣) أخرجه مسلم من حديث جابر بن سمرة ﷺ في كتاب الصلاة، باب الأمر بالسكون في الصلاة والنهي عن الإشارة باليد ورفعها عند السلام وإتمام الصفوف الأول والتراص فيها والأمر بالاجتماع برقم (٤٣٠).

٤٣٢ ـ **وعن** أَبي موسى الأشعري ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ دَفَعَ اللهُ إِلَى كُلِّ مُسْلِم يَهُودياً أَوْ نَصْرانِياً، فَيَقُولُ: هَذَا فِكَاكُكَ مِنَ النَّارِ»[(١)].

📖 وفي رواية عَنْهُ، عن النَّبيّ ﷺ، قَالَ: «يَجِيءُ يَوْمَ القِيَامَةِ نَاسٌ مِنَ المُسْلِمينَ بِذُنُوبٍ أَمْثَال الجِبَالِ يَغْفِرُهَا الله لَهُمْ» رواه مسلم[(٢)].

◻ قوله: «دَفَعَ إِلَى كُلِّ مُسْلِم يَهُودِيّاً أَوْ نَصْرَانِيّاً، فَيَقُولُ: هَذَا فِكَاكُكَ مِن النَّارِ»: مَعنَاهُ: مَا جَاءَ في حديث أَبي هريرة ﷺ: «لِكُلِّ أَحَدٍ مَنْزِلٌ في الجَنَّةِ، وَمَنْزِلٌ في النَّارِ، فَالمُؤْمِنُ إِذَا دَخَلَ الجَنَّةَ خَلَفَهُ الكَافِرُ في النَّارِ؛ لأَنَّهُ مُسْتَحِقٌّ لِذَلِك بِكفْرِهِ» ومعنى «فِكَاكُكَ»: أَنَّكَ كُنْتَ معْرَّضاً لِدُخُولِ النَّارِ، وَهَذَا فِكَاكُكَ؛ لأنَّ الله تَعَالَى، قَدَّرَ للنَّارِ عَدَداً يَمْلَؤُهَا، فَإِذَا دَخَلَهَا الكُفَّارُ بِذُنُوبِهِمْ وَكُفْرِهِمْ، صَارُوا في مَعنَى الفِكَاك للمُسْلِمِينَ، والله أعلم.

٤٣٣ ـ **وعن** ابن عمر ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ، يقول: «يُدْنَى المُؤْمِنُ يَوْمَ القِيَامَة مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يَضَعَ كَنَفَهُ عَلَيهِ، فَيُقَرِّرُهُ بذُنُوبِهِ، فيقولُ: أتعرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتعرفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فيقول: رَبِّ أعْرِفُ، قَالَ: فَإِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ في الدُّنْيا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ اليَومَ، فَيُعْطَى صَحيفَةَ حَسَنَاتِهِ» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[(٣)].

◻ «كَنَفَهُ»: سَتْرُهُ وَرَحْمَتُهُ.

٤٣٤ ـ **وعن** ابن مسعود ﷺ؛ أَنَّ رَجُلاً أَصَابَ مِن امْرَأة قُبْلَةً، فَأَتَى النَّبيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ، فَأَنْزَلَ الله تَعالَى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله برقم (٢٧٦٦).

(٢) أخرجها في كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله برقم (٢٧٦٧).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب المظالم، باب قول الله تعالى: ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨] برقم (٢٤٤١)، وفي التفسير برقم (٤٦٨٥)، وفي كتاب الأدب برقم (٦٠٧٠)، وفي كتاب التوحيد برقم (٧٥١٤)، ومسلم في كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله برقم (٢٧٦٨).

ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ [هود: ١١٤] **فَقَالَ الرَّجُلُ: أَلِيَ هَذَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «لجميعِ أُمَّتِي كُلِّهِمْ» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ**[١].

الشَّـرح

هذه الأحاديث في بيان سعة جود الله وكرمه وإحسانه إلى عباده، وأنه سبحانه يجود على أوليائه وأهل طاعته، ويغفر لهم الذنوب الكثيرة بسبب أعمالهم الصالحة، وتقواهم لله وتوبتهم إليه ومسارعتهم إلى مراضيه.

ففي **الحديث الأول**: أنه يعطى كل مسلم فكاكه من النار يهودي أو نصراني يقول: **«هَذَا فِكَاكُكَ مِنَ النَّارِ»** وفي اللفظ الآخر **«مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا لَهُ مَنْزِلَانِ مَنْزِلٌ فِي الجَنَّةِ وَمَنْزِلٌ فِي النَّارِ»** فَإِذَا أَمَاتَه الله على الإيمان والهدى صار إلى منزله في الجنة، وصار منزله في النار لغيره من الكفرة من اليهود والنصارى وغيرهم، وكانت فِكَاكَه مِنَ النَّارِ، فهذا فيه الحث على الاستقامة والثبات على الحق، وأن من مات على الهدى وقي دخول النار، ووفق لدخول الجنة، وصارت الأماكن التي أُعدت له لو كفر في النار تكون للكفرة الذين هم يستحقون ذلك، ومن فكاكه من النار؛ لأنهم أهلها وقد عملوا ما يوجب دخولهم إياها.

فالواجب على المؤمن أن يحذر شر السيئات، وأن يبادر بالتوبة والعمل الصالح، لعله ينجو من غضب الله ويفوز بمغفرته ورحمته.

وفي **الحديث الثاني**: «إن الله يدني عبده المؤمن منه، فيقرره بذنوبه ويقول: أتذكر كذا أتذكر كذا؟ فيقول: نعم يا ربي، قال: فإني قد سترتها

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلاة كفارة برقم (٥٢٦)، وفي كتاب التفسير برقم (٤٦٨٧)، ومسلم في كتاب التوبة، باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ برقم (٢٧٦٣).

عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم»، فالإنسان قد يقع منه زلات فيسترها الله عليه بسبب أعماله الصالحة، بسبب تقواه لله بسبب قيامه بحق الله، فيغفرها الله له يوم القيامة، كما قال جلَّ وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٩] قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾ [الطلاق: ٥] قال في حق من أشرك وقتل وزنى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٧٠ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا﴾ [الفرقان: ٧٠ ـ ٧١] ويقول ﷻ: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢] ويقرر بذنوبه، ثم يقول الله له: سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، بسبب تقواه وأعماله الصالحة وإخلاصه لله؛ كفَّر الله عنه سيئاته المستورة التي سترها الله عليه.

فأنت يا عبد الله اجتهد في طاعة ربك، وبادر بالتوبة إليه، واحذر معصيته ومخالفة أمره، واعلم أنه سبحانه جواد كريم، وأنك متى تُبت إليه ورجعت إليه وأنبت إليه غفر الله لك، ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾.

كذلك **حديث ابن مسعود**: فيه أن رجلاً أصاب من امرأةٍ قبلةً، ثم أتى وصلَّى مع النبي ﷺ وقال: يا رسول الله أصبت حداً فأقمه عليَّ قال: صليت معنا اليوم قال: نعم، قال: إن الله قد غفر لك حدك، وأنزل الله: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ﴾ [هود: ١١٤] هذا فيه: أن من تاب إلى الله ورجع من سيئاته غفرها الله له، من جاء تائباً نادماً الله يغفر له ﷻ، المقصود والمهم البدار بالتوبة من الخلل، الإنسان يصاب بالخلل يصاب بالمعصية كل بني آدم خطاء؛ ولكن المهم والواجب أن يبادر بالتوبة وأن يسارع إليها قبل

أن تزل قدمه، قبل أن يموت قبل أن يهجم عليه الأجل، ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣] ثم قال بعده: ﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ﴾ [الزمر: ٥٤] العبد عليه التوبة والله يغفر له؛ لا يقنط يتوب وينيب إلى الله ويبشر بالخير، المصيبة الإصرار، الإصرار هو المصيبة وعدم التوبة قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٥ ـ ١٣٦] فأعطاهم هذا النعيم والخير بسبب توبتهم وعدم إصرارهم، فالنصوص من الآيات والأحاديث يفسر بعضها بعضاً، ويرشد بعضها إلى بعض، ولا يضرب بكتاب الله بعضها ببعض، ولا سُنَّة الرسول بعضها ببعض، بل كل منهما يفسر الآخر، وكل آية تفسر الأُخرى، كل حديث يفسر الآخر، وبهذا يجتمع شمل الأحاديث والآيات، ويتضح لطالب الحق معناها ومرادها، فمن أصر على المعاصي فهو على خطر من دخول النار، قد أخبر الرسول ﷺ؛ أن كثيراً من العصاة يعذبون في النار على قدر معاصيهم، وأنهم بعدما يطهرون ويمحصون يخرجون من النار بعد التطهير، منهم من يخرج بالشفاعة، شفاعته ﷺ وشفاعة غيره، ومنهم من يخرجه الله بغير شفاعة أحد، إذا طُهر ومحص، فالعاقل يحذر شرَّ عمله ويبادر بالتوبة، ويجتهد في التوبة ويحرص على عدم الإصرار رجاء المغفرة والتوبة، ورجاء حسن العاقبة.

نسأل الله للجميع التوفيق والهداية، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

❊ ❊ ❊

٤٣٥ ـ **وعن** أنس رضي الله عنه، قَالَ: جاء رجل إِلَى النَّبيّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُول الله، أَصَبْتُ حَدّاً، فَأَقِمْهُ عَلَيَّ، وَحَضَرَتِ الصَّلاةُ، فَصَلَّى مَعَ رَسُول الله ﷺ، فَلَمَّا قَضَى الصَّلاةَ، قَالَ: يَا رَسُول الله، إنِّي أصَبْتُ حَدّاً فَأقِمْ فيَّ كِتَابَ الله، قَالَ: «هَلْ حَضَرْتَ مَعَنَا الصَّلاةَ»؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «قَدْ غُفِرَ لَكَ» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1].

□ وقوله: «أَصَبْتُ حَدّاً»: مَعناهُ: مَعْصِيَةً تُوجِبُ التَّعْزيرَ، وَلَيْسَ المُرَادُ الحدّ الشَّرعيّ الحَقِيقيّ؛ كَحَدِّ الزِّنَى وَالخمر وَغَيرِهِمَا، فإنَّ هذِهِ الحُدودَ لا تَسْقُطُ بالصَّلاةِ، وَلَا يَجُوزُ للإمَامِ تَرْكُهَا.

٤٣٦ ـ **وعنه**، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «إنَّ اللهَ لَيَرْضَى عَنِ العَبْدِ أنْ يَأكُلَ الأَكْلَةَ، فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ، فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا» رواه مسلم[2].

□ «الأَكْلَة»: بفتح الهمزة وهي المرةُ الواحدةُ مِنَ الأكلِ؛ كَالغَدوَةِ وَالعَشْوَةِ، والله أعلم.

٤٣٧ ـ **وعن** أبي موسى رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ، قَالَ: «إنَّ الله تَعَالَى يَبْسُطُ يَدَهُ باللَّيلِ ليَتُوبَ مُسِيءُ النَّهارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيلِ، حَتَّى تَطلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا» رواه مسلم[3].

الشَّرح

هذه الأحاديث الثلاثة فيها جملة من الآداب الشرعية والتوجيهات النبوية للأمة؛ لأنه ﷺ بعثه الله مرشداً للأمة إلى مكارم الأخلاق

(١) أخرجه البخاري في كتاب الحدود، باب إذا أقر بالحد ولم يبين هل للإمام أن يستر عليه برقم (٦٨٢٣)، ومسلم في كتاب التوبة، باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤] برقم (٢٧٦٤).

(٢) أخرجه في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب برقم (٢٧٣٤).

(٣) أخرجه في كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب، وإن تكررت الذنوب والتوبة برقم (٢٧٥٩).

ومحاسن الأعمال، ومعلماً لهم أسباب النجاة ومحذراً لهم من أسباب الهلاك ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥ ـ ٤٦] عليه الصلاة والسلام.

يقول عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث الصحيح يقول: «**إنَّ الله تَعَالَى يَبْسُطُ يَدَهُ بالليل ليَتُوبَ مُسِيءُ النَّهارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيلِ، حَتَّى تَطلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا**» في هذا الحث على التوبة، وأن الله جلَّ وعلا يحث عباده على التوبة ليلاً ونهاراً، قال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١] قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾ [التحريم: ٨] قال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٤] ويقول النبي ﷺ: «**التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ**»[١].

ويقول عليه الصلاة والسلام: «**إنَّ الله لَيرْضَى عَنِ العَبْدِ أنْ يَأكُلَ الأَكْلَةَ، فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ، فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا**» أنت يا عبد الله مأمور بهذا الخير عند الأكل والفراغ تحمد ربك، وهكذا بعد الشراب.

قال حين يفرغ من الطعام: «**الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا الطَّعَامَ وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ غُفِرَ لَهُ ذنبه**»[٢] فالمؤمن يجتهد في أنواع الحمد، كذلك مما كان يقول ﷺ عند النوم: «**الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا وَكَفَانَا وَآوَانَا فَكَمْ مِمَّنْ لَا كَافِيَ لَهُ وَلَا مُؤوِيَ**»[٣].

وهكذا بعد الطعام «**الحَمْدُ للهِ حَمْداً كَثِيراً طَيِّباً مُبَارَكاً فِيهِ، غَيْرَ**

---

(١) أخرجه ابن ماجه من حديث عبيدة بن عبد الله عن أبيه رضي الله عنهما في كتاب الزهد، باب ذكر التوبة برقم (٤٢٥٠).

(٢) أخرجه أبو داود من حديث سهل بن معاذ عن أبيه في كتاب اللباس، باب ما يقول إذا لبس ثوباً جديداً برقم (٤٠٢٣).

(٣) سيأتي تخريجه برقم (١٤٦٣).

مَكْفِيٍّ، وَلَا مَكْفُورٍ، وَلَا مُوَدَّعٍ وَلَا مُسْتَغْنًى عَنْهُ، رَبَّنَا»[١] فالإنسان يحمد ربه بعد أكله وشربه يثني على الله؛ لأنه هو المنعم جلَّ وعلا المحسن إليك لطعامك وشرابك، فالمشروع لك بعد الفراغ من أكلك وشربك أن تحمد الله، تقول: **الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا الطَّعَامَ وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ»**[٢] و**«الحَمْدُ للهِ حَمْداً كَثِيراً طَيِّباً مُبَارَكاً فِيهِ، غَيْرَ مَكْفِيٍّ، ولَا مَكْفُورٍ، وَلَا مُوَدَّعٍ وَلَا مُسْتَغْنًى عَنْهُ، رَبَّنَا»** و**«الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَطْعَمَ وَسَقَى وَسَوَّغَهُ وَجَعَلَ لَهُ مَخْرَجاً»**[٣].

«الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا وَكَفَانَا، وَآوَانَا فَكَمْ مِمَّنْ لَا كَافِيَ لَهُ وَلَا مُؤْوِيَ»، «الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا وَجَعَلَنَا مُسْلِمِينَ»[٤] تُكثر من حمد ربك، ربك جواد كريم، يحب أن يحمد ويحب أن يثنى عليه ﷻ؛ فالمشروع لك أن تكثر من حمد ربك بعد الأكل والشرب، وعند النوم وفي جميع الأحوال، ترجو ثوابه وتخشى عقابه، هكذا المؤمن أبداً.

والحديث الذي تقدم الكلام عليه أيضاً رجلٌ قال: يا رسول الله! أصبت حداً، ثم صلَّى مع الناس فقال بعد الصلاة: يا رسول الله أصبت حداً، فأقمه عليَّ، قال: **«حَضَرْتَ مَعَنَا الصَّلَاةَ»؟ قال: نعم. قال: «قَدْ غَفَرَ لَكَ»** تقدم الكلام عليه في درس سبق وهو يدل على أن العبد متى تاب إلى الله وندم غفر الله له حدَّه ولا حاجة إلى أن يقول للناس فعلت وفعلتُ، ولا حاجة إلى

---

(١) سيأتي تخريجه برقم (٧٣٤).

(٢) سيأتي تخريجه برقم (٧٣٥).

(٣) أخرجه أبو داود من حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه في كتاب الأطعمة، باب ما يقول الرجل إذا طعم برقم (٣٨٥١).

(٤) أخرجه أبو داود من حديث أبي سعيد في كتاب الأطعمة، باب ما يقول الرجل إذا طعم برقم (٣٨٥٠)، والترمذي في كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا فرغ من الطعام برقم (٣٤٥٧)، وابن ماجه في كتاب الأطعمة، باب ما يقال إذا فرغ من الطعام برقم (٣٢٨٣).

أن يقول: أقيموا عليَّ الحد، متى تاب إلى الله فيما بينه وبين ربه كفى؛ ولهذا أنـزل الله جـلَّ وعـلا: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤] في الحديث الصحيح يقول ﷺ: **«الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ وَالجُمُعَةُ إِلَى الجُمُعَةِ وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الكَبَائِرَ»**(١) فالعبد متى تاب إلى الله وأناب إليه غفر الله له ذنبه كبيراً أو صغيراً، فالتوبة تجب ما قبلها من الذنوب كلها صغيرها وكبيرها.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٤٣٨ ـ وعن أبي نجيح عمرو بن عَبَسَة ـ بفتح العين والباءِ ـ السُّلَمِيِّ ﷺ، قَالَ: كُنْتُ وأنَا فِي الجَاهِلِيَّةِ أظُنُّ أنَّ النَّاسَ عَلَى ضَلالَةٍ، وَأنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ، وَهُمْ يَعْبُدُونَ الأوْثَانَ، فَسَمِعْتُ بِرَجُلٍ بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أخْبَاراً، فَقَعَدْتُ عَلَى رَاحِلَتِي، فَقَدِمْتُ عَلَيهِ، فإذَا رسولُ الله ﷺ مُسْتَخْفِياً، جُرَءاءُ عَلَيهِ قَوْمُهُ، فَتَلَطَّفْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيهِ بِمَكَّةَ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا أنْتَ؟ قَالَ: «أنَا نَبِيٌّ» قُلْتُ: وما نبيٌّ؟ قَالَ: «أرْسَلَنِي الله» قُلْتُ: وبأيِّ شَيْءٍ أرْسَلَكَ؟ قَالَ: «أرْسَلَنِي بِصِلَةِ الأرْحَامِ، وَكَسْرِ الأوْثَانِ، وَأنْ يُوَحَّدَ اللهُ لَا يُشْرَكُ بِهِ شَيْءٌ» قُلْتُ: فَمَنْ مَعَكَ عَلَى هَذَا؟ قَالَ: «حُرٌّ وَعَبْدٌ» ومعه يَوْمَئذٍ أبُو بكرٍ وبلالٌ ﷺ، قُلْتُ: «إنِّي مُتَّبِعُكَ» قَالَ: «إنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ ذلِكَ يومَكَ هَذَا، ألا تَرَى حَالي وحالَ النَّاسِ؟ وَلكِنِ ارْجعْ إِلَى أهْلِكَ فَإذَا سَمِعْتَ بي قَدْ ظَهَرْتُ فَأْتِنِي».

قَالَ: فَذَهَبْتُ إِلَى أهْلِي وقَدِمَ رَسُول الله ﷺ المَدِينَةَ حَتَّى قَدِمَ نَفَرٌ مِنْ أهْلِي المَدِينَةَ، فقلتُ: مَا فَعَلَ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي قَدِمَ المَدِينَةَ؟ فقالوا: النَّاس إلَيهِ سِرَاعٌ، وَقَدْ أرادَ قَومُهُ قَتْلَهُ، فلَمْ يَسْتَطِيعُوا ذلِكَ، فقَدِمْتُ المدينَةَ، فَدَخَلْتُ عَلَيهِ، فقلتُ: يَا رَسُول الله أتَعرِفُني؟ قَالَ: «نَعَمْ، أنْتَ الَّذِي لَقَيْتَنِي بمكَّةَ» قَالَ: فقلتُ: يَا رَسُول الله، أخْبِرنِي عَمَّا عَلَّمَكَ الله

---

(١) سيأتي تخريجه برقم (١٠٤٥).

وأَجْهَلُهُ، أخْبِرْنِي عَنِ الصَّلَاةِ؟ قَالَ: «صَلِّ صَلَاةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ اقْصُرْ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّى تَرْتَفِعَ الشَّمْسُ قِيدَ رُمْحٍ، فَإِنَّهَا تَطْلُعُ حِينَ تَطلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيطَان، وَحِينَئِذٍ يَسجُدُ لَهَا الكُفَّارُ، ثُمَّ صَلِّ فَإنَّ الصَلاَةَ مَشْهُودَةٌ مَحْضُورةٌ حَتَّى يَسْتَقِلَّ الظِّلُّ بالرُّمْحِ، ثُمَّ اقْصُرْ عَنِ الصَّلاةِ، فَإنَّهُ حينئذٍ تُسْجَرُ جَهَنَّمُ، فإذَا أقْبَلَ الفَيْءُ فَصَلِّ، فَإنَّ الصَّلاةَ مَشْهُودَةٌ مَحضُورَةٌ حَتَّى تُصَلِّي العصرَ، ثُمَّ اقْصرْ عَنِ الصَّلاةِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ، فإنَّهَا تَغْرُبُ بينَ قَرْنَيْ شَيطانٍ، وَحِينَئذٍ يَسْجُدُ لَهَا الكُفّارُ».

قَالَ: فقلتُ: يَا نَبيَّ الله، فالوضوءُ حدثني عَنْهُ؟ فَقَالَ: «مَا مِنْكُمْ رَجُلٌ يُقَرِّبُ وَضُوءهُ، فَيَتَمَضْمَضُ وَيستَنْشِقُ فَيَسْتَنْثِرُ، إلَّا خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ مِنْ أطْرَافِ لِحْيَتِهِ مَعَ المَاءِ، ثُمَّ يَغْسِلُ يديهِ إلَى المِرفقَيْن، إلَّا خَرَّتْ خَطَايَا يَدَيْهِ مِنْ أنَامِلِهِ مَعَ الماءِ، ثُمَّ يَمْسَحُ رَأسَهُ، إلَّا خرّتْ خطايا رأسِهِ من أطْرَافِ شَعْرِهِ مَعَ الماءِ، ثُمَّ يغسل قدميه إلَى الكعْبَيْنِ، إلَّا خَرَّتْ خَطَايَا رِجلَيْهِ مِنْ أنَامِلِهِ مَعَ الماءِ، فَإنْ هُوَ قَامَ فَصَلَّى، فَحَمِدَ الله تَعَالَى، وأثنى عَلَيهِ ومَجَّدَهُ بالَّذي هُوَ لَهُ أهْلٌ، وَفَرَّغَ قلبه للهِ تَعَالَى، إلَّا انْصَرفَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كهيئته يَومَ وَلَدتهُ أُمُّهُ».

فحدث عَمرُو بن عَبسَة بهذا الحديث أَبَا أُمَامَة صاحِب رَسُول الله ﷺ، فَقَالَ لَهُ أَبُو أُمَامَة: يَا عَمْرُو بنُ عَبسَة، انْظُر مَا تقولُ! في مقام واحدٍ يُعْطَى هَذَا الرَّجُلُ؟ فَقَالَ عَمْرٌو: يَا أَبَا أُمَامَة، لقد كَبرَتْ سِنّي، وَرَقَّ عَظْمِي، وَاقْتَرَبَ أجَلِي، وَمَا بِي حَاجَةٌ أنْ أكْذِبَ عَلَى اللهِ تَعَالَى، وَلا عَلَى رَسُول الله ﷺ، لَوْ لَمْ أسمعه مِنْ رَسُول الله ﷺ، إلَّا مَرَّةً أَوْ مَرَّتَينِ أَوْ ثَلاثاً حَتَّى عَدَّ سَبْعَ مَرَّات مَا حَدَّثْتُ أبداً بِهِ، وَلكنّي سمعتُهُ أكثَر من ذلِكَ. رواه مسلم[1].

---

(١) أخرجه في كتاب الصلاة، باب إسلام عمرو بن عبسة برقم (٨٣٢).

□ قوله: «جُرَءاءُ عَلَيهِ قَومُه»: هُوَ بجيم مضمومة وبالمد عَلَى وزنِ عُلماءَ أيْ: جَاسِرونَ مُستَطِيلُونَ غيرُ هائِبينَ، هذِهِ الرواية المشهورةُ، ورواه الحُمَيْدِيُّ وغيرُهُ «حِرَاءٌ»: بكسر الحاء المهملة، وَقالَ: معناه غِضَابٌ ذَوُو غَمّ وهَمّ، قَدْ عِيلَ صَبرُهُمْ بِهِ، حَتَّى أثَّرَ في أجسامهم، من قولِهِم: حَرَى جسمهُ يَحْرَى، إِذَا نَقَصَ مِنْ ألم أَوْ غَمٍّ ونحوهِ، والصَّحيحُ أنَّهُ بالجيم. قوله ﷺ: «بَيْنَ قَرنَيْ شيطان»: أيْ: ناحيتي رأسِهِ والمرادُ التَّمْثيلُ، وَمعْنَاهُ: أنه حينئذٍ يَتحرَّكُ الشَّيطَانُ وَشيعَتُهُ، وَيتَسَلَّطُونَ.

□ وقوله: «يُقَرِّبُ وَضوءَهُ»: معناه يُحضِرُ الماءَ الَّذِي يَتَوضّأ بِهِ، وقوله: «إلَّا خرَّت خطايا»: هُوَ بالخاءِ المعجمة؛ أيْ: سقطت، ورواه بعضُهم «جَرَت»: بالجيم، والصحيح بالخاءِ وَهُوَ رواية الجمهور. وقوله: «فينْتَثِرُ»: أيْ: يَستخرجُ مَا في أنفهِ مِنْ أذىً والنَّثْرَةُ: طَرَفُ الأنْفِ.

٤٣٩ ـ وعن أَبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النَّبيّ ﷺ، قَالَ: «إِذَا أرادَ الله تَعَالَى رَحمةَ أُمَّةٍ، قَبَضَ نَبيَّهَا قَبْلَها، فَجعلهُ لَهَا فَرطاً وسلَفاً بَيْنَ يَدَيْهَا، وإِذَا أرادَ هَلَكَةَ أُمَّةٍ، عَذَّبَهَا وَنَبِيُّهَا حَيٌّ، فَأهلكَها وَهُوَ حيٌّ يَنظُرُ، فَأقرّ عَينَهُ بهلاكِها حِينَ كَذَّبُوهُ وَعَصَوا أمْرَهُ» رواه مسلم[1].

الشَّرح

هذا الحديث العظيم، حديث عمرو بن عبسة السلمي رضي الله عنه فيما يدل على فضل الوضوء والصلاة بعد الوضوء، وقد جاءت أحاديث كثيرة تدل على هذا المعنى، فالوضوء فضله عظيم، وإذا صلى بعده ركعتين كان ذلك أيضاً من تمام الأجر، كما في حديث عثمان في الصحيحين «مَنْ تَوَضَّأَ وُضُوئِي هَذَا، ثُمَّ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، لَا يُحَدِّثُ نَفْسَهُ فِيهِمَا بِشَيْءٍ، إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»[2].

---

(١) أخرجه في كتاب الفضائل، باب إذا أراد الله رحمة أُمة قبض نبيها برقم (٢٢٨٨).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصوم، باب سواك الرطب واليابس للصائم برقم (١٩٣٤)، ومسلم في كتاب الطهارة، باب صفة الوضوء وكماله برقم (٢٢٦).

وفي **حديث عمرو بن عبسة هذا**؛ أنه دخل على النبي ﷺ أول ما بُعث في مكة وسأل عنه وأخبر أنه نبي وأنه رسول وليس معه ذاك الوقت إلا أبو بكر الصديق وبلال: حرٌّ وعبد، وقال له النبي ﷺ لما قال: إني أُريد أن أتبعك، قال: «**إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ ذلِكَ يَومَكَ هَذَا**» «**وَلَكِنِ ارْجِعْ إِلَى أَهْلِكَ فَإِذَا سَمِعْتَ بي قَدْ ظَهرْتُ فَأْتِنِي**» فلما توجه النبي ﷺ إلى المدينة مهاجراً وسمع بخبره عمرو بن عبسة توجه إلى المدينة ودخل عليه وعرفه النبي ﷺ وسأله عما سأله عنه، فأخبرني بما علمك الله فأرشده إلى الوضوء في الصلاة، والصلاة هي عمود الإسلام، وهي أفضل الأعمال بعد التوحيد، وهي من أسباب التكفير، من أسباب حط الخطايا، وعلَّمه كيفية الوضوء، وأن الوضوء من أسباب المغفرة.

وهكذا الصلاة بعد الوضوء من أسباب المغفرة، والسُّنَّة للمؤمن إذا توضأ أن يسبغ الوضوء ثم يصلي ركعتين سُنَّة الوضوء، فهذا كله من أسباب المغفرة وحط الخطايا إذا لم يصر على السيئات، إذا لم يكن لديه كبائر قد أصر عليها، كما قال ﷺ: «**الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ وَالجُمُعَةُ إِلَى الجُمُعَةِ وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الكَبَائِرَ**»(١) فالوضوء، والصلاة، والصيام، والحج، والجمعة إلى الجمعة، كلها مكفرات للسيئات إذا رزق الله العبد اجتناب الكبائر عند خطاياه التي دون الكبائر يمحوها الله بهذه الأعمال الصالحات، وجدير بالمؤمن أن يحاسب نفسه، وأن يبتعد عما حرَّم الله عليه وأن يجتهد في أداء ما أوجب الله عليه وما شرع الله له.

ويبين هذا الحديث أن الضحى كله محل صلاة ما بين ارتفاع الشمس إلى وقوفها محلها، محل صلاة محل تعبد، ولو صلى مئات الركعات محل تعبد ما بين ارتفاع الشمس قيد رمح إلى وقوفها، كله

---

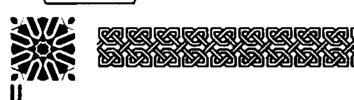
(١) سيأتي تخريجه برقم (١٠٤٥).

محل صلاة فإذا وقفت وصارت في وسط السماء منعت الصلاة حتى تزول، فإذا زالت شرعت الصلاة، صلاة الظهر والنوافل إلى أن يصلي العصر كله محل صلاة، فإذا صلى العصر دخل وقت النهي إلى أن تغيب الشمس، فإذا غابت الشمس دخل وقت الصلاة، صلاة المغرب ثم بعدها صلاة العشاء إذا غابت الشفق وكل الليل محل صلاة، كل الليل محل صلاة ومحل تهجد ومحل عبادة، وكل النهار محل عبادة ما بين ارتفاع الشمس قيد رمح إلى وقوفها، وما بين الظهر والعصر كله محل صلاة يقول ﷺ: «**أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهَراً بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْساً ما تَقُولُ ذلك يبْقِي مِنْ دَرَنِهِ؟**» قالوا: لا يبقى من درنه شَيْئاً قال: «**فَذَلِك مِثْلُ الصَّلوَاتِ الخَمْسِ يَمْحُو اللهُ بِهَا الخَطَايَا**»[1] يعني: لمن أقبل عليها وصلاها كما أمر الله.

وفّق الله الجميع.



(١) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ في كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلوات الخمس كفارة برقم (٥٢٨)، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب المشي إلى الصلاة تمحى به الخطايا وترفع به الدرجات برقم (٦٦٧).

٥٢ ـ بَابُ فضل الرجاء

قال الله تعالى ـ إخباراً عن العبد الصالح ـ: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ﴾ [غافر: ٤٤ ـ ٤٥].

٤٤٠ ـ **وعن** أَبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ؛ أَنَّهُ قَالَ: «قَالَ الله عز وجل: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنا معه حَيْثُ يَذْكُرنِي، وَاللهِ، للهُ أَفْرَحُ بِتوبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أحَدِكُمْ يَجِدُ ضَالَّتَهُ بالفَلاَةِ، وَمَنْ تَقرَّبَ إلَيَّ شِبْراً، تَقَرَّبْتُ إلَيْهِ ذِرَاعاً، وَمَنْ تَقرَّبَ إلَيَّ ذِرَاعاً، تَقَرَّبْتُ إلَيْهِ بَاعاً، وَإذَا أقْبَلَ إلَيَّ يَمْشِي أقْبَلْتُ إلَيْهِ أُهَرْوِلُ»[1] متفقٌ عليه، وهذا لفظ إحدى روايات مسلم. وتقدم شرحه في الباب قبله.

📖 ورُوِيَ في الصحيحين: «وأنا معه حين يذكرني» بالنون، وفي هذه الرواية «حيث» بالثاء وكلاهما صحيح.

٤٤١ ـ **وعن** جابر بن عبد الله رضي الله عنهما؛ أنه سمع رسول الله ﷺ قبلَ مَوْتِه بثلاثَةِ أيّام، يقولُ: «لَا يَمُوتَنّ أَحَدُكُمْ إلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بالله عز وجل» رواه مسلم[2].

٤٤٢ ـ **وعن** أنس رضي الله عنه، قَالَ: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «قَالَ الله تَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ، إنَّكَ ما دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨] برقم (٧٤٠٥)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الحث على الذكر برقم (٢٦٧٥).

(٢) أخرجه في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت برقم (٢٨٧٧).

وَلَا أُبَالِي. يَا ابْنَ آدَمَ، لَوْ بَلَغت ذُنُوبُك عَنَانَ السماءِ، ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَني غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايا، ثُمَّ لَقَيْتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئاً، لأَتَيْتُكَ بقُرَابِها مَغْفِرَةً» رواه الترمذي[1]، وقال: حديث حسن.

□ «عَنَانُ السَّماءِ»: بفتح العين، قيل: هو مَا عَنَّ لَكَ مِنْهَا؛ أيْ: ظَهَرَ إِذَا رَفَعْتَ رَأسَكَ، وقيل: هو السَّحَابُ. وَ(قُرابُ الأرض): بضم القاف، وقيل: بكسرها، والضم أصح وأشهر، وَهُوَ: مَا يقارب مِلأَهَا، والله أعلم.

الشَّرح

هذه الأحاديث الثلاثة مع الآية الكريمة فيها الحث على الرجاء وبيان فضله، وتقدمت آيات وأحاديث في بيان وجوب الرجاء وعدم جواز القنوط واليأس، والأحاديث السابقة في وجوب الرجاء وتحريم القنوط واليأس وفي وجوب الخوف من الله وتحريم الأمن، يجب على كل مسلم وعلى كل مسلمة أن يكون خائفاً راجياً فلا يأمن مكر الله ولا يقنط من رحمته، ولكن يسير بين هذا وهذا بين الرجاء والخوف، يأمن بطاعته ويرجو رحمته ويحذر معصيته ويخاف عقابه، ويستقيم على أمره سبحانه ويقف عند حدوده رجاءً وخوفاً.

وفي الآية الكريمة وهذان الحديثان في فضل الرجاء؛ يعني: الفضل من عند الله والمنزلة عند الله مع وجود الخوف من غضبه وعقابه ﷻ فالمؤمن يرجو ربه، وينبغي له ذلك، لكن مع عدم الأمن وعدم اللُّجوء إلى التساهل في أمر الله أو عدم المبالاة بما ركب من المعاصي ثقة بالرجاء، فلا هذا ولا هذا، بل يجب أن يخاف الله ويخشى غضبه وعقابه، فيستقيم على طاعته ويدع معصيته، ويجب أن يرجوه ويحسن به الظن ولا يقنط ولا ييأس.

---

(١) أخرجه في كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب في فضل التوبة والاستغفار وما ذُكر من رحمةِ الله لعباده برقم (٣٥٤٠).

وفي الآية الكريمة يقول جلَّ وعلا عن العبد الصالح من آل فرعون: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [غافر: ٤٤] نصحهم وحثهم على طاعة موسى وخوَّفهم من عذاب الله، ثم قال بعد ذلك: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ قال هذا محسناً ظنه بربه راجياً رحمته وأنه أدى الواجب وأنه برأ ذمته، قال الله تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥] فالله أغرقهم ثم إلى النار مأواهم نسأل الله العافية، وهو نصحهم وسلم؛ لأنه قال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمْۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٨] إلى آخر ما نصحهم به.

فالحاصل: أن الناصح الآمر الناهي الداعي إلى الله الصادق تبرأ ذمته إذا أدى ما عليه حسب طاقته، وينجيه الله من شر المعتدين الظالمين؛ ولهذا أنجى نوحاً وأنجى هوداً وأنجى صالحاً وأنجى شعيباً وأنجى غيرهم من الرسل؛ لأنهم بلَّغوا رسالات الله وأدوا ما عليهم، فأنجاهم الله من شرِّ أُولئك الأقوام وأهلك أقوامهم بأنواع العذاب.

وفي هذا الحديث يقول ﷺ: يقول الله ﷻ: «**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنا معه حَيْثُ يَذْكُرنِي**» وفي اللفظ الآخر «**وَأَنَا مَعَهُ إِذَا دَعَانِي فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ وَأَطْيَب، وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْراً تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعاً، وَإِنْ تَقَرَّبَ ذِرَاعاً تَقَرَّبْتُ بَاعاً، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**»[1] كل هذا يدل على كمال

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسند أبي هريرة (٢/ ٤٨٠ برقم ١٠٢٢٤)، وأصله في صحيح مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله برقم (٢٦٧٥).

جوده ورحمته وأنه أسرع إلى الخير وأقرب إلى الخير وأعجل به من عبده، فمتى أقبل العبد عليه مخلصاً صادقاً راغباً فيما عنده بأداء ما شرع وترك ما حرم؛ فالله بالخير إليه أسرع وأقرب ﷻ.

وأما ذكر هذه الصفات فهي على الوجه اللائق بالله تمرُّ كما جاءت، كما قال أهل السُّنَّة والجماعة من غير تحريف ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تكييف ولا تمثيل، فكونه يتقرب إليه ذراعاً وباعاً ويأتيه هرولة كل هذه الصفات تليق بالله لا تشابه صفات المخلوقين، وهي تقرُّب ومجيء يليق به لا نعرف كيفيته ولا يعلم ذلك إلا هو ﷻ. كما أنه لا يُعلم كيف غضبه كيف استواؤه كيف سمعه كيف بصره لا يعلم هذا إلا هو ﷻ، أهل السُّنَّة والجماعة يقولون: الصفات معلومة يجب الإيمان بها، أما الكيف فمجهول كيفيتها، كما قال مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب، هكذا قالت أم سلمة وأبو عبد الرحمٰن ـ ربيعة الرأي ـ وأهل السُّنَّة قاطبة، الاستواء[1].

وهكذا الصفات كلها معلومة من اللغة العربية معروفة من السمع والبصر، والغضب غير الرضا، غير الرحمة، والمشيئة غير الفعل، وهكذا يعني صفات معلومة من ناحية اللغة العربية، يجب إثباتها لله ﷻ لكن على الوجه الذي يليق به، ولا يعلم كيفية صفاته إلا هو سبحانه مع العلم القاطع أن صفاته لا تشبه صفات المخلوقين ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤] ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وفي هذا الحديث دلالة على أنه سبحانه أسرع بالخير وأسرع بالرحمة وأسرع بالجود من عبده المؤمن المتقرب إليه الساعي إليه المخلص

---

(١) انظر: كتاب دروس وفتاوى في المسجد الحرام لسماحة الشيخ ابن باز ص(٣٩٤ ـ ٣٩٥) باعتناء صلاح عثمان أحمد الطبعة الأولى عام ١٤٣٧هـ.

في عمله، فينبغي للمؤمن أن يُحسن ظنه بربه وأن يجتهد في طاعته وأن يحرص على أعمال الخير محسناً ظنه بربه راجياً رحمته خاشياً عقابه ﷻ، هكذا يكون المؤمن دائماً بين الرجاء والخوف وبين حسن الظن بالله.

وهكذا حديث جابر رضي الله عنه: يقول ﷺ: «**لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ ﷻ**» رواه مسلم الحديث، يجب على المؤمن أن يحسن ظنه بالله، وأن يحذر من القنوط واليأس وسوء الظن، ولا سيما عند الموت وشدة المرض، عند مفارقة الدنيا ينبغي أن يكون حسن الظن بالله راجياً رحمة ربه تائباً وجلاً مشفقاً يخشى ذنبه ويخشى ربه ويرجو رحمته وإحسانه ﷻ.

هكذا حديث أنس رضي الله عنه: «**قَالَ الله تَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ ما دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أُبَالِي**» ما دام يدعوه ويضرع إليه ويرجو رحمته عن توبة وعن إقلاع لا مجرد كلام، التوبة هي التي تمحو الذنوب فإذا كان دعا دعوة صادقة ورجاء، فإن هذا يكون معه الندم والإقلاع؛ ولهذا قال: غفرت لك «**عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أُبَالِي**» فالدعاء والرجاء مع التوبة الصادقة يمحو الله بها الذنوب، وهكذا قوله: «**لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايا، ثُمَّ لَقِيْتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئاً، لأَتَيْتُكَ بقُرَابِها مَغْفِرَةً، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغت ذُنُوبُك عَنَانَ السماءِ، ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبالِي**» يعني: استغفار معه التوبة، معه الندم، أما مجرد الكلام مع الإصرار على الذنوب لا يكفي؛ ولهذا قال سبحانه في كتابه الكريم: ﴿وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

وهكذا قوله: «**لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايا، ثُمَّ لَقِيْتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئاً، لأَتَيْتُكَ بقُرَابِها مَغْفِرَةً**» أي: من يلقى الله فلا يشرك به شيئاً قد أخلص لله وعَبَده ﷻ عن صدق وإيمان، فإن الله يغفر له ويعفو عن سيئاته، لكن إذا كان توحيده قد أضعفه بالذنوب، قد جرحه بالذنوب

والسيئات، فإنه يكون التوحيد والإيمان ضعيفاً، لا يقوى على تخليصه من عذاب الله، إلا أن يعفو الله عنه ﷻ، وإلا هو متوعد على معاصيه التي مات عليها، وجرح بها توحيده، وجرح بها إيمانه، وأضعف بها إيمانه، وأضعف بها توحيده فهو متوعد عليها ومعرض للوعيد على معاصيه التي مات عليها، إلا أن يعفو الله عنه، كما قال سبحانه: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وقد ثبت في الأحاديث المتواترة أن كثيراً من أهل المعاصي لا يغفر لهم بل يعذبون ويمحصون في النار على قدر ذنوبهم، ويبقون فيها ما شاء الله من ذلك، كلٌّ على قدر ذنبه ثم يشفع فيهم الشفعاء، ويبقى منهم بقية لا تشملهم شفاعة الشفعاء، ويخرجهم الله برحمته؛ لأنهم ماتوا على التوحيد، ودخلوا النار بالمعاصي أوجبت دخولهم النار، فيخرج الله بقيتهم بفضل رحمته ﷻ، ولا يبقى في النار إلا من كان مِن أهل الكفر بالله الذين ماتوا على غير التوحيد، فهؤلاء هم المخلدون فيها أبد الآباد، نسأل الله العافية، كما قال الله في حقهم سبحانه ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧] ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٧] هذه حال الكفرة المشركين الذين ماتوا على غير التوحيد، نسأل الله السلامة.

وفَّق الله الجميع.

❁ ❁ ❁




٥٣ ـ بَابُ الجمع بين الخوف والرجاء

اعلم أن المختار للعبد في حال صحته أن يكون خائفاً راجياً، ويكون خوفه ورجاؤه سواءً، وفي حال المرض يمحض الرجاء. وقواعد الشرع من نصوص الكتاب والسُّنَّة وغير ذلك متظاهرةٌ على ذلك.

قال الله تعالى: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩] وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧] وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦] وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٦٧]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣، ١٤] وقال تعالى ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ [القارعة: ٦ ـ ٩] والآيات في هذا المعنى كثيرة. فيجتمع الخوف والرجاء في آيتين مقترنتين أو آيات أو آية.

٤٤٣ ـ **وعن** أبي هريرة رضي الله عنه؛ أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: «لَوْ يَعْلَمُ المُؤمِنُ مَا عِنْدَ الله مِنَ العُقُوبَةِ، مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الكَافِرُ مَا عِنْدَ الله مِنَ الرَّحْمَةِ، مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ» رواه مسلم(١).

٤٤٤ ـ **وعن** أبي سعيد الخدرِيِّ رضي الله عنه؛ أنَّ رسولَ الله ﷺ، قَالَ: «إِذَا وُضِعَتِ الجنازةُ واحْتَمَلَهَا النَّاسُ أَوِ الرِّجَالُ عَلَى أعناقِهِمْ، فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً، قالتْ: قَدِّمُونِي قَدِّمُونِي، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ، قالتْ: يَا وَيْلَهَا!

---

(١) أخرجه في كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه برقم (٢٧٥٥).

أَيْنَ تَذْهَبُونَ بها؟ يَسْمَعُ صَوْتَها كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الإنْسانُ، وَلَوْ سَمِعَهُ صَعِقَ» رواه البخاري(١).

٤٤٥ ـ وعن ابن مسعود ﷺ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «الجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ، وَالنَّارُ مِثْلُ ذلك» رواه البخاري(٢).

۞ الشَّرح ۞

هذه الآيات الكريمات والأحاديث الثلاثة الصحيحة الثابتة عن رسول الله عليه الصلاة والسلام، كلها تدل على ما تقدم في الأحاديث السابقة والآيات السابقات من شرعية الرجاء والخوف، وأن المؤمن يسير إلى الله بين الخوف والرجاء كالجناحين من الطائر، يخاف غضب الله وعقابه، ويخاف عواقب الذنوب فيبادر بالتوبة ويبادر بالإصلاح، ويرجو رحمة ربه وإحسانه وفضله فلا يقنط ولا ييأس، هكذا المؤمن بين الخوف والرجاء لا يأمن، قد توعد الله الآمنين بسوء العاقبة، قال تعالى ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩] ولا يقنط، فالله يقول: ﴿وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧] ﴿لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ﴾ [الزمر: ٥٣] ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦].

فالمؤمن هكذا يخاف ويرجو حاسِناً ظنه بربه ويرجو رحمته ويتذكر أنه شديد العقاب، فيحذر غضبه ويبتعد عن أسباب عقابه، وفي حال المرض ينبغي أن يكون الغالب عليه حسن الظن بالله لا تمحيض الرجاء،

---

(١) أخرجه في كتاب الجنائز، باب حمل الرجال الجنازة دون النساء برقم (١٣١٤)، وفي باب قول الميت وهو على الجنازة: قدموني برقم (١٣١٦).

(٢) أخرجه في كتاب الرقاق، باب الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، والنار مثل ذلك برقم (٦٤٨٨).

بل يكون معه الخوف، ولكن يغلب عليه حسن الرجاء وحسن الظن، للحديث السابق عن النبي ﷺ: «**لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله**».

والله جمع في الآيات الكريمات ما يدل على وجوب الخوف والحذر مع وجوب الرجاء، كما قال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيَ أَنِّيَ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠] ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾ [غافر: ٣] ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٦٧] ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣، ١٤] في آيات كثيرات تدل على وجوب حسن الظن بالله مع وجوب الحذر من غضبه وعقابه.

قال بعض السلف: وينبغي في حال الصحة أن يغلب جانب الخوف حتى يبتعد عن الشر وأسبابه، وفي حال المرض يغلب جانب الرجاء حتى يُعظم حسن ظنه بالله ﷻ وجوده وكرمه، ومما يدل على وجوب الخوف والرجاء هذه الأحاديث التي ذكرها المؤلف مع الآيات السابقات.

الحديث الأول: يقول عليه الصلاة والسلام: «**لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤمِنُ مَا عِنْدَ الله مِنَ الْعُقُوبَةِ، مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الكَافِرُ مَا عِنْدَ الله مِنَ الرَّحْمَةِ، مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أحَدٌ**» فالحاصل أن الواجب الحذر، وأن من تذكر رحمة الله وعظيم إحسانه وعظيم إنعامه لم ييأس من رحمته، ومن تذكر عقابه وشدة انتقامه من أعدائه خاف وحذر، هكذا ينبغي لا يغفل عن هذا ولا عن هذا، يتذكر عفو الله وعظيم رحمته وعظيم جوده وكرمه، فيحسن ظنه به ويرجوه ويسأله العفو، ويتذكر عظيم عقابه وشدة عذابه، فيحذر ويبتعد عن أسباب الهلاك وأسباب الغضب وأسباب النار، وطريق السلامة وطريق النجاة هو الاستقامة على أوامر الله، والبعد عن

محارم الله، والوقوف عند حدود الله، هذا هو الطريق وهذا هو الصراط المستقيم، فلا يليق بالعاقل أن يتساهل في المعاصي، أو في ترك بعض الواجبات، بل يكون دائم الحذر مع حسن الظن ومع حسن الرجاء، ولكنه يبتعد عن أسباب الهلاك، ويأخذ بأسباب النجاة.

وهكذا **الحديث الثاني** [٤٤٥]: «**الجَنَّةُ أَقْرَبُ إلى أحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ، وَالنَّارُ مِثْلُ ذلك**» بين هذا وهذا، هذا يموت على الكفر بالله فيكون من أهل النار، وهذا يموت على الإيمان والتقوى فيكون من أهل الجنة ليس بينهما إلا خروج الروح، فإن خرجت روحه على السعادة والإيمان والتقوى فيكون من أهل الجنة، وإن خرجت روحه على الكفر بالله فهو من أهل النار، وإن خرجت روحه على المعاصي والسيئات فهو على خطر من دخول النار ومن عذاب الله ﷻ، وهو في خطر عظيم، فينبغي له أن يحذر أن يهجم عليه الأجل وهو على حالة تغضب الله ﷻ، فليحرص وليستعد دائماً، دائماً بالتوبة الصادقة والعمل الصالح، حتى إذا هجم الأجل فإذا هو على عمل يرضي الله، وعلى حالة تُرضي الله، يرجو بها السعادة، ويرجو بها الفوز بالجنة والكرامة.

وفي **الحديث الثالث** [٤٤٤]: حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ قال: «**إِذَا وُضِعَتِ الجنازةُ واحْتَمَلَهَا النَّاسُ أَوِ الرِّجَالُ عَلَى أعناقِهِمْ، فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً، قالتْ: قَدِّمُونِي قَدِّمُونِي، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ، قالتْ: يَا وَيْلَهَا! أَيْنَ تَذْهَبُونَ بها؟ يَسْمَعُ صَوْتَها كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الإنْسانُ، وَلَوْ سَمِعَهُ صَعِقَ**» من شدة ما يسمع من صوتها، لكن الله حرم ذلك على بني آدم رحمة منه وإحساناً، ولو سمعوا كلام الجنائز والمعذبين لم يتهنّوا بعيش ولا بنوم، ولكن من رحمة الله أن الله أخفى علينا عذاب المعذبين في قبورهم، وأخفى علينا ما تقوله الجنائز عندما تُحمل، ولكن أخبرنا الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام بما يقع،

فعلى المؤمن أن يحذر وأن يحقق ما أراده الرسول ﷺ من الحذر والبعد عن أسباب الهلاك، مع الأخذ بأسباب النجاة لعله يكون ممن يقول عند الحمل: قدموني؛ قدموني؛ لما رأى من فضل الله عليه، وأنه يُبشر بالجنة كما في الحديث الصحيح **«مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ»**(١). قالت عائشة: يا رسول الله أهو الموت فكلنا يكره الموت؟ قَالَ: **«لَيْسَ ذَاكَ»**، ولكن المؤمن إذا احتضر بشَّرته الملائكة بمرضاة الله وعظيم إنعامه وإحسانه ورحمته، فيفرح بلقاء الله ويحب لقاء الله ويحب الله لقاءه، والكافر متى حضره الأجل بشَّرته الملائكة بالهلاك وعذاب الله، فيكره لقاء الله فيكره الله لقاءه، نسأل الله السلامة.

وأنت يا عبد الله في دار المُهلة في دار العمل، أنت الآن في دار العمل فأعد العُدة واجتهد في الأخذ بأسباب النجاة وأسباب الفلاح والسعادة، واستعن بربك على ذلك واسأله التوفيق والهداية، واحذر عدوك الشيطان ونواب الشيطان لئلا يُضلوك عن السبيل.

وفَّق الله الجميع.



(١) سيأتي تخريجه برقم (١٨٤٨) ج٤.




٥٤ ـ بَابُ فضل البكاء

قال الله تعالى: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٩] وقال تعالى: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ﴾ [النجم: ٥٩، ٦٠].

٤٤٦ ـ **وعن** ابن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ لِي النَّبيُّ ﷺ: «اقْرَأْ عليَّ القُرْآنَ» قلت: يَا رسول اللهِ، أقرأُ عَلَيْك، وَعَلَيْك أُنْزِلَ؟! قَالَ: «إنِّي أُحِبُّ أنْ أسْمَعَهُ مِنْ غَيرِي» فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ سورةَ النِّسَاءِ، حَتَّى جِئْتُ إلى هـذِهِ الآيـة: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١] قَالَ: «حَسْبُكَ الآنَ» فَالتَفَتُّ إِلَيْهِ فإذا عَيْنَاهُ تَذْرِفَان. متفقٌ عَلَيْهِ(١).

٤٤٧ ـ **وعن** أنس رضي الله عنه، قَالَ: خطب رسول الله ﷺ خُطْبَةً مَا سَمِعْتُ مِثْلَهَا قَطُّ، فقال: «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أعْلَمُ، لَضَحِكْتُمْ قَليلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً» قَالَ: فَغَطَّى أصْحَابُ رسول الله ﷺ وُجُوهَهُمْ، وَلَهُمْ خَنِينٌ. متفقٌ عَلَيْهِ(٢).

وَسَبقَ بَيَانُهُ في بَابِ الخَوْفِ.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ [النساء: ٤١] برقم (٤٥٨٢)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل استماع القرآن وطلب القراءة من حافظه للاستماع والبكاء عند القراءة والتدبر برقم (٨٠٠).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١] برقم (٤٦٢١)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب توقيره ﷺ وترك إكثار سُؤاله عما لا ضرورة إليه أو لا يتعلق به تكليف وما لا يقع ونحو ذلك برقم (٢٣٥٩).

٤٤٨ ـ **وعن** أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لا يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللهِ حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ في الضَّرْعِ، وَلَا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ في سبيلِ اللهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ» رواه الترمذي[1]، وقال: حديثٌ حَسنٌ صحيحٌ.

الشَّرح

هذه الآيات الكريمات والأحاديث الثلاثة كلها تتعلق بفضل البكاء من خشية الله وما وعد الله به على البكاء من خشيته من الأجر العظيم والعاقبة الحميدة، يقول الله عز وجل في كتابه العظيم في وصف عباده الأخيار: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٩] ويقول جلَّ وعلا لما ذكر جماعة من الأنبياء: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: ٥٨] عليهم الصلاة والسلام، قال عز وجل: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَامِدُونَ ﴿٦١﴾ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾ [النجم: ٥٩ ـ ٦٢] حث على البكاء من خشية الله عز وجل واستنكر عليهم عملهم من الضحك وعدم البكاء من خشيته جلَّ وعلا، فإن المؤمن إذا تلا هذا الكتاب العظيم وسمع براهين الله وحججه، أوجب له ذلك الخشوع لله والحذر من غضبه والبكاء من خشيته سبحانه: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَامِدُونَ ﴿٦١﴾ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾؛ فالمؤمن ينبغي له أن يتدبر هذا الكتاب العظيم ويتعقل بما فيه من الزواجر والعظات والتكرار حتى يرق قلبه وحتى تدمع عينه، وهكذا ما جاءت به السُّنَّة الصحيحة عن الرسول ﷺ من الوعيد والوعد كل ما يحرك القلوب ويذكرها بالله عز وجل.

---

(١) أخرجه في كتاب فضائل الجهاد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في فضل الغُبارِ في سبيل الله برقم (١٦٣٣)، والنسائي في كتاب الجهاد، باب فضل من عمل في سبيل الله على قدمه برقم (٣١٠٨).

وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه: «**اقْرَأْ عليَّ القُرْآنَ**» قلت: يا رسول اللهِ أقرأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟! قَالَ: «**إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيرِي**» عليه الصلاة والسلام، فتلا عليه ابن مسعود صدراً من سورة النساء، فلما بلغ قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١] يعني: جئنا بك يا محمد على هؤلاء، على أمته عليه الصلاة والسلام، شهيداً أنه بلَّغهم وأنذرهم وأمرهم ونهاهم، قال: حسبك.

قَالَ النبي: «**حَسْبُكَ الآنَ**» أي: يكفي «**فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ فإذا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ**» عليه الصلاة والسلام، تذكر ذلك الموقف العظيم يوم القيامة حين يحضر ويقال له: نطلب منك الشهادة على أمته عليه الصلاة والسلام، ولا شك أن هذا الموقف عظيم، من تذكره وأهواله وشدائده أوجب له ذلك خشية الله ـ سبحانه ـ والحذر من غضبه والبكاء من خشيته عز وجل، فينبغي للمؤمن أن يتذكر أسباب الخشوع لله وأسباب البكاء من خشيته حتى تدمع عينه ويرق قلبه.

هكذا حديث أنس رضي الله عنه: قال: إن رسول الله ﷺ خطب الناس خطبة ما سمعت مَن خطب مثلها قطُّ، فقال: «**لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ، لَضَحِكْتُمْ قَليلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً**» لو تعلمون ما أعلم مِمَّا عند الله من العقوبة لمن خالف أمره وعصاه لبكيتم كثيراً وقلَّ ضحكم. فغطى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم، ولهم خنينٌ، خنين بالبكاء رضي الله عنهم وأرضاهم.

هكذا حديث العرباض بن سارية قال: وعظنا رسول الله موعظة بليغة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا، عادة المودع يجتهد في الوصية والنصيحة، المسافر يودع أهله؛ فالنبي ﷺ اجتهد في موعظتهم وتذكيرهم، حتى قال الصحابة: كأنها موعظة مودع فأوصنا، قال: «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ وَالسَّمْعِ**

وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْداً حَبَشِيّاً، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافاً كَثِيراً، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ المَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»[1]، فأوصاهم بالسُّنَّة والتمسك بها والثبات عليها، مع سُنَّة الخلفاء وطريقهم رضي الله عنهم وأرضاهم والعض عليها بالنواجذ عند وجود الاختلاف والنزاع.

وهكذا **الحديث الثالث يقول ﷺ: «لا يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللهِ حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ في الضَّرْعِ، وَلَا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ في سبيلِ اللهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ»** وهذا فيه الوعد للمجاهدين، والخير العظيم والعاقبة الحميدة، والتباكي من خشية الله من الخير العظيم والعاقبة الحميدة، فينبغي للباكي من خشية الله أن يكون صادقاً، وأن يتأثر ذلك بقلبه وقالبه في أداءِ ما أوجب الله وترك ما حرَّم الله، هكذا يكون المؤمن عند التذكر والاتعاظ يجتهد في أداء الواجبات وترك المحارم والوقوف عند حدود الله.

فإن من قصَّر في ذلك وتساهل في ذلك ندم، وساءت العاقبة، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ولكن يبكي من خشية الله وليحذر أسباب غضب الله، وهكذا المجاهد يجتهد في قتال أعداء الله، ويصبر ويتحمل يرجو ما عند الله من المثوبة، فإذا سلَّمه الله ورزقه العودة ولم يكتب له الشهادة فليتق الله وليستقم على أمر الله حتى لا يحبط ما مضى من عمله.

وفَّق الله الجميع.

***

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب السُّنَّة، باب في لزوم السُّنَّةِ برقم (٤٦٠٧)، والترمذي في كتاب العلم عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع برقم (٢٦٧٦).

٤٤٩ ـ **وعنه**، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ في ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّهُ: إمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللهِ تَعَالَى، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابّا في الله اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَال: إنِّي أَخَافُ الله، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُه مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ الله خَالِياً ففاضت عَيْنَاهُ» متفقٌ عَلَيْهِ[١].

٤٥٠ ـ **وعن** عبد الله بن الشِّخِّير رضي الله عنه، قَالَ: أتيتُ رسولَ الله ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي ولِجَوْفِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ المِرْجَلِ مِنَ البُكَاءِ. حديث صحيح رواه أبو داود والترمذي[٢] في الشمائل بإسناد صحيح.

٤٥١ ـ **وعن** أنس رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ لأُبَيِّ بن كعب رضي الله عنه: «إنَّ الله عز وجل أَمَرَنِي أنْ أقْرَأَ عَلَيْكَ: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [البينة: ١] قَالَ: وَسَمَّانِي؟ قَالَ: «نَعَمْ» فَبَكَى أُبَيٌّ. متفقٌ عَلَيْهِ[٣].

وفي رواية: فَجَعَلَ أُبَيٌّ يَبْكِي[٤].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد برقم (٦٦٠)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بالقليل، ولا تمتنع من القليل لاحتقاره برقم (١٠٣١).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب البكاء في الصلاة برقم (٩٠٤)، والترمذي في الشمايل (٣٢٢) تحقيق الدكتور ماهر الفحل.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب مناقب أُبيّ بن كعب رضي الله عنه برقم (٣٨٠٩)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب قراءة القرآن على أهل الفضل والحُذَّاق فيه وإن كان القارئ أفضل من المقروء عليه برقم (٧٩٩).

(٤) أخرجها البخاري في كتاب التفسير، باب برقم (٤٩٦٠)، ومسلم في الموضع السابق في الحاشية قبله.

الشَّرح

هذه الأحاديث الثلاثة كلها تدل على فضل البكاء من خشية الله، وتقدم بعض الأحاديث في ذلك؛ فالبكاء من خشية الله وخوفه وتعظيمه من أسباب دخول الجنة والنجاة من النار؛ لأنها تدل على رقة القلب وخوفه من الله ﷻ فلهذا دمعت العين، فينبغي للمؤمن أن يتعاطى أسباب ذلك من تدبر كتاب الله، والتدبر بما بلَّغه الله عباده من أوامره ونواهيه، ووعده ووعيده، مما يحرك القلوب ويسبب دمع العين من خشية الله ﷻ، فإن التدبر لكتاب الله والتذكر لما يكون يوم القيامة من الأهوال، وتذكر الإنسان ما يُصيبه بعد الموت وما يكون في القبر إلى غير ذلك، هذه الأمور مما يحرك القلوب ويلينها ويسبب البكاء من خشية الله ﷻ.

في **الحديث الأول**: يقول ﷺ: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ في ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ**» بدأ به لأن نفعه عظيم، إمام عادل هو أعظم هؤلاء السبعة وأفضلهم لعظم المصلحة والفائدة في عدله؛ لأن مصلحته تعم الأمة فعدل الإمام وتحريه العمل بما شرعه الله وإنفاذه أوامر الله ونواهي الله فيه مصلحة عامة وفيه الخير الكثير للمسلمين، فلا جرم إن كان هو أولهم وأفضلهم «**إِمَامٌ عَادِلٌ**».

والثاني: «**وَشَابٌ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللهِ تَعَالَى**» يعني: من الصغر وهو في عبادة الله قد ابتعد عن معاصي الله واشتغل بطاعة الله.

والثالث: «**رَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالمَسَاجِدِ**» من حبه للصلاة وحرصه عليها، كلما فرغ من صلاة قلبه معلق بالمسجد للصلاة الأخرى، حتى يؤديها مع المسلمين؛ لحرصه على الجماعة، ولما في قلبه من تعظيم الصلاة ومحبتها، والحرص عليها، والصلاة جماع الخير من حفظها حفظ دينه، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع.

والصنف الرابع: «**وَرَجُلَانِ تَحَابَا في الله اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وتَفَرَّقَا عَلَيْهِ**» المحبة في الله من أسباب دخول الجنة والنجاة من النار، ومن أسباب ظل

العبد في يوم لا ظل إلا ظله، المتحابون في الله من الرجال والنساء لهم هذا الفضل، وفي الحديث الآخر يقول الرسول ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يَقُولُ يَوْمَ القِيَامَةِ: أَيْنَ المُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي اليَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي**»(١).

والصنف الخامس: «**وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ**» ذات منصب؛ يعني: مركزاً عظيماً في نسبها وحسبها، وذات جمال أيضاً مع ذلك، ولكنه ترك الفاحشة خوفاً من الله ﷻ وتعظيماً لله، وهو من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، وهكذا المرأة التي يدعوها ذو منصب وجمال فتقول: إني أخاف الله وتحذر ولا تجيبه إذا طلب منها تمكينه من الفاحشة بها.

والصنف السادس: «**وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ**» عبَّر بالرجل والمراد الرجل والمرأة، الأحكام عامة، الرجل الذي تصدق بالصدقة خفية عن إخلاص وإيمان منه بهذا الفضل، وهكذا المرأة إذا تصدقت بصدقة فأخفتها حتى لا تعلم شمالها ما تنفق يمينها الباب واحد، هذا الحديث فيه الحث على إخفاء الصدقة والإسرار بها إلى الفقراء؛ لأن هذا أكمل في الإخلاص وأقرب إلى البعد عن الرياء، ولكنه لو أظهرها لمصلحة فلا بأس، لو أظهرها ليتأسى به غيره في مواساة الفقير، أو بيت فيه فقراء، أو مشروع خيري أظهر مساعدته وبيَّنها حتى يُقتدى به في ذلك، هذا أمر مطلوب، كما قال تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ﴾ [البقرة: ٢٧١] والصدقة يجوز إظهارها وإخفاءها، لكن إخفاءها أفضل إلا إذا دعت الحاجة إلى إظهارها، ولما رأى النبي ﷺ ناساً فقراء معوزين خطب الناس وذكَّرهم وحثَّهم على الصدقة، فرجل جاء بصُرة في يده كادت كفه تعجز عنها، ثم تتابع الناس بالصدقة، فلما رأى تتابعهم في الصدقة استنار وجهه عليه الصلاة والسلام حتى أصبح وجهه كأنه مُذْهَبَةٌ

---

(١) سبق تخريجه برقم (٣٧٧) من هذا المجلد.

وقال: «**مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ**»[١] يعني: من أظهر السُّنَّة وأحياها ودعا إليها يكون له مثل أجور من عمل بها، ومن دعا إلى البدعة والشر والفساد صار عليه مثل آثام من تبعه في ذلك، نسأل الله العافية.

والصنف السابع: «**وَرَجُلٌ ذَكَرَ الله خَالِياً ففاضت عَيْنَاهُ**» هذا هو الشاهد في الترجمة: البكاء من خشية الله، ذكره من السبعة الذين يظلهم الله في ظله: رجل بكى من خشية الله ﷻ ما عنده أحد، لكن تذكر عظمة الله وكبرياءه وحقه العظيم، فبكى من خشية الله ﷻ، هذا يدل على أن البكاء من خشية الله فيه فضل عظيم، ومن أسباب دخول الجنة، ومن أسباب أن يكون من السبعة الذين يظلهم الله تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله.

الحديث الثاني: حديث عبد الله بن الشخير، العامري رضي الله عنه؛ أنه دخل على النبي ﷺ، وهو يصلي ولصدره أزيزٌ كأزيز المرجل من البكاء؛ يعني: يسمع صوتاً، يبكي من خشية الله عليه الصلاة والسلام يبكي في قراءته، والمرجل: القدر الذي تحته النار، المقصود: أنه سمع صوت أزيز لصدره أزيز من بكائه من خشية الله ﷻ، فدل ذلك على أن البكاء من خشية الله وعند قراءة القرآن وعند التفكر في طاعة الله، وفي حق الله، وفي عظمة الله من خصال أهل الإيمان، ومن خصال الأنبياء، والأخيار، فينبغي للمؤمن التأسي به في ذلك، والحرص على البكاء من خشية الله، يرجو فضل ذلك وما فيه من الخير العظيم، وليكن ذلك عن إخلاص وعن رغبة فيما عند الله ﷻ.

كذلك **حديث أُبيٍّ**، لما قرأ عليه الرسول ﷺ سورة ﴿لَمْ يَكُنِ﴾

---

(١) أخرجه مسلم عن جرير رضي الله عنه في كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار برقم (١٠١٧).

[البينة: ١١] بكى من خشية الله قال: («إنَّ الله ﷻ أَمَرَنِي أنْ أقْرَأَ عَلَيْكَ: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾» قَالَ: وَسَمَّانِي؟ قَالَ: «نَعَمْ» فَبَكَى أُبَيٌّ ﵁) تعظيماً لله وخشية له ﷻ، هذا يبين لنا فضل ذلك، وأن البكاء من خشية الله من خصال الأخيار، فينبغي للمؤمن أن يتعاطى أسباب ذلك وأن يحرص على أسباب ذلك؛ ليلين قلبه ويخشع قلبه وليتأثر قلبه بطاعة الله ﷻ.

وفَّق الله الجميع.

❊ ❊ ❊

٤٥٢ ـ وعنه، قَالَ: قَالَ أَبو بكر لِعُمَرَ ﵄، بعد وفاة رسول الله ﷺ: انْطَلِقْ بِنَا إلى أُمِّ أيْمَنَ ﵂ نزورُهَا، كَمَا كَانَ رسول الله ﷺ يَزُورُها، فَلَمَّا انْتَهَيَا إِلَيْهَا بَكَتْ، فقالا لها: مَا يُبْكِيكِ؟ أمَا تَعْلَمِينَ أنَّ مَا عِنْدَ الله تَعَالَى خَيرٌ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ! قالت: مَا أبْكِي أَنْ لَا أَكُونَ أَعْلَمُ أنَّ مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لرسولِ الله ﷺ، وَلكِنِّي أبكِي أَنَّ الوَحْيَ قَد انْقَطَعَ مِنَ السَّمَاءِ؛ فَهَيَّجَتْهُما عَلَى البُكَاءِ، فَجَعَلا يَبْكِيَانِ مَعَهَا. رواه مسلم[1].

وقد سبق في بابِ زِيارَةِ أهلِ الخَيْرِ.

٤٥٣ ـ وعن ابن عمر ﵄، قَالَ: لَمَّا اشْتَدَّ برسول ﷺ وَجَعُهُ، قِيلَ له في الصَّلَاةِ، فقال: «مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ» فقالت عائشة ﵂: إنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ رَقِيقٌ، إِذَا قَرَأَ القُرْآنَ غَلَبَهُ البُكَاءُ، فقال: «مُرُوهُ فَلْيُصَلِّ»[2].

📖 وفي رواية عن عائشة، ﵂ قالت: قلت: إنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ مَقَامَكَ لَمْ يُسْمِعِ النَّاسَ مِنَ البُكَاءِ. متفقٌ عَلَيهِ[3].

---

(١) سبق تخريجه برقم (٣٦٠).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة برقم (٦٨٢).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب أهل العلم والفضل أحقُّ بالإمامة برقم (٦٧٩)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض وسفر وغيرهما من يصلي بالناس برقم (٤١٨).

٤٥٤ ـ **وعن** إبراهيم بن عبد الرحمٰن بن عوف: أنَّ عبد الرحمٰن بن عوف ﷺ أُتِيَ بطعام وكان صائِماً، فقال: قُتِلَ مُصْعَبُ بن عُمَيْر ﷺ، وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي، فَلَمْ يوجَدْ له مَا يُكَفَّنُ فيهِ إِلَّا بُرْدَةٌ إنْ غُطِّيَ بِهَا رَأْسُهُ بَدَتْ رِجْلاهُ؛ وَإنْ غُطِّيَ بِهَا رِجْلَاهُ بَدَا رَأْسُهُ، ثُمَّ بُسِطَ لَنَا مِنَ الدُّنْيَا مَا بُسِطَ ـ أَو قَالَ: أُعْطِينَا مِنَ الدُّنْيَا مَا أُعْطِينَا ـ قَدْ خَشِينا أنْ تَكُونَ حَسَنَاتُنَا عُجِّلَتْ لَنَا، ثُمَّ جَعَلَ يَبكِي حَتَّى تَرَكَ الطعَام. رواه البخاري[1].

ﷺ الشَّرح ﷺ

هذه الأحاديث الثلاثة كلها تتعلق بالبكاء من خشية الله ﷻ، فينبغي للمؤمن أن يجتهد في أسباب البكاء من خشية الله، حتى يرق قلبه، وحتى يُقبل على ما أوجب الله عليه، وحتى يبتعد عما حرَّم الله عليه، ولا ريب أن العبد كلما ضرع إلى الله وتدبر كتابه العظيم وتذكر الوقوف بين يديه يوم القيامة، وتذكر أهوال القبر وأهوال الموقف يوم القيامة، وأنه لا يدري هل هو من أهل الجنة أو من أهل النار، لا شك أن هذا يوجب له الخوف والحذر والبكاء من خشية الله ﷻ، رجاء أن ينجو من هذه المهالك والأخطار.

في **الحديث الأول**: أن الصديق ﷺ أبو بكر قال لعمر رضي الله تعالى عنهما: اذهب بنا إلى أم أيمن، ، نزورها كما كان رسول الله ﷺ يزورها، قال ذلك بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام، وأم أيمن هذه كانت حاضنة النبي ﷺ كانت رقيقة وأعتقها، كانت حاضنة تحضنه في صغره خادمة بمثابة أمه كان يسميها أمه لرقتها وحنوها عليه وحضانتها له ﷺ، كان النبي يزورها ويكرمها عليه الصلاة والسلام، فزارها الصديق وعمر بعد وفاة النبي ﷺ تأسياً بالنبي ﷺ وتقديراً لمحبته لها

---

(١) أخرجه في كتاب الجنائز، باب إذا لم يوجد إلا ثوب واحد برقم (١٢٧٥).

ولصحبتها وفضلها، فلما زاراها بكت، فقالا لها: ما يبكيك ألا تعلمين أن ما عند الله خير لرسول الله عليه الصلاة والسلام؟ يعني: ما عند الله من النعيم والجنة والمنزلة العالية للنبي ﷺ خير له من الدنيا والبقاء فيها، فقالت أم أيمن ﵂: إني لا أبكي من أجل هذا إني لا أبكي من أجل أن لا أعلم أن ما عند الله خير لرسول الله؛ يعني: أنا أعلم هذا ولكني أبكي لأجل انقطاع الوحي من السماء، كان الوحي في حياته يأتي صباحاً ومساءً بالأوامر والنواهي وحل المشاكل، وانقطع الوحي بموته عليه الصلاة والسلام، فبكت من أجل هذا ﵂، فهذا فيه من التفكر في الأوامر والنواهي وما شرعه الله لعباده وما يأمرهم به، وما في ذلك من الخير العظيم مما يسبب رقة القلب ودمعة العين.

وفيه من الفوائد: شرعية التزاور في الله ولو مع النساء إذا كانت الزيارة ليس فيها ريبة؛ بل من أجل الله وفي سبيل الله، فلا بأس بها بين الرجال والنساء، والنساء والرجال أيضاً، وكانت أم أيمن عجوزاً كبيرة والصديق وعمر زاراها من دون خلوة؛ لأنهما اثنان، والزيارة إذا كان ليس فيها خلوة لا محذور فيها لمصلحة شرعية أو تعزية أو لسلام أو لبيع وشراء أو لغير هذا، إنما المحظور خلو الرجل والمرأة ليس معهما أحد، هذا هو الذي ينهى عنه إذا كان الرجل ليس محرماً لها، أما إذا كانوا ثلاثة أو أكثر فليس هناك ريبة فليس هناك خطر.

وفيه من الفوائد: تقدير أهل الخير وأهل السوابق والفضل يقدرون ويحترمون ويزارون ولا ينسى فضلهم.

وفيه أيضاً من الفوائد: أن يزور الفاضل المفضول في الله ولو أنه أفضل منه؛ فالصديق أفضل منها وزارها تواضعاً لله ومحبة لرسوله ﷺ، وتقديراً لهذه الحاضنة، فدلَّ ذلك على أن كون الأفضل والأشرف يزور المفضول هذا من التواضع ومن صفات الأخيار، فينبغي التأسي بالأخيار في ذلك رجاء ما عند الله من المثوبة.

وكذلك قصة عبد الرحمٰن بن عوف ﵁ لما قُدم له الطعام، وتذكر

حال الصحابة في أول الأمر ما أصابهم من الشدة والحاجة، وذكر مصعب بن عمير لما قتل يوم أُحد شهيداً، كان لم يخلِّف من تركته إلا بردة إن غُطِّيَ بها رأسه بانت رجلاه، وإن غُطى بها رجلاه بان رأسه، فقال النبي: اجعلوها على رأسه وعورته، واجعلو على رجليه الإذخر، ثم بُسط لنا من الدنيا ما بُسط؛ أي: جاءتهم الغنائم والخيرات في عهد عمر وعهد عثمان وفتحت الدنيا على الناس، فخاف عبد الرحمٰن، وقال: إني أخشى أن تكون حسناتنا عجلت لنا، وجعل يبكي وترك الطعام ﷺ، هذا مما يبين أنه ينبغي للمؤمن أن يكون على باله الحذر والخشية لله ﷻ، وأن تدمع عينه عند وجود الأسباب المقتضية لذلك.

وهكذا قصة استخلاف النبي ﷺ لأبي بكر لما مرض عليه الصلاة والسلام، أمر أبا بكر أن يصلي بالناس، وقال لعائشة: بلغوه أن يصلي بالناس في مرضه ﷺ، فقالت عائشة ﷺ: إن أبا بكر رجل رقيق إذا صلى بالناس وقرأ لم يسمع الناس من البكاء، فلو أمرت غيره يؤم الناس أو أمرت عمر، فأكد الرسول وقال: «**مروا أبا بكر فليصل بالناس، إنكن صواحب يوسف**»[1] أكد على الصحابة: أن يؤمهم الصديق لفضله وعلمه وتقدمه في الإسلام، فهو أفضل الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم وأسبقهم إلى الإسلام والخير من الرجال، فلهذا قدمه النبي ﷺ ليصلي بالناس، وليعلموا فضله وأهليته للإمامة، وأنه الخليفة بعده ﷺ رضي الله عنه وأرضاه.

وفيه من الفوائد: أن الصديق ﷺ كان إذا قرأ يبكي من خشية الله ﷻ، وكان إذا قرأ القرآن يبكي وتدمع عينه لِما يجد فيه من الحلاوة والعلم والفضل والخير الكثير، فلهذا يبكي من خشية الله ﷺ، فدل ذلك على أنه ينبغي لقراء القرآن ولأهل الإسلام إذا قرؤوا هذا الكتاب العظيم أن تكون

(١) متفق عليه من حديث عائشة ﷺ. أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب حد المريض أن يشهد الجماعة برقم (٦٦٤)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض أو سفر وغيرهما من يصلي بالناس برقم (٤١٨).

لهم عناية بالقراءة والتدبر والخشوع والإقبال على كتاب الله، ليفهموا مراده وليعملوا ما أمرهم به ﷻ، وليستفيدوا من كتاب ربهم ولتخشع قلوبهم وتطمئن، وبذلك تدمع العين ويبكي الإنسان من خشية الله ﷻ.

رزق الجميع الله التوفيق والهداية.

❁ ❁ ❁

٤٥٥ ـ وعن أبي أُمَامَة صُدَيِّ بن عجلان الباهلي رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قَالَ: «**لَيْسَ شَيْءٌ أحَبَّ إلى اللهِ تَعَالَى مِنْ قَطْرَتَيْنِ وَأثَرَيْنِ: قَطرَةُ دُمُوع مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، وَقَطرَةُ دَم تُهَرَاقُ في سَبيلِ اللهِ. وَأمَّا الأثَرَانِ: فَأثَرٌ في سَبيلِ اللهِ تَعَالَى، وَأثَرٌ في فَريضَةٍ مِنْ فَرائِضِ الله تَعَالَى**» رواه الترمذي[1]، وقال: حديثٌ حسنٌ.

وفي الباب أحاديث كثيرة منها:

٤٥٦ ـ حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه، قَالَ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَوعِظَةً وَجلَتْ مِنْهَا القُلُوبُ، وذرِفت منها العُيُونُ[2].

وقد سبق في باب النهي عن البدع.

❁ الشَرح ❁

هذان الحديثان كالأحاديث السابقة في الحث والتحريض على البكاء من خشية الله ﷻ، وأن الله جلَّ وعلا يحب ذلك من عباده، وأن البكاء من خشيته من أسباب مغفرة الذنوب، ومن أسباب دخول الجنة والنجاة من النار، فينبغي للمؤمن أن يتعاطى أسباب ذلك وأن يجتهد في تحصيل ما

---

(١) أخرجه في كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل المرابط برقم (١٦٦٩).

(٢) سبق تخريجه برقم (١٥٧) ج١.

يسبب خشوع قلبه ودمع عينه، وذلك بتدبر القرآن الكريم والإقبال عليه وتذكر موقف العبد يوم القيامة بين يدي الله، وقد يؤمر به إلى الجنة أو إلى النار، وتذكر مصيره إلى القبر، وهل يكون روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار، وتذكر ما أعد الله للمتقين وما أعده لأعدائه الكافرين، إلى غير هذا من أسباب رقة القلوب، ومن أسباب البكاء من خشية الله ﷻ.

وفي حديث **أبي أُمامة الباهلي**؛ عن النبي عليه الصلاة والسلام؛ أنه قال: «**ليس شيءٌ أحب إلى الله تعالى من قطرتين وأثرين**» أما القطرتان: «**قَطرَةُ دُمُوع مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ﷻ، وَقَطرَةُ دَم تُهَرَاقُ في سَبيلِ اللهِ تَعَالَى**» وهو سبحانه يعجبه ويحب من عباده البكاء من خشيته والجهاد في سبيله، والقتال في سبيل الله من أعظم القربات، والاستشهاد في سبيل الله إخلاصاً وصدقاً من أسباب دخول الجنة والنجاة من النار، فينبغي للمؤمن الحرص على تحصيل هاتين القطرتين من الجهاد في سبيل الله والبكاء من خشية الله ﷻ.

«**وَأَمَّا الأَثَرَانِ: فَأَثَرٌ فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى**» أثر قدمه ودابته وسيارته وغير ذلك مما يُركب في سبيل الله ﷻ، هذا من الآثار المحمودة والمحبوبة إلى الله ﷻ، وهكذا الآثار في طريقه إلى أداء الصلاة المفروضة في المساجد، هذه الآثار مما يحبها الله ﷻ، وهكذا كل أثر في طاعة الله من عيادة مريض، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والسعي في إصلاح ذات البين ونصر المظلوم، إلى غير هذا من وجوه الخير، فالآثار التي يفعلها الإنسان ويتعاطاها في وجه الخير وفي مرضاة الله والإخلاص له كلها محبوب إلى الله ﷻ.

وفي حديث **العرباض بن سارية السُلمي** رضي الله عنه: قال: «**وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، مَوْعِظَةً بَلِيغَةً وَجِلَتْ مِنْهَا القُلُوبُ، وذرفت منها العُيُونُ**». فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا، وما ذاك إلا لأن المودع يجتهد في الوصية، الذي يودع أهله في السفر في الغالب يجتهد في وصيته لأهله؛ ولهذا قالوا: كأنها موعظة مودع فأوصنا، لما رأوا مبالغته

واجتهاده في تلك الموعظة، قالوا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا، قال: «**أُوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وَإِنْ أُمِّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ**» وفي اللفظ الآخر «**اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَإِنِ اسْتُعْمِلَ حَبَشِيٌّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ فاسمعوا وأطيعوا**»(١)، «**فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافاً كَثِيراً فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**» يعني: الزموها «**وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ**» أي: ما يُحدثه الناس من البدع في الدين «**وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**».

هذا الذي أوصى به النبي ﷺ وحرَّض عليه وذكر أسبابه، وقعت تلك الأسباب ووقع الخلاف ووقعت البدع، فالواجب على أهل الإيمان التمسك بما أوصى به من لزوم سُنَّته والاستقامة عليها وسُنَّة الخلفاء الراشدين والسير عليها ولزومها والعض عليها بالنواجذ، والحذر من البدع التي أحدثها الناس في دين الله لم يشرعها الله، والله يقول سبحانه: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١] ويقول سبحانه: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا﴾ [الجاثية: ١٨] فالواجب على النبي والأمة اتباع الشريعة التي شرعها الله ﷻ ولزومها، أما ما أحدثه الناس من البدع فالواجب تركها والحذر منها، والاكتفاء بشرع الله، والاستقامة عليه، والسير على ما سار عليه رسول الله عليه الصلاة والسلام وخلفاؤه الراشدون وصحابته المرضيون ﵃، ففي ذلك الخير الكثير والسعادة والنجاة، كما قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾

---

(١) أخرجه البخاري من حديث أنس ﵁ في كتاب الأذان، باب أمانة العبد والمولى برقم (٦٩٣).

[التوبة: ١٠٠] هذا جزاء من سابق إلى الخيرات وتابع الأخيار وسار على نهجهم في طاعة الله ورسوله، وهم الصحابة أصحاب النبي ﷺ وأتباعه بإحسان.

وفَّق الله الجميع.






٥٥ ـ باب فضل الزهد في الدنيا والحث على التقلل منها وفضل الفقر

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤] ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٥، ٤٦] وقال تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠] وقال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾ [آل عمران: ١٤] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [فاطر: ٥] وقال تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ١ ـ ٥] وقال تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

والآيات في هذا الباب كثيرة مشهورة، وأما الأحاديث فأكثر من أن تحصر فننبه بطرف منها على ما سواه.

٤٥٧ ـ عن عمرو بن عوف الأنصاري ﷺ أَنَّ رسولَ الله ﷺ بَعَثَ أَبَا عبيدة بنَ الجَرَّاح ﷺ إِلَى البَحْرَيْنِ يَأْتِي بِجِزْيَتِهَا، فَقَدِمَ بِمَالٍ مِنَ البَحْرَيْنِ، فَسَمِعَتِ الأَنْصَارُ بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ، فَوَافَوْا صَلَاةَ الفَجْرِ مَعَ رسولِ الله ﷺ فَلَمَّا صَلَّى رسولُ الله ﷺ، انْصَرفَ، فَتَعَرَّضُوا لَهُ، فَتَبَسَّمَ رسولُ الله ﷺ حِيْنَ رَآهُمْ، ثُمَّ قَالَ: «أَظُنُّكُمْ سَمعتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدِمَ بِشَيْءٍ مِنَ البَحْرَيْنِ؟» فقالوا: أجل، يَا رسول الله، فقال: «أَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوالله مَا الفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسَط الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، فَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ» متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشَّرح

هذه الآيات الكريمات والحديث الشريف فيما يتعلق بالزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة، وإيثار ما عند الله من النعيم المقيم، وعدم الرغبة عن الركون إلى هذه الدار، والاشتغال بها عما يرضي الله ويقرب لديه، وأن الأخيار من العُباد والصلحاء من الرسل وغيرهم قدموا أمر الآخرة وآثروها على الدنيا، واجتهدوا في طاعة الله ولم تشغلهم هذه العاجلة عن الإعداد للقاء ربهم، فهكذا ينبغي للمؤمن أن يزهد فيها زهداً يمنعه من الاشتغال بها عن طاعة الله والغرور بها عن حق الله، أما الاشتغال بها للكسب الحلال والاستغناء عما في أيدي الناس وسد

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجزية والموادعة، باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة الحرب برقم (٣١٥٨)، ومسلم في كتاب الزهد والرقائق برقم (٢٩٦١).

الحاجة والنفع للمسلمين والصدقة عليهم، هذا أمر مطلوب وهو خير، ولكن الذي يخشى منه هو الاشتغال بها عن الآخرة، والرغبة فيها على وجه يصد عن الآخرة والعمل لها والإعداد، كما قال ﷻ: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق: ٦، ٧] ولهذا ذكر جلَّ وعلا أن هذه الدار دار لهو وغفلة، دار لعب، دار زينة، وضرب لها مثالاً وأنها شيء زائل كالزرع الذي يهتز أخضر، ثم تهب عليه الرياح ثم ييبس فيكون هشيماً تزروه الرياح، هكذا هذه الدار هكذا تحسن في عيون أهلها وفي قلوب أهلها ثم يذهبون أو تذهب.

فلا ينبغي للعاقل أن يغتر بها، ولكن ينبغي له أن يستعين بها على طاعة الله، وأن يصل فيها رحمه، ويقيم بها المشاريع الخيرية، وينفع بها عباد الله، ولا يشغل بها عن الآخرة؛ ولهذا يقول جلَّ وعلا: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس ٢٤] هذه حالها، شجرها وعنبها ونخيلها وجميع النبات فيها كلها كذلك، بينما هم في غاية من السرور لأهلها وغاية من الزهو والحسن والبهاء والخضرة والري، يأتي عليه عاصف من الريح فييبس ويذهب، أو ينقطع الماء عنه فييبس ويذهب، أو يتحطم ويذهب، هكذا كما تذهب سائر الأشجار والنباتات عند ذهاب المياه وهبوب الرياح، كل ذلك يتحطم ويذهب ويكون هباءً منثوراً بعدما كان خضراً نيراً مؤنساً لأهله، فهذه الدنيا هكذا، بينما الإنسان في نعمة وحبرة وسرور إذا نزلت به آفة أو جائحة، فأزال ذلك المال أو ذلك الشيء الذي يسره، أو هجم عليه الموت وانتقل عن ذلك، أو أصابته مصائب شغلته عن ذلك، فهذه الدار دار المصائب والأكدار والأحزان، ليست مما يدوم سرورها ونعيمها، فالعاقل لا يؤثرها على الآخرة، بل يعد

العدة لآخرته فيستعين بنعم الله على طاعته؛ ولهذا قال ﷻ: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ﴾ [آل عمران: ١٤].

وهكذا في هذا الزمان الطائرات والسيارات وغير ذلك كلها، هكذا كل ذلك متاع الحياة الدنيا، هذه الزينة وهذا المتاع كله لهذه الدنيا، والآخرة عند ربك خير وأبقى للمؤمنين؛ ولهذا قال: ﴿ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [آل عمران: ١٤] يعني: هذا الشيء من متاع الحياة الدنيا ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾ [آل عمران: ١٤] وقال تعالى في آية أُخرى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝١٦ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [الأعلى: ١٦، ١٧] وقال تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠] قال ﷻ: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦] قال ﷻ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: ١، ٢] أكثر الخلق ألهاهم التكاثر في الأموال والأولاد والملذات وأنواع الزينة وأنواع الحاجات التي يتلذذ بها ويؤثرها، فيهجم عليهم الأجل ويندم غاية الندامة؛ ولهذا قال: ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾، وهنا قال: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ أي: حتى هجم الموت، حتى جاءكم الموت ونقلتم إلى القبور، سمَّاها زيارة؛ لأن القبور ليست محل إقامة بل محل زيارة ثم يبعث من قبره إما إلى جنة وإما إلى النار، القبر ليس محلاً أخيراً ولا مقراً أخيراً؛ ولكنه مرحلة من الدنيا إلى الآخرة، ثم يبعث هذا الميت ثم يجزى بالجزاء، إما إلى الجنة وإما إلى النار، فلا يليق بالمؤمن أن يغفل عن هذا الأمر العظيم الذي هو مصيره الذي يجب أن يُعدَّ له العدة ويحرص على أسباب النجاة قبل هجوم الأجل،

وإذا رزقه الله النعم من هذه الدنيا فليستَعِنْ بها على طاعة الله ولا يؤثرها على حق الله ﷻ.

وفي الحديث عن عمرو بن عوف الأنصاري ﷺ أن أبا عبيدة بن الجراح ﷺ قدم من البحرين، وكان النبي ﷺ قد ضرب الجزية على المجوس في البحرين، فقدم أبو عبيدة بمال من ذلك، فسمع به الأنصار فصلوا مع النبي صلاة الفجر ﷺ فلما انصرف قابلوه فتبسم عليه الصلاة والسلام، وقال: «**أظُنُّكُمْ سَمعتُمْ أنَّ أبَا عُبَيْدَةَ قَدِمَ بِشَيْءٍ مِنَ البَحْرَيْنِ؟**» قالوا: نعم يا رسول الله، قال: «**أبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ**» هكذا حسن خلقه عليه الصلاة والسلام وطيب كلامه، طيب الخلق طيب الكلام عليه الصلاة والسلام، «**أبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوالله مَا الفَقْرَ أخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلكِنِّي أخْشَى أنْ تُبْسَط الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، فَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أهْلَكَتْهُمْ**» فخاف عليهم الدنيا، الفقر أقل خطر، الإنسان مع الفقر قد يصبر قد يكتفي بالقليل، لكن متى بُسط عليه الدنيا قد لا يصبر؛ بل يستعين بها على معاصي الله ومخالفة أمره، قد يقع بسببها فيما حرم الله: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق: ٦، ٧] قال بعض السلف ﷺ: ابتلينا بالضراء فصبرنا؛ يعني: الفقر وابتلينا بالسراء فلم نصبر، الإنسان مع النعمة ومع القدرة قد يقع في الذنوب والمعاصي ولا يصبر، في الزنى والخمور وسائر الفواحش، والربا وغير ذلك، لكن مع الفقر قد يعان على الصبر؛ ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «**فَوالله مَا الفَقْرَ أخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلكِنِّي أخْشَى أنْ تُبْسَط الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ، كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، فَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أهْلَكَتْهُمْ**» فالإنسان يخشى عليه من المال أكثر مما يخشى عليه من الفقر، قد يصبر مع الفقر، ولكن ما يصبر مع الغنى عن ركوب محارم الله وعن تعدِّي حدوده بسبب ما أعطاه الله من المال،

ولا حول ولا قوة إلا بالله، فينبغي للمؤمن أن يحرص على أسباب النجاة وألّا تغره الدنيا وزينتها ومتاعها العاجل، وأن يستعين بها على طاعة الله إذا رُزق منها شيئاً، وأن يكون حذراً من أسباب الهلاك حريصاً على أسباب النجاة حتى يلقى ربه.

وفَّق الله الجميع.

❊ ❊ ❊

٤٥٨ ـ وعن أبي سعيد الخدري ﷺ **قَالَ: جلس رسولُ الله ﷺ عَلَى المِنْبَرِ، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، فقال: «إنَّ ممَّا أخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا»** متفقٌ عَلَيْهِ[١].

٤٥٩ ـ وعنه؛ أن رسول الله ﷺ، قَالَ: «إنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ وَإنَّ الله تَعَالَى مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ» رواه مسلم[٢].

٤٦٠ ـ وعن أنس ﷺ؛ **أن النبي ﷺ، قَالَ: «اللَّهُمَّ لَا عَيْشَ إلَّا عَيْشَ الآخِرَةِ»** متفقٌ عَلَيْهِ[٣].

الشَّرح

هذه الأحاديث الثلاثة تتعلق بالزهد في الدنيا والتحذير من الركون

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها برقم (٦٤٢٧)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب تخوف ما يخرج من زهرة الدنيا برقم (١٠٥٢).

(٢) أخرجه في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء برقم (٢٧٤٢).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب حفر الخندق برقم (٢٨٣٥)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب وهي الخندق برقم (١٨٠٥).

إليها والافتتان بها، وأنه ينبغي للمؤمن أن يُعدَّ العُدَّة للآخرة، وأن يستعين بنعم الله على طاعة الله، وألّا يغتر بهذه العاجلة، بل يتخذها مطية للآخرة وطريقاً للآخرة وعوناً للآخرة؛ ولهذا تقدم قوله ﷺ: **«فَوالله مَا الفَقْرَ أخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلكِنِّي أخْشَى أنْ تُبْسَط الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ، كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، فَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أهْلَكَتْهُمْ»**[(١)].

وهنا يقول الرسول ﷺ لما خطب الناس، قال: **«إنَّ ممَّا أخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا»** لأن النفوس مجبولة على حب هذه الدنيا وزينتها والتمتع بلذاتها، فربما جر العبد ذلك إلى أن يستعين بها على ما يسخط الله، وأن يستعين بها على ترك ما أوجب الله فيخسر الدنيا والآخرة، فالواجب أن تكون خادماً للآخرة ومطيةً للآخرة، وأن يستعان بها على طاعة الله؛ ولهذا جاء في الحديث: **«نِعْمَ المَالُ الصَّالِحُ لِلْمَرْءِ الصَّالِح يقول به هكذا وهكذا»**[(٢)] ينفقه في وجوه الخير.

وفي الحديث الثاني: يقول الرسول ﷺ: **«إنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ وَإنَّ الله تَعَالَى مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء»**، حذَّرهم عليه الصلاة والسلام من الركون للدنيا وفتنتها ومن فتنة النساء أيضاً، فهما فتنتان عظيمتان، الافتتان بالدنيا وزينتها والافتتان بالنساء.

فالواجب على المؤمن الحذر من هذا وهذا، فهو لا بأس أن يكسب الدنيا، بل مأمور أن يكسب الدنيا وأن يعمل لتحصيل ما يعين على طاعة الله وما يغني عن الحاجة إلى الناس، وما يقوم به على أهله وأولاده، مأمور بهذا، وأن ينفق مما أعطاه الله لكن يحذر أن يشتغل بها

---

(١) سبق تخريجه برقم (٤٥٧).

(٢) رواه الأمام أحمد ٤/١٩٧ من حديث عمرو بن العاص ﷺ، بدون زيادة: **«هَكَذَا وَهَكَذَا»**.

عن الآخرة وأن تصده عن الآخرة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ۝٢٠ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾ [القيامة: ٢٠، ٢١] فالمذموم من استعان بها على عدم الإعداد للآخرة وفُتن بها حتى شغلته عن أسباب النجاة، أما من استعان بها على طاعة الله وأخذها من طريقها الحلال فهو على طريق النجاة وعلى خير.

وهكذا النساء قد يفتتن الإنسان بذلك فيقع في الفواحش التي حرَّم الله من أسباب الافتتان بالنساء، ولهذا قال ﷺ: «**مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ**»(١) لما جعله الله في قلوب الرجال من الميل إلى النساء، وفي قلوب النساء من الميل إلى الرجال، وبذلك حصل التناكح وحصلت الذرية، فالمؤمن يقتصر على ما أباح الله، ومن غُرَّ بالدنيا وشهواتها وزينتها، ومن ضعف إيمانه فتعدى الحدود إلى ما حرم الله فالرسول يحذِّر من ذلك غاية الحذر، عليه الصلاة والسلام، فيدعوهم إلى أن يستعان بنعم الله على طاعة الله، وأن يحذر المؤمن أن يفتن بهذه أو هذه بالدنيا أو بالنساء.

كذلك **حديث أنس**: قال الرسول ﷺ في حفر الخندق وفي بناء المسجد يرتجز، ويقول: «**اللَّهُمَّ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الآخِرَهْ فَأَكْرِمِ الأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَهْ**» لا عيش حقيقي إلا عيش الآخرة، الدنيا فيها عيش لكنه زائل ليس بحقيقي؛ لأنه زائل متاع قليل، ولكن العيش الحقيقي المقيم الثابت الدائم هو عيش الآخرة، هو العيش الذي ينبغي أن يسعى لها ويعمل المؤمن لتحصيله لدار الكرامة، أما عيش هذه الدنيا فهو زائل مهما ملك منه العبد وما تحصل عليه، فالمال إلى الزوال، إما أن يزول هو ويدعه

---

(١) متفق عليه عن أسامة بن زيد رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب ما يتقى من شؤم المرأة برقم (٥٠٩٦)، ومسلم في كتاب الرقائق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء برقم (٢٧٤٠).

لمن خلفه، وإما أن تزول عنه في حياته؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْآخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨] هذه الدار متاع قليل، كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [النساء: ٧٧] ولو عُمِّر فيها الإنسان ألف عام فمتاعها قليل بالنسبة إلى حياة الآخرة؛ لأنها أبدية لا تنتهي، أما هذه الحياة فهي منتهية مهما طالت، ولا بد من الموت، فهي جديرة بألّا تؤثر على الآخرة جديرةٌ بأن يستعان بها على الحياة الصحيحة الأبدية في دار النعيم.

وفّق الله الجميع.

❊ ❊ ❊

٤٦١ ـ وعنه، عن رسول الله ﷺ، قَالَ: «يَتْبَعُ المَيِّتَ ثَلاثَةٌ: أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ، وَيَبْقَى وَاحِدٌ، يَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَيبْقَى عَمَلُهُ» متفقٌ عَلَيْهِ[1].

٤٦٢ ـ وعنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ في النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ خَيْراً قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللهِ يَا رَبِّ، وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤسَاً في الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً في الجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ بُؤساً قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيقُولُ: لَا وَاللهِ، مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ» رواه مسلم[2].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب سكرات الموت برقم (٦٥١٤)، ومسلم في كتاب الزهد والرقاق برقم (٢٩٦٠).

(٢) أخرجه في كتاب الجنة والنار، باب صبغ أنعم أهل الدنيا في النار وصبغ أشدهم بؤساً في الجنة برقم (٢٨٠٧).

٤٦٣ ـ **وعن المُسْتَوْرِد بن شَدَّاد** ﷺ، **قَالَ: قَالَ رسول الله** ﷺ: «**مَا الدُّنْيَا في الآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ أُصْبُعَهُ في اليَمِّ فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِعُ!**» رواه مسلم(١).

﴿ الشَّرح ﴾

فهذه الأحاديث الثلاثة كالتي قبلها في الحث على الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة، وإيثار ما يبقى على ما يفنى، وأن هذه الدار ليست دار إقامة وليست دار خلد وليست دار نعيم حتى تؤثر على الآخرة، بل هي دار زوال، ودار انتقال، ودار عمل، فالواجب أن يُعد فيها العُدة لآخرته، وأن يحذر أن يغتر بالدنيا وزينتها ومتاعها العاجل، والزهد فيها معناه عدم التعلق بها، وعدم الركون إليها حتى تشغلهم عن الآخرة وليس المراد تركها بالكلية، لا يعمل فيها وأن يطلب الرزق وأن يسعى لكسب الحلال حتى يستغني عما في أيدي الناس، كما قال ﷺ: «**احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجِزْ**»(٢) وسُئل عليه الصلاة والسلام: أي الكسب أفضل؟ قال: «**بَيْعٌ مَبْرُورٌ، وَعَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ**»(٣) فأفضل الأكساب عملك بيدك لطلب الرزق من نجارة، حدادة، خرازة، زراعة، كتابة، وغير ذلك من الأعمال التي تعملها، وهكذا التجارة وطلب الرزق.

فالزهد في الدنيا معناه: قطع التعلق بها من جهة الإغفال عن الآخرة، وعدم تقديم هذه الدار على إعدادك للآخرة، فإزالتها من القلب

---

(١) أخرجه في كتاب الجنة والنار، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء برقم (٢٨٥٨).

(٢) أخرجه مسلم عن أبي هريرة ﷺ في كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله برقم (٢٦٦٤).

(٣) أخرجه الإمام أحمد عن رافع بن خديج ﷺ ٤/ ١٤١ برقم (١٧٣٠٤).

وإن تعلق بها البدن لطلب الرزق، لكن لا تعلقها بقلبك حيث تؤثرها على الآخرة، تشغلك عن الآخرة أو تصدك عن الأعمال الصالحة التي فيها سعادتك ونجاتك، مع كونه يأخذها من طريقها الحلال ويكسبها من طريقها الحلال ويستعين بها على طاعة الله، لكنها لا تشغله لا تلهه لا أمواله ولا أولاده عن طاعة الله وذكره؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩] فالأموال والأولاد فتنة: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ﴾ [التغابن: ١٥] يعني: اختبار وامتحان هل يُؤثر العبد هذا المال وهذا الولد على طاعة الله، أو يقدم طاعة ربه والاستعداد للقائه على بر الولد وعلى حب المال، قد يغلط كثير من الناس ويحسب أن الزهد في الدنيا تركها وأن يبقى بالمسجد أو يبقى يسأل الناس، لا، الزهد فيها عدم إيثارها على الآخرة، وعدم الركون إليها حتى تشغله عن الحق وعن طاعة الله ورسوله.

وفي هذه الأحاديث ما يدل على ذلك يقول ﷺ: «**يَتْبَعُ المَيِّتَ ثَلَاثَةٌ: أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ، وَيَبْقَى وَاحِدٌ، يَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَيبْقَى عَمَلُهُ**» يعني: إذا مات الإنسان تبعه أهله وماله وعمله «**فَيَرْجِعُ اثْنَانِ، وَيَبْقَى وَاحِدٌ، يَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَيبْقَى عَمَلُهُ**» يرجع الأهل والمال ويبقى العمل؛ يعني: غالب الأموات لهم أتباع وأهل وأقارب من آباء وإخوة وغير ذلك، فإذا تبعوه للصلاة والدفن، فبعد ذلك يرجعون يتركونه وحده بعمله، وهكذا ما يتبعه من مال من شيء يحمل عليه من ماله من غطاء يغطى به وأدوات يحفرون بها، هذه الأموال التي تبعته ترجع ويبقى عمله معه، هذا العمل هو الذي ينبغي أن تحرص عليه هو الذي يبقى معك، أما الدنيا لا تبقى معك ترجع للورثة، فجدير بك أن تحرص على هذا الذي يبقى معك، وأن تجتهد في صلاحه، وأن يكون قريناً طيباً، فإن العمل

يتبع العبد حين يرافقه، يقول: يأتي عمله إن كان مؤمناً جاءه في أحسن صورة، فيقول: أبشر بالذي يسُرُّك، فيقول: من أنت ووجهك الوجه الذي يأتي بالخير، من أنت؟ فيقول: أنا عملك الصالح، والكافر بعكس ذلك يأتي عمله السيئ في أقبح صورة ويقول: له أبشر بالذي يسوؤك، فيقول: من أنت ووجهك الوجه الذي يأتي بالشر؟ فيقول: أنا عملك الخبيث[(١)].

فالمؤمن يجتهد في الإعداد للعمل الصالح والحرص على تقوى الله وطاعته لعله ينجو ولعله يسلم، ولكن لا يمنعه هذا من أخذ نصيبه من الدنيا وطلبه الدنيا من طريق الحلال لكنه لا تشغله عن الآخرة.

وفي **الحديث الثاني**: يقول عليه الصلاة والسلام: **«يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ القِيَامَةِ»** يؤتى به يوم القيامة بعدما يدخل النار ويذوق شرها وبلاءها **«ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ خَيْراً قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللهِ يَا رَبِّ»** فيقول: لا، ينسى نعيم الدنيا كلها بسبب ما رآه من العذاب، نسأل الله العافية **«وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسَاً فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ بُؤساً قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللهِ، مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ»**، ينسى ما أصابه في الدنيا، ينسى ما أصابه من شدة وبؤس وفقر وحاجة بسبب ما رأى من النعيم في دار الكرامة، فجدير بالمؤمن أن يحرص على فعل الخير، وأن يجتهد في طلب الآخرة بالعمل الصالح والسعي فيما ينفعه وما يقربه إلى الله ويرضيه عنه ﷻ.

أما هذه الدار فمتاع زائل والسعيد فيها من استعملها في طاعة الله واجتهد في إنفاقها في وجوه الخير، وأخذها من وجهها وصرفها في وجهها هذا هو السعيد، والعبد مسؤول يوم القيامة عن جسمه فيم أبلاه،

(١) أخرجه الإمام أحمد من حديث البراء رضي الله عنه (٤/ ٢٨٧، ٢٩٥) برقمي (١٨٥٥٧، ١٨٦٣٧).

وعن شبابه فيم أفناه، وعن علمه ماذا عمل فيه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، فهذه مسؤولية كبيرة وعظيمة، فالواجب الإعداد لهذا السؤال العظيم.

كذلك حديث المستورد بن شداد: يقول ﷺ: «**مَا الدُّنْيَا في الآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ أُصْبُعَهُ في اليَمِّ فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِعُ!**» يعني: في البحر فينظر بم يرجع، لا يرجع بشيء لا يعلق بها شيء كما يدخل أحدنا أصبعه في البحر ثم يرفعها ماذا يعلق بها من البحر، لا شيء فالدنيا لا قيمة لها بالنسبة للآخرة؛ لأن الآخرة نعيمها لا يفنى مطّرد دائم، وأما هذه الدار فنعيمها مؤقت وإن عشت ألف عام فأنت منتهٍ منها متنقل عنها، كيف وبقاؤك فيها مدة يسيرة ستين عاماً سبعين عاماً ثمانين عاماً إن عشت ثم تنتقل إلى دار الجزاء إما الجنة وإما النار.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.

❊ ❊ ❊

٤٦٤ ـ وعن جابر رضي الله عنه **أَنَّ رسول الله ﷺ مَرَّ بالسُّوقِ وَالنَّاسُ كَنَفَتَيْهِ، فَمَرَّ بِجَدْيٍ أَسَكَّ مَيِّتٍ، فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَيُّكم يُحِبُّ أنْ يَكُونَ هَذَا لَهُ بِدِرْهَم؟» فقالوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ، وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟ ثُمَّ قَالَ: «أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟» قَالُوا: وَاللهِ لَوْ كَانَ حَيّاً كَانَ عَيْباً، إنَّهُ أَسَكُّ فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ! فقال: «فَوَاللهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ»** رواه مسلم(١).

□ **قوله: «كَنَفَتَيْهِ» أيْ: عن جانبيه. وَ«الأَسَكُّ»: الصغير الأذُن.**

٤٦٥ ـ وعن أَبي ذر رضي الله عنه، **قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبي ﷺ في حَرَّةٍ**

---

(١) أخرجه في كتاب الزهد والرقائق برقم (٢٩٥٧).

بِالمَدِينَةِ، فَاسْتَقْبَلَنَا أُحُدٌ، فقال: «يَا أَبَا ذَرٍّ» قلت: لَبَّيْكَ يَا رسولَ الله. فقال: «مَا يَسُرُّنِي أنَّ عِنْدِي مِثْلَ أُحُدٍ هَذَا ذَهَباً تَمْضي عَلَيَّ ثَلاثَةُ أيَام وَعِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ، إلَّا شَيْءٌ أرْصُدُهُ لِدَيْنٍ، إلَّا أنْ أقُولَ بِهِ في عِبَادِ الله هكذاً وَهَكَذَا وَهكَذَا» عن يَمِينِهِ وعن شِمَالِهِ وَمِنْ خَلْفِهِ، ثُمَّ سَارَ، فقال: «إنَّ الأكْثَرِينَ هُمُ الأقَلُّونَ يَوْمَ القِيَامَةِ إلَّا مَنْ قَالَ بالمَالِ هكَذَا وَهكَذَا وَهكَذَا» عن يمينِهِ وعن شِمَالِهِ ومنْ خَلْفِهِ «وَقَلِيلٌ مَا هُمْ» ثُمَّ قَالَ لي: «مَكَانَكَ لَا تَبْرَحْ حَتَّى آتِيكَ» ثُمَّ انْطَلَقَ في سَوادِ اللَّيْلِ حَتَّى تَوَارَى، فَسَمِعْتُ صَوتاً، قَدِ ارْتَفَع، فَتَخَوَّفْتُ أنْ يَكُونَ أحَدٌ عَرَضَ للنَّبيِّ ﷺ، فَأرَدْتُ أنْ آتِيهِ فَذَكَرتُ قَوْله: «لا تَبْرَحْ حَتَّى آتِيَكَ» فلم أبْرَحْ حَتَّى أتَاني، فَقُلْتُ: لَقَدْ سَمِعْتُ صَوتاً تَخَوَّفْتُ مِنْهُ، فَذَكَرْتُ لَهُ، فقال: «وَهَلْ سَمِعْتَهُ؟» قلت: نَعَمْ، قَالَ: «ذَاكَ جِبريلُ أتَانِي، فقال: مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِكَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئاً دَخَلَ الجَنَّةَ» قلت: وَإنْ زَنَى وَإنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «وَإنْ زَنَى وَإنْ سَرَقَ» متفقٌ عَلَيهِ[1] وهذا لفظ البخاري.

٤٦٦ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ، قَالَ: «لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَباً، لَسَرَّنِي ألّا تَمُرَّ عَلَيَّ ثَلَاثُ لَيالٍ وَعِنْدِي مِنْهُ شَيْءٌ إلَّا شَيْءٌ أرْصُدُهُ لِدَيْنٍ» متفقٌ عَلَيهِ[2].

الشَّرح

هذا الأحاديث الثلاثة كالتي قبلها في الحث على الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة، وإيثار أعمال الآخرة على الدنيا وعدم التشاغل بها

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاستقراض، باب أداء الديون برقم (٢٣٨٨)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب الترغيب في الصدقة برقم (٩٤) رقم حديث الكتاب (٣٢). ساقه بين رقمي (٩٩١ و٩٩٢).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الاستقراض، باب أداء الديون برقم (٢٣٨٩)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب تغليظ عقوبة من لا يؤدي الزكاة برقم (٩٩١).

فيما يصد عن الله والدار الآخرة، وليس المعنى ـ كما تقدم ـ اطِّرَاحُها وعدم التكسب فيها وعدم التجارة وعدم الكسب ليس المراد هذا، وإنما المراد عدم التعلق بها وإيثارها على الآخرة وعدم شغل القلب بها حتى تصده عن الآخرة، كما قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩] وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [الأعلى: ١٦، ١٧] ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ [القيامة: ٢٠، ٢١].

فالمقصود: هو الحذر من إيثار هذه العاجلة والشغل بها عن الله وعن الدار الآخرة، أو تعاطي ما حرم الله منها، أو تعاطي ما يصده عن أداء الواجب وترك المُحرَّم، أما الشغل بها فيما أباح الله من الكسب الحلال والنفقة في الخير والغُنية عما في أيدي الناس، فهذا أمر مطلوب شرعاً ولازم للإنسان.

في **الحديث الأول:** يقول الرسول ﷺ لما مَرَّ على جدي أسَكَّ ميت، والجدي: التيس الصغير، والأسك: صغيرة الأذن الأصمع، قال لمن معه: «**أَيُّكم يُحِبُّ أنْ يَكُونَ هَذَا لَهُ بِدرْهَم؟**» قالوا: ما نحب أن يكون لنا بشيء فهو ميت ما له قيمة، فقال عليه الصلاة والسلام: «**فوَاللهِ للدُّنْيَا أهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ**» لأنها ليس لها قيمة عند الله إلا لمن عمَّرها بالخير، أما ما فيها من الذهب والفضة والمال والزينة فهذا لا قيمة له إلا من استعان بها على الخير وعلى ترك الشر، يقول عليه الصلاة والسلام: «**لأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ**»[1] فاستعمال العبد نفسه في طاعة الله، وكفُّه عن محارم الله وإيقافها عند حدود الله هذا هو المطلوب، وذلك

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء برقم (٢٦٩٥).

خير من الدنيا، وما عليها فإذا استعان بالمال والجاه والوظيفة في طاعة الله فنعم ذلك، وإن استعان بذلك فيما يضره فبئس ذلك، نسأل الله العافية.

وهكذا حديث أبي ذر **الحديث الثاني**: بعده ما يتعلق بالدنيا، يقول عليه الصلاة والسلام لما مَرَّ بأُحُد: **«مَا يَسُرُّنِي أَنَّ عِنْدِي مِثْلَ أُحُدٍ هَذَا ذَهَباً تَمْضِي عَلَيَّ ثَلاثَةُ أيَام»** يعني: إلا دينار يحفظه لقضاء الدين **«إِلَّا أَنْ أَقُولَ بِهِ فِي عِبَادِ الله هكذا وَهَكَذَا وَهَكَذَا» عن يَمِينِهِ وعن شِمَالِهِ وَمِنْ خَلْفِهِ** وفي لفظ آخر: هكذا، وهكذا، وهكذا، وهكذا عن يمينه وعن شماله ومن أمام ومن خلفه؛ يعني: إلا أن ينفق ذلك هكذا في وجوه الخير في جميع الوجوه.

وهكذا **الحديث الأخير الثالث** [٤٦٥]: يقول: **«هكذا وَهَكَذَا وَهكَذَا»** في وجوه البر وأعمال الخير، فالمال نعمة، المال الصالح للرجل الصالح الذي ينفقه فيه هكذا وهكذا؛ أي: ينفقه في وجوه الخير؛ ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: **«إِنَّ الأَكْثَرِينَ هُمُ الأَقَلُّونَ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَّا مَنْ قَالَ بالمَالِ هكَذَا وَهكَذَا وَهكَذَا»** يعني: إلا من قال به **«هكذا وَهَكَذَا وَهكَذَا»** في وجوه الخير وأعمال البر والصرف فيما يرضي الله ويقرب لديه، وإلا فإنه يضره، ترك الزكاة وترك ما أوجب الله فيه، فأما إذا أنفق ما أوجب الله وأمسك ما أباح الله فإنه لا يضره ذلك.

ثم ذهب وترك أبا ذر، قال: الزم مكانك حتى أرجع إليك، فذهب عليه الصلاة والسلام الحرَّة، وكان على موعد مع جبريل عليه الصلاة والسلام، فسمع صوتاً، سمع أبا ذر صوتاً خاف على النبي ﷺ، ثم ذكر قوله: الزم مكانك فلزم مكانه حتى رجع إليه، فقال للنبي ﷺ: سمعت صوتاً فخشيت عليك، قال: سمعته؟ قال: نعم، قال: **«ذَاكَ جِبريلُ أَتَانِي، فقال: مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَتِكَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئاً دَخَلَ الجَنَّةَ» قلت: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَق قَالَ: «وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ»**.

في اللفظ الآخر كررها ثلاثاً قال في الثالثة: «**عَلَى رَغْمِ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ**»[١] والمعنى: إذا مات على التوحيد وترك الشرك بالله، فمصيره الجنة والسعادة، وهو على حالين: إن مات على توبة وعمل صالح وعدم المعاصي فهو إلى الجنة من أول وهلة، وإن مات على المعاصي فهو تحت مشيئة الله كما قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨] فإذا مات على غير توبة فهو تحت مشيئة الله إن شاء الله عفا عنه بأعماله الصالحة، أو بشفاعة الشفعاء، أو بمجرد رحمته ﷻ، فهو أرحم الراحمين، وإن شاء عاقبه على قدر المعاصي التي مات عليها ثم بعد إقامته في النار ما شاء الله تطهيراً وتمحيصاً يخرج من النار إلى نهر يقال له: نهر الحياة، فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل، فيتكامل خلقهم فيدخلهم الله الجنة برحمته ﷻ بعد تمحيصهم مما فعلوه في الدنيا، ولا شك أن الراغب في نجاة نفسه، والحريص على سعادتها، ولا شك أن ذا النفس الرفيعة القوية المؤمنة لا يرضى بأي عمل يكون سبباً لدخوله النار، بل يبتعد عن كل الأعمال التي تسبب دخوله النار، ويحرص على كل عمل يكون سبباً لدخول الجنة ونجاته من النار من أول وهلة.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.

٤٦٧ ـ وعنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «**انْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ؛ فَهُوَ أَجْدَرُ أَلَّا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ**» متفقٌ عَلَيْهِ[٢]، وهذا لفظ مسلم.

---

(١) متفق عليه من حديث أبي ذر ﷺ. أخرجه البخاري في كتاب اللباس، باب الثياب البيض برقم (٥٨٢٧)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ومن مات مشركاً دخل النار برقم (٩٤).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب النظر إلى من هو أسفل منه ولا تنظر إلى من فوقه برقم (٦٤٩٠)، ومسلم في كتاب الزهد والرقائق برقم (٢٩٦٣).

📖 وفي رواية البخاري: «إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ فِي المَالِ وَالخَلْقِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَل مِنْهُ».

٤٦٨ ـ وعنه، عن النبي ﷺ، قَالَ: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَالدِّرْهَم، وَالقَطِيفَةِ، وَالخَمِيصَةِ، إنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ» رواه البخاري[(١)].

٤٦٩ ـ وعنه رضي الله عنه، قَالَ: لَقَدْ رَأيْتُ سَبعِينَ مِنْ أهْلِ الصُّفَّةِ، مَا منهُمْ رَجُلٌ عَلَيْهِ رِدَاءٌ: إمَّا إزارٌ، وَإمَّا كِسَاءٌ، قَدْ رَبَطُوا فِي أعناقِهِمْ، فَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ نِصْفَ السَّاقَيْن، وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ الكَعْبَيْنِ، فَيَجْمَعُهُ بِيَدِهِ كَراهِيَةَ أنْ تُرَى عَوْرَتُهُ. رواه البخاري[(٢)].

الشَّرح

هذه الأحاديث كالتي قبلها فيها الحث والتحريض على الرغبة في الآخرة، والإعداد لها والحذر من الركون إلى الدنيا وإيثارها على الآخرة، وأن العبد على خطر من هذه الدار لكثرة من يؤثرها، وقد حذر الله من ذلك في قوله سبحانه: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٣٧ ـ ٣٩] فالواجب أن يجعلها مطية للآخرة ومعملاً للآخرة، فيستعين بها على طاعة الله وعلى ترك معصيته وعلى الإحسان إلى عباده، هكذا ينبغي للمؤمن مع الحرص على كسبها من الحلال لا من الحرام.

وفي هذه الأحاديث الدلالة على أنه ينبغي للمؤمن إذا رأى من فوقه في المال أو في الخلق أو في الوظيفة أو نحو ذلك أن ينظر إلى من دونه حتى يعرف قدر نعمة الله عليه، وحتى لا يزدري نعمة الله عليه، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «انْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَا تَنْظُرُوا

---

(١) أخرجه في كتاب الجهاد والسير، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله برقم (٢٨٨٦).

(٢) أخرجه في كتاب الصلاة، باب نوم الرجال في المساجد برقم (٤٤٢).

إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ» أي: في الدنيا هو أجدر؛ يعني: أحرى **«أَلَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ»** ألّا تستقِلُّوها تحتقروها، وفي اللفظ الآخر: **«إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ فِي المَالِ وَالخَلْقِ»**، يعني في الجمال ونحوه **«فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَل مِنْهُ»**. حتى يعرف قدر نعمة الله عليه، فما من فقير إلا هناك مَن هو أفقر منه، وما من دميم إلا هناك من هو أكثر منه دمامة وأشد، فلينظر إلى من دونه حتى يعرف أنه في نعمة، وأن الله قد أنعم عليه بنعمة، وأنه قد كفاه شيئاً هو أضر به لو أصيب به، وهذا عام في كل شيء في المال، في الخلق، في السمع، في البصر، في الأولاد، في الثروة، في غير ذلك مما يُبتلى به الناس حتى يعرف قدر نعمة الله عليه أنه أعطاه أشياء ما أعطاها آخرين.

الحديث الثاني: يقول ﷺ: **«تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَالدِّرْهَمِ، وَالقَطِيفَةِ، وَالخَمِيصَةِ، إنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ»** دعا عليه بالتعاسة وهو تعسير الأمور لكونهم عبدوا هذه الأمور الدنيوية وذلّوا لها، وغضبوا لها ورضوا لها، فصارت كآلهة لهم إن أعطوا منها رضوا ولو بغير حق وإن لم يعطوا منها سخطوا، ولو أنهم منعوا بحق فهم عبيد لها يرضون لها ويسخطون لها، فلهذا استحقوا الذم **«تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ تَعِسَ عَبْدُ الخَمِيصَةِ تَعِسَ عَبْدُ الخَمِيلَةِ»** الخَمِيصَةِ: أكسية لها أعلام، والخَمِيلَةِ ليس لها أعلام **«إن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها سخطوا، «تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ»**.

والمقصود: من هذا الحث على تعليق القلوب بالله والرضا لرضاه والغضب لغضبه، وأن يقطع تعلق قلبه بالدنيا، التعلق الذي يصده عن الآخرة ويشغله في الدنيا يرضى لها ويغضب لها فما جاءه من رزق فهو من الله وعليه أن يحرص على أسبابه الطيبة المباحة، وما صُرف عنه فللّه الحكمة ﷻ وقد يكون خيراً له، وقال عليه الصلاة والسلام: **«احْرِصْ**

عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللهِ» فهو مأمور بالحرص على ما ينفعه والاستعانة بالله، فما قدَّره الله له سيأتي لكن لا يدع الأسباب بل يأخذ بالأسباب، **«احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجِزْ وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ»** أي: فاتك محمود أو حصل مكروه **«فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ لَكَانَ كَذَا وَكَذَا. وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فعل»** يعني: هذا قدر الله وما شاء الله فعل **«فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»**(١) وهو معنى قوله سبحانه: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦] إذا أصابه مكروه يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، اجتهد حرص على أن يتزوج بفلانة مثلاً ولم يقدر يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، حرص على صحة ولده وأسباب سلامته فلم يُقدَّر فمات يقول إنا لله وإنا إليه راجعون، حرص على حفظ ماله وصيانته فلم يُقدَّر وتلف بعضه يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون قدر الله وما شاء فعل وهكذا، هكذا يكون المؤمن، صبورٌ عند البلاء شكور عند الرخاء، في الحديث الصحيح عن أبي صهيب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«عَجَباً لأَمْرِ المُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ: إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ»**(٢).

كذلك حديث فقراء المسلمين من المهاجرين، في المدينة أصابهم شدة في المدينة وحاجة كبيرة بعد الهجرة من بلادهم مكة وغيرها، حتى قال الصحابة: رأيت سبعين منهم ليس لهم أردية ما عليهم إلا الأزر من شدة الحاجة لا قمص ولا أردية، أُزر ربطوها على أنفسهم منها ما يبلغ نصف الساق ومنها ما يصل الكعب، قد عجزوا عن الرداء الذي يضعونه على أكتافهم، وإن طال ربطوا أطرافها على الكتف، صبروا وما ضرهم، نجحوا وأفلحوا ورزقهم الله الدنيا بعد ذلك، وفتحوا الفتوحات وكسروا

---

(١) سبق تخريجه برقم (١٠٠).

(٢) سبق تخريجه برقم (٢٧).

كسرى وملكوا قصور قيصر وملكوا الدنيا وملكوا العبيد، ورزقوا من المال الكثير بعد الفقر والحاجة، صبروا قليلاً وأفلحوا كثيراً، هكذا المؤمن يجب عليه الصبر على الشدائد، وأن يسعى لتفريج الكروب والأخذ بالأسباب فقد وعده الله خيراً، وعده الله الفرج ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣] ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤] ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥، ٦].

يجب الصبر لو كانت الدنيا تحصل للناس على هواهم ما بقي فقير في الدنيا، لا بد من صبر واحتساب والأخذ بالأسباب وسؤال الله التوفيق والهداية، ويعلم أن لله حِكَماً في غنى هذا وفقر هذا، وفي تسهيل هذا ومنع هذا إلى غير ذلك إن ربك حكيم عليم.

وفّق الله الجميع.

***

٤٧٠ ـ وعنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «الدُّنْيَا سِجْنُ المُؤْمِنِ، وَجَنَّةُ الكَافِرِ» رواه مسلم[١].

٤٧١ ـ وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: أخذ رسول الله ﷺ بِمَنْكِبَيَّ، فقال: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَو عَابِرُ سَبيلٍ» وَكَانَ ابن عُمَرَ رضي الله عنهما، يقول: إِذَا أَمْسَيتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ. رواه البخاري[٢].

---

(١) أخرجه في كتاب الزهد والرقائق برقم (٢٩٥٦).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب قول النبي ﷺ: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**» برقم (٦٤١٦).

قالوا في شَرْحِ هَذَا الحديث معناه: لَا تَرْكَنْ إِلَى الدُّنْيَا وَلَا تَتَّخِذْهَا وَطَناً، وَلَا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِطُولِ البَقَاءِ فِيهَا، وَلَا بِالاعْتِنَاءِ بِهَا، وَلَا تَتَعَلَّقْ مِنْهَا إِلَّا بِمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ الغَرِيبُ في غَيْرِ وَطَنِهِ، وَلَا تَشْتَغِلْ فِيهَا بِمَا لَا يَشْتَغِلُ بِهِ الغَرِيبُ الَّذِي يُرِيدُ الذَّهَابَ إِلَى أَهْلِهِ، وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ.

٤٧٢ ـ **وعن** أَبي العباس سهل بن سعد الساعدي ﵁، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النبي ﷺ، فقال: يَا رسولَ الله، دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ، فقال: «ازْهَدْ في الدُّنْيَا يُحِبّك اللهُ، وَازْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبّك النَّاسُ» حديث حسن رواه ابن ماجه[1] وغيره بأسانيد حسنة.

الشَّرح

فهذه الأحاديث الثلاثة كالتي قبلها في فضل الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة والتزود لها وعدم الاغترار بزهرتها العاجلة والركون إليها والاغترار بها، وقد نصح عليه الصلاة والسلام وبلَّغ البلاغ المبين ليستعد العباد للقاء الله، ولئلا يَشغلوا بهذه العاجلة عما خلقوا له من طاعة الله وعبادته.

وفي هذا الحديث يقول ﷺ: «الدُّنْيَا سِجْنُ المُؤْمِنِ، وَجَنَّةُ الكَافِرِ» معنى كونها سجن المؤمن؛ لأن المؤمن ممنوع من أشياء ومحلول له أشياء، وليس مطلق الحرية في كل ما يريد، أما الكافر فلا يُبالي بما فعل من محرمات، ومن تعاطي الشهوات التي تضره ولا تنفعه، إلى غير ذلك

---

(١) أخرجه في كتاب الزهد، باب في الدنيا برقم (٤١٠٢)، والحاكم (٤/ ٣٤٨) برقم (٧٨٧٣) وله شاهد مرسل عند أبي نعيم في الحلية (٨/ ٤١)، وحسنه الحافظ العراقي، وانظر: جامع العلوم والحكم (٢/ ١٧٤).

مما هو يتعاطاه من غير قيود ولا وقوف عند حدود الله ولا مراقبة الله ﷻ، أما المؤمن فهو محدود مأمور بما يصلحه ممنوع مما يضره، فسجن المؤمن من هذا الاعتبار؛ يعني: ليس له مطلق الحرية فيما يريد، بل هو قد خصص الله له الأشياء التي تناسبه وتنفعه ومنعه مما يضره، فأمره بالرغائب وترك المحارم والوقوف عند حدود الله، وفيما شرعه الله له الخير والبركة والعاقبة الحميدة، بخلاف الكافر فإنه لا يبالي وليس عنده التزام بشرع الله فهو كالمطلق الذي ليس في سجن بل يعمل ما يشاء، أما المؤمن فهو محدود معروف ما يأتي وما يذر، فهو سجن له من هذا الاعتبار، وفي يوم القيامة له النعيم المقيم والخير الكثير وما تشتهيه نفسه وما تلذذ عينه، وليس هناك ممنوع؛ بل هو في نعيم يتقلب وفي خير كثير كلما أراد من الخيرات وجد ذلك، قال تعالى: ﴿وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ [النحل: ٥٧]: ﴿وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾ [يس: ٥٧].

وفي **الحديث الثاني** الصحيح: يقول عليه الصلاة والسلام: «**ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبّكَ اللهُ، وَازْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبّكَ النَّاسُ**» هذه من أسباب السلامة والنجاة أن يقطع تعلق قلبه بهذه الدار، وألّا تشغله عن الآخرة، وأن يأخذ منها بنصيب فيما ينفعه مما يقربه من الله وفيما يدنيه من رحمته ويباعده من سخطه، وليس معناه كما تقدم أن يدع طلب الرزق وطلب الحلال والعناية بما فيه نفعه من مزارع وصناعات وغير ذلك، فهو مأمور بهذا «**احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللهِ**» مأمور بأن يحرص على ما ينفعه في دينه ودنياه ويستعين بالله على ذلك، لكن منهي أن يشتغل بها عن الآخرة وأن يؤثرها على الآخرة، بل يستعين بها على عمل الآخرة، ويعدها مطية لآخرته، هكذا المؤمن لا يشغل بها ولكنه يستعملها فيما يرضي الله ويقرب لديه وفيما يمنعه من محارمه وأسباب سخطه.

هكذا **حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما**، يقول له النبي ﷺ: «**كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ**» لأن الغريب وعابر السبيل

إنما يهتم بالزاد الذي يوصله ويرده إلى بلاده، وليس له الرغبة في الوقوف إلى محل الغربة، فالمؤمن في هذا الدار غريب وكعابر سبيل ينبغي له أن يشتغل بما يعده لآخرته وبما يوصله إلى دار السلام، وألّا يشتغل عن هذا بما يصده عن دار السلام وعن أسباب السعادة؛ ولهذا كان ابن عمر رضي الله عنه، (**يقول: إِذَا أَمْسَيتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ**).

فمن فائدة هذا الحديث: أن تكون هكذا أن تُقرب الأجل وتحذر الركون إلى الدنيا وطول الأمل، وأن تأخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك، وهكذا من غناك لفقرك، ومن فراغك لشغلك، ومن صحتك لسقمك لمرضك، حتى تكون أوقاتك معمورة بالخير وترك الشر، كما أن الغريب وعابر السبيل هكذا، إنما يهتم بما يوصله إلى وطنه ويعينه على قطع المسافة فيتزود لذلك بما يعينه على السلامة في الطريق، هكذا المؤمن مسافر في هذا الدار، يقطع مراحل كل يوم، يقطع مراحل كل ليلة، يقطع مراحل، بل كل ساعة، يقطع مراحل توصله إلى أجله وتوصله إلى مصيره إما جنة وإما النار، هكذا الإنسان في هذه الدار سائر مسافر والساعات والدقائق والثواني والأيام والليالي كلها مراحل، كل مرحلة تقربه إلى أجله، تقربه من مصيره.

نسأل الله التوفيق والهداية.

❋ ❋ ❋

٤٧٣ ـ وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، **قَالَ: ذَكَرَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ** رضي الله عنه، **مَا أَصَابَ النَّاسُ مِنَ الدُّنْيَا، فَقَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ** رسول الله ﷺ **يَظَلُّ اليَوْمَ يَلْتَوِي مَا يَجِدُ مِنَ الدَّقَلِ مَا يَمْلأُ بِهِ بَطْنَهُ.** رواه مسلم[1].

---

(١) أخرجه في كتاب الزهد والرقائق برقم (٢٩٧٨).

▫ (الدَّقَلُ): بفتح الدَّال المهملة والقاف: رديءُ التمرِ.

٤٧٤ ـ وعن عائشة ﵂، قالت: تُوفي رسول الله ﷺ، وَمَا في بَيْتِي مِنْ شَيْءٍ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ إِلَّا شَطْرُ شَعِيرٍ في رَفٍّ لي، فَأَكَلْتُ مِنْهُ حَتَّى طَالَ عَلَيَّ، فَكِلْتُهُ فَفَنِيَ. متفقٌ عَلَيْهِ[١].

▫ قولها: (شَطْرُ شَعير)؛ أيْ: شَيْءٌ مِنْ شَعير، كَذَا فَسَّرَهُ التِّرْمذيُّ.

٤٧٥ ـ وعن عمرو بن الحارث أخي جُوَيْرِيَّة بنتِ الحارِث أُمِّ المُؤْمِنِينَ ﵄، قَالَ: مَا تَرَكَ رسولُ الله ﷺ عِنْدَ مَوْتِهِ دِيناراً، وَلَا دِرْهَماً، وَلَا عَبْداً، وَلَا أَمَةً، وَلَا شَيْئاً إِلَّا بَغْلَتَهُ البَيضَاءَ الَّتي كَانَ يَرْكَبُهَا، وَسِلَاحَهُ، وَأَرْضاً جَعَلَهَا لِابْنِ السَّبِيلِ صَدَقَةً. رواه البخاري[٢].

﴿ الشَّرح ﴾

هذه الأحاديث كالتي قبلها في الحث على الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة وإيثارها والإعداد لها، وأنه ينبغي للمؤمن أن يعنى بآخرته، وأن تكون أكبر همه، وأن يستعين بالدنيا على طاعة الله سبحانه واتباع مرضاته والقيام بحقه، وألّا يشغل بها عن الآخرة، وألّا يعلق منها قلبه، بل يزهد فيها زهد المؤمنين زهد الأتقياء، زهداً معناه ألّا يُشغل بها عن الآخرة، وألّا يؤثرها على الآخرة وليس معنى ذلك كما تقدم: أن يتركها ولا يطلب الحلال ولا يكسب الرزق لا، بل هو مأمور بطلب الرزق طلب الحلال، قال النبي ﷺ: «**احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللهِ**» والله يقول في كتابه: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فرض الخمس، باب نفقة نساء النبي ﷺ بعد وفاته برقم (٣٠٩٧)، ومسلم في كتاب الزهد والرقائق برقم (٢٩٧٣).

(٢) أخرجه في كتاب الوصايا، باب الوصايا برقم (٢٧٣٩)، وفي كتاب فرض الخمس، باب نفقة نساء النبي ﷺ بعد وفاته برقم (٣٠٩٨).

ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠]، ويقول ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥]، فالمؤمن مأمور بأن يطلب الرزق ويكسب الحلال؛ كالتجارة والصناعة والزراعة وغيرها من وجوه الكسب الطَّيِّب الحلال، لكن لا يُشغل بذلك عن الآخرة، بل يُعد للآخرة عُدَّتها ويُقدِّمها على حاجة الدنيا، ويجعل الدنيا مطية للآخرة ومعملاً للآخرة، هكذا المؤمن يستعين بها على طاعة الله، ويصرفها في وجوه الخير وينفقها في سبل الخير، يرجو ما عند الله؛ فيطلبها من الحلال وينفقها في وجوه البر والخير، هكذا يكون عباد الله المؤمنون، يقول جلَّ وعلا: ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الحديد: ٧] هذا شأن أولياء الله إيمان صادق وعمل صالح، وإنفاق في سبيل الله، وإيثار للآخرة، وحذر من الركون إلى الدنيا وزهرتها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩] فمن شُغل بالدنيا عن الآخرة والتهى بماله وولده على الآخرة خسر، ولكن الواجب أن يقدم الآخرة ويُعد لها العدة وأن يؤدي فرائض ربه، وأن يحذر محارمه، ويقف عند حدوده مع كونه يطلب الحلال ويكسب الحلال، ويستعين بنعم الله على طاعة الله ﷻ.

وفي الأحاديث الصبر على الفقر والحاجة حتى يفرج الله، كما صبر الأنبياء والأخيار صبروا على الفقر والحاجة حتى فرَّج الله، حتى أزال الله الشدائد، ولم يستغلوا هذه الحاجة في محارم الله، وفي ظلم عباد الله، بل صبروا ورضوا بالقليل حتى جاء الفرج، ويسر الله لهم الخيرات، وفتح عليهم الفتوحات، وغنموا الأموال وصاروا أئمة الناس في الدنيا والآخرة، أئمتهم في طلب الحلال، وكسب الحلال، والجهاد في سبيل الله، وأئمتهم في أسباب السعادة والخير العظيم، يقول عمر رضي الله عنه: (لَقَدْ رَأَيْتُ رسول الله ﷺ يَظَلُّ الْيَوْمَ يَلْتَوِي مَا يَجِدُ مِنَ الدَّقَلِ مَا يَمْلأُ بِهِ بَطْنَهُ) تمرٌ

عليهم بعض الليالي والأيام وهم بحاجة شديدة، حتى يخرج الإنسان من بيته يلتمس شيئاً لعله يجد ما يسدُّ حاجته من الجوع، حين كان الرسول ﷺ وأصحابه الأخيار مرَّت عليهم هذه الظروف الشديدة فصبروا، فأنت لك الأسوة بهم، فإياك أن تغتر بالعاجلة وأن تؤثرها على الآخرة أو تميل إلى شهواتها فتصدك عن لقاء الله وعن اتباع شرعه، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قد خرج النبي ﷺ ذات يوم من بيته أخرجه الجوع، فمرَّ على الصدِّيق وعمر، فسألهما عما أخرجهما؟ فقالوا: الجوع، فقال: إنما الذي أخرجني من بيتي هو الذي أخرجكم وهو الجوع، ثم توجهوا إلى بعض الأنصار فاستضافوهم وقدم لهم رطباً وماءً وذبح لهم مما عنده، فلما أكلوا وشبعوا، قال عليه الصلاة والسلام: «**هذا من النعيم الذي تسألون عنه يوم القيامة**»(١).

المقصود: أن أهل الإيمان من الرسل وأتباعهم يصبرون على التعب والأذى والفقر والحاجة. فالواجب على أهل الإيمان بعدهم أن يتأسوا بذلك، وألّا يستغلوا الفقر والحاجة في محارم الله وإتباع ما يضرهم ولا ينفعهم، بل عليهم الصبر وطلب الرزق الحلال حتى يفرِّج الله عنهم، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «**عَجَباً لأَمْرِ المُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ**»(٢).

الحديث الثاني: حديث عائشة، قالت عائشة رضي الله عنها: (**توفي رسول الله ﷺ، وَمَا في بَيْتِي مِنْ شَيْءٍ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ إِلَّا شَطْرُ شَعِيرٍ في رَفٍّ لي، فَأَكَلْتُ مِنْهُ حَتَّى طَالَ عَلَيَّ، فَكِلْتُهُ فَفَنِيَ**)، هذا بيت رسول الله ﷺ مات ودرعه مرهونة عند يهودي بشيء من شعير اقترضه لأهله، وليس في

---

(١) أخرجه النسائي من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه في كتاب الوصايا، باب قضاء الدين قبل الميراث برقم (٣٦٢٩)، والإمام أحمد (٣/ ٣٥١) برقم (١٤٨٢٨).

(٢) سبق تخريجه في باب الصبر برقم (٢٧).

بيت أهله إلا شيء من شعير عليه الصلاة والسلام، فلنا فيهم أُسوة، فلا يجوز أن يحتج بالفقر على ترك ما أوجب الله، أو فعل ما حرَّم الله، أو ظلم عباد الله، فالعبد يصبر ويطلب الرزق ويأخذ بأسباب كسب الرزق الحلال ويستعين بذلك على طاعة الله ﷻ، ولا يجعل ذلك حجة وطريقاً إلى فعل ما حرم الله وترك ما أوجب الله، كما قال ﷻ: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٨٦]، وقال ﷻ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥]، قال سبحانه: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١] فالمؤمن يبتلى ولكنه ذهب، إذا ابتلي ظهر جوده وظهر فضله بصبره واحتسابه وإخلاصه لله، وطلبه الحلال وجده في طلب الرزق بالحلال وعن العدول عما حرَّم الله ﷻ.

هكذا **حديث عمرو بن الحارث** رضي الله عنه **المصطلقي**، صهر رسول الله عليه الصلاة والسلام. وأخو زوجته جويرية بنت الحارث يقول رضي الله عنه: «**مَا تَرَكَ رسولُ الله ﷺ عِنْدَ مَوْتِهِ دِيناراً، وَلَا دِرْهَماً، وَلَا عَبْداً، وَلَا أَمَةً، وَلَا شَيْئاً إِلَّا بَغْلَتَهُ البَيضَاءَ الَّتي كَانَ يَرْكَبُهَا، وَسِلَاحَهُ، وَأرْضاً جَعلَهَا لِابْنِ السَّبِيلِ صَدَقَةً**»، ما كان يخزن الأموال ويدخرها، تأتيه الأموال فينفقها عليه الصلاة والسلام، كانت تأتيه الأموال الكثيرة، وينفقها في عباد الله ويجود بها في وجوه الخير، وكان ربما عزل لأهله نفقة السنة، ولكن لا تمر عليه السنة إلا وقد أنفقها عليه الصلاة والسلام، حتى مات وليس في بيته شيء، ليس عنده شيء سوى بغلته البيضاء التي كان يركبها، وسلاحه الذي أعده للجهاد، وأرض جعلها صدقة عليه الصلاة والسلام، وكانت هذه الأرض يتولاها ولاة الأمور في فدك وفي بني النضير لإنفاقها في حاجات المسلمين ومصالح المسلمين.

وقد جاءت امرأة ومعها ابنتان ذات يوم **لعَائِشَةَ** في حياة النبي ﷺ

تسأل، قالت: فما وجدت في بيتي إلا ثلاث تمرات، فجاءت بها وأعطتها السائلة، فدفعت لابنتيها تمرتين وأخذت الثالثة ترفعها إلى فيها لتأكلها، فنظرت إلى ابنتيها تريدان الثالثة فشقتها بينهما نصفين ولم تأكل شيئاً، قالت عَائِشَةَ: فَأَعْجَبَنِي شَأْنُهَا فلما جاء النبي ﷺ أخبرته بالقصة فَقَالَ عليه الصلاة والسلام: «**إِنَّ اللهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الجَنَّةَ**»[1] هذه المرأة التي رحمت ابنتيها قدمتهما على نفسها التمرة الثالثة ما أكلتها شقتها بينهما.

الحديث الآخر: «**مَنْ أَنْفَقَ عَلَى ابْنَتَيْنِ أَوْ أُخْتَيْنِ أَوْ ذَوَاتَيْ قَرَابَةٍ يَحْتَسِبُ النَّفَقَةَ عَلَيْهِمَا حَتَّى يُغْنِيَهُمَا اللهُ مِنْ فَضْلِهِ** ﷻ **وَيَكْفِيَهُمَا كَانَتَا لَهُ سِتْراً مِنْ النَّارِ**»[2].

فإذا تولى الإنسان بنات أو أخوات أو يتيمات أو قريبات وأحسن إليهن، أو أيتاماً ذكوراً كذلك، كان ذلك من أسباب دخوله الجنة ونجاته من النار، وفي الحديث الصحيح يقول ﷺ: «**أَنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ فِي الجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ**» وَأَشَارَ بِأُصْبُعَيْهِ؛ يَعْنِي: السَّبَّابَةَ وَالوُسْطَى[3].

كل هذا في الحث والتحريض على الصبر والإحسان والإنفاق في وجوه الخير والإيثار، إيثار ذوي الحاجة، كما قال جلَّ وعلا عن الأنصار: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩] فأهل الإيمان صُبر عند الحاجة صُبر عند الشدائد، يرجون ما عند الله من الفضل ﷻ، ولهذا قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠] قال عليه الصلاة والسلام: «**مَا يَكُنْ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ، وَمَنْ يَصْبِرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَا**

---

(١) سبق تخريجه برقم (٢٦٩).

(٢) أخرجه الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ من حديث أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ (٦/ ٢٩٣) برقم (٢٦٥٥٩).

(٣) أخرجه البخاري عن سهل في كتاب الطلاق، باب اللعان برقم (٥٣٠٤).

أُعْطِي أَحَدٌ مِنْ عَطَاءٍ خَيْراً وَأَوْسَعُ مِنَ الصَّبْرِ»[١].

وفَّق الله الجميع.

※※※

٤٧٦ ـ **وعن** خَبابِ بن الأَرَتِّ ﷺ، قَالَ: هَاجَرْنَا مَعَ رسول الله ﷺ نَلْتَمِسُ وَجْهَ اللهِ تَعَالَى، فَوَقَعَ أجْرُنَا عَلَى اللهِ، فَمِنَّا مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَأكُل مِنْ أجْرِهِ شَيْئاً، مِنْهُمْ: مُصْعَبُ بن عُمَيْرٍ ﷺ، قُتِلَ يَوْمَ أُحُد، وَتَرَكَ نَمِرَةً، فَكُنَّا إِذَا غَطَّيْنَا بِهَا رَأْسَهُ، بَدَتْ رِجْلاهُ، وَإِذَا غَطَّيْنَا بِهَا رِجْلَيْهِ، بَدَا رَأْسُهُ، فَأَمَرَنَا رسول الله ﷺ؛ أنْ نُغَطِّي رَأسَهُ، وَنَجْعَل عَلَى رِجْلَيْهِ شَيْئاً مِنَ الإذْخِرِ، وَمِنَّا مَنْ أيْنَعَتْ لَهُ ثَمَرَتُهُ، فَهُوَ يَهْدِبُهَا. متفقٌ عَلَيهِ[٢].

□ (النَّمِرَةُ): كِساءٌ مُلَوَّنٌ مِنْ صوف. وَقَوْلُه: (أيْنَعَتْ)؛ أيْ: نَضِجَتْ وَأَدْرَكَتْ. وَقَوْلُه: (يَهْدِبها): هُوَ بفتح الياءِ وضم الدال وكسرها لغتان؛ أيْ: يَقْطُفهَا وَيَجْتَنِيهَا، وهذه استعارة لما فتح الله تَعَالَى عليهم من الدنيا وتمكنوا فِيهَا.

٤٧٧ ـ **وعن** سهلِ بن سعد الساعدي ﷺ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لَوْ كَانَت الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ الله جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، مَا سَقَى كَافِراً مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ» رواه الترمذي[٣]، وقال: حديث حسن صحيح.

٤٧٨ ـ **وعن** أبي هريرة ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ، يقول:

---

(١) متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ، أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب الصبر عن محارم الله برقم (٦٤٧٠)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب فضل التعفف والصبر برقم (١٠٥٣).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب إذا لم يجد كفناً برقم (١٢٧٦)، ومسلم في كتاب الجنائز، باب في كفن الميت برقم (٩٤٠).

(٣) أخرجه في كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في هوان الدنيا على الله ﷻ برقم (٢٣٢٠)، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب مثل الدنيا برقم (٤١١٠).

«أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إِلَّا ذِكْرَ اللهِ تَعَالَى، وَمَا وَالاهُ، وَعالِماً وَمُتَعَلِّماً» رواه الترمذي[١]، وقال: حديث حسنٌ.

الشَّرح

هذه الأحاديث كالتي قبلها في الحث على الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة، والعناية في إيثار الآخرة والإعداد لها وعدم الاغترار بزهرة الدنيا وزينتها، وأن الأخيار من الرسل وأتباعهم لم تغرهم هذه الدار، بل عملوا فيها بطاعة الله، وأعدوا فيها العدة وجاهدوا في الله وصبروا على ما أصابهم من الفقر والشدة، حتى أكمل الله لهم ما وعدهم من الخير، حتى لحقوا بالله، فينبغي للمؤمن ألّا يغتر بها وألّا يؤثرها على الآخرة، وأن يعد العُدة للقاء ربه، وأن تكون الآخرة أكبر همه حتى يُعدَّ لها، وتقدم أنه ليس المقصود من هذا ترك الدنيا وعدم طلبها لا، المقصود عدم إيثارها على الآخرة وعدم تعلق القلب بها والركون إليها مع طلب الحلال منها وأخذ الزاد منها لآخرته، كما قال جلَّ وعلا في كتابه العظيم: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠] وقال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥] فالمؤمن يعمل لدنياه وآخرته، يعمل لدنياه من طريق الحلال وكسب الحلال، صنعة مباحة وتجارة طيبة، يقي فيها وجهه عن الحاجة إلى الناس، ويصل بها رحمه، ويحسن بها إلى عباد الله، وينفق منها في وجوه الخير، ويستعين بها على ما شرع الله له، ولكنه لا يُشغله بها ذلك عن الآخرة ولا يؤثرها على الآخرة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾

---

(١) أخرجه في كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب منه برقم (٢٣٢٢)، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب مثل الدنيا برقم (٤١١٣).

[المنافقون: ٩] فالمؤمن يستعين بها ولا يُشغل بها، ولا تكون مُلهية له عما أوجب الله عليه ولا متعة له فيما حرم الله عليه.

وفي **الحديث الأول**: من هذه الأحاديث الثلاثة، حديث خباب بن الأرت ﷺ يقول: (**هَاجَرْنَا مَعَ رسول الله ﷺ فَوَقَعَ أَجْرُنَا عَلَى اللهِ**)، فمنهم من مضى وَلَمْ يَأكُل مِنْ عمله شَيْئاً؛ كمُصْعَبُ بن عُمَيْرٍ ﷺ، قُتِلَ بعد الهجرة بمدة يسيرة (**قُتِلَ يَوْمَ أُحُد**) ولم يخلف شيئاً من الدنيا سوى (**نَمِرَةٍ، فَكُنَّا إِذَا غَطَّيْنَا بِهَا رَأْسَهُ**)، بَدَتْ رِجْلَاهُ، وَإِذَا غَطَّيْنَا بِهَا رِجْلَيْهِ، بَدَا رَأْسُهُ، فقال النبي ﷺ، «**اجعلوا على رَأسِهِ**» يعني: وعورته «**وَاجعلوا عَلَى رِجْلَيْهِ الإذْخِرِ**» قد أصاب الصحابة والنبي ﷺ شدة في المدينة أول ما هاجروا لقلة المال، وقلة أيضاً أموال الأنصار وعدم كفايتها لحاجة المهاجرين، مع أن الأنصار آثروهم وبذلوا كل شيء رضي الله عنهم وأرضاهم، لكن الأموال غير متسعة لكفاية المهاجرين، فلهذا أصابهم شيء من الشدة والحاجة فصبروا قليلاً وأفلحوا، ثم فتح الله عليهم الفتوح وصاروا قادة الناس وأئمة الناس في الدين والدنيا، بسبب صبرهم على طاعة الله وقيامهم بأمر الله وجهادهم في سبيله.

قال خباب: (**وَمِنَّا مَنْ أَيْنَعَتْ لَهُ ثَمَرَتُهُ**) يعني: عُمر حتى حصل من الدنيا الكثير (**وأَيْنَعَتْ لَهُ ثَمَرَتُهُ**) يعني: وجد ثمار إسلامه وهجرته، فغنم الغنائم وحصلت له الأرزاق الكثيرة والأموال الطائلة فضلاً من الله ﷻ وكان السلف يخافون من ذلك ويحذرون ويخافون أن تكون حسناتهم عُجلت لهم في هذه الدار، ولهذا يعملون الصالحات ويستثمرون ما أعطاهم الله من الأموال في وجوه الخير، ويراقبون الله فيها ويقدمونها في مرضاته ﷻ.

هكذا ينبغي من رزقه الله المال من طريق التجارة أو الأسباب الأخرى أو الغنائم أو غير ذلك، فليتق الله في ذلك وليستعن بذلك على طاعة الله وذلك له امتحان: ﴿أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال: ٢٨]

فهي اختبار وامتحان، فمن نجح في هذا الامتحان واستقام على أمر الله وصرَّف الأموال في طاعة الله نجح وأفلح، ومن اغترَّ بها وزينتها واستعملها فيما يغضب الله وفيما يوافق هواه خسر الدنيا والآخرة نسأل الله العافية.

والحديث الثاني: يقول ﷺ: «**لَوْ كَانَت الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ الله جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، مَا سَقَى كَافِراً مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ**» لكنها حقيرة عند الله ليست لها قيمة، إلا من عمَّرها بطاعة الله لأنها دار زائلة، دار فانية أُعدت للزوال لا للبقاء، وإنما هي دار من لا خلاق له ولا دين له ولا عاقبة له، وأما المؤمن فإنه يتخذها طريقاً للآخرة ومطية للآخرة ومعملاً للآخرة، يتقي فيها ربه ويزرع فيها الصالحات، ويستعين بما أعطاه الله منها على طاعة الله، وتقدم قوله ﷺ: «**مَا الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ فِي اليَمِّ**» يعني: في البحر «**فَلْيَنْظُرْ بِمَاذَا يَرْجِعُ**»[١].

وتقدم قوله ﷺ حين مرَّ بجدي أسك في الطريق ميت قال: «**أَيُّكم يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ هَذَا لَهُ بِدرْهَم؟**» فقالوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟ ثُمَّ قَالَ: «**أَتحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟**» قَالُوا: وَاللهِ لَوْ كَانَ حَيّاً كَانَ عَيْباً، إِنَّهُ أَسَكُّ فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ! فقال: «**فوَاللهِ للدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ**»[٢].

المقصود أنها حقيرة إلا من عمَّرها بطاعة الله ﷻ واستعان بها على طاعة الله جلَّ وعلا، فنعمت الدار له ونعم العمل قدمه ونعم الجد والنشاط الذي استغله في هذه الدار، وهي دار للمتقين إذا عمروها بطاعة الله، دار أهل الإيمان يزرعون فيها الصالحات ويتقون فيها ربهم ويجاهدون في سبيله ويتخذونها زاداً طيباً، كما قال جلَّ وعلا: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧] فينبغي للمؤمن أن تكون

(١) سبق تخريجه برقم (٤٦٣).
(٢) سبق تخريجه برقم (٤٦٤).

له عناية بهذه الدار حتى يتزود منها لآخرته، وحتى يعمل فيها بطاعة الله جلَّ وعلا، وحتى يقف عند حدود الله فتكون هذه الدار مزرعة له للآخرة ومطية له للآخرة، يستعين بها على طاعة الله ويقدم فيها قول الله ﷻ.

وهكذا **الحديث الثالث**: يقول الرسول ﷺ: **«أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إِلَّا ذِكْرَ اللهِ تَعَالَى، وَمَا وَالاهُ، وَعالِماً وَمُتَعَلِّماً»** ملعونة؛ يعني: مذمومة، اللعن: الذم، كما قال جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝٤٣ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾ [الدخان: ٤٣، ٤٤] ذمَّها وعابها وسميت ملعونة لأنه ذمها وعابها، فهكذا الدنيا مذمومة لمن اغتر بها ولمن مال إليها، وركن إليها، معنى الحديث أنها مذمومة عند الله، حقيرة عند الله، إلا ذكر الله وطاعة الله فيها وما والاه ذلك من الأخلاق الفاضلة والأعمال الصالحة التي يتخلق بها المؤمنون ويعمل بها المسلمون، وهكذا بوجه أخص، أهل العلم والإيمان وطلاب العلم الذين يطلبون مرضاة الله ويعملون لطاعة الله ويتفقهون في دين الله هؤلاء غير مذمومين، أهل الذكر والإيمان والتقوى والعلماء الصادقون، والطلبة المتعلمون المتفقهون في دين الله الذين يتعلمون للآخرة ويطلبون الفقه في الدين، حتى يستعينوا بها على طاعة الله وما سوى ذلك فهو مذموم، مذموم ما فيها من زهرتها وزينتها التي اغتر بها أكثرُ الخلق، هذا مذموم عند الله ﷻ وهذا معنى اللعن، لُعن فلان؛ أي: ذُمَّ فلان، فيكون اللعن بالكلام لعن الله فلاناً، ويكون اللعن بالذم والعيب فالدنيا مذمومة معيبة إلا من رزق فيها الخير، إلا من استعملها في طاعة الله، إلا من استغلها في الخير.

وفَّق الله الجميع.

❊ ❊ ❊

٤٧٩ ـ وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لَا تَتَّخِذُوا الضَّيْعَةَ فَتَرْغَبُوا في الدُّنْيَا» رواه الترمذي(١)، وقال: حديثٌ حسنٌ.

٤٨٠ ـ وعن عبدِ الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قَالَ: مَرَّ عَلَيْنَا رسولُ الله ﷺ وَنَحْنُ نعالِجُ خُصّاً لَنَا، فَقَالَ: «مَا هَذَا؟» فَقُلْنَا: قَدْ وَهَي، فَنَحَنُ نُصْلِحُهُ، فَقَالَ: «مَا أرَى الأَمْرَ إِلَّا أعْجَلَ مِنْ ذَلِكَ». رواه أبو داود والترمذي(٢) بإسناد البخاري ومسلم، وقال الترمذي: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

٤٨١ ـ وعن كعب بن عياض رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً، وفِتْنَةُ أُمَّتِي: المَالُ» رواه الترمذي(٣)، وقال: حديثُ حسنٌ صحيحٌ.

الشَّرح

هذه الأحاديث كالتي قبلها في الحث على الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة، والعناية في إيثار الآخرة والإعداد لها، وعدم الاغترار بزهرة الدنيا وزينتها، وأن لا ينوء بها عما أوجب الله عليه، أن تكون همتهم عالية ليستعدوا للآخرة ويعملوا لها، ويستعينوا بهذه الدنيا على طاعة ربه جلَّ وعلا، وتقدم أنه ليس المقصود من ذلك ترك الدنيا وعدم كسب الحلال وعدم التجارة فيها، لا المطلوب من المؤمن أن يعمل فيها يطلب الرزق بالتجارة بالزراعة بالصناعة، وبغير هذا من وجوه أسباب الرزق، لكن لا تشغله، يجب ألّا تشغله عن الآخرة، ويجب ألّا يركن إليها حتى

---

(١) أخرجه في كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب منه برقم (٢٣٢٨).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب ما جاء في البناء برقم (٥٢٣٦)، والترمذي في كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في قصر الأمل برقم (٢٣٣٥)، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب في البناء والخراب برقم (٤١٦٠).

(٣) أخرجه في كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء أن فتنة هذه الأمة في المال برقم (٢٣٣٦).

يقدمها على ما أوجب الله عليه ويقع بسببها فيما حرم الله عليه، بل يتخذها مطية للآخرة ومعملاً للآخرة ومزرعة للآخرة، ويستعين بنعم الله على طاعة الله ويصل فيها رحمه، وينفق منها في وجوه البر والخير، ويستغني بها عما في أيدي الناس، نعم المال الصالح للرجل الصالح الذي يصرفه في وجوه البر والخير.

أما هذا الحديث **«لَا تَتَّخِذُوا الضَّيْعَةَ فَتَرْغَبُوا فِي الدُّنْيَا»** هذا إن صح، معناه عدم الاشتغال بالمزارع عن الآخرة، وأن تكون الضيعة التي هي المزارع غير شاغلة للعبد عن الآخرة، فلا يجوز أن يتخذها شاغلاً عن الآخرة مضيعة له عنها، أما إذا اتخذها للكسب منها والاستفادة منها والاستعانة بها على طاعة الله، والاستغناء عما في أيدي الناس، فهي مطلوبة وطيبة من الكسب الحلال، وكان هذا هو كسب الأنصار، كان الأنصار عملهم الزراعة، وقد نفع الله بهم فجادوا على المهاجرين وواسوهم وأحسنوا إليهم مما أعطاهم الله، قال النبي ﷺ: **«مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْساً، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعاً، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ»**[1].

فالزراعة والغراس لطلب الرزق الحلال والاستغناء عما في أيدي الناس، أمر مطلوب وهكذا التجارة، وفي الحديث الصحيح: **«التَّاجِرُ الأَمِينُ الصَّدُوقُ المُسْلِمُ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ يَوْمَ القِيَامَةِ»**[2] أو كما قال عليه الصلاة والسلام، وفي الحديث الصحيح أيضاً قال:

---

(١) متفق عليه من حديث عن أنس ؓ أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم برقم (٦٠١٢)، ومسلم في كتاب المساقاة، باب فضل الزرع والغرس برقم (١٥٥٣) كما أخرجه مسلم عن جابر ؓ برقم (١٥٥٢).

(٢) أخرجه الترمذي من حديث أبي سعيد ؓ في كتاب البيوع، باب ما جاء في التجارة برقم (١٢٠٩)، وابن ماجه في كتاب التجارات، باب الحث على المكاسب برقم (٢١٣٩)، قال الترمذي هذا حديث حسن لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

«البَيِّعَانِ بِالخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، أَوْ قَالَ: حَتَّى يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا»[١].

وفي الحديث الآخر: قَالَ «إِنَّ اللهَ يَقُولُ: أَنَا ثَالِثُ الشَّرِيكَيْنِ مَا لَمْ يَخُنْ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ، فَإِذَا خَانَهُ خَرَجْتُ مِنْ بَيْنِهِمَا»[٢].

فالمقصود أن طلب الرزق من طريق الشركات الطيبة السليمة، من طريق التجارة من طريق الزراعة من طريق الصناعة كله أمر مطلوب، لكن مع تحري الحلال والحذر من الحرام، ومع الحذر أيضاً من اللهو بها عن الآخرة والشغل بها عن الآخرة والركون إليها، بل يستعين بها على طاعة الله ويتخذها طريقاً للإعداد للآخرة، هكذا المؤمن ينبغي أن يكون هكذا في جميع أعماله، يتخذها طريقاً للآخرة ويستعين بها على طاعة الله ﷿؛ ويجتهد في أداء الحق الذي عليه فيها.

كذلك الحديث الثاني: حديث عبد الله بن عمرو بن العاص في الخُص مرَّ عليهم وهم يعالجون خصّاً فقال: «مَا أَرَى الأَمْرَ إِلَّا أَعْجَلَ مِنْ ذَلِكَ» والخُص نحو الجدار والحائط ونحو ذلك، والمقصود من هذا تحريضهم على الإعداد للآخرة، وعدم الركون إلى الدنيا، وأن الأمر يوشك أن يكون قريباً، ولعل النبي ﷺ قال هذا قبل أن يعلم تأخر الساعة عليه الصلاة والسلام فلمَّا علم تأخرها بيَّن ذلك للناس، وقال: «احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللهِ»[٣].

وكل مؤمن مأمور بهذا «احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا

---

(١) متفق عليه عن حكيم بن حزام ﷺ أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب إذا بين البيعان ولن يكتما ونصحا برقم (٢٠٧٩)، ومسلم في كتاب البيوع، باب الصدق في البيع والبيان برقم (١٥٣٢).

(٢) أخرجه أبو داود من حديث أبي هريرة ﷺ في كتاب البيوع، باب في الشركة برقم (٣٣٨٣) وصححه الحاكم في المستدرك ووافقه الذهبي (٢/ ٦٠) برقم (٢٣٢٢).

(٣) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ في كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله برقم (٢٦٦٤).

تَعْجِزْ» وبكل حال فالمقصود من ذلك عدم التشاغل بأمور الدنيا عن الآخرة، أو الركون إليها وإيثارها على الآخرة.

والحديث الثالث: حديث كعب بن عياض **«إنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً، وفِتْنَةُ أُمَّتِي: المَالُ»** الله يقول سبحانه: ﴿أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال: ٢٨] فالمال والأولاد فتنة إلا لمن رزقه الله فيها النجاح، فهي اختبار وامتحان، فمن نجح في هذه الفتنة واستعان بماله وأولاده على طاعة الله نجح، ومن شُغل بهذا المال وبالأولاد عن طاعة الله، وعن حق الله، وآثر الدنيا على الآخرة هلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله ﴿أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ يعني: اختبار وامتحان يمتحن المؤمن بهذا، فإن استعمل المال في طاعة الله وطلبه من طريق الحلال، وقام به على أولاده بطاعة الله، ورباهم على الخير ووجههم إلى الخير، نجح وفاز بالثواب الجزيل، وإن شغلته عن الآخرة وقع في الخسارة، كما قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩] نسأل الله السلامة.

والخلاصة: أن الواجب على المؤمن في كل شيء من شؤون مزرعة، أو تجارة، أو صناعة، أو غير ذلك، الواجب عليه: أن يحذر الدنيا أن تشغله عن الآخرة، وأن تصده عن طاعة الله، وهكذا أولاده هكذا زوجته، هكذا قراباته، يجب أن يحذر أن يصدوه عن طاعة الله، بل يجب أن يكون متعاوناً معهم على البر والتقوى، حذراً من أن يصدوه عما أوجب الله عليه أو يشغلوه عما ينفعه في الآخرة.

وفَّق الله الجميع.

***

٤٨٢ ـ وعن أبي عمرو، ويقالُ: أبو عبدِ الله، ويقالُ: أبو ليلى عثمان بن عفان ؓ؛ أنَّ النبي ﷺ، قَالَ: «لَيْسَ لِابْنِ آدَمَ حَقٌّ في سِوَى

هذِهِ الخِصَالِ: بَيْتٌ يَسْكُنُهُ، وَثَوْبٌ يُوارِي عَوْرَتَهُ، وَجِلْفُ الخُبز وَالماء» رواه الترمذي(١)، وقال: حديث صحيح.

قَالَ الترمذي: سَمِعْتُ أَبَا دَاوُد سُلَيْمَانَ بنَ سَالم البَلْخيَّ، يقولُ: سَمِعْتُ النَّضْرَ بْن شُمَيْل، يقولُ: الجِلْفُ: الخُبْز لَيْسَ مَعَهُ إدَامٌ، وقال غَيْرُهُ: هُوَ غَليظُ الخُبُزِ. وقَالَ الهَرَوِيُّ: المُرادُ بِهِ هنَا وِعَاءُ الخُبزِ؛ كَالجَوَالِقِ وَالخُرْجِ، والله أعلم.

٤٨٣ ـ وعن عبدِ الله بن الشِّخِّيرِ ـ بكسر الشينِ والخاء المعجمتين ـ رضي الله عنه؛ أنه قَالَ: أَتَيْتُ النَّبيَّ ﷺ، وَهُوَ يَقْرَأُ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر: ١] قَالَ: «يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي، مالي، وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَو لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟!» رواه مسلم(٢).

٤٨٤ ـ وعن عبدِ الله بن مُغَفَّل رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِلْنَّبِيِّ ﷺ: يَا رسولَ الله، وَاللهِ إنِّي لأُحِبُّكَ، فَقَالَ: «انْظُرْ مَاذَا تَقُولُ؟» قَالَ: وَاللهِ إنِّي لأُحِبُّكَ، ثَلَاثَ مَرَّات، فَقَالَ: «إنْ كُنْتَ تُحِبُّنِي فَأَعِدَّ لِلْفَقْرِ تِجْفَافاً، فإنَّ الفَقْرَ أَسْرَعُ إِلَى مَنْ يُحِبُّنِي مِنَ السَّيْلِ إِلَى مُنْتَهَاهُ» رواه الترمذي(٣)، وقال: حديث حسن.

□ (التجفافُ): بكسرِ التاءِ المثناةِ فوقُ وَإسكانِ الجيمِ وبالفاءِ المكررة: وَهُوَ شَيْءٌ يُلْبَسُهُ الفَرَسُ، لِيُتَّقَى بِهِ الأَذَى، وَقَدْ يَلْبَسُهُ الإنْسَانُ.

الشَرح

هذه الأحاديث كالتي قبلها في الحث على الزهد في الدنيا، وعدم

(١) أخرجه في كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب منه برقم (٢٣٤١).
(٢) أخرجه في كتاب الزهد والرقائق برقم (٢٩٥٨).
(٣) أخرجه في كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في فضل الفقر برقم (٢٣٥٠).

الاشتغال بها عن الآخرة، والعناية بالإعداد للآخرة، وأن الآخرة أولى وأبقى وأحرى من أن يعتني بها، وتؤثر على هذه الدنيا وألّا يُشتغل بهذه العاجلة بما يصد عن الآخرة، بل يجب أن تكون هذه الدنيا خادمة ومطية للآخرة ومزرعة للآخرة؛ لأن العباد خُلقوا فيها ليعبدوا الله وليستعينوا بنعمه على طاعته، ولم يُخلقوا ليشتغلوا بها عن الآخرة ويلهوا بها عن الآخرة: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] فالواجب على أهل الإيمان الإعداد للآخرة والاستعانة بنعم الله على طاعة الله، وأن يستعملوا ما رزقهم الله من المال والأولاد والجاه والوظيفة، وغير ذلك فيما يقربهم من الله، وفيما يدنيهم من رحمته ويُباعدهم من غضبه، أما الاشتغال بها لحماية الوجه عن الحاجة إلى الناس وللنفقة على الأهل والأولاد، ولإكرام الضيف والمشاركة في وجوه الخير ومشاريع الخير من طريق الحلال، كل هذا أمر مطلوب ومشروع، وليس هذا من اللهو في الدنيا ولا من الشغل في الدنيا، بل هو مطلوب أن يكسبها ويطلبها ليستعين بها على طاعة الله، وليستغني بها عن الحاجة إلى الناس، ولينفقها في وجوه البر والإحسان، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: **«احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجِزْ»**(١)، وقال: **«نِعْمَ المَالُ الصَّالِحُ لِلْرَجلِ الصَّالِحِ يَقُولُ بِهِ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا»**(٢).

وفي هذا يقول ﷺ: **«لَيْسَ لِابْنِ آدَمَ حَقٌّ فِي سِوَى هذِهِ الخِصَالِ: بَيْتٌ يَسْكُنُهُ، وَثَوْبٌ يُوارِي عَوْرَتَهُ، وَجِلْفُ الخُبزِ وَالماءِ»**؛ يعني: أن الإنسان إنما حاجته فيما يستر عورته وفيما يؤويه وفيما يقيم أوده من الطعام والشراب، أما التكاثر فليس ذلك من حاجته إلا بنية صالحة، إذا طلب الزيادة بنية صالحة ليجود بها على عباد الله وينفق ويحسن، فهذا مطلوب ومأجور على ذلك، أما إذا اشتغل بالزائد فيما يصده عن الآخرة

---

(١) سبق تخريجه برقم (١٠٠) ج١.

(٢) سبق تخريجه في (ص٢١٤) من هذا المجلد.

ويشغله عن الإعداد لها، فهذا هو المذموم، وإنما حاجته أن يكسب ما يستر عورته ويؤويه ويكنه من الحر والبرد، ويغنيه عن الجلوس في الأسواق وساحات البلاد، وكذلك ما يقيم أوده ويسد رمقه من الطعام والشراب، هذه الحاجة ضرورية، وما زاد على ذلك فهو من باب الاتساع في الخير، ومن باب المزيد من أنواع الطيبات، فإذا قصد بذلك خيراً، أو قصد بذلك ما أباح الله، أو قصد بذلك الإنفاق في وجوه الخير والإعانة على الخير ومواساة الفقير كان له نيته، والمؤمن يعتني بهذه الأمور بنية صالحة ورغبة فيما عند الله ﷻ، لا بقصد الاستكثار.

ولهذا لما قرأ النبي ﷺ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ قال: «**يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي، مالي، وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَو لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟!**» وَمَا سِوَى ذَلكَ ذَاهبٍ وَتَارِكُهُ للورثة، في اللفظ الآخر تَارِكُهُ لِلنَّاسِ[1]، حاجة الإنسان مثل ما تقدم فيما يأكله وفيما يلبسه ومما يتصدق به ويحسن به إلى الناس وبما يؤويه، فالتكاثر الزائد على ذلك الذي يصده عن الآخرة أمر مذموم، ولهذا ذم الله من فعل ذلك: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ① حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: ١، ٢]؛ يعني: ألهاكم التكاثر في الأموال والأولاد عن الإعداد للآخرة وعن القيام بحق الله، هذا هو المذموم أن يلتهي ويشتغل بالتكاثر في الأموال والجاه، ونحو ذلك عما يجب عليه وهكذا يقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩]، فالإنسان يُذم على قصد التكاثر والرغبة في المال على وجه يفاخر به أو يشتغل به عن الآخرة، أو نحو ذلك مما يصده عن الحق، أما إذا طلب المال من طريق الحلال ليكسب

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة ؓ في كتاب الزهد والرقائق برقم (٢٩٥٩).

به الأعمال الصالحات، وينفقه في وجوه الخير ويساعد على مشاريع الخير، فهذا أمر مطلوب ومشكور صاحبه.

وهكذا **الحديث الثالث**: الذي يروى عن النبي ﷺ: (**قَالَ له رجل يَا رسولَ الله، وَاللهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ، فَقَالَ: «أعد» فأعاد ثلاث مرات فَقَالَ: «إِنْ كُنْتَ تُحِبُّنِي فَأَعِدَّ لِلْفَقْرِ تِجْفَافاً، فإِنَّ الفَقْرَ أَسْرَعُ إِلَى مَنْ يُحِبُّنِي مِنَ السَّيْلِ إِلَى مُنْتَهَاهُ»**) هذا إن صح، فمعناه: أن من أحب الرسول ﷺ وسارع للآخرة واجتهد في الآخرة وطلبها قد يعطل بعض الأعمال قد يعطل بعض الكسب، فيسرع إليه الفقر بسبب عدم عنايته بطلب الرزق واشتغاله بالآخرة، وحبه لطاعة النبي ﷺ واتباعه فيبتلى بالفقر والحاجة، من أجل عدم قيامه بأسباب الدنيا ومصالحها، أما الحازم الذي يعرف أن الدنيا لا تُضاد بالآخرة لمن قصد استعمالها في طاعته، ولمن قصد بها الاستعانة بها على طاعة الله، فإنه لا مانع من استعمالها في طاعة الله، وطلبها فيما ينفع الناس، ولهذا لما سئل عليه الصلاة والسلام: أَيُّ الكَسْبِ أَطْيَبُ؟ قَالَ: «**عَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ، وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٍ**»[1].

فلو صح هذا الخبر فمعناه: أنه على خطر من الفقر والحاجة، فليعد لذلك ولا يجزع إذا أصيب بذلك، فإن الناس يبتلون على قدر أعمالهم، «**أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الصَّالِحُونَ، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ، يُبْتَلَى العَبْدُ عَلَى قَدْرِ دِينِه**»[2] اختباراً وامتحاناً فإذا صدق واستقام وأتى الأمور من أسبابها ووجوهها سلم، وأعطاه الله ما يؤمل من الخير وكفاه شر ما يضره، بسبب صدق نيته وعمله الصالح ومواصلته في الحق.

وفَّق الله الجميع لما يحب ويرضى.

❋ ❋ ❋

---

(١) رواه الإمام أحمد من حديث رافع بن خديج (٤/ ١٤١) برقم (١٧٣٠٤).

(٢) أخرجه الإمام أحمد من حديث مصعب بن سعد رضي الله عنه (١/ ١٧٢) برقم (١٤٨١).

٤٨٥ ـ **وعن** كعب بن مالك رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلا في غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ المَرْءِ عَلَى المَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ» رواه الترمذي(١)، وقال: حديث حسن صحيح.

٤٨٦ ـ **وعن** عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: نَامَ رسول الله ﷺ عَلَى حَصيرٍ، فَقَامَ وَقَدْ أَثَّرَ في جَنْبِهِ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ اتَّخَذْنَا لَكَ وِطَاءً. فَقَالَ: «مَا لِي وَلِلدُّنْيَا؟ مَا أَنَا في الدُّنْيَا إِلَّا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا» رواه الترمذي(٢)، وقال: حديث حسن صحيح.

٤٨٧ ـ **وعن** أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «يدْخُلُ الفُقَرَاءُ الجَنَّةَ قَبْلَ الأَغْنِيَاءِ بِخَمْسِمِئَةِ عَامٍ» رواه الترمذي(٣)، وقال: حديث صحيح.

الشَّرح

هذه الأحاديث الثلاثة كالتي قبلها في الحث والتحذير والرغبة للآخرة والإعداد لها، وعدم الركون إلى الدنيا وإيثارها على الآخرة، المؤمن يعلم أنه خلق في هذه الدار ليعبد ربه ويعظم حرماته ويبادر إلى طاعته ﷻ، فينبغي له أن تكون همته عالية وألّا يغتر بهذه العاجلة وألا يركن إليها فتشغله عما خلق له ويعتبرها مطية للآخرة

ولهذا يقول ﷺ: «**مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلا في غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ المَرْءِ عَلَى المَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ**»، معلوم أن ذئبينً جائعين يفسدان كثيراً إذا خرجا في الغنم يعبثان بها، ولا يكتفيا بواحدة أو اثنتين، هكذا الإنسان إذا غلب عليه الحرص على الشرف في الدنيا والمال، يفسد عليه دينه، الحرص على الشرف وعلى الوظائف والجاه، الحرص على المال

(١) أخرجه في كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب (٤٣) برقم (٢٣٧٦).
(٢) أخرجه في كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب (٤٤) برقم (٢٣٧٧).
(٣) أخرجه في كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم برقم (٢٣٥٣).

كل ذلك مما يضره في الدين ويفسد عليه دينه إلا من رحم الله، فينبغي له أن تكون رغبته للمال أو للشرف مقيدة بالأمر الشرعي والطرق الشرعية، حتى لا يضره ذلك حتى لا يفسد عليه دينه، ولا شك أن المال محبوب للنفوس، وهكذا علو الجاه وشرف الدنيا محبوب للنفوس، ولكن لا ينبغي للعاقل أن يؤثر ذلك وأن يقدم ذلك على ما هو في صالح دينه وسلامة دينه وفي طاعته لربه، بل يستخدمها في طاعة الله، يستخدم المال والشرف فيما يرضي الله ويقرب لديه وينفعه عاجلاً وآجلاً، هكذا ينبغي للمؤمن.

كذلك حديث أنه نام على الحصير ذات يوم عليه الصلاة والسلام حتى أثر في جنبه، فقال له بعض الصحابة: لو اتخذنا لك وِطاءً فقال: **«مَا لِي وَلِلدُّنْيَا؟ مَا أَنَا في الدُّنْيَا إِلَّا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا»** والمقصود من هذا: أنه عليه الصلاة والسلام ليس براكن للدنيا ولا راغب فيها ولا بد أن يتركها، بل هو يكتفي فيها بما تيسَّر من غير تكلف، فتارة على الحصير وتارة على البساط وتارة على السرير على ما يسَّر الله من غير تكلف، وهكذا ينبغي للمؤمن ألّا يتكلف بل يستعمل ما تيسَّر حتى لا يضر دينه وحتى لا يضر سمعته الطيبة بركونه إلى العاجلة وإيثاره لها، بل يطلب الدنيا من طريقها الحلال ويستعين بها على طاعة الله ولا يتكلف حسب التيسير تارة كذا وتارة كذا، وتارة كذا حسب ما يسَّره الله له من غير إسراف ولا إمعان فيما يضر دينه في طلب المال وطلب الشرف ونحو ذلك، فإذا تيسر له الشيء الطيب فضل **«إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ»**[1] ولا بأس أن يتخذ له غطاءً طيباً فراشاً طيباً فلا حرج في هذا، لكن يستعمل ما يسَّر الله له من طريق الحلال من غير تكلف ولا ركون إلى العاجلة ولا اشتغال بها عن الآخرة، وقد كان عليه الصلاة والسلام، ربما نام على السرير، ربما نام على الحصير، وربما جلس على الكرسي، وربما جلس على الأرض لا يتكلف عليه الصلاة

---

(١) أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن مسعود في كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه برقم (٩١).

والسلام، هكذا ينبغي للمؤمن أن تكون أعماله واجتهاداته على الطريقة الميسَّرة التي ليس فيها تكلف يلجئه إلى ما حرم الله.

كذلك حديث «**يدْخُلُ الفُقَرَاءُ الجَنَّةَ قَبْلَ الأَغْنِيَاءِ بِخَمْسِمِئَةِ عَامٍ**»، وتقدم في الحديث الصحيح؛ أنه دخل الجنة فرأى الفقراء قد سبقُوا إليها، وأن أهل الجد محبوسون وهم الأثرياء لما عليهم من تبعات، غير أنَّ أصَحابَ النار قد أُمِرَ بِهِم إلى النَّار، فالفقراء يسبقون الأغنياء في دخول الجنة لخفة حملهم وقلة حسابهم، فالمتقون المؤمنون سبقوا، أما أهل الجد أهل المال والثروة فقد يطول حساب بعضهم وبكل حال فهم يتأخرون عن الفقراء، لما لهم وما عليهم من أشياء تتعلق بهذه الأموال واكتسابها وصرفها والحقوق التي فيها إلى غير ذلك، فلهذا يسبقهم الفقراء، وهذا لا شك يدل على فضل الفقر لمن ابتلي به، لكن لا يتعمده ولا يريده ولا يصبر عليه، وليأخذ بالأسباب فالفقر ليس بمطلوب، وقد جاء في الحديث، «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الكُفْرِ وَالفَقْرِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ**»[(١)].

فقد تعوذ من الفقر، لكن إذا ابتلى الإنسان به صبر ولم يحمله ذلك على السرقة أو ظلم الناس أو أكل الحرام، لا، بل يتصبر حتى يجد المال الطيب، وحتى يعينه الله على ما يسُد حاجته، ومتى صبر على ذلك واستعان بالله يسَّر له الأمر، قد صبر المسلمون في عهده ﷺ كثيراً وابتلوا بالفقر كثيراً حتى جاءتهم الدنيا وصاروا قادة الناس وملكوا منها ما لا يحصى، بعدما صبروا وجاهدوا وتعبوا فصارت لهم العاقبة الحميدة ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩]. وفَّق الله الجميع.

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه أبو داود عن أبي بكر ﷺ في كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح برقم (٥٠٩٠)، والنسائي في كتاب السهو، باب التعوذ في دبر الصلاة برقم (١٣٤٧).

٤٨٨ ـ **وعن** ابن عباس وعِمْرَانَ بن الحُصَيْنِ ﷺ، عن النبي ﷺ، قَالَ: «اطَّلَعْتُ في الجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الفُقَرَاءَ، وَاطَّلَعْتُ في النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ» متفقٌ عَلَيْهِ[1] من رواية ابن عباس، ورواه البخاري أيضاً من رواية عِمْرَان بن الحُصَيْن.

٤٨٩ ـ **عن** أسامة بن زيد ﷺ، عن النبي ﷺ، قَالَ: «قُمْتُ عَلَى بَابِ الجَنَّةِ، فَكَانَ عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا المَسَاكِينُ، وَأَصْحَابُ الجَدِّ مَحبُوسُونَ، غَيْرَ أَنَّ أَصْحَابَ النَّارِ قَدْ أُمِرَ بِهِم إِلَى النَّارِ» متفقٌ عَلَيْهِ[2].

□ وَ(الجَدُّ): الحَظُّ والغِنَى.

□ وقد سبق بيان هَذَا الحديث في باب فَضْلِ الضَّعفَة.

٤٩٠ ـ **وعن** أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ، قَالَ: «أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا شَاعِرٌ كَلِمَةُ لَبِيدٍ: أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللهَ بَاطِلُ» متفقٌ عَلَيْهِ[3].

الشَّرح

هذه الأحاديث الثلاثة تتعلق في الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة؛ كالأحاديث السابقة، والمقصود من ذلك: الحث على الإعداد للآخرة، وعدم الركون إلى الدنيا والتشاغل بها عن الإعداد للآخرة، وقد ركن أكثر الخلق إلى هذه الدار وشغلوا بها عن الآخرة، فهلكوا وماتوا من جملة المفاليس، الذين خابت آمالهم وباؤوا بالفشل والعاقبة الوخيمة بإعراضهم عن الآخرة، وعدم إعدادهم لها.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار برقم (٦٥٤٦)، ومسلم في كتاب الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء... برقم (٢٧٣٧).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار برقم (٦٥٤٧)، ومسلم في كتاب الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء... برقم (٢٧٣٦).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك برقم (٦٤٨٩)، ومسلم في كتاب الشعر برقم (٢٢٥٦).

والله جلَّ وعلا حذَّر عباده من الركون إلى هذه الدار، وأخبر أنها دار الغرور، وأنها المتاع، وأن الآخرة هي دار القرار، فقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٥ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٥، ٦]، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣]، قال جلَّ وعلا: ﴿أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨]، قال ﷻ: ﴿قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: ٧٧].

العاقل ذو الحزم والبصيرة يعد العدة للآخرة، ويتزود من هذه الدار لآخرته ويجعل ما رزقه الله فيها عوناً له على ذلك، ولكن ليس معنى هذا كله أنه يعطل الدنيا ويعرض عنها ولا يطلب الحلال ولا يكتسب لا، هذا يظنه بعض الغالطين وبعض من لا يعرف ما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام، فمراد الرسول ﷺ هو مراد الله جلَّ وعلا من عدم الاغترار بها وعدم إيثارها على الآخرة، وعدم التشاغل بها عن الإعداد لدار البقاء، وأما طلبها من طريق الحلال ليستغني بها عما في أيدي الناس والقيام بما أوجب الله من حق العائلة والأولاد ونحو ذلك وينفق في وجوه البر والإحسان، ويقيم المشاريع الخيرية ولينفع الناس، هذا أمر مطلوب وفيه خير عظيم وفوائد كثيرة فنعم المال الصالح للرجل الصالح ينفقه هكذا وهكذا وهكذا، ولهذا لما سئل عليه الصلاة والسلام: أَيُّ الكَسْبِ أَطْيَبُ قَالَ: «**عَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ، وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٍ**»[1]، وقال عليه الصلاة والسلام: «**التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ**

---

(١) أخرجه الإمام أحمد من حديث رافع بن خديج رضي الله عنه (٤/ ١٤١) برقم (١٧٣٠٤).

وَالشُّهَدَاءِ»[١]، أو كما قال عليه الصلاة السلام، وقال عليه الصلاة والسلام: «**احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجِزْ**»، وقال جلَّ وعلا: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠]، فالمؤمن مأمور بطلب الرزق واكتساب الحلال والاستعانة بذلك على طاعة الله ﷻ، وقال عليه الصلاة والسلام: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْساً، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعاً، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ**»[٢]، فالمؤمن مأمور بالإعداد للآخرة مع أخذ نصيبه من الدنيا، كما قال قوم قارون لقارون: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧] وفي هذه الأحاديث.

الحديث الأول والثاني: الدلالة على أن الرسول ﷺ رأى أكثر أهل الجنة هم الفقراء، وأكثر أهل النار هم النساء، وما ذاك إلا لكثرة مشاكل النساء فإنهن قلن: يا رسول الله لماذا؟ قال: «**لأَنَّكُنَّ تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ وَتَكْفُرْنَ العَشِيرَ**» يعني: تكثرن السباب والشتم والكلام الفارغ، وتكفرن العشير؛ يعني: الإحسان؛ يعني: الزوج، تكفرن إحسانه، ومعروفه «**لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئاً قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْراً قَطُّ**»[٣]. **فالمقصود**: أن كفرهن العشير وسبابهن وكثرة الكلام الذي يفعلنه في الباطل يوقعهن في كثير من الشرور ويوقعهن في سبيل النار وطريق النار نسأل الله السلامة.

---

(١) سبق تخريجه في (ص٢٤٣) في هذا المجلد.

(٢) سبق تخريجه برقم (١٣٥) وفي هذا المجلد في الشرح (ص٢٤٣).

(٣) متفق عليه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب كفران العشير وكفر دون كفر برقم (٢٩)، ومسلم في كتاب الكسوف، باب ما عرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار برقم (٩٠٧).

وأما الفقراء فيسبقون الأغنياء إلى الجنة وهم أكثر أهل الجنة؛ لأن الشواغل التي تشغل غيرهم قد سلموا منها، فهذا يدل على أن الفقر قد ينفع الناس، وقد يكون فيه خير كثير، ربَّ ضارة نافعة، أو ربما صار الفقر سبباً لسعادته ونجاته؛ لأنه لم يُشغل بما يصده عن الآخرة؛ ولهذا يروى في الأثر الإلـٰهي يقول جلَّ وعلا: «**إن من عبادي من لا يصلح إيمانُه إلا بالغِنى ولو أَفْقَرْتُه لكفر، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانُه إلا بالفقر ولو أَغْنَيْتُه لكفر، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانُه إلا بالسَّقَم ولو أَصْححته لكفر، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا بالصحة ولو أَسْقَمْتُه لكفر**»[1].

فالناس في حكمة الله وفي تقديره سبحانه طبقات وأقسام، فبعض الناس ينتفع بالفقر، وبعض الناس يضره الفقر وينفعه الغنى، فالأغنياء يحبسون لأجل ما عليهم من الحقوق، ولهذا قال وكل نعيم لا محالة زائل، وهذا ليس بصحيح؛ لأن نعيم الجنة لا يزول ولا ينتهي، وإنما يزول نعيم الدنيا، أما نعيم الجنة فيبقى أبد الآباد لأهله، ولهذا ذكر النبي أول البيت فقط «**أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللهَ بَاطِلُ**» هذا هو الذي صدق فيه، أما كل نعيم لا محالة زائل، فهذا لم يصدق فيه لكن بالنسبة إلى الدنيا صحيح نعيمها يزول، وأما بالنسبة إلى الآخرة فنعيمها لا يزول بل هو دائم باقٍ لا يزول ولا يحول. جعلنا الله وإياكم من أهلها.



(١) ذكره السيوطي في جامع الأحاديث (١/ ٥ و٢٠٧ و٦٠٨) وقال أخرجه الخطيب (٦/ ١٤)، وأخرجه أيضاً: ابن الجوزي فى العلل المتناهية (١/ ٤٤) رقم (٢٦)، وقال: لا يصح، والديلمي (٥/ ٢٥٠) رقم (٨٠٩٨).
وللحديث ألفاظاً أخرى منها: «**يقول الله: إن من عبادي من لا يصلحه إلا الغنى**».

٥٦ ـ بَابُ فضل الجوع وخشونة العيش والاقتصار على القليل من المأكول والمشروب والملبوس وغيرها من حظوظ النفس وترك الشهوات

قال الله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَوٰةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩] وقال تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَا إِلَّا الصَّٰبِرُونَ﴾ [القصص: ٧٩، ٨٠] وقال تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨] وقال تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء: ١٨].

والآيات في الباب كثيرةٌ معلومةٌ.

٤٩١ ـ عَنْ عَائِشَةَ ﵂ أَنَّهَا قَالَتْ: مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ خُبْزِ شَعِيرٍ يَوْمَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ حَتَّى قُبِضَ. متفقٌ عليه(١).

📖 وفي رواية: «مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ مُنْذُ قَدِمَ المَدِينَةَ مِنْ طَعَامِ بُرٍّ ثَلَاثَ لَيَالٍ تِبَاعاً حَتَّى قُبِضَ»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأطعمة، باب ما كان السلف يدخرون في بيوتهم برقم (٥٤٢٣)، ومسلم في كتاب الزهد والرقائق برقم (٢٩٧٠).

(٢) أخرجها البخاري في كتاب الرقاق، باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه وتخليهم من الدنيا برقم (٦٤٥٤)، ومسلم في كتاب الزهد والرقائق برقم (٢٩٧٠).

٤٩٢ ـ وعَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ ﵂ أَنَّهَا قَالَتْ لِعُرْوَةَ ابْنَ أُخْتِي، إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الهِلَالِ ثُمَّ الهِلَالِ، ثَلَاثَةَ أَهِلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ، وَمَا أُوقِدَتْ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ نَارٌ. فَقُلْتُ: يَا خَالَةُ مَا كَانَ يُعِيشُكُمْ؟ قَالَتِ: الأَسْوَدَانِ: التَّمْرُ وَالمَاءُ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ جِيرَانٌ مِنَ الأَنْصَارِ كَانَتْ لَهُمْ مَنَائِحُ، وَكَانُوا يَمْنَحُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ مِنْ أَلْبَانِهِمْ، فَيَسْقِينَا. متفق عليه[1].

﴾ الشَّـرح ﴿

هذه الآيات الكريمات وهذه الأحاديث الصحيحة عن رسول الله عليه الصلاة والسلام، فيها الدلالة على أنه ينبغي لأهل الإيمان الصبر على ما قد يقع من الجوع وخشونة العيش، وأن تكون همتهم عالية فوق ذلك في طلب الآخرة، والإعداد لها والصبر على الشدائد، كما صبرت الرسل وصبر أولياء الله في كل زمان، فالدنيا طبعت على الكدر وتأتي بالمشاق والشدائد، لأسباب كثيرة فلا بد من الصبر، كما صبر النبي الكريم عليه الصلاة والسلام، وصبر غيره، وفي ذلك أيضاً الحذر من الركون إلى الدنيا وشهواتها وزينتها، والاشتغال بها عن الآخرة والإعداد لها؛ ولهذا يقول جلَّ وعلا في كتابه العظيم: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩] يعني: خسارة ودماراً، والغي: وادٍ في جهنم بعيد قعره خبيث طعمه نسأل الله السلامة.

والمقصد من هذا: أنهم ضيعوا حق الله وتابعوا الشهوات الحلال والحرام، ساروا وراء الشهوات حلالها وحرامها، وأضاعوا أمر الله ﷻ فصارت العاقبة وخيمة، وهي النار نعوذ بالله من ذلك فالواجب الحذر، وأن يعنى المؤمن بما أوجب الله، والمحافظة على ذلك ويتقي الله فيما أعطاه الله من الدنيا، ويستغني بالحلال عن الحرام، ويحذر التوسع فيها

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه وتخليهم من الدنيا برقم (٦٤٥٩)، ومسلم في كتاب الزهد والرقاق برقم (٢٩٧٢).

والتوسع في التنعم الذي يصده عن الآخرة ويشغله عن الآخرة، ولهذا كان عمر رضي الله عنه يكتب إلى عماله، ويقول: «إِيَّاكُمْ وَالتَّنَعُّمَ وَزِيَّ الْمُشْرِكِينَ»(١).

يعني: اولهم بالتنعم والتلذذ بالدنيا والميل إليها ومشابهة أهل الشرك، فالمؤمن هكذا يرضى بالقليل ويُعد للآخرة ويحذر من شر الدنيا وفتنتها، ولا تميله إلى ما حرَّم الله ولا إلى التوسع الذي يصده عن سبيل الله، لكن لا بأس أن يأكل الطيبات، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢] قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا﴾ [البقرة: ١٦٨] فالمقصود: أن المؤمن مأمور بأن يأخذ من الطيبات ويستعين بنعم الله على طاعة الله، وهكذا الرسل، قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١] فالمحذور أن يشتغل بها عن الآخرة أو تصده عما أوجب الله، أما أن يأخذ منها نصيبه من غير إسراف ولا تبذير، ولا يشتغل بها عن الآخرة، فهذا لا حرج فيه، ولكن ينبغي له إذا بُلي بالفقر والحاجة التصبر والتحمل حتى يفتح الله، حتى يفرج الله كما صبر نبينا محمد عليه الصلاة والسلام وأصحابه رضي الله عنهم وأرضاهم.

تقول عائشة رضي الله عنها: «**مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ خُبْزِ شَعِيرٍ يَوْمَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ حَتَّى قُبِضَ**» يعني: في بعض الأحيان، وبعض الأحيان «**مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ مُنْذُ قَدِمَ الْمَدِينَةَ مِنْ طَعَامِ بُرٍّ ثَلَاثَ لَيَالٍ تِبَاعاً**» وذلك من شدة الأمر عندهم لما أصابهم شدة في المدينة وحاجة شديدة بعد الهجرة، حتى وسَّع الله بعد ذلك ويسَّر، فينبغي للمؤمن التأسي

---

(١) أورده القرطبي في الجامع لأحكام القرآن عند تفسير قوله تعالى ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ﴾ [الأعراف: ٣٢]، وشيخ الإسلام ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم في الوجه الثاني من دلائل الإجماع ص(٢٨٩)، وابن عبد البر في الاستذكار (٦/ ٧٠)، انظر: كشف الخفاء (١/ ٣١٧)، وابن الجوزي (١/ ٦٣).

برسول الله ﷺ في الصبر والتحمل، فالنبي ﷺ تارة يكتفي بالتمر وتارة بالشعير وتارة بالبر وتارة باللبن وتارة يأتيه طعام طيب من اللحوم والبر تارة وتارة، فالمؤمن هكذا يتحمل، وإذا وسَّع الله عليه، أخذ من الطيبات وأكل من الطيبات، كما قال جلَّ وعلا: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢] ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ﴾ [المؤمنون: ٥١] وليأكل من الطيبات وليعمل صالحاً ويشكر الله ﷻ، ويجب ألّا تشغله الدنيا عما أوجب الله عليه، يجب ألّا يصد بها عن الإعداد للآخرة، يجب الحذر من الإسراف والتبذير.

وهكذا ذمَّ القوم الذين اغتروا بما حصل لقارون لما خرج على قومه في زينته ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [القصص: ٧٩] لما رأوا زينة الدنيا وما أعطاه الله من المراكب والخدم والدنيا، أحبوا أن يكون لهم مثل ذلك، ولكن ماذا صار لما بطر وتعدى حدود الله واستكبر على الحق: خسف الله به وبداره الأرض وصارت العاقبة الخسف في الدنيا والعذاب في الآخرة، نسأل الله العافية، فلا ينبغي للعاقل أن يغتر بهذه الدنيا وزينتها؛ وليحذر، قال جلَّ وعلا: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ﴾ [الحديد: ٢٠].

وقال جلَّ وعلا: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء: ١٨]، فليس عبرة ولا دليلاً على صلاح العبد ونجاته، بل يعطيها الله الدنيا لمن يحب ومن لا يحب، فالواجب الحذر؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ يعني: الدنيا ﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ [الإسراء: ١٨] ما كل من أرادها تحصل له قد يريدها ولا تحصل له، ولكنه لحكمة الله وتقديره جلَّ وعلا يعطيها من يشاء ويحرمها من يشاء ﷻ، فهو يعطيها المؤمن والكافر، يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولكنه إنما يعطي الإيمان

والخير والاستقامة من أحب ﷺ، فيبغي للعاقل ألّا يغتر بزينتها وما أعطى أهلها من متاعها العاجل، ومراكبها وملابسها وطعامها وشرابها وسكنها، بل يرضى بما يسَّر الله له ويقنع بما يسره الله له، كما قال عليه الصلاة والسلام: «**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ هُدِيَ إِلَى الإِسْلَامِ، وَرُزِقَ الكَفَافَ وَقَنِعَ بِهِ**»[(١)].

هكذا يكون المؤمن قنوعاً بما آتاه الله طالباً للرزق الحلال مستعيناً بالله على ذلك، لا تغره الدنيا وزهرتها وما فيها من المتاع العاجل الذي ينقضي عن قرب، وربما ذهب عنه وربما مات وتركه، وهو على كل حال بين أمرين: إما يسلبه منه في الدنيا وإما يسلب هو منه يموت ويدعه لغيره عليه تبعاته ولغيره انتفاعه، فيجب الحذر من زينتها ومن فتنتها وليستعن بها على طاعة الله، ولا يغتر بها، بل يعتبرها زاداً وطريقاً للآخرة ومعملاً للآخرة ومزرعةً للآخرة.

وحديث عائشة ﷺ تقول: «**لابْنِ أُخْتِها عُرْوَةَ بن الزبير: إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الهِلَالِ ثُمَّ الهِلَالِ، ثَلَاثَةَ أَهِلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ، وَمَا أُوقِدَتْ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ نَارٌ. فَقُلْتُ: يَا خَالَةُ مَا كَانَ يُعِيشُكُمْ قَالَتِ: الأَسْوَدَانِ التَّمْرُ وَالمَاءُ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ جِيرَانٌ مِنَ الأَنْصَارِ كَانَتْ لَهُمْ مَنَائِحُ، وَكَانُوا يَمْنَحُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ مِنْ أَلْبَانِهِمْ، فَيَسْقِينَا**».

هذا يدل على أنه ﷺ يصبر، وأهله كذلك على شظف الدنيا وشدتها، حتى ربما مَرَّ عليهم الشهران ما أوقدوا ناراً للحم أو خبز ونحو ذلك، وإنما كان يعيشهم الأسودان: التمر والماء، وربما جاءتهم هدية

---

(١) أخرجه عن عبد الله بن عمرو بن العاص ابن ماجه في كتاب الزهد، باب القناعة برقم (٤١٣٨).

اللبن، فإذا كان أفضل الخلق وسيد ولدِ آدم تصيبه هذه الشدائد في الدنيا ويصبر، وهكذا أزواجه أمهات المؤمنين، هكذا ينبغي للمؤمنين أن يتحملوا ويصبروا كما صبر أُولئك الأخيار، ويتأسوا بهم فلا تحملهم الحاجة إلى ما حرم الله وإلى تعاطي المعاصي والمخالفات، بل عليهم بالصبر والثبات حتى يفتح الله، وحتى يأتي بالرزق من الطريق الحلال ويستغني بها عما حرم الله، وهذه سُنَّته ﷺ وطريقه وطريق أصحابه، الصبر على شدائد الأمور والرضى بالقليل حتى يأتي الفرج من الله سبحانه.

وفَّق الله الجميع.

❊ ❊ ❊

٤٩٣ ـ وعن أَبي سعيد المقبُريِّ، عن أَبي هريرة رضي الله عنه **أَنَّهُ مَرَّ بِقَوم بَيْنَ أيدِيهمْ شَاةٌ مَصْلِيَّةٌ، فَدَعَوْهُ فَأَبَى أَنْ يأْكُلَ، وقال: خرج رسول الله ﷺ مِنَ الدُّنْيَا وَلَمْ يَشْبَعْ مِنْ خُبْزِ الشَّعيرِ**. رواه البخاري[1].

▫ (مَصْلِيَّةٌ): بفتح الميم؛ أيْ: مَشْوِيَّةٌ.

٤٩٤ ـ وعن أنس رضي الله عنه، **قَالَ: لَمْ يَأْكُلِ النَّبيُّ ﷺ عَلَى خِوَانٍ حَتَّى مَاتَ، وَمَا أكَلَ خُبْزاً مُرَقَّقاً حَتَّى مَاتَ**. رواه البخاري[2].

📖 **وفي رواية لَهُ: وَلَا رَأى شَاةً سَمِيطاً بعَيْنِهِ قَطُّ.**

٤٩٥ ـ وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، **قَالَ: لَقَدْ رَأيْتُ نَبيَّكُمْ ﷺ، وَمَا يَجِدُ مِنَ الدَّقَلِ مَا يَمْلأُ بِهِ بَطْنَهُ**. رواه مسلم[3].

▫ (الدَّقَلُ): تَمْرٌ رَدِيءٌ.

---

(١) أخرجه في كتاب الأطعمة، باب ما كان ﷺ وأصحابه يأكلون برقم (٥٤١٤).

(٢) أخرجه في كتاب الأطعمة، باب ما كان ﷺ وأصحابه يأكلون برقم (٥٤١٥)، وأخرجه أحمد ٣/١٢٨.

(٣) أخرجه في كتاب الزهد والرقائق برقم (٢٩٧٨).

الشَّرح

هذه الأحاديث الثلاثة كالتي قبلها، فيها الدلالة في الحث على الصبر، على ما قد يبتلى به الإنسان من خشونة العيش وضيق الحال، وأن الرسل عليهم الصلاة والسلام أُبتلوا، وعلى رأسهم نبينا عليه الصلاة والسلام أُبتلي بالفاقة والحاجة والفقر وشدة العيش، فيصبرون ويبلغون رسالات الله، وهكذا أتباعهم بإحسان؛ فينبغي للمؤمن أن يكون عنده من الصبر والقوة والثبات على ما قد ينتابه من الشدائد، حتى يُبلِّغ أمر الله ويستقيم على أمر الله ويقف عند حدود الله على الوجه الذي شرعه الله ﷻ.

والإنسان قد يبتلى بشدة الحاجة، قد يبتلى بالفقر، قد يبتلى بالمرض، قد يبتلى بغير ذلك من أنواع المكروهات والمكدرات ولكن عليه أن يصبر، كما قال ﷻ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١] وقال سبحانه: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥] وقال: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ﴾ [هود: ٧].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الصَّالِحُونَ، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ مِنَ النَّاسِ يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ**» الحديث[1].

وفي هذه الأحاديث؛ أنه ﷺ خرج مِنَ الدُّنْيَا وَلَمْ يَشْبَعْ مِنْ خُبْزِ الشَّعِيرِ، وقد تقدم في حديث عائشة: (مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ خُبْزِ شَعِيرٍ يَوْمَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ حَتَّى قُبِضَ) وفي حديث آخر عنها: (مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ مُنْذُ قَدِمَ المَدِينَةَ مِنْ طَعَامِ بُرٍّ ثَلَاثَ لَيَالٍ تِبَاعٍ).

وفي هذا الحديث أنه لم يَأْكُلْ شَيْئاً مِن خُبْزٍ مُرَقَّقاً.

---

(١) سبق تخريجه في (ص٢٤٩) من هذا المجلد.

وفي حديث أنس: لم يأكل من شاة مصلية؛ يعني: مشوية، كان عليه الصلاة والسلام في غاية من الزهد في هذه العاجلة، والصبر على ما أصابه منها، فتارة يأكل خبزاً من الشعير، وتارة خبزاً من حنطة، وتارة من اللحم والخبز، وتارة من العصيدة التي يعصدونها، وتارة بلحم، وتارة بغير لحم، على حسب ما يسَّر الله ما كان يتكلف عليه الصلاة والسلام، هكذا ينبغي للمؤمن أن يأكل مما يتيسر وألّا يتكلف، ولا يكون همه متابعة الشهوات، بل يأكل مما تيسر منها من الطيبات من غير أن تصرفه عن طريقه السوي، من غير أن يتعلق بها قلبه وتشغله عن الآخرة.

والله يقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٢] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١] الإنسان عند الميسرة وعند السعة وعند الخير يأكل من الطيبات ويشكر الله على نعمه جلَّ وعلا، ولا حرج عليه في ذلك من غير إسراف ولا تبذير، هكذا يقول جلَّ وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ﴾ ويقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا﴾ قد أكل الخبز وأكل الفاكهة، وأكل اللحم عليه الصلاة والسلام.

فالسُّنَّة للمؤمن: ألَّا يتكلف، وأن يكون عنده من الصبر والقوة في التحمل على ما قد ينتابه من الشدائد.

والرسول ﷺ أيامه في المدينة كانت عشر سنين، هي ليست أياماً قليلة عشر سنين كان فيها تارة في شدة وتارة في رخاء ويُسر، وصبر على هذا وهذا ﷺ، ولم تشغله حاجات الدنيا ولا مصائبها عن تبليغ الرسالة وأداء الأمانة والصبر على ما يصيبه، قد بلَّغ الرسالة وأدى الأمانة وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين من ربه، وهكذا الصحابة صبروا، ثم وسَّع الله عليهم فأكلوا من الطيبات، وأكلوا من اللحم، وأكلوا من الفواكه، هذه الأشياء لا حرج فيها من غير إسراف ولا تبذير، بل ذلك

من إظهار نعمة الله، وإظهار فضله ﷻ، وهكذا الأكل من الطيور والحمام والحبارى، وغير ذلك مما يؤكل من الصيود، كل هذا مما يسَّر الله للعباد وأباحه لهم وجعله من الطيبات التي أباحها لهم ﷻ، فهم ممنوعون من الإسراف والتبذير، ولكنهم مأذون لهم في الأكل من الطيبات مع العمل الصالح مع الشكر لله ﷻ، فإذا جاءت الشدائد، الواجب الصبر.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.

***

٤٩٦ ـ **وعن** سهلِ بن سعد رضي الله عنه، قَالَ: مَا رَأى رسول الله ﷺ النَّقِيَّ مِنْ حِين ابْتَعَثَهُ الله تَعَالَى حَتَّى قَبضَهُ الله تَعَالَى، فقِيلَ لَهُ: هَلْ كَانَ لَكُمْ في عَهدِ رسول الله ﷺ مَنَاخِلُ؟ قَالَ: مَا رَأى رسول الله ﷺ مُنْخُلاً مِنْ حِينَ ابْتَعَثَهُ اللهُ تَعَالَى حَتَّى قَبَضَهُ اللهُ تَعَالَى، فَقِيلَ لَهُ: كَيْفَ كُنْتُم تَأكُلُونَ الشَّعِيرَ غَيْرَ مَنْخُولٍ؟ قَالَ: كُنَّا نَطحَنُهُ وَنَنْفُخُهُ، فيَطيرُ مَا طَارَ، وَمَا بَقِيَ ثَرَّيْنَاهُ. رواه البخاري[1].

□ قَوْله: «النَّقِيّ»: هُوَ بفتح النون وكسر القاف وتشديد الياءِ: وَهُوَ الخُبْزُ الحُوَّارَى، وَهُوَ: الدَّرْمَك. قَوْله: «ثرَّيْنَاهُ»: هُوَ بثاء مثلثة، ثُمَّ راء مشددة، ثُمَّ يَاءٍ مُثَنَّاة من تَحْت ثُمَّ نون؛ أيْ: بَللْنَاهُ وَعَجَنَّاهُ.

٤٩٧ ـ **وعن** أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: خرجَ رسولُ الله ﷺ ذَاتَ يَوْم أَوْ لَيْلَةٍ، فَإِذَا هُوَ بأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رضي الله عنهما، فَقَالَ: «مَا أخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُما هذِهِ السَّاعَةَ؟» قَالا: الجُوعُ يَا رسول الله. قَالَ: «وَأنا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لأخْرَجَنِي الَّذِي أخْرَجَكُما، قُوما» فقَامَا مَعَهُ، فَأتَى رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ، فَإذَا

---

(١) أخرجه في كتاب الأطعمة، باب ما كان النبي ﷺ وأصحابه يأكلون برقم (٥٤١٣).

هُوَ لَيْسَ في بيْتِهِ، فَلَمَّا رَأَتْهُ المَرْأَةُ، قالت: مَرْحَباً وَأهلاً، فقال لَهَا رسول الله ﷺ: «أيْنَ فُلانٌ؟» قالت: ذَهَبَ يَسْتَعْذِبُ لنَا المَاءَ؛ إِذْ جَاءَ الأَنْصَارِيُّ، فَنَظَرَ إِلَى رسول الله ﷺ وَصَاحِبَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: الحَمْدُ للهِ، مَا أَحَدٌ اليَوْمَ أَكْرَمَ أَضْيَافاً مِنِّي، فَانْطَلَقَ فَجَاءهُمْ بِعِذْقٍ فِيهِ بُسْرٌ وَتَمْرٌ وَرُطَبٌ، فَقَالَ: كُلُوا، وَأَخَذَ المُدْيَةَ، فَقَالَ لَهُ رسول الله ﷺ: «إيَّاكَ وَالحَلُوبَ» فَذَبَحَ لَهُمْ، فَأكَلُوا مِنَ الشَّاةِ وَمِنْ ذَلِكَ العِذْقِ وَشَرِبُوا، فَلَمَّا أنْ شَبِعُوا وَرَوُوا قَالَ رسول الله ﷺ لأبي بَكْر وَعُمَرَ ﵄: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيم يَوْمَ القِيَامَةِ، أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمُ الجُوعُ، ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَابَكُمْ هَذَا النَّعِيمُ» رواه مسلم[١].

□ قولُهَا: «يَسْتَعْذِبُ» أيْ: يَطْلُبُ المَاءَ العَذْبَ، وَهُوَ الطَّيِّبُ. وَ«العِذْقُ»: بكسر العين وإسكان الذال المعجمة: وَهُوَ الكِباسَةُ، وَهِيَ الغُصْنُ. وَ«المُدْيَةُ»: بضم الميم وكسرها: هي السِّكِّينُ. وَ«الحَلُوبُ»: ذاتُ اللَّبَن.

وَالسُّؤالُ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ سُؤَالُ تَعْدِيد النِّعَم لا سُؤَالُ تَوْبيخٍ وتَعْذِيبٍ، والله أعلَمُ.

وَهَذَا الأَنْصَارِيُّ الَّذِي أَتَوْهُ هُوَ: أَبُو الهَيْثَم بْنُ التَّيِّهَانِ، كَذَا جَاءَ مُبَيَّناً في رواية الترمذي وغيره[٢].

٤٩٨ ـ **وعن** خالد بن عُمَيْر العَدَوِيِّ، قَالَ: خَطَبَنَا عُتْبَةُ بنُ غَزْوَانَ، وَكَانَ أمِيراً عَلَى البَصْرَةِ، فَحَمِدَ الله وَأثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ آذَنَتْ بِصُرْمٍ، وَوَلَّتْ حَذَّاءَ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ

---

(١) أخرجه في كتاب الأشربة، باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك وبتحققه تحققاً تاماً، واستحباب الاجتماع على الطعام برقم (٢٠٣٨).

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في معيشة أصحاب النبي ﷺ برقم (٢٣٦٩)، ومالك في الموطأ (٢/ ٩٣٢).

الإنَاءِ يَتَصَابُّهَا صَاحِبُهَا، وَإِنَّكُمْ مُنْتَقِلُونَ مِنْهَا إِلَى دَارٍ لَا زَوَالَ لَهَا، فَانْتَقِلُوا بِخَيرِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ، فَإِنَّهُ قَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ الحَجَرَ يُلْقَى مِنْ شَفِيرِ جَهَنَّمَ فَيَهْوِي فِيهَا سَبْعِينَ عَاماً، لَا يُدْرِكُ لَهَا قَعْراً، وَاللهِ لَتُمْلأَنَّ أَفَعَجِبْتُمْ؟! وَلَقَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ مَا بَيْنَ مِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الجَنَّةِ مَسيرَةُ أَرْبَعِينَ عَاماً، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهَا يَوْمٌ وَهُوَ كَظِيظٌ مِنَ الزِّحَامِ، وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي سَابعَ سَبْعَةٍ مَعَ رسول الله ﷺ، مَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ الشَّجَرِ، حَتَّى قَرِحَتْ أَشْدَاقُنَا، فَالتَقَطْتُ بُرْدَةً فَشَقَقْتُهَا بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ، فاتَّزَرْتُ بِنِصْفِهَا، وَاتَّزَرَ سَعْدٌ بِنِصْفِهَا، فَمَا أَصْبَحَ اليَوْمَ مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا أَصْبَحَ أَمِيراً عَلَى مِصرٍ مِنَ الأَمْصَارِ، وَإِنِّي أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ فِي نَفْسِي عَظِيماً، وَعِنْدَ اللهِ صَغِيراً. رواه مسلم[١].

□ قوْله: «آذَنَتْ»: هُوَ بِمَدّ الألف؛ أيْ: أعْلَمَتْ. وَقَوْلُه: «بِصُرْم»: هُوَ بضم الصاد؛ أيْ: بِانْقِطَاعِهَا وَفَنَائِهَا. وَقوله: «ووَلَّتْ حَذَّاء»: هُوَ بحاءٍ مهملة مفتوحة، ثُمَّ ذال معجمة مشدّدة، ثُمَّ ألف ممدودة؛ أيْ: سريعة. وَ«الصُّبَابَةُ»: بضم الصاد المهملة وهي: البَقِيَّةُ اليَسِيرَةُ. وَقَوْلُهُ: (يَتَصَابُّهَا): هُوَ بتشديد الباء قبل الهاء؛ أيْ: يجمعها. وَ«الكَظِيظُ»: الكثير الممتلئُ. وَقَوْله: «قَرِحَتْ»: هُوَ بفتح القاف وكسر الراء؛ أيْ: صارت فِيهَا قُروح.

الشَّرح

هذه الأحاديث الثلاثة كالتي قبلها فيها الحث على خشونة العيش والصبر عليه وعلى الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة، وعلى الإعداد لها والصبر على ما قد يصيب الإنسان من خشونة عيش وفقر وحاجة وشدة، وغير هذا مما يصيب المسلم عند قلة المال أو عند الحظوظ أو عند الأمراض، فالمؤمن يتصبر ويتحمل، كما قد صبر الرسول ﷺ وصبر

---

(١) أخرجه في كتاب الزهد والرقائق برقم (٢٩٦٧).

أصحابه رضي الله عنهم وأرضاهم على قلة العيش وقلة المال وعلى ما أصابهم من البلاء في المدينة من مرض، وفقر وغير ذلك حتى أعزهم الله ورفع شأنهم وملكهم وولاهم على البلاد وصارت لهم القيادة والسيادة، بعد ذلك، صبروا قليلاً وأفلحوا كثيراً، هكذا ينبغي للمؤمن الصبر والاحتساب وعدم الجزع والرضى بما يسَّر الله ولو كان فيه خشونة، ولو كان فيه حاجة حتى يفرج الله الأمور؛ ولهذا يقول سهل بن سعد ﷺ: إن رسول الله ﷺ مات ما رأى نقياً؛ يعني: ما ذاق نقياً من الطعام الذي يطحن نقياً من الحنطة وغيرها، بل يكون فيها ما فيها من النقص، وهكذا يكون في الشعير الذي لا يطحن كما ينبغي، صبروا على ذلك عاشوا على الشعير وعلى الحنطة وعلى التمر والماء، وعلى ما يسر الله لهم، ثم صاروا بعد ذلك ملوك الناس وأئمة الناس وقادة الناس بسبب ما فتح الله عليهم من الفتوح، وما يسّر على أيديهم من الهداية للعالم حتى صاروا قادة في كل خير، ولم يضرهم ما أصابهم في سبيل الله من شدة وحاجة وفقر وغير ذلك، وهكذا يقول النبي ﷺ: **«وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْراً وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»**[١].

والله يقول سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠] فلا بد من الصبر على ما يصيب العبد، ولا سيما في سبيل الله، وفي ذات الله عند الهجرة وعند الدعوة إلى الله، وعند الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وعند الانتقال من بلد إلى بلد في سبيل الله، ينبغي للعبد أن يتحمل وأن يتصبَّر حتى يفرج الله الأمور، ولا ينبغي أن يميل مع الشهوات ويؤثر الدنيا على الآخرة؛ لأن هذا هو طريق الهلاك أن يميل مع الشهوات، وأن يرضى بالحظ الأدنى، حتى يؤثر ذلك على طاعة الله ورسوله وعلى الإعداد للآخرة، بل يحذر الشهوات التي تجره إلى ما حرَّم الله، ويحذر الركون إلى الرفاه والتنعم الذي يجره إلى معاصي الله،

---

(١) سبق تخريجه برقم (٢٦) ج١.

وليأخذ من الطيبات نصيبه ولا يركن إليها ويؤثرها على الآخرة، كما قـال الله ﷻ: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ﴾ [القصص: ٧٧].

فالمؤمن هكذا يستعين بنعم الله على طاعة الله ويشكره على إنعامه، ولا يركن إليها بحيث يؤثرها على الآخرة والإعداد لها، أو تجره إلى معاص الله ومحارم الله وظلم عباد الله، هذا هو المنكر، أما إذا أخذ من الطيبات نصيبه وأكل من الطيبات واستمتع بالطيبات بالطريق في سبيل الله لا يجره إلى معاصي الله، بل يعينه على طاعة الله ويقوم بشكرها للذي أنعم بها ﷻ، فهذا شأن الأخيار من الرسل وأتباعهم إلى يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا ۖ﴾ [المؤمنون: ٥١] قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢].

في **الحديث الثاني**: خروجه ﷺ من بيته، أخرجه الجوع فصادف الصديق رضي الله عنه وعمر بن الخطاب رضي الله عنه، كلاهما أخرجهما الجوع، فلما سألهم عمَّا أخرجهما قالوا: الجوع يا رسول الله، قال: «**وَأَنَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لأَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُما**»، وهو الجوع، فساروا جميعاً إلى بعض الأنصار فلم يجدوه ووجدوا زوجته، فرحبت بهم وأدخلتهم، فجاء زوجها كان ذهب يستعذب الماء، ففرح فرحاً عظيماً، وقال: ما أحدُ اليوم أكرم أضيافاً مني، ثم قرب لهم عذقاً من التمر والرطب والبسر؛ يعني: عذقاً يشتمل على الرطب وعلى البسر فأكلوا من ذلك وشربوا، وذبح لهم بعض الدواجن التي عنده، وقال له النبي: «**إياك والحلوب**» أي: اذبح أي شيء غير الحلوب التي يحلبونها لحاجتهم، فذبح وطبخ لهم وقدم لهم اللحم فأكلوا وشبعوا، فلما فرغوا قال عليه الصلاة والسلام: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ القِيَامَةِ، أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمُ الجُوعُ، ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَابَكُمْ هَذَا النَّعيمُ**».

ففي هذا الحث على شكر الله، وأن كون الإنسان يرزق التمر والماء واللحم هذه نعم عظمى، ونعيم يسأل عنه يوم القيامة، وفي لفظ آخر: حينما أكلوا التمر والماء، فذكر لهم أنهم سيسألون عن هذا النعيم يوم القيامة، وتقدم قول عائشة ﵂: (إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الهِلَالِ ثُمَّ الهِلَالِ، ثَلَاثَةَ أَهِلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ، وَمَا أُوقِدَتْ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ نَارٌ. فَقُلْتُ: يَا خَالَةُ مَا كَانَ يُعِيشُكُمْ؟ قَالَتِ: الأَسْوَدَانِ: التَّمْرُ وَالمَاءُ)[1] فهذا يدل على صبره عليه الصلاة والسلام، وصبر أصحابه على الشدة والجوع والفقر والحاجة، حتى فرج الله ويسر ﷻ، وهكذا ينبغي على أهل الإيمان، ينبغي أن يكونوا هكذا يتحملون ويتصبرون، وألّا تزعجهم الحاجة أو الفقر فيجرهم إلى ما حرم الله، عليهم أن يتحملون في سبيل الله ما يرضي الله عنهم، وما يعينهم على طاعته مع الكف والحذر مما حرَّم الله حتى يفرج الله ﷻ، كذلك حديث عتبة بن غزوان كان أميراً بالعراق خطب الناس ذات يوم وذكر لهم.

٤٩٩ ـ وعن أَبي موسى الأشعري ﵁، قَالَ: أَخْرَجَتْ لَنَا عَائِشَةُ ﵂ كِسَاءً وَإِزاراً غَلِيظاً، قالَتْ: قُبِضَ رسول الله ﷺ في هَذَيْنِ. متفقٌ عَلَيهِ[2].

٥٠٠ ـ وعن سعد بن أَبي وقاص ﵁، قَالَ: إنِّي لأَوَّلُ العَرَبِ رَمَى بِسَهْم في سَبِيلِ الله، وَلَقَدْ كُنَّا نَغْزُو مَعَ رسول الله ﷺ مَا لَنَا طَعَامٌ إلَّا وَرَقُ الحُبْلَةِ، وَهذَا السَّمُرُ، حَتَّى إنْ كَانَ أحَدُنَا لَيَضَعُ كَمَا تَضَعُ الشَّاةُ مَا لَهُ خَلْطٌ. متفقٌ عَلَيهِ[3].

---

(١) سبق تخريجه برقم (٤٩٢).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب اللباس، باب الأكسية والخمائص برقم (٥٨١٨)، ومسلم في كتاب اللباس والزينة، باب التواضع في اللباس والاقتصار على الغليظ منه واليسير في اللباس والفراش وغيرهما برقم (٢٠٨٠).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأطعمة، باب ما كان النبي ﷺ وأصحابه يأكلون برقم (٥٤١٢)، ومسلم في كتاب الزهد والرقائق برقم (٢٩٦٦).

□ قوله: «الحُبْلَة»: بضم الحاء المهملة وإسكان الباءِ الموحدةِ: وَهِيَ وَالسَّمُرُ، نَوْعَانِ مَعْرُوفَانِ مِنْ شَجَرِ البَادِيَةِ.

٥٠١ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتاً» متفقٌ عَلَيْهِ(١).

قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ وَالغَرِيبِ: مَعْنَى قُوتاً؛ أيْ: مَا يَسُدُّ الرَّمَقَ.

الشَّرْح

هذه الأحاديث الثلاثة كالتي قبلها فيها الحث على خشونة العيش، والصبر على الجوع وعلى الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة، وعلى الإعداد لها والصبر على ما قد يصيب الإنسان من خشونة عيش وفقر وحاجة وشدة، وغير هذا مما قد يصيب المسلم، وتقدم أن الشريعة جاءت بالأمر بحرص الإنسان على ما ينفعه وطلب الرزق الحلال والكسب الحلال والاستعانة به على طاعة الله، كما قال جلَّ وعلا: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ﴾ [القصص: ٧٧] وقال عليه الصلاة والسلام: «احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجِزْ»(٢) تقدم قوله جلَّ وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ﴾ [المؤمنون: ٥١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٢] فالمحذور أن يركن إليها ويميل إليها حتى يؤثرها على الآخرة أو يكسبها من طريق الحرام، أما إذا استعان بها على طاعة الله، ولم يركن إليها بوجهٍ يصده عن الآخرة، فلا شيء عليه في ذلك، بل هو مأمور بطلب الرزق وطلب الحلال والأكل مما رزقه الله وشكر الله على نعمه جلَّ وعلا، وقد صبر

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه وتخليهم من الدنيا برقم (٦٤٦٠)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب في الكفاف والقناعة برقم (١٠٥٥).

(٢) سبق تخريجه برقم (١٠٠) ج١.

النبي ﷺ على محنة العيش، وإذا تيسر له الشيء الطيب أكل منه عليه الصلاة والسلام، من البر واللحم ومن الفواكه، وإذا لم يتيسَّر صبر، وصبر أصحابه رضي الله عنهم وأرضاهم.

ولهذا **أخرجت عائشة** رضي الله عنها بعد وفاة النبي ﷺ كساءً غليظاً وإزاراً غليظاً قالت: قُبض رسول الله ﷺ في هذين: كساء وإزار، والإزار معروف يوضع على النصف الأسفل من البدن، وكان النبي ﷺ يلبس ما تيسَّر له، إن كان من الجبة من الصوف الجبة الشامية، وتارة رداء وإزار فرو اليمن وتارة من غير ذلك، حسب ما يسر الله وتارة يلبس القميص عليه الصلاة والسلام، ولا يتكلف بل يلبس مما تيسر من لبس العرب إزار ورداء وقميص جبة من الصوف كل ذلك لبسه عليه الصلاة والسلام، فلا ينبغي للمؤمن أن يتكلف، بل ينبغي له أن يكون سمحاً في أموره يلبس ما تيسر ويأكل ما تيسر ولا يتكلف في ذلك، ولا يحمله حبه إلى الشهوات إلى الوقوع في الحرام، أو الركون إلى الدنيا والزهد في الآخرة، بل يكون حريصاً على أمر الآخرة ومُعداً لها مستعيناً بنعم الله على طاعة الله، كاسباً لها من طريق الحلال، منفقاً لها في وجوه الخير، قد تقدم قوله ﷺ: «**الأَكْثَرُونَ هُمُ الأَقَلُّونَ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَّا مَنْ قَالَ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا**»[1] يعني: أنفق عن يمينه وعن شماله، ومن أمامه ومن خلفه، وتقدم قوله ﷺ: «**مَا يَسُرُّنِي أَنَّ عِنْدِي مِثْلَ أُحُدٍ هَذَا ذَهَباً، تَمْضِي عَلَيَّ ثَالِثَةٌ وَعِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ، إِلَّا شَيْئاً أُرْصِدُهُ لِدَيْنٍ**» عليه الصلاة والسلام.

وهكذا حديث سعد بن أبي وقاص «**كُنَّا نَغْزُو مَعَ رسول الله ﷺ مَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ الحُبْلَةِ، وَهذَا السَّمُرُ**» وهكذا، تقدم حديث عتبة بن غزوان قال: «**كُنَّا نَغْزُو مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَمَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ الشَّجَرِ، حَتَّى إِنَّ أَحَدَنَا لَيَضَعُ كَمَا يَضَعُ البَعِيرُ أَوِ الشَّاةُ، مَا لَهُ خِلْطٌ**»، وهذا كله في

---

(١) سبق تخريجه برقم (٤٦٥).

وقت يعرض لهم من الشدة، ليست دائماً إنما يعرض لهم في وقت الشدة في بعض الأسفار، قد يعرض لهم في المدينة بعض الشدة فصبروا رضي الله عنهم وأرضاهم، وغزوا وجاهدوا في سبيل الله وصبروا على الأمور الشديدة حتى فتح الله عليهم الفتوحات العظيمة، وصاروا بعد ذلك ما بين غني وغني ثري، وصاروا قادة للناس ورزقهم الله الحلال وغنموا الغنائم، وكسروا كسرى، وقصروا قيصر، وتملكوا الأموال، ودخل الناس في دين الله أفواجاً بأسبابهم وصبرهم رضي الله عنهم وأرضاهم، فينبغي للمؤمن أن يكون هكذا صبور عند البلاء شكور عند الرخاء يتأسى بالأخيار من الرسل والصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم، يرجو ما عند الله من الخير ولا يضعف ولا يكسل، هكذا المؤمن.

كذلك حديث **أبي هريرة** ﷺ عن الرسول ﷺ: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتاً**» معنى ذلك كفاية؛ ولهذا في الحديث الصحيح الآخر: «**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ وَرُزِقَ كَفَافاً وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ**»[1] يعني: قوتاً لا يشغلهم ولا يصدهم عن الآخرة، بل يكفيهم ولا يحتاجون معه إلى غيره، هذا من أعظم ما يكون، أن يكون الرزق كافياً لا يحتاج معه إلى الناس؛ ولهذا قال: «**اللَّهُمَّ اجعل رزق آل محمد قوتاً**» كفاية لا يحتاجون معه إلى الناس، نسأل الله التوفيق والهداية.

❊ ❊ ❊

٥٠٢ ـ وعن أبي هريرة ﷺ، قَالَ: **وَاللهِ الَّذِي لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ، إِنْ كُنْتُ لأَعْتَمِدُ بِكَبِدِي عَلَى الأَرْضِ مِنَ الجُوعِ، وَإِنْ كُنْتُ لأَشُدُّ الحَجَرَ عَلَى بَطنِي مِنَ الجُوعِ. وَلَقَدْ قَعَدْتُ يَوماً عَلَى طَرِيقِهِمُ الَّذِي يَخْرُجُونَ مِنْهُ، فَمَرَّ بِي النبي ﷺ، فَتَبَسَّمَ حِيْنَ رَآنِي، وَعَرَفَ مَا فِي وَجْهِي وَمَا فِي نَفْسِي، ثُمَّ**

---

(١) يأتي تخريجه برقم (٥١٢).

قَالَ: «أَبَا هِرٍّ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رسول الله، قَالَ: «الحَقْ» وَمَضَى فَاتَّبَعْتُهُ، فَدَخَلَ فَاسْتَأْذَنَ، فَأَذِنَ لِي فَدَخَلْتُ، فَوَجَدَ لَبَناً في قَدَحٍ، فَقَالَ: «مِنْ أَيْنَ هَذَا اللَّبَنُ؟» قَالُوا: أَهْدَاهُ لَكَ فُلانٌ ـ أَو فُلانَةٌ ـ قَالَ: «أَبَا هِرٍّ» قلتُ: لَبَّيْكَ يَا رسول اللهِ، قَالَ: «الحَقْ إِلَى أَهْلِ الصُّفَّةِ فَادْعُهُمْ لِي» قَالَ: وَأَهْلُ الصُّفَّة أَضْيَافُ الإِسْلَامِ، لَا يَأْوُونَ على أَهْلٍ وَلَا مَالٍ وَلَا عَلَى أَحَدٍ، وَكَانَ إِذَا أَتَتْهُ صَدَقَةٌ بَعَثَ بِهَا إِلَيْهِمْ، وَلَمْ يَتَنَاوَلْ مِنْهَا شَيْئاً، وَإِذَا أَتَتْهُ هَدِيَّةٌ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ، وَأَصَابَ مِنْهَا، وأَشْرَكَهُمْ فِيهَا. فَسَاءَنِي ذَلِكَ، فَقُلْتُ: وَمَا هَذَا اللَّبَنُ في أَهْلِ الصُّفَّةِ! كُنْتُ أَحَقَّ أَنْ أُصِيبَ مِنْ هَذَا اللَّبَنِ شَرْبَةً أَتَقَوَّى بِهَا، فَإِذَا جَاءُوا وَأَمَرَنِي فَكُنْتُ أَنَا أُعْطِيهِمْ؛ وَمَا عَسَى أَنْ يَبْلُغَنِي مِنْ هَذَا اللَّبَنِ. وَلَمْ يَكُنْ مِنْ طَاعَةِ اللهِ وَطَاعَةِ رسول الله ﷺ بُدٌّ، فَأَتَيْتُهُمْ فَدَعَوْتُهُمْ، فَأَقْبَلُوا وَاسْتَأْذَنُوا، فَأَذِنَ لَهُمْ وَأَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ مِنَ البَيْتِ، قَالَ: «يَا أَبَا هِرٍّ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رسول الله، قَالَ: «خُذْ فَأَعْطِهِمْ» قَالَ: فَأَخَذْتُ القَدَحَ، فَجَعَلْتُ أُعْطِيهِ الرَّجُل فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ القَدَحَ، فَأُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ القَدَحَ، فَأُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ القَدَحَ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَقَدْ رَوِيَ القَوْمُ كُلُّهُمْ، فَأَخَذَ القَدَحَ فَوضَعَهُ عَلَى يَدِهِ، فَنَظَرَ إِليَّ فَتَبَسَّمَ، فَقَالَ: «أَبَا هِرٍّ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رسول الله، قَالَ: «بَقيتُ أَنَا وَأَنْتَ» قُلْتُ: صَدَقْتَ يَا رسول الله، قَالَ: «اقْعُدْ فَاشْرَبْ» فَقَعَدْتُ فَشَرِبْتُ، فَقَالَ «اشْرَبْ» فَشَرِبْتُ، فَمَا زَالَ يَقُولُ: «اشْرَبْ» حَتَّى قُلْتُ: لا، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ لَا أَجِدُ لَهُ مَسْلكاً! قَالَ: «فَأَرِنِي» فَأَعْطَيْتُهُ القَدَحَ، فَحَمِدَ الله تَعَالَى، وَسَمَّى وَشَرِبَ الفَضْلَةَ. رواه البخاري[1].

---

(١) أخرجه في كتاب الرقاق، باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه وتخليهم من الدنيا برقم (٦٤٥٢).

٥٠٣ ـ **وعن** محمد بن سيرين، عن أبي هريرة ﷺ، قَالَ: **لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَإِنِّي لأَخِرُّ فِيمَا بَيْنَ مِنْبَرِ رسولِ الله ﷺ إِلَى حُجْرَةِ عائِشَةَ ﷺ مَغْشِيّاً عَلَيَّ، فَيَجِيءُ الجَائِي، فَيَضَعُ رِجْلَهُ عَلَى عُنُقِي، وَيَرَى أَنِّي مَجْنُونٌ وَمَا بِي مِنْ جُنُونٍ، مَا بِي إِلَّا الجُوعُ.** رواه البخاري[1].

٥٠٤ ـ **وعن** عائشة ﷺ، قالت: **تُوُفِّي رسول الله ﷺ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِي في ثَلاثِينَ صَاعاً مِنْ شَعِير.** متفق عَلَيهِ[2].

الشَّرح

هذه الأحاديث الثلاثة كالتي قبلها في بيان ما أصاب النبي ﷺ والمسلمين في المدينة أول ما هاجروا من الشدة والحاجة، ثم فتح الله عليهم بعد ذلك من الخير العظيم، وأنهم صبروا على ما أصابهم من الشدائد والفقر والحاجة، ولم ييأسوا في ذلك حتى صارت لهم العاقبة الحميدة والرياسة والسيادة في الأمة، بسبب صبرهم على طاعة الله وقيامهم بحق الله.

في هذا الحديث أن **أبا هريرة** ﷺ أصابه حاجة شديدة، وأنه كان يعتمد على الأرض ببطنه ويضع الحجر على بطنه من شدة الجوع، وفي ذات يوم مرَّ النبيُّ ﷺ وعرف ما به من الحاجة وقال: «**أَبَا هِرٍّ**» وكان يكنى بهريرة له يقال له: أبو هريرة وأبو هر، (**قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رسول الله، قَالَ: «الحَقْ»**) فلحق به عليه الصلاة والسلام، ثم دخل بيته عليه الصلاة والسلام، ثم أذن لأبي هريرة فدخل فوجد لبناً في البيت قد أهدي إليه،

---

(١) أخرجه في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما ذكر النبي ﷺ وحض على اتفاق أهل العلم برقم (٧٣٢٤).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب شراء النبي ﷺ بالنسيئة برقم (٢٠٦٨)، ومسلم في كتاب المساقاة، باب الرهن وجوازه في الحضر كالسفر برقم (١٦٠٣).

فسأل عن ذلك فقالوا: إنه جاء من (فُلان ـ أَو فُلانَة) ـ فقال لأبي هريرة: **«أَبَا هِرٍّ»** **قلتُ: لَبَّيْكَ يَا رسول الله، قَالَ: «الحَقْ إِلَى أَهْلِ الصُّفَّةِ فَادْعُهُمْ لِي»** وكان أهل الصفة أضياف الرسول ﷺ وأضياف المسلمين؛ كالمهاجرين ليس لهم مأوى إلا ما يسر الله لهم على يد رسوله عليه الصلاة والسلام، أو على يد غيره من المحسنين، وهم لهم حجرة في المسجد يأوون إليها ويقيمون بها، وما جاء إلى النبي من الصدقات دفعه إليهم، وهكذا غيرهم من المهاجرين والأنصار يواسونهم ويحسنون إليهم، فذهب أبو هريرة ودعاهم وكان أبو هريرة يرى أنه أولى بهذا اللبن، أنه محتاج وأنه في غاية من الجوع، فقال: ما يفعل هذا القدح في أهل الصُّفة وأنا في حاجة لو شربت منه بعض الشيء حتى أتقوى به، ولكن لا بد من طاعة الله ورسوله فذهب ودعاهم فجاءوا وأخذوا مجالسهم.

في رواية أخرى: كانوا سبعين، فقال الرسول لأبي هريرة: **«قم فاسقهم»** فأخذ القدح ومشى به عليهم واحداً واحداً، كل واحد يشرب ثم يرد عليه القدح فيعطيه الآخر فيشرب حتى يروى حتى كملهم في قدح واحد، أنزل الله فيه من البركة العظيمة، فكلما شربوا منه زاد الله فيه مثل ذلك حتى كفاهم جميعاً، وهذه من آيات الله والدلائل على صدق رسوله ﷺ وأنه رسول الله حقاً، والدلالة على أن الله جلَّ وعلا يقول للشيء: كن فيكون ﷻ: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢] هذا اللبن القليل أنزل الله فيه البركة، فكان ينمو وينمو وينمو حتى كملهم، هذا من جنس قصة الصديق بأضيافه.

كان عند الصديق أضياف فقدم لهم طعاماً فكانوا كلما أكلوا لقمة مضى مثلها في الصحفة، حتى أكلوا جميعاً وبقيت الصحفة على حالها ملأى، فأكل منه الصديق ثم ذهب بالبقية للنبي ﷺ وأخبره، هذه بركة الله جلَّ وعلا أن يقول للشيء: كن فيكون ﷻ: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن

يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢] ففي هذا دلالة على قدرة الله العظيمة، وأنه سبحانه على كل شيء قدير، وأنه لا يُعجزه شيء، والدلالة أيضاً على صدق رسوله محمد عليه الصلاة والسلام، وأنه رسول الله حقاً؛ لأن الله أنزل على نبيه المعجزات وهذه العظائم الدالة على أنه رسول الله حقاً عليه الصلاة والسلام، فلما كمل أبو هريرة سقيهم أتى بالقدح إلى النبي ﷺ، فقال عليه الصلاة والسلام وتبسم إليه وقال: **«بَقِيتُ أَنَا وَأَنْتَ» (قُلْتُ: صَدَقْتَ يَا رسول الله)**، وكان عليه الصلاة والسلام من عادته التبسم ولين الجانب عليه الصلاة والسلام، وهذا من أخلاقه العظيمة: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

ثم **(قَالَ: «اقعُدْ فَاشْرَبْ» فَقَعَدْتُ فَشَرِبْتُ، فَقَالَ «اشْرَبْ» فَشَرِبْتُ، فَمَا زَالَ يَقُولُ: «اشْرَبْ» حَتَّى قُلْتُ: لا، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ لَا أَجِدُ لَهُ مَسْلكاً!)**؛ يعني: قد رويت، مرة واحدة، فأخذ القدح وسمى الله وحمد وشرب البقية عليه الصلاة والسلام، وفي هذا فوائد: منها إكرام الضيف، ومنها الدلالة على صدق رسوله ﷺ وأنه رسول الله حقاً، والدلالة على قدرة الله العظيمة، وأنه يقول للشيء: كن فيكون ﷻ، والدلالة على أن ساقي القوم يكون في الآخر، يسقيهم ثم يشرب **«إِنَّ سَاقِيَ القَوْمِ آخِرُهُمْ شُرْباً»** يقدم الأضياف ثم يشرب إذا كان الشيء ليس بواسع يقدمهم، أما إذا كان الشيء واسعاً يأكل معهم يشرب معهم لا بأس، لكن إذا كان الشيء قد لا يفضل منه شيء قد لا يكفيهم، يبدأ بهم فإن بقي شيء يكون له الفضلة.

هذا كله دليل على أنه ينبغي للمؤمن التصبر والتحمل فيما يُصيبه من الشدائد، وأن الله سبحانه يأتي بالفرج لمن صبر واحتسب.

وهكذا **الحديث الثاني**: أن أبا هريرة ﷺ قال: **(لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَإِنِّي لأَخِرُّ فِيمَا بَيْنَ مِنْبَرِ رسولِ الله ﷺ إِلَى حُجْرَةِ عائِشَةَ ﷺ مَغْشِيّاً عَلَيَّ،**

فَيَجِيءُ الجَائِي، فَيَضَعُ رِجْلَهُ عَلَى عُنُقِي، وَيَرَى أَنِّي مَجْنُونٌ وَمَا بِي مِنْ جُنُونٍ، مَا بِي إِلَّا الجُوعُ) هذا دليل على أنهم أصابهم من الشدائد ما أصابهم، ولكنهم صبروا وأفلحوا، وكان إسلام أبي هريرة في السنة السابعة من الهجرة، أدرك من حياة النبي ﷺ أربع سنين، فهذا يدل على أن الشدة استمرت إلى عام سبع أو ثمان، حتى فتح الله مكة، ثم جاءت الخيرات، ثم فتحت الفتوح على يد الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم ووسع الله جلَّ وعلا للمسلمين.

وفي **الحديث الثالث**: دلالة على أنه: **(تُوُفِّي رسول الله ﷺ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِي في ثَلاثِينَ صَاعاً مِنْ الشَعِير)**. لأهله عند يهودي من يهود المدينة، هذا يدل على أنه مات عليه الصلاة والسلام وهو محتاج ليس عنده مال، ليس عنده شيء لأهله إلا ما استدانه لإطعامهم وحاجتهم.

تقدم قول عمرو بن الحارث: توفي رسول الله ولم يترك درهماً ولا ديناراً ولا عبداً ولا أمة ولا شيئاً إلا بغلته البيضاء التي كان يركبها وسلاحه الذي كان يجاهد به، وأرضاً في خيبر في فدك، جعلها صدقة على المسلمين يتولاها ولي الأمر من بعده عليه الصلاة والسلام[١].

فالحاصل من هذا كله الدلالة على صبره ﷺ على شدة الحال وخشونة العيش، وأنه لم يتمتع بالنعيم الذي يتمتع به كثير من الناس الذين يتولون أمور المسلمين، وصبر على الشدة وأنفق الأموال في سبيل الله كانت تأتيه الأموال الكثيرة وينفقها في سبيل الله، وفي مواساة عباد الله وفي الإحسان إليهم، وربما حصل لأهله نفقة سنة ولكن بسبب الضيوف وكثرة النفقة لا يبقى ذلك، بل ينفد قبل ذلك فيحصل له الحاجة والاستدانة والقرض عليه الصلاة والسلام، ففي هذا حث للمؤمنين والمؤمنات على التأسي بالرسول ﷺ في الصبر والإحسان والإنفاق مع

---

(١) أخرجه البخاري من حديث عمرو بن الحارث ﷺ في كتاب الوصايا، باب الوصايا برقم (٢٧٣٩).

الحاجة، وأنه ينبغي للمؤمن ألّا يجزع مما يُصيبه، وألّا ييأس ويتصبر ويتحمل ويحسن الظن بربه، ولا مانع من الاستدانة ولا مانع من القرض، كما فعله النبي ﷺ وفعله الأخيار، القرض والاستدانة عند الحاجة لا بأس بها.

وفَّق الله الجميع.

❊ ❊ ❊

٥٠٥ ـ وعن أنسٍ رضي الله عنه، قَالَ: رَهَنَ النَّبيُّ ﷺ دِرْعَهُ بِشَعِيرٍ، وَمَشَيْتُ إِلَى النَّبيِّ ﷺ بخُبْزِ شَعِيرٍ وَإهَالَة سَنِخَةٍ، وَلَقَدْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «مَا أصْبَحَ لآلِ مُحَمَّدٍ صَاعٌ وَلَا أمْسَى» وَإنَّهُمْ لَتِسْعَةُ أبيَات. رواه البخاري[١].

□ (الإهالَةُ): بكسر الهمزة: الشَّحْمُ الذَّائِبُ. وَ(السَّنِخَةُ): بالنون والخاء المعجمة: وَهِيَ المُتَغَيِّرَةُ.

٥٠٦ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ، مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ عَلَيْهِ رداءٌ، إمَّا إزَارٌ وَإمَّا كِسَاءٌ، قَدْ رَبَطُوا في أعْنَاقِهِم، مِنْهَا مَا يَبْلُغُ نِصْفَ السَّاقَيْن، وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ الكَعْبَيْنِ، فَيَجْمَعُهُ بِيَدِهِ كَرَاهِيَةَ أنْ تُرَى عَوْرَتُه. رواه البخاري[٢].

٥٠٧ ـ وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: كَانَ فِرَاشُ رسول الله ﷺ مِنْ أدْمٍ حَشْوُهُ لِيفٌ. رواه البخاري[٣].

❊ الشَّرح ❊

هذه الأحاديث الثلاثة كالتي قبلها في الدلالة على أنه كان عليه الصلاة والسلام صبوراً على خشونة العيش، وعلى قلة المال والفقر

---

(١) أخرجه في كتاب الرهن، باب الرهن في الحضر برقم (٢٥٠٨).

(٢) أخرجه في كتاب الصلاة، باب نوم الرجال في المسجد برقم (٤٤٢).

(٣) أخرجه في كتاب الرقاق، باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه وتخليهم من الدنيا برقم (٦٤٥٦).

والحاجة، وكان لا يتكلف عليه الصلاة والسلام فيأكل مما تيسر من خبز الشعير وخبز الحنطة، وربما مرَّت عليه الأيام الطويلة ليس عنده في أبياته إلا التمر والماء، وتقدم قول عائشة ﵂: (مَا شَبعَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ خُبْزِ شَعِيرٍ يَوْمَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ)[١] وفي رواية: (مَا شَبعَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ مُنْذُ قَدِمَ المَدِينَةَ مِنْ طَعَامِ بُرٍّ ثَلَاثَ لَيَالٍ تِبَاعاً)[٢] وتقدم قولها ﵂: (تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ بِثَلَاثِينَ صَاعاً مِنْ شَعِيرٍ)[٣].

وهنا **يقول أنس** ﵁: **(رَهَنَ النَّبِيُّ ﷺ دِرْعَهُ بِشَعِيرٍ)**[٤] لأهل بيته، وأنه أهديت إليه خبز شعير وإهالة سنخة؛ يعني: هذه الودك قد تغير، وفي بعض الروايات؛ أنه دعي إلى ذلك فأجاب عليه الصلاة والسلام، فكان متواضعاً عليه الصلاة والسلام صبوراً على قلة العيش وعلى شدة العيش وشدة الحاجة، وهكذا كان أصحابه رضي الله عنهم وأرضاهم كانوا صُبراً عند الشدة والفقر والحاجة، كما أنهم صُبر في الحروب والجهاد حتى فتح الله عليهم، وحتى وسع الله عليهم وصاروا ملوك الناس بعد ذلك، وصاروا قادة الناس في الدين والدنيا، رضي الله عنهم وأرضاهم.

هكذا ينبغي للمؤمن: أن يكون صبوراً عند الشدائد، لا يجزع ولا تأخذه الأهواء ولا تجره الشهوات إلى ما حرم الله، بل يصبر على خشونة العيش وشظف العيش حتى يفتح الله، وحتى يسهل الله، ولا تحمله محبة شهوته ومراد نفسه بما تميل إليه النفوس من الطعام والشراب وغير ذلك، لا يحمله ذلك إلى أن يتناول الحرام أو يقع في الحرام، هكذا المؤمن يكون عنده الصبر على ما قد يصيبه من شدة وحاجة حتى يفتح الله، وقد قال عليه الصلاة والسلام: **«عَجَباً لأَمْرِ المُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ**

---

(١) سبق تخريجه برقم (٤٩١).
(٢) سبق تخريجه برقم (٤٩١).
(٣) سبق تخريجه برقم (٥٠٤).
(٤) سبق تخريجه برقم (٥٠٥).

ذَاكَ لأَحَدٍ إِلَّا لِلمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ»(١).

هكذا المؤمن صبور عند البلاء شكور عند الرخاء، وفي هذا يقول أبو هريرة ﷺ: إنه رأى سبعين رجلاً من أهل الصفة كل واحد ليس عليه إزار ورداء من شدة الحاجة والفقر، ليس عليهم إلا الأُزر أو كساء يلتفون به قطعة واحدة يستر به عورته من قلة المال وقلة الحال وقلة ذات اليد، فصبروا حتى نجحوا وأفلحوا، وصاروا بعد ذلك ملوك الناس وأُمراء الناس في المدن والقرى والأقاليم، بصبرهم وطاعتهم لله وجهادهم في سبيله.

كذلك حديث عائشة ﵂ **(كَانَ فِرَاشُ رسول الله ﷺ مِنْ أَدَم حَشْوُهُ لِيفٌ)** أي: من جلد محشو بليف، وهذا من غاية تواضعه ﷺ، فمرة نام على الحصير حتى يؤثر في جنبه عليه الصلاة والسلام فهذا فيه الصبر، تارة على مطرحة تارة على حصير تارة على فراش من أدم من جلد حشوه ليف لا يتكلف، عليه الصلاة والسلام، بل ما تيسَّر له استعمله، عليه الصلاة والسلام؛ لأنه ليس تهمه الدنيا إنما همه الآخرة وإبلاغ رسالة الله وتعليم عباد الله؛ ولهذا قال: إنما مثلي ومثل الدنيا كراكب قال في ظل دوحة في ظل شجرة، ثم ذهب وتركها.

هكذا جاء في الحديث: **«مَا لِي وَمَا لِلدُّنْيَا مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا»**(٢) العاقل يعرف هذا الأمر، يعرف أن الدنيا دار زوال وليست دار نعيم، وليست دار خلد ولكنها دار انتقال ودار عمل، ودار زراعة للآخرة ودار متاع، العاقل ذو اللب ذو البصيرة يستعملها في طاعة الله، ويتخذها طريقاً للآخرة خادماً للآخرة، ومطية للآخرة، فما حصل فيها من المال والرزق استعان بها على

---

(١) أخرجه مسلم من حديث صهيب ﷺ في كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير برقم (٢٩٩٩).

(٢) سبق تخريجه برقم (٤٨٦).

طاعة الله، وعلى نفع عباد الله والإنفاق في سبيل الله، يرجو ما عند الله، هكذا المؤمنون، وهكذا الأخيار، وهكذا الرسل عليهم الصلاة والسلام وفَّق الله الجميع.

❋ ❋ ❋

٥٠٨ ـ وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: كُنَّا جُلُوساً مَعَ رسول الله ﷺ؛ إذْ جَاءَ رَجُلٌ مِنَ الأنْصَارِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أدْبَرَ الأنْصَارِيُّ، فَقَالَ رسول الله ﷺ: «يَا أخَا الأنْصَارِ، كَيْفَ أخِي سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ؟» فَقَالَ: صَالِحٌ، فَقَالَ رسول الله ﷺ «مَنْ يَعُودُهُ مِنْكُمْ؟» فَقَامَ وَقُمْنَا مَعَهُ، وَنَحْنُ بِضْعَةَ عَشَرَ، مَا عَلَيْنَا نِعَالٌ، وَلَا خِفَافٌ، وَلَا قَلَانِسُ، وَلَا قُمُصٌ، نَمْشِي فِي تِلك السِّبَاخِ، حَتَّى جِئْنَاهُ، فَاسْتَأْخَرَ قَوْمُهُ مِنْ حَوْله حَتَّى دَنَا رسول الله ﷺ وَأصْحَابُهُ الَّذِينَ مَعَهُ. رواه مسلم[1].

٥٠٩ ـ وعن عِمْرَان بنِ الحُصَيْنِ رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ؛ أنه قَالَ: «خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» قَالَ عِمْرَانُ: فَمَا أدْري قَالَ النبي ﷺ مَرَّتَيْنِ أو ثَلَاثاً: «ثُمَّ يَكُونُ بَعْدَهُمْ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذِرُونَ وَلَا يُوفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ» متفقٌ عَلَيهِ[2].

٥١٠ ـ وعن أَبي أُمَامَة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «يَا ابْنَ آدَمَ، إنَّكَ أنْ تَبْذُلَ الفَضْلَ خَيرٌ لَكَ، وَأنْ تُمسِكَهُ شَرٌّ لَكَ، ولَا تُلَامُ عَلَى كَفَافٍ، وَابْدأ بِمَنْ تَعُولُ» رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح[3].

---

(١) أخرجه في كتاب الجنائز، باب في عيادة المريض برقم (٩٢٥).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد برقم (٢٦٥١)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم برقم (٢٥٣٥).

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب منه برقم (٢٣٤٣).

الشَّرح

هذه الأحاديث الثلاثة كالتي قبلها من الأحاديث الدالة على أنه ينبغي للمؤمن الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة، وأن لا تُشغله الشهوات عن الإعداد للآخرة بل يتصبر ويتحمل ما قد يحصل له من خشونة العيش والحاجة، وليستقيم على أمر الله ويبتعد عما حرَّم الله ﷻ، كما صبر النبي ﷺ والصحابة على ما أصابهم من الشدة حتى فرج الله الأمور ويسرها بعد ذلك، هكذا المؤمن يحرص على الصبر على خشونة العيش والتقلل من الدنيا حتى يفتح الله عليه وحتى يسهل له حاجته من طريق الكسب الحلال، ولا ينبغي له أن يميل مع الشهوات التي تشغله عن الآخرة والإعداد لها، أما طلبه الدنيا من طريقها الحلال وكسب الحلال، هذا مأمور به؛ ليستعين بذلك على طاعة الله، وليصل بذلك أرحامه ويستغني بذلك عن الحاجة إلى الناس، ويكرم الضيف وليجود ويحسن على الفقير والمحتاج؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ ذكر عن أصحاب قارون أنهم قالوا لقارون: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٧٧] المؤمن مأمور بأن يبتغي نصيبه من الدنيا من طريق الحلال: من التجارة والزراعة، ومن أنواع الصناعة حتى يستغني عما في أيدي الناس، ولكنه لا يجوز له أن تأخذه الشهوات وأن تميل به الشهوات إلى ما حرم الله، أو إلى الركون إلى الدنيا والإعراض عن الآخرة، هذا هو الخطر العظيم الذي يصاب به الأكثرون.

ولهذا ذكر النبي ﷺ لما سأل عن أخيه سعد بن عُبادة رضي الله عنه وكان مريضاً، سئل بعض الأنصار عنه فقالوا: صالح، فقال: «**من يعوده**» فقاموا بضعة عشر من أصحابه يعودونه في بيته رضي الله عنه قال: وقمنا معه ﷺ

وليس علينا نعال ولا خفاف ولا قَلانِسُ ولا قُمُصٌ، إنما عليهم الأُزر أو الإزار والأردية لقلة المال، يعجز أحدهم من وجود النعلين أو الخفين التي تقيه شر الأرض وحرارتها أو برودتها، صبروا على هذا حتى يسَّر الله لهم الفتوحات، وغنموا الغنائم، فصاروا قادة الناس بعد ذلك، صبروا قليلاً وأفلحوا كثيراً رضي الله عنهم وأرضاهم، هكذا ينبغي التحمل والتصبر في سبيل الله حتى يفتح الله عليه؛ ولهذا جاء في الحديث: «أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ فَقَالَ: الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ»[1] فالمؤمن يتحمل في سبيل الله الفقر الحاجة وما يُصيبه من الشدائد حتى يجد الطريق السوي، وحتى ينهج المنهج السديد إلى الرزق الحلال، وحتى يستعين بذلك على طاعة الله ﷻ، ولا يجوز له أن تحمله محبة الراحة والتلذذ بالشهوات على معصية الله ﷻ، وترك الوقوف عند حدوده ﷻ، بل يتصبر ويتحمل حتى يقف عند حدود الله، وحتى يبتعد عن محارم الله، وحتى يكتفي بالقليل إلى أن يفتح الله، وسبق أنه ﷺ يمر عليه الشهر والشهران ليس في أبياته شيء من الطعام إلا التمر والماء، وصبروا على ذلك كثيراً.

وفي هذا يقول ﷺ: «**خَيْرُكُمْ قرني**» وهم الصحابة ﷺ في اللفظ الآخر «**خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»[2] قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرني مرتين أو ثلاثاً، والمحفوظ قرنان بعد قرنه عليه الصلاة والسلام، كما في حديث ابن مسعود: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»[3].

فهي القرون الثلاثة المفضلة: قرن الصحابة ثم الذي يليه ثم الذي

---

(١) سبق تخريجه في (ص٢٤٩) من هذا المجلد.

(٢) متفق عليه من حديث عبد الله ﷺ. أخرجه البخاري في كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد برقم (٢٦٥٢)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم برقم (٢٥٣٣).

(٣) سبق تخريجه في الحاشية السابقة.

يليه «**ثُمَّ يَكُونُ بَعْدَهُمْ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذِرُونَ وَلَا يُوفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ**» يعني: يأتي قوم تختل فيهم الأمانة الدينية والاستقامة بسبب بعدهم عن عصر النبوة وبسبب جهلهم وقلة بصيرتهم بالدين؛ فلهذا يخونون ولا يؤتمنون ويشهدون ولا يستشهدون؛ يعني: إما شهادة زور وإلا قلة مبالاة بالشهادة لقلة الدين وضعف الوازع الإيماني، ويخونون الأمانات ولا يؤتمنون، وينذرون نذور الطاعات ولا يوفون بالنذر، بخلاف أهل الإيمان مثل ما قال الله فيهم: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧] قال: «ويظهر فيهم السمن» أي: يظهر فيهم عظم الأجسام وكثرة اللحوم بسبب إقبالهم على الشهوات وحرصهم عليها وتمتعهم بها، يظهر فيهم السمن وكثرة اللحم، فإن من مال إلى الشهوات في الغالب واستكثر منها ولم يهتم بالآخرة، في الغالب يكثر فيه السمن، وقد يقع السمن من أسباب أخرى وصاحبه مستقيم وطيب، ولكن الغالب على أهله التنعم وهو الأكل والشرب وعدم المبالاة بالآخرة، الغالب عليهم ظهور السمن بسبب غفلتهم وإعراضهم وتمتعهم بالشهوات، وليس كل سمين يكون غير صالح لا؟، قد يكون سميناً وقد يكون صالحاً مستقيماً لقيامه بأمر الله وتركه محارم الله، لكن الغالب على الناس إذا تمتعوا بالشهوات وأعرضوا عن الآخرة الغالب عليهم السمن، وعدم الوفاء بالعهود، وعدم الوفاء بالنذور، والخيانة في الأمانات، والكذب في الشهادات، فالغالب على الناس عند قلة الدين والإقبال على الدنيا والركون إليها، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الحديث الثالث: حديث عن أبي أمامة، يقول النبي ﷺ: «**يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ أَنْ تَبْذُلَ الفَضْلَ خَيرٌ لَكَ، وَأَنْ تُمسِكَهُ شَرٌّ لَكَ، ولَا تُلَامُ عَلَى كَفَافٍ، وَابْدأ بِمَنْ تَعُولُ**» يعني: ما تيسر لك من المال والسعة خير لك، وأن تمسكه شرٌّ لك يُقرأ: أن تبذل **الفَضْلَ**. وإن تبذل؛ المعنى: خير لك؟ المعنى: أنك إذا بذلت الفضل من مالك وما يسر الله من المال في

وجوه الخير وأعمال البر صار خيراً لك وإن تمسكه، تمسك الفضل وتبخل يكون شراً لك، هذا معناه الحث على البذل والجود والكرم والإحسان، والإنفاق في وجوه الخير ومشاريع الخير، إذا كان عنده سعة **«ولَا تُلَامُ عَلَى كَفَافٍ»**: الإنسان ما يلام على الكفاف كونه يمسك حاجته ويقضي حاجته وحاجة عائلته فهو مأمور بها **«وَابْدأ بِمَنْ تَعُولُ»** يعني: بمن هم تحت يدك، الأولاد والزوجة والأيتام والخادم، تبدأ بهم على الناس البعيدين، تنفق على هؤلاء نفقة كافية قبل غيرهم، فإذا كان فضل وزيادة تصدقت هاهنا وهاهنا وهاهنا، ترجو ثواب الله ﷻ.

وفَّق الله الجميع.

■■■

٥١١ ـ وعن عُبَيْدِ الله بنِ مِحْصن الأَنصَارِيِّ الخطميِّ ﷺ، قَالَ: قَال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِناً في سربِهِ، مُعَافَىً في جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا» رواه الترمذي[1] وقال: حديث حسن.

□ (سِربه): بكسر السين المهملة؛ أي: نَفْسه، وَقِيلَ: قَومه.

٥١٢ ـ وعن عبد الله بن عَمْرو بنِ العاص ﷺ؛ أن رسول الله ﷺ، قَالَ: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَكَانَ رِزْقُهُ كَفَافاً، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ» رواه مسلم[2].

٥١٣ ـ وعن أَبي محمدٍ فضَالَة بن عبيدٍ الأنصاريِّ ﷺ: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «طُوبَى لِمَنْ هُدِيَ إلى الإسْلام، وَكَانَ عَيْشُهُ كَفَافاً وَقَنِعَ» رواه الترمذي[3] وقال: حديث حسن صحيح.

---

(١) أخرجه في كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب (٣٤) برقم (٢٣٤٦)، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب القناعة برقم (٤١٤١).

(٢) أخرجه في كتاب الزكاة، باب في الكفاف والقناعة برقم (١٠٥٤).

(٣) أخرجه في كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الكفاف والصبر عليه برقم (٢٣٤٩).

الشَّرح

هذه الأحاديث الثلاثة كالتي قبلها في الحث على الاستقامة والاستمرار في طاعة الله ورسوله، والصبر على ما قد يصاب به الإنسان من شدة الحاجة وشدة المؤونة والفقر، وغير ذلك مما يصيب الإنسان من أمراض وأكدار؛ لأن هذه الدار دار العمل وليست دار النعيم، ولكنها دار الأكدار والمحن والابتلاء، فالواجب على المؤمن أن يتقبل ذلك بصدر رحب، وأن يكون عنده من الصبر والثبات على الحق مع ما يصيبه من الشدائد من فقر وحاجة وشدة مؤونة ومرض، وغير ذلك مما يعينه على طاعة الله والوقوف عند حدوده، كثير من الناس عند الشدائد يبتلى بالانحراف عن الصلاة والميل إلى الباطل وقلة الصبر، وليس هذا من صفات أهل الإيمان الكُمل، ولكنها صفة ضعفاء الإيمان، أما المؤمن فإنه يتحمل الشدائد ويصبر على خشونة العيش وعلى الفقر، وغير هذا من النوائب التي قد تصيب المسلم بأسباب كثيرة، ثم يفرج الله الأمور كما قال ﷻ: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥، ٦]: ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧] هكذا المؤمن يتقي الله ويستقيم، والله يأتي بالفرج والتيسير والتسهيل، قد صبر الأنبياء وهم خيار الناس وعلى رأسهم نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، على الفقر والحاجة والشدائد ولم يميلوا مع الشهوات التي حرَّم الله عليهم، ولم يتأثروا بما أصابهم من الشدة، فصبروا واستقاموا وساروا على النهج القويم حتى فرج الله الأمور، وزالت الشدائد وجاءتهم الدنيا وهي راغمة، وفتحوا الفتوحات وصاروا قادة الناس وأئمة الناس بعد الفقر والحاجة.

يقول في هذا الحديث عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِناً في سربِهِ، مُعَافَىً في جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا**» في اللفظ الآخر: «**عنده قوت يومه وليلته**» المعنى: أن

الإنسان إذا رزقه الله العافية والصحة في بدنه، ومع ذلك الأمن، ثم رزق ما يكفيه في يومه وليلته فهو غني، في خير عظيم **«فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا»** ولا سيما العافية والأمن، فإن ذلك من نعم الله العظيمة؛ يعني: مع الإسلام، الإسلام رأس كل شيء، فالمسلم إذا عافاه الله في بدنه وأسبغ عليه الصحة ورزقه الأمن في بلاده، ومع ذلك عنده قوت يومه وليلته، فالذي بعد ذلك يأتي به الله، عليه أن يتسبب ويأخذ بما ينفعه، والله يأتي بالرزق، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

ويقول عليه الصلاة والسلام: **«احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجِزْ»**[(١)]، فالمؤمن يعمل بالأسباب ويأخذ بالأسباب ويحسن ظنه بمولاه ولا يقنط ولا ييأس، بل يكون عنده من سعة البال وطيب العيش وحسن الظن بالله ﷻ والتحمل للشدائد، ما يعينه على المُضي في سبيل الله بطلب الرزق الحلال، وبتحمل المشاق التي قد تنزل به، التي قد تنوبه.

وهكذا صبر الأنبياء وأتباعهم، كما قال عليه الصلاة والسلام: **«أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ»**[(٢)] ومن طريقهم ومن سُنَنهم الصبر؛ ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: **«عَجَباً لأَمْرِ المُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْراً له»**[(٣)] فالمؤمن عند البلاء صبور، وعند الرخاء والنعم شكور، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ

(١) سبق تخريجه رقم (١٠٠).

(٢) أخرجه الترمذي من حديث سعد ﷺ في كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الصبر على البلاء برقم (٢٣٩٨)، وابن ماجه في كتاب الفتن، باب العقوبات برقم (٤٠٢٣).

(٣) سبق تخريجه برقم (٢٧).

شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: ٥] فمن نعم الله العظيمة الصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء، وتحمل المشاق.

وهكذا يقول ﷺ: «**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ وَرُزِقَ كَفَافاً وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ**».

في اللفظ الآخر «**طُوبَى لِمَنْ هُدِيَ إِلَى الإِسْلَامِ وَكَانَ عَيْشُهُ كَفَافاً وَقَنِعَ**».

هذا فيه نعم عظيمة، كون الله يهديه للإسلام يوفقه للإسلام، ثم يكون عيشه كفافاً، ليس فيه مشقة ولا ضرورة، بل يكفيه رزق الكفاف، ثم منحه الله القناعة، رزقه الله القناعة بما آتاه الله وهو في غنى، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «**لَيْسَ الغِنَى عَنْ كَثْرَةِ العَرَضِ، وَلَكِنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ**»[1] من رزقه الله القناعة بما آتاه طيب النفس فهو غنى عظيم الغنى وإن قلَّ ماله، المصيبة العظيمة والفقر العظيم فقر القلب، وإن كانت عنده الأموال، افتقر القلب هذا هو الفقر العظيم، فإنه لا يشبع من الدنيا إذا افتقر قلبه لا يشبع لاهٍ فقط في لهوٍ من الدنيا والبخل والشح، أما إذا رزقه الله الغنى في قلبه والقناعة، والغنى فهو على خير.

وفَّق الله الجميع.

❊ ❊ ❊

٥١٤ ـ وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قَالَ: **كَانَ رسول الله ﷺ يَبيتُ اللَّيَالِيَ المُتَتَابِعَةَ طَاوِياً، وَأَهْلُهُ لَا يَجِدُونَ عَشَاءً، وَكَانَ أَكْثَرُ خُبْزِهِمْ خُبزَ الشَّعيرِ** رواه الترمذي[2] وقال: حديث حسن صحيح.

٥١٥ ـ وعن فُضَالَةَ بن عبيدٍ رضي الله عنه؛ **أَنَّ رسول الله ﷺ كَانَ إِذَا صَلَّى بِالنَّاسِ، يَخِرُّ رِجَالٌ مِنْ قَامَتِهِمْ فِي الصَّلاةِ مِنَ الخَصَاصَةِ ـ وَهُمْ أَصْحَابُ الصُّفَّةِ ـ حَتَّى يَقُولَ الأَعْرَابُ: هؤُلاء مَجَانِينٌ، فَإِذَا صَلَّى رَسُول الله ﷺ**

---

(١) سيأتي تخريجه في الحديث رقم (٥٢٢).

(٢) أخرجه في كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في معيشة النبي ﷺ وأهله برقم (٢٣٦٠).

انْصَرَفَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا لَكُمْ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى، لأَحْبَبْتُمْ أَنْ تَزْدَادُوا فَاقَةً وَحَاجَةً» رواه الترمذي[1] وقال: حديث صحيح.

□ (الخَصَاصَةُ): الفَاقَةُ وَالجُوعُ الشَّدِيدُ.

٥١٦ ـ وعن أبي كريمة المقدام بن معد يكرِبَ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ، يقول: «مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاء شَرّاً مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فإنْ كانَ لا مَحالةَ فثُلُثٌ لِطَعَامِهِ، وَثُلُثٌ لِشَرابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفَسه» رواه الترمذي[2] وقال: حديث حسن.

□ (أُكُلَاتٌ)؛ أيْ: لُقَمٌ.

الشَّرح

هذه الأحاديث الثلاثة كلها تتعلق بفضيلة الصبر على ما قد يقع من الفقر والحاجة وخشونة العيش، وأن من صبر على ذلك واحتسب له عند الله أجرٌ عظيم وفضل كبير، وهكذا بقية المصائب التي تُصيب الإنسان، إذا صبر عليها واحتسب حتى يجعل الله له فرجاً ومخرجاً، فله في ذلك الفضل العظيم، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠] وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥] فالصبر له شأن عظيم على الطاعات والشدائد والأمراض والفقر والحاجة، وغير هذا مما يُبتلى به الإنسان يصبر على ما أصابه، يبتعد عن الجزع وعن كل عمل أو قول لا يُرضي الله عز وجل، فله العاقبة الحميدة والعقبى الحسنة بسبب صبره على طاعة الله وصبره على الشدائد، وكفه عما حرَّم الله عز وجل، ومن ذلك ما فعل النبي ﷺ وأصحابه لما هاجروا إلى المدينة أصابهم

(١) أخرجه في كتاب الزهد، باب ما جاء في معيشة أصحاب النبي ﷺ برقم (٢٣٦٨).

(٢) أخرجه في كتاب الزهد، باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل برقم (٢٣٨٠)، وابن ماجه في كتاب الأطعمة، باب الاقتصاد في الأكل وكراهة الشبع برقم (٣٣٤٩).

شدة وحاجة شديدة لقلة المال؛ لأنهم تركوا أموالهم وأوطانهم وهاجروا إلى الله ورسوله يبتغون رضا الله، وصار الأنصار ﷺ يساعدونهم بما يسر الله من التمور والطعام حسب طاقتهم، ولكن ذلك لا يكفي المهاجرين لكثرتهم وحاجتهم، يقول ابن عباس: ربما طوى النبي ﷺ الليالي ليس عنده ما يأكل لا من التمر ولا من غير التمر، تقدم في الحديث الصحيح في خروجه ﷺ من بيته ولقائه بالصديق وعمر وسؤاله لهما عن خروجهما فقالا: أخرجنا الجوع فقال: **«وأنا كذلك أخرجني الجوع الذي أخرجكم»** ثم ذهبوا إلى بعض الأنصار فزاروه وقدم لهم العذق من التمر والبسر والرطب وذبح لهم إحدى الدواجن التي عنده فأكلوا وشربوا، وأكلوا مما قدم لهم من اللحم، فقال لهم النبي ﷺ لما فرغوا: **«خرجتم من بيوتكم أخرجكم الجوع، ثم جئتم إلى النعيم لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة»**[1].

المقصود أن الأخيار من الأنبياء والرسل وأتباعهم تصيبهم الشدائد، تصيبهم الحاجة والفقر فيصبرون، هكذا ينبغي لكل مؤمن ولكل مؤمنة الصبر على ما يبتلى به من الشدائد والفقر والحاجة، ولكن لا يمنعه ذلك من تعاطي الأسباب، الفقير يطلب الأسباب في طلب الرزق، فالصحابة ﷺ فعلوا الأسباب، اتجروا وطلبوا الرزق حتى يسَّر الله لهم ما يعينهم، ثم فتح الله لهم الفتوح فصاروا بعد ذلك قادة الناس وأئمة الناس في الخير، وسَّع الله عليهم في الأموال فأحسنوا وتصدقوا وأعتقوا، فالفقير عليه تعاطي الأسباب؛ أي: كسب حلال تجارة صناعة عمل يعمله، من يحتاج للعمل يطلب الرزق، النبي عليه الصلاة والسلام يقول: **«احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللهِ»** ولما سئل النبي عليه الصلاة والسلام: أَيُّ الكَسْبِ أَطْيَبُ؟ قَالَ: **«عَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٍ»**[2]

---

(١) سبق تخريجه برقم (٤٩٧).

(٢) أخرجه الإمام أحمد من حديث رافع بن خديج (٤/ ١٤١).

في الحديث الصحيح يقول ﷺ: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَاماً قَطُّ خَيْراً مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ»[١] عليه الصلاة والسلام، فالصبر مطلوب، وطلب الرزق مطلوب، كلاهما هذا وهذا، يصبر ولا يقدم إلى ما حرم الله، ومع ذلك يطلب الرزق ويعمل ويجتهد في طلب الحلال والاستغناء عما في أيدي الناس.

وهكذا **الحديث الثاني**: حديث أخبر به فضالة عن أهل الصفة يقول: حينما كانوا في الصلاة وسقط بعضهم من الجوع، حتى يظنهم بعض الناس من الأعراب أنهم مجانين؛ لما يصيبهم من الغشي، بسبب ما أصابهم من الحاجة الشديدة والجوع الشديد، تقدم ما ذكر أبو هريرة أنه خرَّ ما بين المنبر وبين بيت عائشة من شدة الجوع، أصابهم شدة عظيمة ولكنهم صبروا وأفلحوا فكانت لهم العاقبة الحميدة، فالفقراء والمحاويج وأهل المصائب لهم أسوة في هؤلاء الأخيار، وهم قدوة لهم في الصبر والاحتساب مع طلب الرزق، والأخذ بالأسباب التي شرعها الله، حتى يُسد حاجته وحتى يستغني عن سؤال الناس.

الحديث الثالث: حديث المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه يقول النبي ﷺ: «**مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاء شَرّاً مِنْ بَطْنٍ**» يعني: إذا ملئ فهو على خطر بالتخمة والأمراض، فينبغي له التوقي وأن يأكل بالاقتصاد ويشرب بالاقتصاد، حتى لا يصاب بمصائب من أكثروا واتخموا بسبب كثرة الأكل وعدم الاقتصاد في الأكل، وعدم التحري في الكفاية، «**مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرّاً مِنْ بَطْنٍ بِحَسْبِ ابنِ آدَمَ لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ**» في اللفظ الآخر «**أُكُلَاتٌ**» يعني: لقم «**يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فإِنْ كانَ لا مَحالةَ فثُلُثٌ لِطَعَامِهِ، وَثُلُثٌ لِشَرابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفَسه**» فإذا كان لا بد فليتحرَّ يأكل الثلث ويشرب

(١) سيأتي تخريجه رقم (٥٤٣).

الثلث ويدع الثلث للتنفس والراحة، هذا هو أصل ما يكون في الاقتصاد، ولا بأس بالشبع ولا بأس بالري، ولكن إذا تحرى الاقتصاد في أكله وشربه حتى يبقى له نفس وراحة هذا أولى وأفضل.

وفَّق الله الجميع .

***

٥١٧ ـ وعن أبي أُمَامَة إياسِ بن ثعلبةَ الأَنْصَارِيِّ الحارثي رضي الله عنه، قَالَ: ذَكَرَ أَصْحَابُ رسول الله ﷺ يوماً عِنْدَهُ الدُّنْيَا، فَقَالَ رسول الله ﷺ: «أَلَا تَسْمَعُونَ؟ أَلَا تَسْمَعُونَ؟ إنَّ البَذَاذَةَ مِنَ الإيمَانِ، إنَّ البَذَاذَةَ مِنَ الإيمَانِ» يَعْنِي: التَّقَحُّلَ. رواهُ أبو داود[1].

▫ (البَذَاذَةُ): ـ بالباءِ الموحدةِ والذالين المعجمتين ـ وَهِيَ رَثَاثَةُ الهَيْئَةِ وَتَرْكُ فَاخِرِ اللِّبَاسِ، وَأَمَّا (التَّقَحُّلُ): فبالقافِ والحاء: قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ: المُتَقَحِّلُ هُوَ الرَّجُلُ اليَابِسُ الجِلْدِ مِنْ خُشُونَةِ العَيْشِ وَتَرْكِ التَّرَفُّهِ.

٥١٨ ـ وعن أبي عبد الله جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قَالَ: بَعَثَنَا رسول الله ﷺ، وَأَمَّرَ عَلَيْنَا أَبَا عُبَيْدَةَ رضي الله عنه، نَتَلَقَّى عِيراً لِقُرَيْشٍ، وَزَوَّدَنا جِرَاباً مِنْ تَمْرٍ لَمْ يَجِدْ لَنَا غَيْرَهُ، فَكَانَ أَبو عُبيدَةَ يُعْطِينا تَمْرَةً تَمْرَةً، فَقيلَ: كَيْفَ كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ بِهَا؟ قَالَ: نَمَصُّهَا كَمَا يَمَصُّ الصَّبي، ثُمَّ نَشْرَبُ عَلَيْهَا مِنَ المَاءِ، فَتَكْفِينَا يَوْمَنَا إلَى اللَّيْلِ، وَكُنَّا نَضرِبُ بِعِصيِّنَا الخَبَطَ، ثُمَّ نَبُلُّهُ بالماءِ فَنَأْكُلُهُ، قَالَ: وَانْطَلَقْنَا عَلَى سَاحِلِ البَحْرِ، فَرُفِعَ لَنَا عَلَى سَاحِلِ البَحْرِ كَهَيْئَةِ الكَثِيبِ الضَّخْمِ، فَأَتَيْنَاهُ، فَإذَا هِيَ دَابَّةٌ تُدْعَى العَنْبَرَ، فَقَالَ أَبو عُبَيْدَةَ: مَيْتَةٌ، ثُمَّ قَالَ: لا، بَلْ نَحْنُ رُسُلُ رَسُول الله ﷺ، وفي سبيل الله وَقَدِ اضْطُرِرْتُمْ فَكُلُوا، فَأَقَمْنَا عَلَيْهِ شَهْراً، وَنَحْنُ ثَلَاثُمِئَةٍ حَتَّى سَمِنَّا، وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا نَغْتَرِفُ مِن وَقْبِ عَيْنِهِ بِالقِلَالِ الدُّهْنَ وَنَقْطَعُ مِنْهُ الفِدَرَ كالثَّوْرِ أَوْ

---

(١) أخرجه في كتاب الترجل، باب منه برقم (٤١٦١)، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب من لا يؤبه به برقم (٤١١٨).

كَقَدْرِ الثَّوْرِ، وَلَقَدْ أَخَذَ مِنَّا أَبو عُبَيْدَةَ ثَلاثَةَ عَشَرَ رَجُلاً فَأَقْعَدَهُمْ في وَقْبِ عَيْنِهِ وَأَخَذَ ضِلْعاً مِنْ أَضْلَاعِهِ فَأَقَامَهَا، ثُمَّ رَحَلَ أَعْظَمَ بَعِيرٍ مَعَنَا فَمَرَّ مِنْ تَحْتِهَا وَتَزَوَّدْنَا مِنْ لَحْمِهِ وَشَائِقَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا المَدِينَةَ أَتَيْنَا رسول الله ﷺ فَذَكَرْنَا ذَلِك لَهُ، فَقَالَ: هُوَ رِزْقٌ أَخْرَجَهُ اللهُ لَكُمْ، فَهَلْ مَعَكُمْ مِنْ لَحْمِهِ شَيْءٌ فَتُطْعِمُونَا؟» فَأَرْسَلْنَا إِلَى رسول الله ﷺ مِنْهُ فَأَكَلَهُ. رواه مسلم[1].

▫ (الجِرَابُ): وِعَاءٌ مِنْ جِلْدٍ مَعْرُوفٌ، وَهُوَ بِكَسرِ الجيم وفتحها والكسر أَفْصَحُ. قَوْلُهُ: (نَمَصُّهَا): بفتح الميم، وَ(الخَبَطُ): وَرَقُ شَجَرٍ مَعْرُوفٍ تَأْكُلُهُ الإِبِلُ. وَ(الكَثِيبُ): التَّلُّ مِنَ الرَّمْلِ، وَ(الوَقْبُ): بفتح الواو وَإسكان القافِ وبعدها بَاءٌ موحدةٌ وَهُوَ نُقْرَةُ العَيْنِ. وَ(القِلَالُ): الجِرار. وَالفِدَرُ بكسرِ الفاءِ وفتح الدال. و(القِطَعُ): رَحَلَ البَعِيرَ بتخفيف الحاءِ؛ أَيْ: جَعَلَ عَلَيْهِ الرَّحْل. (الوَشَائِقُ): بالشينِ المعجمةِ والقاف: اللَّحْمُ الَّذِي اقْتُطِعَ لِيُقَدَّدَ مِنْهُ، والله أعلم.

٥١٩ ـ وعن أسماء بنتِ يزيد رضي الله عنها، قالت: كَانَ كُمُّ قَمِيصِ رسول الله ﷺ إِلَى الرُّصْغِ. رواه أبو داود والترمذي[2] وقال: حديث حسن.

▫ (الرُّصْغُ): بالصاد وَالرُّسْغُ بالسينِ أيضاً: هُوَ المَفْصِلُ بَيْنَ الكفِّ والسَّاعِدِ.

الشَّرح

فهذه الأحاديث الثلاثة كالتي قبلها في الحث على الاقتصاد والصبر على خشونة العيش، والصبر على ما قد يعترض العبد من الجوع والحاجة، ولا سيما في سبيل الله في جهاد أعداء الله، وأن الرسول عليه الصلاة والسلام كان كذلك يصبر على الشدة، وهكذا أصحابه رضي الله عنهم من المهاجرين والأنصار، صبروا كثيراً وأفلحوا وصاروا بعد ذلك رؤوس الناس وقادة الناس، وفتح الله عليهم الفتوح وأمدهم بالخير والرزق

---

(١) أخرجه في كتاب الصيد والذبائح، باب إباحة ميتات البحر برقم (١٩٣٥).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب اللباس، باب ما جاء في القميص برقم (٤٠٢٧)، والترمذي في كتاب اللباس، باب ما جاء في القُمُصِ برقم (١٧٦٥).

الواسع، بسبب صبرهم وتقواهم لله ﷻ، وقيامهم بأمره ﷻ، الواجب على أهل الإيمان التصبر والتحمل، والعزوف عن الشهوات التي تشغلهم عن الآخرة، أو تصدهم عن الإعداد لأعداء الله مع الأخذ بالأسباب، الله أمر بالأخذ بالأسباب والعناية بالأسباب وطلب الرزق، كما قال عليه الصلاة والسلام: «**احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجِزْ**» قال ﷻ: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠].

فالعبد مأمور بطلب الرزق وكسب الحلال، ولكن مع هذا يتحمل يصبر عند الشدائد حتى يفرج الله، كما قال ﷻ: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥، ٦] وقال جلَّ وعلا: ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧] ولكنه مع هذا لا يترك الأسباب ولا يرتاح للتساهل والكسل والسؤال للناس، بل يجب أن يكون عنده نشاط والهمة العالية في طلب الرزق والكسب الحلال، حتى يستغني عن الحاجة إلى الناس، وحتى ينفق ويجود على عباد الله ويحسن إلى من يستحق الإحسان، كما قال ﷻ في قصة قارون وأصحابه: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧] هكذا ينبغي للمؤمن.

وفي حديث **أبي أُمامة** إياس بن ثعلبة الحارثي ﷺ؛ أنهم كانوا يغزون مع النبي ﷺ، وأنَّهم كانوا في غاية الشدة وصبروا رضي الله عنهم وأرضاهم، حتى نجحهم الله ويسر أمرهم ولم يضرهم ذلك، كانوا يرعون الخبط ويأكلون من أوراق الشجر ولا يضرهم ذلك فصبروا وأفلحوا رضي الله عنهم وأرضاهم.

وهكذا **حديث جابر** في قصة غزوهم الساحل لتلقي عير قريش، زودهم النبي ﷺ بجراب من تمرٍ، وكان أميرهم أبو عبيدة بن الجراح

يعطيهم تمرة تمرة في كل يوم، قال: قال جابر: كنا نمصها ثم نشرب عليها الماء فتكفيهم يومهم ذلك، ويضربون الشجر حتى يأكلوا من ورق الشجر مما يأكله الدواب، ويضعون كما تضع الدواب، كما تقدم في حديث سعد بن أبي وقاص ﵁، ثم إن الله جلَّ وعلا رزقهم في ساحل البحر دابة، سمكة عظيمة يقال لها: العنبر ووجدوها على الساحل كالكثيب العظيم، فقال لهم أميرهم أبو عبيدة: ميتة، ثم قال: نحن رسل رسول الله وقد اضطررنا فأكلوا منها، وغاب على أبي عبيدة ﵁ أن ميتة البحر حل، وأن سمك البحر حلٌ للمسلمين حياً وميتاً؛ ولهذا لما أخبروا به النبي ﷺ قال: «**هل معكم منه شيء**» فأعطوه منه بعض الشيء لما رجعوا، وأكل منه وليس في ضرورة عليه الصلاة والسلام، لكي يبين لهم أن هذا حل، وأن السمك حلٌ حياً وميتاً، الله جعل طعام البحر حلاً للمسلمين حياً وميتاً، هو الطهور ماؤه الحل ميتته، فأكلوا من هذه السمكة العظيمة وتزودوا منها إلى المدينة، وكانت سمكة كبيرة يقطعون منها قطعاً كبيرة، فأقعد أبو عبيدة في نقب عينه ثلاثة عشرة رجلاً؛ لسعة عينه، ونصب ضلعاً من أضلاعه مرَّ تحته البعير من طول ضلعه وارتفاعه، فهذا يدل على عظم هذه السمكة وكانوا ثلاثمائة يأكلون من هذه الدابة شهراً كاملاً، هذا يدل على أنها عظيمة؛ يعني: ثلاثمائة لهم شأن ومع ذلك تزودوا بوشائق منها إلى المدينة رضي الله عنهم وأرضاهم.

حديث أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية ﵄ [٥١٩] كان يقال لها: خاطبة النساء تُخبر ﵄؛ أن كُمُّ النبي ﷺ كان إلى الرسغ؛ يعني: كان متواضعاً ما طول الأكمام كان متواضعاً، كما تقدم في حديث أبي أُمامة «**إِنَّ البَذَاذَةَ مِنَ الإِيمَانِ إِنَّ البَذَاذَةَ مِنَ الإِيمَانِ**» بالتواضع التقحل؛ يعني: التواضع، البذاذة فيها التواضع، المؤمن يتواضع يلبس بعض الأحيان ملابس غير فاخرة، ليقمع النفس وليكسر النفس وليتواضع لله ﷻ، لكن لا يكون عادة له، بل يكون بعض الأحيان؛ لأن الله يحب سبحانه

أن يرى أثر النعمة على العبد، وألّا يتشبه بالفقراء، وقد أغناه الله، فإذا أغناه الله فليظهر أثر نعمة الله في ملبسه ومأكله وغير ذلك، لكن إذا فعل بعض الشيء في بعض الأحيان، النزول عن الملابس الجميلة ونحو ذلك من باب التواضع، هذا لا بأس به، كما جاء في هذا الحديث، وكما قال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ دَرَجَةً رَفَعَهُ اللهُ»[(١)].

النفس تحتاج إلى كسر وإلى تأديب وإلى جهاد، حتى لا يتكبر حتى لا تتعارض، فإذا تعاطى بعض المسائل التي فيها تواضع وانكسار وجلوس مع الفقراء والتحدث مع الفقراء، ودعوة لهم ونحو ذلك، كان هذا من أسباب توفيق الله له، ومن أسباب ذُل نفسه وانكسارها وعدم تكبرها.

وفَّق الله الجميع.

❊ ❊ ❊

٥٢٠ - وعن جابر رضي الله عنه، قَالَ: إنَّا كُنَّا يَوْمَ الخَنْدَقِ نَحْفِرُ، فَعَرَضَتْ كُدْيَةٌ شَدِيدَةٌ، فَجَاؤُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالُوا: هذِهِ كُدْيَةٌ عَرَضَتْ في الخَنْدَقِ، فَقَالَ: «أنَا نَازِلٌ» ثُمَّ قَامَ، وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ بِحَجَرٍ، وَلَبِثْنَا ثَلاَثَة أيّام لَا نَذُوقُ ذَوَاقاً فَأخَذَ النَّبِيُّ ﷺ المِعْوَلَ، فَضَرَبَ فَعَادَ كَثِيباً أهْيَلَ أَو أهْيَمَ، فقلت: يَا رَسُول الله، ائْذَنْ لي إِلَى البَيْتِ، فقلتُ لامْرَأتي: رَأيْتُ بالنَّبيِّ ﷺ شَيئاً مَا في ذَلِكَ صَبْرٌ فَعِنْدَكِ شَيْءٌ؟ فقالت: عِنْدي شَعِيرٌ وَعَنَاقٌ، فَذَبَحْتُ العَنَاقَ وَطَحَنْتُ الشَّعِيرَ حَتَّى جَعَلْنَا اللَّحْمَ في البُرْمَةِ، ثُمَّ جِئْتُ النبي ﷺ، وَالعَجِينُ قَدِ انْكَسَرَ، وَالبُرْمَةُ بَيْنَ الأَثَافِيِّ قَدْ كَادَتْ تَنْضِجُ، فقلتُ: طُعَيْمٌ لي، فَقُمْ أنْتَ يَا رسول اللهِ وَرَجُلٌ أَوْ رَجُلانِ، قَالَ: كَمْ هُوَ؟ فَذَكَرْتُ لَهُ، فَقَالَ: «كثيرٌ طَيِّبٌ، قُل لَهَا: لَا تَنْزَع البُرْمَةَ، وَلَا الخبْزَ مِنَ التَّنُورِ حتى آتِي» فَقَالَ: «قُومُوا» فقام المُهَاجِرُونَ وَالأنْصَارُ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهَا، فقلتُ:

---

(١) أخرجه الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه (٣/ ٧٦) برقم (١١٧٤٢).

وَيْحَكِ قَدْ جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ وَالمُهَاجِرُونَ وَالأنْصَارُ ومن مَعَهُمْ! قالت: هَلْ سَأَلَكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «ادْخُلُوا وَلَا تَضَاغَطُوا» فَجَعَلَ يَكْسرُ الخُبْزَ، وَيَجْعَلُ عَلَيْهِ اللَّحْمَ، وَيُخَمِّرُ البُرْمَةَ وَالتَّنُّور إِذَا أَخَذَ مِنْهُ، وَيُقَرِّبُ إِلَى أَصْحَابِهِ ثُمَّ يَنْزِعُ، فَلَمْ يَزَلْ يكْسِرُ وَيَغْرِفُ حَتَّى شَبِعُوا، وَبَقِيَ مِنْهُ، فَقَالَ: «كُلِي هَذَا وَأهدي، فَإِنَّ النَّاسَ أَصَابَتْهُمْ مَجَاعَةٌ» متفقٌ عَلَيهِ[1].

وفي رواية: قَالَ جابر: لَمَّا حُفِرَ الخَنْدَقُ رَأَيْتُ بالنبيِّ ﷺ خَمَصاً، فَانْكَفَأْتُ إِلَى امْرَأتِي، فقلت: هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟ فَإِنّي رَأَيْتُ برسول الله ﷺ خَمَصاً شَديداً، فَأَخْرَجَتْ إِلَيَّ جِرَاباً فِيه صَاعٌ مِنْ شَعِيرٍ، وَلَنَا بَهِيمَةٌ دَاجِنٌ فَذَبَحْتُهَا، وَطَحَنتِ الشَّعِيرَ، فَفَرَغَتْ إِلَى فَرَاغي، وَقَطَعْتُهَا في بُرْمَتها، ثُمَّ وَلَّيْتُ إِلَى رسول الله ﷺ، فقالت: لَا تَفْضَحْنِي برسول الله ﷺ وَمَنْ مَعَهُ، فَجئتهُ فَسَارَرْتُهُ، فَقُلْتُ: يَا رسول الله، ذَبَحْنَا بهيمَة لَنَا، وَطَحَنْتُ صَاعاً مِنْ شَعِيرٍ، فَتَعَالَ أنْتَ وَنَفَرٌ مَعَك، فَصَاحَ رسول الله ﷺ، فَقَالَ: «يَا أهلَ الخَنْدَقِ: إنَّ جَابِراً قَدْ صَنَعَ سُؤْراً فَحَيَّهلا بِكُمْ» فَقَالَ النبي ﷺ: «لَا تُنْزِلُنَّ بُرْمَتَكُمْ وَلَا تَخبزنَّ عَجِينَكُمْ حَتَّى أجِيءَ» فَجِئْتُ، وَجَاءَ النبي ﷺ يَقْدُمُ النَّاسَ، حَتَّى جِئْتُ امْرَأتِي، فقالَتْ: بِكَ وَبِكَ! فقُلْتُ: قَدْ فَعَلْتُ الَّذِي قُلْتِ. فَأَخْرَجَتْ عَجِيناً، فَبصَقَ فِيهِ وَبَارك، ثُمَّ عَمَدَ إِلَى بُرْمَتِنا فبصَقَ وَبَارَك، ثُمَّ قَالَ: «ادْعِي خَابزَةً فَلْتَخبِزْ مَعكِ، وَاقْدَحِي مِنْ بُرْمَتِكُمْ، وَلَا تُنْزِلُوها» وَهُم أَلْفٌ، فَأُقْسِمُ بِالله لأَكَلُوا حَتَّى تَرَكُوهُ وَانْحَرَفُوا، وَإنَّ بُرْمَتَنَا لَتَغِطّ كَمَا هِيَ، وَإنَّ عَجِينَنَا لَيُخْبَزُ كَمَا هُوَ.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب من تكلم بالفارسية والرَّطانة برقم (٣٠٧٠)، ومسلم في كتاب الأشربة، باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك وبتحققه تحققاً تاماً واستحباب الاجتماع على الطعام برقم (٢٠٣٩).

▫ قَوْله: (عَرَضَتْ كُدْيَةٌ) بضم الكاف وإسكان الدال وبالياء المثناة تَحْتَ، وَهِيَ قِطْعَةٌ غَلِيظَةٌ صُلْبَةٌ مِنَ الأرضِ لَا يَعْمَلُ فِيهَا الفَأسُ، وَ(الكَثِيبُ): أصْلُهُ تَلُّ الرَّمْلِ، وَالمُرَادُ هُنا: صَارَتْ تُراباً نَاعِماً، وَهُوَ مَعْنَى أهْيَلَ. وَ(الأثَافِيُّ): الأحجَارُ الَّتي يكُونُ عَلَيْهَا القِدْرُ، وَ(تَضَاغَطُوا): تَزَاحَمُوا. وَ(المَجَاعَةُ): الجُوعُ، وَهُوَ بفتح الميم. وَ(الخَمَصُ): بفتح الخاء المعجمة والميم: الجُوعُ، وَ(انْكَفَأْتُ): انْقَلَبْتُ وَرَجَعْتُ. و(البُهَيْمَةُ): بضم الباء، تصغير بَهْمَة وَهيَ، العَنَاقُ، بفتح العين. وَ(الدَّاجِنُ): هِيَ الَّتي ألِفَتِ البَيْتَ: وَ(السُّؤْرُ): الطَّعَامُ الَّذِي يُدْعَى النَّاسُ إِلَيْهِ؛ وَهُوَ بالفَارِسيَّة. وَ(حَيَّهَلا) أيْ: تَعَالُوا. وَقَوْلُهَا (بك وَبكَ) أيْ: خَاصَمَتْهُ وَسَبَّتْهُ؛ لأنَّهَا اعْتَقَدَتْ أنَّ الَّذِي عِنْدَهَا لَا يَكْفِيهِمْ، فَاسْتَحْيَتْ وَخَفِيَ عَلَيْهَا مَا أكْرَمَ الله ﷻ بِهِ نَبِيَّهُ ﷺ مِنْ هذِهِ المُعْجِزَةِ الظَّاهِرَةِ وَالآية البَاهِرَةِ. (بَسَقَ) أيْ: بَصَقَ؛ وَيُقَالُ أيْضاً: بَزَقَ، ثَلاث لُغاتٍ. وَ(عَمَدَ) بفتح الميم؛ أيْ: قَصَدَ. وَ(اقْدَحي)؛ أيْ: اغْرِفِي وَ(المِقْدَحَةُ): المِغْرَفَةُ. وَ(تَغِطُّ) أيْ: لِغَلَيَانِهَا صَوْتٌ، والله أعلم.

الشَّرح

هذه الأحاديث كالتي قبلها في الحث على الاقتصاد والصبر على خشونة العيش، والصبر على ما قد يعترض العبد من الجوع والحاجة الشديدة والفقر العظيم، الصحابة صبروا كثيراً رضي الله عنهم مع نبيهم عليه الصلاة والسلام على هذه الشدة، ثم أفلحوا ونجحوا وفتح الله عليهم الفتوح ووسع الله عليهم، فصاروا قادة الناس في كل خير وملكوا الدنيا ودعوا الناس إلى الخير، فسادوهم في الدين والدنيا رضي الله عنهم وأرضاهم وصلى الله على نبيه عليه الصلاة والسلام.

في هذه القصة أنهم في الخندق حفروا حفرة حول المدينة، لما بلغ النبي ﷺ أن قريشاً تريد غزو المدينة سنة خمس من الهجرة، نظر في ذلك وأشار عليه سلمان الفارسي في خندق، واتفق مع المسلمين على حفر الخندق، وهو حفر عظيم يحيط بالمدينة حتى لا يدخلها العدو، وحتى يمنع الخيل أو الرَّجَّالة من العبور، فيكون ذلك عوناً للمسلمين على قتالهم، ففعلوا ذلك وحفروا وصبروا في ذلك وتعبوا

في هذا كثيراً، وفي يوم من الأيام صادف في الحفر كُدْيَةً؛ يعني: حصاةً كبيرة شديدة أتعبتهم في حفرها بالمعاول، فأخبروا النبي ﷺ بذلك فجاء إليها عليه الصلاة والسلام وبطنه معصوب بحجر من الجوع، والصحابة قد مضى عليهم أيام ما أكلوا شيئاً من الجوع، فأخذ المعول وضربه فصارت كثيباً، صار كالكثيب من الرمل، والله جلَّ وعلا يسر لهم زوالها وانهالت كالرمل بعدما كانت صلبة شديدة، وهذه من آيات الله ومعجزات نبيه عليه الصلاة والسلام، والله يقول للشيء: كن فيكون ﷻ، ومن رحمته وإحسانه ونصره لنبيه وأوليائه جعل هذه الكدية العظيمة الحجر العظيم كالرمل لما ضربها عليه الصلاة والسلام بالمعول فزالت تلك الشدة، وحفروا كما كانوا يحفرون، فجاءهم جابر لما رأى الشدة والحجر في بطن النبي ﷺ والمخمصة، ذهب جابر إلى أهله وسألهم: أعندهم شيء؟ لأنه رأى في النبي ﷺ والمسلمين حاجة، فقالوا: نعم عندنا شعير، صاع من شعير، وعندنا داجن عناق، فذبح العناق وأمر أن تطحن الشعير وتخبز، وذهب إلى النبي ﷺ فأخبره، فسأله النبي عما عندهم؟ فقال: صاع من شعير وعناق كانت لنا ذبحناها.

فصاح النبي ﷺ في أهل الخندق فقال: يا أهل الخندق إن عند جابر سُؤْراً؛ يعني: طعاماً وليمة، وكانوا ألفاً من الرجال يحفرون في الخندق، فتوجه جابرٌ وتوجه النبي معه يقدم الناس عليه الصلاة والسلام، فجاء إلى زوجته وأخبرها بما جرى، قالت: أخبرته؟ قال: نعم: في الرواية الأُخرى الله ورسوله أعلم ما دام عرف الحقيقة، فقال لهم: «**لَا تُنْزِلُنَّ بُرْمَتَكُمْ وَلَا تَخْبزنَّ عَجِينَكُمْ**» حتى آتي، فجاء عليه الصلاة والسلام ودعا في العجين فبصق فيه ودعا فيه بالبركة وبصق في البُرمة؛ يعني: القدر ودعا فيه بالبركة، فأنزل الله البركة فيهما جميعاً في اللحم والشعير، وهو صاع فخبزوا منه وجعل ﷺ يكسر من الخبز ويعطي الناس، ويأكلون ويضع عليه من اللحم ويأكلون حتى شبعوا الناس، وكانوا ألفاً وبقيت

البُرمة على حالها والعجين على حاله كأنه ما أُخذ منه شيء، هذه من آيات الله العظيمة ومن معجزات نبيه عليه الصلاة والسلام، ومن الدلائل العظيمة على قدرة الله جلَّ وعلا، وأنه سبحانه إذا قال للشيء كن فيكون ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

قد جرى للنبي ﷺ مثلُ هذا مرات كثيرة في مباركة الطعام، حتى صار ما صار من أكل الجماعة الكثيرة من الطعام اليسير ويزيد وينزل الله فيه البركة، وهكذا نبع الماء بين أصابعه عند شدة الحاجة، نبع الماء من بين أصابعه فجعل الناس يشربون ويأخذون في مزادهم وروايِاهم، كل ذلك من آيات الله العظيمة، ومن الدلائل على صدق رسوله محمد ﷺ وأنه عبد الله ورسوله، وأنه رسول الله حقاً إلى جميع الثقلين الجن والإنس، وأن ربنا سبحانه إذا قال للشيء كن فيكون، هو المبارك وعبيده المباركون، وما أنزل فيه البركة هو المبارك، كما جرى في هذه القصة وفي قصص كثيرة للنبي عليه الصلاة والسلام في يوم غزوة تبوك وفي غيرها، الله جلَّ وعلا بيده كل شيء.

في قصة الصديق لمَّا عزم أضيافاً صنع لهم طعاماً، كان كلما أكلوا وُضِعَ في الصحفة مثل ما أخذوا من اللقم حتى أكلوا وشبعوا وبقيت الصحفة على حالها، فجاء الصديق وأهله وأكلوا، ثم ذهب بها إلى النبي ﷺ وهي على حالها، هذا من آيات الله جلَّ وعلا، المقصود من هذا بيان أن الصحابة ونبيهم ﷺ أصابهم جهد وحاجة وشدة فصبروا، فينبغي للمؤمنين أن يصبروا أيضاً كما صبر المسلمون إذا أصابهم شدة، وألّا يجزعوا، وأن يستقيموا على الطريق، وأن يأخذوا بالأسباب النافعة، كما أخذ بها النبي والصحابة فيتجر المؤمن يعمل بالمال بالنجارة والحدادة والخرازة، عامل حصَّاد زرَّاع يعمل يقوم بالأسباب، هكذا ينبغي للمؤمن، كما قال النبي ﷺ: «**احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ**

وَلَا تَعْجِز» ويقول الله سبحانه: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الجمعة: ١٠].

ويقول الله سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ﴾ [الملك: ١٥] ويقول النبي ﷺ لما سُئل: أيُّ الكَسْبِ أَطْيَبُ؟ قَالَ: «عَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٍ» وقال عليه الصلاة والسلام: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَاماً قَطُّ خَيْراً مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ»[1] عليه الصلاة والسلام.

فالمقصود: أن المؤمن يعمل ويجتهد ويطلب الرزق ويجد ويصبر على الشدائد، إذا جاء الشدائد يصبر حتى يجعل الله له مخرجاً ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥، ٦] ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧] وقد صبر الأنبياء وهم أفضل الناس وصبر الصالحون فجاء الفرج وجاء التيسير بعد ذلك، والله يقول: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠] ويقول النبي ﷺ: «عَجَباً لأَمْرِ المُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ» فالمؤمن هكذا صبور عند البلاء شكور عند الرخاء.

وفَّق الله الجميع.

❋❋❋

٥٢١ ـ وعن أنسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ أَبو طَلْحَةَ لأُمِّ سُلَيم: قَدْ سَمِعْتُ صَوْتَ رسول الله ﷺ ضَعيفاً أعْرِفُ فِيهِ الجُوعَ، فَهَلْ عِنْدَكِ مِنْ شَيْءٍ؟ فَقَالَتْ: نَعَمْ، فَأخْرَجَتْ أقْرَاصاً مِنْ شَعِيرٍ، ثُمَّ أخَذَتْ خِمَاراً لَهَا، فَلَفَّتِ الخُبْزَ بِبَعْضِهِ، ثُمَّ دَسَّتْهُ تَحْتَ ثَوْبِي وَرَدَّتْنِي بِبَعْضِهِ، ثُمَّ أرْسَلَتْنِي إِلَى

---

(١) سيأتي تخريجه برقم (٥٤٣).

رسولِ الله ﷺ، فَذَهَبتُ بِهِ، فَوَجَدْتُ رسولَ الله ﷺ، جَالِساً في المَسْجِدِ، وَمَعَهُ النَّاسُ، فَقُمْتُ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ لي رسول الله ﷺ: «أرْسَلَكَ أبو طَلْحَةَ؟» فقلت: نَعَمْ، فَقَالَ: «أَلِطَعَامٍ؟» فقلت: نَعَمْ، فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: «قُومُوا» فَانْطَلَقُوا وَانْطَلَقْتُ بَيْنَ أيْدِيهِمْ حَتَّى جِئْتُ أَبَا طَلْحَةَ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ أَبو طَلْحَةَ: يَا أُمَّ سُلَيْم، قَدْ جَاءَ رسول الله ﷺ بالنَّاسِ وَلَيْسَ عِنْدَنَا مَا نُطْعِمُهُمْ؟ فَقَالَتْ: اللهُ وَرَسُولُهُ أعْلَمُ.

فَانْطَلَقَ أَبو طَلْحَةَ حَتَّى لَقِيَ رسولَ الله ﷺ، فَأَقْبَلَ رسول الله ﷺ مَعَهُ حَتَّى دَخَلَا، فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: «هَلُمِّي مَا عِنْدَكِ يَا أُمَّ سُلَيْم» فَأَتَتْ بِذلِكَ الخُبْزِ، فَأَمَرَ بِهِ رسول الله ﷺ فَفُتَّ، وَعَصَرَتْ عَلَيْهِ أمُّ سُلَيْمٍ عُكَّةً فَآدَمَتْهُ، ثُمَّ قَالَ فِيهِ رسول الله ﷺ: مَا شَاءَ اللهُ أنْ يَقُولَ، ثُمَّ قَالَ: «ائْذَنْ لِعَشْرَةٍ» فأذنَ لَهُمْ فَأكَلُوا حتى شَبِعُوا ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ قَالَ: «ائْذَنْ لِعَشْرَةٍ» فأذِنَ لهم حَتَّى أَكَلَ القَوْمُ كُلُّهُمْ وَشَبِعُوا وَالقَوْمُ سَبْعُونَ رَجُلاً أَو ثَمَانُونَ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

📖 وفي رواية: فَمَا زَالَ يَدْخُلُ عَشرَة، وَيخرجُ عشرةٌ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أحَدٌ إلَّا دَخَلَ، فَأكَلَ حَتَّى شَبعَ، ثُمَّ هَيَّأَهَا فَإِذَا هِيَ مِثْلُهَا حِيْنَ أكَلُوا مِنْهَا.

📖 وفي رواية: فَأَكَلُوا عَشرَةً عَشرةً، حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ بِثَمَانِينَ رَجُلاً، ثُمَّ أَكَلَ النبيُّ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ وَأَهْلُ البَيْتِ، وَتَرَكُوا سُؤْراً.

📖 وفي رواية: ثُمَّ أَفْضَلُوا مَا بَلَغُوا جيرانَهُمْ.

📖 وفي رواية عن أنس، قَالَ: جِئتُ رسولَ الله ﷺ يوماً، فَوَجَدْتُهُ جَالِساً مَعَ أصْحَابِه، وَقَدْ عَصَبَ بَطْنَهُ، بِعِصَابَةٍ، فقلتُ لِبَعْضِ أصْحَابِهِ: لِمَ عَصَبَ رسولُ الله ﷺ بَطْنَهُ؟ فقالوا: مِنَ الجوعِ، فَذَهَبْتُ إِلَى أَبي طَلْحَةَ،

(١) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام برقم (٣٥٧٨)، ومسلم في كتاب الأشربة، باب جواز استتباعة غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك وبتحققه تحققاً تاماً واستحباب الاجتماع على الطعام برقم (٢٠٤٠).

وَهُوَ زَوْجُ أُمِّ سُلَيْم بِنْت مِلْحَانَ، فقلتُ: يَا أبتَاهُ، قَدْ رَأيْتُ رسول الله ﷺ عَصَبَ بَطْنَهُ بِعِصَابَةٍ، فَسَأَلْتُ بَعْضَ أَصْحَابِهِ، فقالوا: من الجُوعِ. فَدَخَلَ أَبو طَلْحَةَ عَلَى أُمِّي، فَقَالَ: هَلْ مِنْ شَيءٍ؟ قالت: نَعَمْ، عِنْدِي كِسَرٌ مِنْ خُبْزٍ وَتَمَرَاتٌ، فَإنْ جَاءنَا رسول الله ﷺ وَحْدَهُ أشْبَعْنَاهُ، وَإنْ جَاءَ آخَرُ مَعَهُ قَلَّ عَنْهُمْ... وَذَكَرَ تَمَامَ الحَدِيثِ.

الشـَرح

. هذا الحديث كالأحاديث السابقة في الدلالة على صبر النبي ﷺ وصبر الصحابة على ما أصابهم من الشدة والجوع والحاجة لما هاجروا إلى المدينة وتركوا بلادهم مكة، كل ذلك في سبيل الله وإخلاص العبادة لله، وترك الشرك وأهله، فأصابهم شدائد وفقر وحاجة في المدينة، حتى فرج الله الأمور ويسرها وفتح الله عليهم الفتوح وصاروا بعد ذلك أئمة الناس وقادة الناس في كل خير.

ففيه الدلالة على أنه ينبغي للمؤمن الصبر على ما قد يقع من خشونة العيش، ومن الحاجة والفقر حتى يفرج الله، وألّا يحمله قلة المال أو شدة الحاجة على فعل ما حرم الله، بل يتصبر ويتحمل حتى يفرج الله الأمور، كما صبر الرسل عليهم الصلاة والسلام، وكما صبر أتباعهم بإحسان، كما قال الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥] قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧] وقال جلَّ وعلا: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠] فالمؤمن يتحمل خشونة العيش والحاجة، ومن التقلل من الدنيا حتى يفرج الله الأمور، وأيضاً لا يتابع الشهوات التي قد تصده عن الآخرة وتشغله عما أوجب الله عليه، أو توقعه فيما حرم الله عليه، بل يتحفظ ويتقي الله، ويجتهد في كسب الحلال ولقمة الحلال ولو قلَّ،

حتى يفرج الله الأمور، وهكذا فعل النبي ﷺ وأصحابه صبروا كثيراً حتى جعل الله لهم العاقبة الحميدة.

ومن ذلك ما تقدم في قصة جابر، لما رأى النبي ﷺ قد عصب على بطنه الحجر في حفر الخندق يحفر الخندق ضد الكفرة؛ لأن الكفار قد صمموا على غزو المدينة؛ فلهذا أمر النبي ﷺ في إيجاد الخندق حتى يحمي المدينة من خيلهم وشرهم، وأصابهم في حفر الخندق شدائد وحاجة وتعب كثير؛ ولكنه كان سبباً لخير عظيم وعاقبة حميدة، تقدم أن جابراً دعا النبي ﷺ والمسلمين إلى صاع من شعير وعناق ذبحوها، وهم ألف ما بين مهاجر وأنصاري يحفرون الخندق، فأنزل الله البركة في الصاع وفي الداجن التى هي العناق، فأكلوا وشبعوا وبقي من ذلك خير كثير وهو صاع من الشعير صنع خبزاً وأُدم من اللحم الذي من العناق، فيأكل جماعة جماعة حتى أكلوا كلهم وبقي فضلة لأهل البيت والجيران.

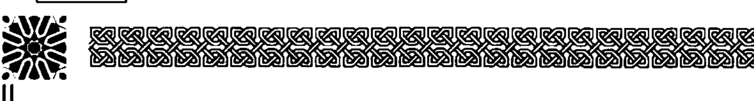
وفي هذا قصة أبي طلحة أيضاً، أبو طلحة زيد بن سهل الأنصاري رضي الله عنه، زوج أم أنس أم سليم، أنسُ أخبر أبا طلحة أن النبي ﷺ أصابه شدة قد ربط بطنه من الجوع، فلما علم أبو طلحة ذلك أتى أم سليم وأخبرها بذلك قالت: عندنا أقراص من شعير إذا جاء الرسول ﷺ لكفته وإن كان معه آخر قلَّت عنه، فذهب أنس إلى النبي ﷺ بتلك الأقراص، فبلَّغ النبي ﷺ، فقال للجماعة الذين معه: قوموا إلى أبي طلحة، وكانوا ثمانين، فأتى أبو طلحة وليس عندهم طعام يكفيهم، فقالت أم سليم: الله ورسوله أعلم ما دام أنه علم ما عندنا وجاء فهو أعلم بما سيصير، فجاء إليهم ودعا للخبز بالبركة، فبارك الله في الخبز وأدَموه بشيء مما عندهم، وجعل يُدخلهم عشرة عشرة، كلما دخل عشرة الغرفة أكلوا حتى يشبعوا ثم يذهبوا ويأتي عشرة أُخرى، حتى كملوا ثمانين فأكلوا من هذه الأقراص مع ما فيها من الإدام وشبعوا جميعاً وبقي فضلة، أكل منها النبي ﷺ بعد ذلك وأهل البيت وأهدوا لجيرانهم،

هذه كله من الآيات العظيمة ومن المعجزات، كون الطعام اليسير ينزل الله به البركة حتى يكفي الجم الغفير، وهم ثمانون بصاع من شعير ومن إدام يسير.

وتقدم في قصة الخندق أنهم ألف وأكلوا من عناق ومن صاع شعير حتى شبعوا وبقي من ذلك الخير الكثير، كل هذا من آيات الله الدالة على صدق رسوله ﷺ، وأنه رسول الله حقاً، وأنه لا ينطق عن الهوى، كما أنه تدل على قدرة الله ﷻ، وأنه سبحانه فعال لما يُريد، وأنه القادر على كل شيء، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢] إذا أراد البركة في شيء قال: كن فيكون ﷻ، وثبت عنه ﷺ أنه في عدة مرات لما اشتد عليهم الأمر وقلَّ عليهم الماء طلب ماءً يسيراً في قدح، فجعل يده في القدح وجعل ينبع الماء من بين أصابعه حتى شربوا وارتووا من هذا الماء الذي ينبع من بين أصابع النبي عليه الصلاة والسلام، آيات ومعجزات يريها الله عباده ليعلموا صدق رسوله ﷺ، وليعلموا أنه حق ودعاهم إليه حق، وفي ذلك بيان سعة قدرة الله وعظيم قدرة الله، وأنه سبحانه يقول للشيء: كن، فيكون، جلَّ وعلا، فينبغي للمؤمن أن يعتمد على الله، وأن يسأله من فضله وأن يقتصر على الحلال ويكتفي بالحلال، وأن يأخذ بأسباب الحلال، وأن يحذر أن تجره الحاجة أو التساهل في الوقوع فيما حرم الله، فالإنسان يتثبت ويتصبر ويتحمل ويأخذ بالأسباب النافعة حتى يفرج الله الأمور.

وفَّق الله الجميع.

❁ ❁ ❁



٥٧ ـ بَابُ القناعة والعفاف والاقتصاد في المعيشة والإنفاق وذم السؤال من غير ضرورة

قال الله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [هود: ٦] ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة: ٢٧٣]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧] وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦، ٥٧].

وأما الأحاديث، فتقدم معظمها في البابين السابقين، ومما لم يتقدم:

٥٢٢ ـ **عن** أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قَالَ: «لَيْسَ الغِنَى عَن كَثْرَةِ العَرَض، وَلكِنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ» متفقٌ عَلَيهِ[1].

□ «العَرَضُ»: بفتح العين والراءِ: هُوَ المَالُ.

٥٢٣ ـ **وعن** عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: «قَدْ أفْلَحَ مَنْ أسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافاً، وقَنَّعَهُ الله بِمَا آتَاهُ» رواه مسلم[2].

٥٢٤ ـ **وعن** حكيم بن حزام رضي الله عنه، قَالَ: سألتُ رسول الله ﷺ فَأعْطَانِي، ثُمَّ سَألْتُهُ فَأعْطَانِي، ثُمَّ سَألْتُهُ فَأعْطَانِي، ثُمَّ قَالَ: «يَا حَكِيم، إنَّ

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب الغنى غنى النفس برقم (٦٤٤٦)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب ليس الغنى عن كثرة العرض برقم (١٠٥١).

(٢) أخرجه في كتاب الزكاة، باب في الكفاف والقناعة برقم (١٠٥٤).

هَذَا المَالَ خَضِرٌ حُلْوٌ، فَمَنْ أخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفس بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أخَذَهُ بإشرافِ نَفسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، وَكَانَ كَالَّذِي يَأكُلُ وَلَا يَشْبَعُ، وَاليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى».

قَالَ حكيم: فقلتُ: يَا رسول الله، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ لَا أرْزَأُ أحَداً بَعْدَكَ شَيْئاً حَتَّى أُفَارِقَ الدُّنْيَا، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ يَدْعُو حَكِيماً لِيُعْطِيَه العَطَاء، فَيَأبَى أنْ يَقْبَلَ مِنْهُ شَيْئاً، ثُمَّ إنَّ عُمَرَ ﷺ دَعَاهُ لِيُعْطِيَه فَأَبَى أنْ يَقْبَلَهُ، فقالَ: يَا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ، أُشْهِدُكُمْ عَلَى حَكِيم أنّي أعْرِضُ عَلَيْهِ حَقَّهُ الَّذِي قَسَمَهُ اللهُ لَهُ في هَذَا الفَيء فَيَأبَى أنْ يَأخُذَهُ، فَلَمْ يَرْزَأْ حَكيمٌ أحَداً مِنَ النَّاسِ بَعْدَ النبي ﷺ حَتَّى تُوُفِّي. متفقٌ عَلَيهِ[1].

□ «يَرْزَأْ»: بِراءٍ ثُمَّ زاي ثُمَّ همزة؛ أيْ: لَمْ يَأخُذْ مِنْ أحَدٍ شَيْئاً، وَأصْلُ الرُّزْءِ: النُّقْصَان؛ أيْ: لَمْ يَنقُص أحَداً شَيْئاً بالأخذِ مِنْهُ، وَ«إشْرَاف النَّفْسِ»: تَطَلُّعُهَا وَطَمَعُهَا بالشَّيْء. وَ«سَخَاوَةُ النَّفْسِ»: هِيَ عَدَمُ الإشرَاف إلَى الشَيء، وَالطَّمع فِيهِ، وَالمُبَالَاةِ بِهِ وَالشَّرَهِ.

الشَّرح

هذه الآيات الكريمات، وهذه الأحاديث الثلاثة الصحيحة عن رسول الله عليه الصلاة والسلام فيها الدلالة على أنه ينبغي لأهل الإيمان التعفُّف قال جل وعلا: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ﴾ [البقرة: ٢٧٣] يعني: الفيء يعني مال بيت المال لهؤلاء، ولمن أشبههم ونصر الدين وأقام الدين ومن تبعهم بإحسان، فذكر من أن أهل بيت المال وممن يواسى: هؤلاء الفقراء المتعففون الذين يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف، فدل ذلك على فضل التعفف، ينبغي للمؤمن

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب قول النبي ﷺ: «هذا المَالُ خَضرَةٌ حُلْوَةٌ» برقم (٦٤٤١)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى، وأن اليد العليا هي المنفقة، وأن السفلى هي الآخذة برقم (١٠٣٥).

أن يتعفف عن سؤال الناس وعن كسب الحرام، وأن يجتهد في طلب الرزق الحلال، قال جلَّ وعلا: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧] قال ﷻ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩] وقال: ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ﴾ [العنكبوت: ١٧] ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦ ـ ٥٨] قال ﷻ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [هود: ٦] فالرزق عند الله، على المؤمن طلب الرزق من طريق الحلال، والحرص على الاستغناء عما في أيدي الناس وعن سؤالهم إلا من ضرورة.

ولهذا في الحديث الصحيح يقول ﷺ: «**إِنَّ المَسْأَلَةَ لَا تَحِلُّ إِلَّا لأَحَدِ ثَلَاثَةٍ: رَجُلٍ تَحَمَّلَ حَمَالَةً فَحَلَّتْ لَهُ المَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَهَا، ثُمَّ يُمْسِكُ**» حمل لإصلاح ذات البين، أو لحاجته وحاجة أولاده؛ لأن كسبه ضعيف أو ليس له كسب ولم يستطع كسباً.

الثاني: «**وَرَجُلٍ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَاحَتْ مَالَهُ فَحَلَّتْ لَهُ المَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَاماً مِنْ عَيْشٍ أَوْ قَالَ: سِدَاداً مِنْ عَيْشٍ**» يشهد له أولو النهى والعدالة، يشهدون بأنه أصابته فاقة، حلَّت له المسألة حتى يصيب قواماً من عيش، أو حتى يصيب سداداً من عيش، ما يسد حاجته، أو قال: سداداً من عيش. «**وَرَجُلٍ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ حَتَّى يَقُولَ ثَلَاثَةٌ مِنْ ذَوِي الحِجَا مِنْ قَوْمِهِ: لَقَدْ أَصَابَتْ فُلَاناً فَاقَةٌ فَحَلَّتْ لَهُ المَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَاماً مِنْ عَيْشٍ، أَوْ قَالَ: سِدَاداً مِنْ عَيْشٍ، فَمَا سِوَاهُنَّ مِنَ المَسْأَلَةِ يَا قَبِيصَةُ سحت يَأْكُلُهَا صَاحِبُهَا سُحْتاً**» رواه مسلم في الصحيح[1].

فينبغي للمؤمن: أن يجتهد في الاستغناء عما في أيدى الناس،

(١) سبق تخريجه برقم (٥٣٦).

ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «**لَيْسَ الغِنَى عَنْ كَثْرَةِ العَرَضِ، وَلَكِنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ**» العرض؛ يعني: المال، المال كله عرض، الدنيا كلها عرض، «**لَيْسَ الغِنَى عَنْ كَثْرَةِ العَرَضِ، وَلَكِنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ**» الغني في الحقيقة هو غني النفس، الذي قد صغرت عنده الدنيا ولم يتعلق بها قلبه، بل يتعلق قلبه بما يسر الله له، هذا هو الغني، ليس الغني من كثر ماله وافتقر قلبه، وإنما الغني هو الذي أغنى الله قلبه وأغنى نفسه حتى قنع باليسير، واستغنى عما في أيدي الناس.

الحديث الثاني: يقول ﷺ: «**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافاً، وَقَنَّعَهُ الله بِمَا آتَاهُ**» رواه مسلم، هذا يدل على أنه فد أفلح؛ يعني: فاز بالظفر والخير والسعادة، لكونه دخل في الإسلام، ورزقه الله الكفاف، لم يحتج إلى الناس، وقنعه الله بالرزق الذي آتاه، والكسب الذي آتاه ﷻ، فينبغي للمؤمن أن يكون قنوعاً، طالباً للرزق، حريصاً على الكسب الحلال، بعيداً عن الحاجة إلى الناس إلا عند الضرورة.

الحديث الثالث: حديث حكيم بن حزام القرشي المعروف، أنه كان سأل النبي ﷺ فأعطاه ثم سأله فأعطاه فسأله فأعطاه، ثم قال النبي ﷺ: «**يَا حَكِيم، إنَّ هَذَا المَالَ خَضِرٌ حُلْوٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفسٍ**» يعني: بطيب نفس، ورخاء قناعة «**بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بإشرافِ نَفسٍ**» يعني: شح وحرص «**لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، وَكَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ، وَاليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى**» في اللفظ الآخر «**نِعْمَ المَالُ الصَّالِحُ لِلْمَرْءِ الصَّالِحِ**»[1] الذي ينفقه هكذا، وهكذا، في وجوه الخير.

قال حكيم: لما سمع هذا الكلام يا رسول والذي بعثك بالحق لا أرزأُ أحداً بعدك شيئاً، يعني لا أسأل أحداً بعدك ولا آخد من أحدٍ شيئاً، يعني قد تأثر بهذه النصيحة وبهذه الكلمة رضي الله عنه فلم يسأل أحداً شيئاً من

(١) أخرجه الإمام أحمد من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه (٤/ ١٩٧) برقم (١٧٧٩٨).

الأمراء وغيرهم، ولم يقبل من الناس عطاءً واقتنع بما عنده من الرزق ﷺ حتى عرض له الصديق في خلافته وعمر في خلافته حظه من بيت المال فأبى وأوفى بقوله: والذي نفسي بيده لا أرزأ أحداً بعدك، وكان الصديق ﷺ قد رتب عطاءً من بيت المال للمهاجرين والأنصار، وهكذا عمر كل سنة يعطيهم ما يعينهم على حاجاتهم والإنفاق على حوائجهم وضيوفهم، فكان حكيم يمتنع من ذلك على ما عاهد عليه النبي ﷺ أنه لا يرزأ بعده، ففي هذا الحث على القناعة والاكتفاء بالرزق الحلال والحرص على عدم سؤال الناس إلا عند الضرورة، فلا بأس بقدر الحاجة، ومهما أمكن فهو يستغني ولا يسأل وهو المطلوب.

والله جعل في المال حقاً للسائل والمحروم؛ لكن إذا استغنى عن السؤال بأي طريق فهو خير له؛ ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «**وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ شَيْئاً هُوَ خَيْرٌ وَأَوْسَعُ مِنَ الصَّبْرِ**»(١) فالسؤال مزلة ولو كان من حق الله كبيت المال والزكاة، ولكن مهما أمكن من الاستغناء عن السؤال وطلب الرزق من طريق الحلال؛ كالبيع والشراء، والزراعة، والخياطة، والنجارة، بأي صنعة تغني عن الناس، هذا هو الذي خير له وأفضل له، كما قال عليه الصلاة والسلام: «**احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ وَلَا تَعْجِزْ**» وسُئل: أَيُّ الكَسْبِ أَطْيَبُ؟ قَالَ: «**عَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٍ**» الإنسان يحرص على أن يكسب وأن يستغني بالكسب الحلال من بيع وشراء، وصناعة أو أي عمل مباح يستغني به عن سؤال الناس.

وفَّق الله الجميع.

❀ ❀ ❀

---

(١) سبق تخريجه في باب الصبر برقم (٢٦).

٥٢٥ ـ **وعن** أَبي بردة، عن أَبي موسى الأشعري ﷺ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رسول الله ﷺ في غَزاةٍ وَنَحْنُ سِتَّةُ نَفرٍ بَيْنَنَا بَعِيرٌ نَعْتَقِبُهُ، فَنقِبَت أقدَامُنَا وَنَقِبَت قَدَمِي، وسَقَطت أظْفَاري، فَكُنَّا نَلُفُّ عَلَى أرْجُلِنا الخِرَقَ، فَسُمِّيَت غَزْوَةَ ذَاتِ الرِّقَاعِ لِمَا كُنَّا نَعْصِبُ عَلَى أرْجُلِنَا مِنَ الخِرَقِ، قَالَ أَبُو بُردَة: فَحَدَّثَ أَبُو مُوسَى بِهَذَا الحَدِيثِ، ثُمَّ كَرِه ذَلِكَ، وقال: مَا كُنْتُ أصْنَعُ بِأنْ أذْكُرَهُ! قَالَ: كأنَّهُ كَرِهَ أنْ يَكُونَ شَيْئاً مِنْ عَمَلِهِ أفْشَاهُ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

٥٢٦ ـ **وعن** عمرو بن تَغْلِبَ، بفتح التاء المثناة فوق وإسكان الغين المعجمة وكسر اللام ﷺ؛ أنَّ رسول الله ﷺ أُتِي بِمالٍ أَوْ سَبْيٍ فَقَسَّمَهُ، فَأعْطَى رِجَالاً، وَتَرَكَ رِجَالاً، فَبلَغَهُ أنَّ الَّذِينَ تَرَكَ عَتَبُوا، فَحَمِدَ اللهَ، ثُمَّ أثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «أمَّا بعْدُ، فواللهِ إنِّي لأُعْطِي الرَّجُلَ وَأدَعُ الرَّجُلَ، وَالَّذِي أدَعُ أحَبُّ إلَيَّ مِنَ الَّذِي أُعْطِي، وَلَكِنِّي إنَّمَا أُعْطِي أقْوَاماً لِمَا أرَى في قُلُوبِهِمْ مِنَ الجَزَعِ وَالهَلَعِ، وَأكِلُ أقْوَاماً إلَى مَا جَعَلَ اللهُ في قُلُوبِهم مِنَ الغِنَى وَالخَيْرِ، مِنْهُمْ عَمْرُو بنُ تَغْلِبَ» قَالَ عَمْرُو بنُ تَغْلِبَ: فَوَاللهِ مَا أُحِبُّ أنَّ لِي بِكَلِمَةِ رسول الله ﷺ حُمْرَ النَّعَم. رواه البخاري[2].

□ (الهَلَعُ): هُوَ أشَدُّ الجَزَعِ، وقيل: الضَّجَرُ.

٥٢٧ ـ **وعن** حكيم بن حزام ﷺ؛ أنَّ النَّبيَّ ﷺ، قَالَ: «اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب غزوة ذات الرقاع برقم (٤١٢٨)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب غزوة ذات الرقاع برقم (١٨١٦).

(٢) أخرجه في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ [المعارج: ١٩] برقم (٧٥٣٥).

غِنيً، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفُّهُ الله، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغنِهِ الله» متفقٌ عَلَيْهِ[(١)].

وهذا لفظ البخاري، ولفظ مسلم أخصر.

الشَّرح

هذه الأحاديث الثلاثة فيها الحث على الاقتصاد والقناعة والصبر على ما يصيب العبد من الشدة والحاجة والفقر، وأن هذا طريق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وطريق الأخيار الذين سبقونا إلى الخيرات وجاهدوا في سبيل الله، وصبروا على المشاق والتعب والفقر والحاجة حتى أحسن الله لهم العاقبة ويسر لهم الأمور، وجعلهم بعد ذلك قادة الناس وأئمة الناس في الخير والهدى والغنى والسعة.

من ذلك حديث **أبي موسى الأشعري** رضي الله عنه؛ أنهم غزوا مع النبي ﷺ غزوة ذات الرقاع، وأصابهم شدة حتى كان الستة والسبعة يعتقبون بعيراً واحداً من قلة الإبل، وكانت أرجلهم خالية من النعال والخفاف حتى أصابهم شدة بذلك، ونقبت أقدامهم ولفوا عليها الخرق وصبروا حتى فرج الله ويسر ﷻ، وسميت ذات الرقاع لما حصل لهم من الشدة والحاجة حتى لفوا على أرجلهم الخرق لعدم النعال والخفاف ولتوقي شر الأرض، هذا يدل على صبر الصحابة رضي الله عنهم وأنهم أصابتهم شدائد في المدينة وفي غزواتهم، ثم فرج الله الأمور وأحسن العاقبة ﷻ، فتح الله عليهم الفتوح وصاروا أئمة في كل خير، وملكوا الدنيا وأنفقوا وأحسنوا، رضي الله عنهم وأرضاهم، فينبغي للمؤمن التأسي بأولئك الأخيار والصبر على ما قد يبتلى به من الشدة حتى يفرج الله، مع الأخذ بالأسباب

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى برقم (١٤٢٧)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب بيان اليد العليا خير من اليد السفلى وأن اليد العليا هي المنفقة وأن السفلى هي الآخذة برقم (١٠٣٤).

والحرص على أسباب الخير وأسباب الرزق من الطرق الحلال.

في **الحديث الثاني**: أنه ﷺ أتاه مال من السبي من الغنائم فوزعه على بعض الناس وترك بعض الناس، فبلغ النبي أن الذين تركوا عتبوا عليه؛ يعني: شرهوا عليه واستصغروا ما أعطاهم، فخطب الناس عليه الصلاة والسلام وذكَّرهم وأخبر أنه يعطي قوماً ويدع آخرين، والذين يتركهم أحبُّ إليه ممن يعطيهم، فإنما يعطي من يعطي يتألفهم على الإسلام ويتألف قلوبهم؛ لئلا ينفروا من الإسلام لئلا يصدوا عن أعقابهم؛ كالأعراب وأشباههم فيتألفهم ويعطيهم حتى يتمكن الإسلام من قلوبهم حتى يستقروا ويطمئنوا، ويدع آخرين لما جعل الله في قلوبهم من الغنى والخير، قال: «**مِنْهُمْ عَمْرُو بنُ تَغْلِبَ**» راوي الحديث رضي الله عنه: فما أحب أن لي بكلمة رسول ﷺ حمر النعم؛ يعني: أنه فرح بهذه الكلمة وأنه أحب إليه من جميع ما على الدنيا من النوق الحمر، كأنه نسبه إلى أن الله جعل في قلبه الغنى والخير؛ والمعنى: أنه أحب إليه من الدنيا وما عليها هذه الكلمة الطيبة العظيمة التي قالها فيه عليه الصلاة والسلام.

فالإنسان لا بد أن يتحمل يصبر؛ لهذا قال عليه الصلاة والسلام: «**لَيْسَ الغِنَى عَنْ كَثْرَةِ العَرَضِ، وَلَكِنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ**»[١] فإذا دعت الضرورة فليسأل بطيب كلام ورفق وعدم شدة حتى يسُد رمقه وحتى يحصل على ما يحصل به قدر الكفاية من غير إلحاح ولا إتعاب عند الحاجة، وإلا فليقتنع بما يسر الله ويصبر.

وفي حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى**» «**وَاليَدُ العُلْيَا هِيَ المُنْفِقَةُ، وَالسُّفْلَى - هي الآخذة - هِيَ السَّائِلَةُ**» «**وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ**» الإنسان في نفقته يبدأ بمن يعول، من أولاده، وأهل ويتامى ونحو ذلك من تحت يده، يبدأ بهم قبل البعيدين

(١) سبق تخريجه في الحديث رقم (٥٢٢).

في سد حاجتهم ومواساتهم، ثم قال: «**وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غِنىً**» يعني: أفضلها ما كان فضلاً عن حاجة الإنسان وحاجة أهله، فلا يبدأ بالبعيدين ويدع القريبين، بل يبدأ بمن يعول، ثم قال: «**ومَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفُّهُ الله، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغنهِ الله**»، الحديث الثاني: «**وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْراً وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ**»[1].

تقدم أن حكيماً بعدما قال له النبي ﷺ هذا الكلام، قال: «وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ لَا أَرْزَأُ أَحداً بَعْدَكَ شَيْئاً» وكان النبي قد أعطاه، ثم أعطاه، ثم أعطاه، ثم قال له النبي ﷺ: «**يَا حَكِيمُ إنَّ هَذَا المَالَ خَضرٌ حلوٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، وَكَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ**».

المقصود من هذا: الحث على القناعة، وعدم الشدة في طلب الدنيا، وعدم الجشع، وليرضى باليسير القليل حتى يفرج الله الأمور، ومن رُزق القناعة فهو على خير عظيم، كما تقدم في الحديث الصحيح يقول ﷺ: «**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ وَرُزِقَ كَفَافاً وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ**» القناعة كنز عظيم، فأعظم الكنوز المال؛ لأن صاحب القناعة عنده قلب مستريح مرتاح ليس عنده شدة، وليس عنده الجشع، وليس عنده تعب فهو مرتاح القلب راضٍ بما قسم الله قانع بما يسر الله، يطلب الرزق ويسعى بطلب الحلال من غير تعب ولا مشقة، لما جعل الله في قلبه من الغنى والسعة.

وفَّق الله الجميع.

❋ ❋ ❋

٥٢٨ ـ وعن أبي عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لَا تُلْحِفُوا في المَسْأَلَةِ، فَوَاللهِ لَا يَسْأَلُنِي أَحَدٌ مِنْكُمْ شَيْئاً، فَتُخْرِجَ لَهُ مَسْأَلَتُهُ مِنِّي شَيْئاً وَأَنَا لَهُ كَارهٌ، فَيُبَارَكَ لَهُ فِيمَا أَعْطَيْتُهُ» رواه مسلم[2].

---

(١) سبق تخريجه في الحديث رقم (٢٦).
(٢) أخرجه في كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة برقم (١٠٣٨).

٥٢٩ ـ وعن أَبي عبدِ الرحمٰن عوف بن مالِك الأَشْجَعِيِّ ﷺ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رسول الله ﷺ تِسْعَةً أَوْ ثَمَانِيَةً أَوْ سَبْعَةً، فَقَالَ: «أَلا تُبَايِعُونَ رَسُولَ الله ﷺ» وَكُنَّا حَديثِي عَهْدٍ بِبَيْعَةٍ، فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رسولَ اللهِ، ثمَّ قالَ: «أَلا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللهِ» فَبَسَطْنا أَيْدينا، وقلنا: قدْ بايعناكَ فَعَلامَ نُبَايِعُكَ؟ قَالَ: «عَلَى أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وَالصَّلَوَاتِ الخَمْسِ وَتُطِيعُوا الله» وأَسَرَّ كَلِمَةً خَفِيفَةً «وَلَا تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئاً» فَلَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ أُولئِكَ النَّفَرِ يَسْقُطُ سَوطُ أَحَدِهِمْ فَمَا يَسأَلُ أَحَداً يُنَاوِلُهُ إِيّاهُ رواه مسلم(١).

٥٣٠ ـ وعن ابن عمر ﷺ؛ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ، قَالَ: «لَا تَزَالُ المَسْأَلَةُ بِأَحَدِكُمْ حَتَّى يَلْقَى الله تَعَالَى وَلَيْسَ في وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ» متفقٌ عَلَيْهِ(٢).

□ (المُزْعَةُ): بضم الميم وإسكان الزاي وبالعينِ المهملةً: القِطْعَةُ.

الشَّـرح

هذه الأحاديث الثلاثة كالتي قبلها فيها الحث على ترك المسألة، والاستغناء عن المسألة والحرص على الاقتصاد والقناعة **«ومَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفُّهُ الله، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغنِهِ الله»** كما تقدم في الحديث الصحيح، تقدم قوله ﷺ: **«قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ وَرُزِقَ كَفَافاً وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ»** فينبغي للمؤمن الحرص على أن يصون وجهه عن السؤال مهما استطاع، وألّا يسأل إلا للضرورة، في المسائل التي أرخص فيها النبي عليه الصلاة والسلام.

وفي هذا الحديث الدلالة على النهي عن الإلحاح في المسألة، والحرص على التعفف عنها.

---

(١) أخرجه في كتاب الزكاة، باب كراهة المسألة للناس برقم (١٠٤٣).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب من سأل الناس تكثرا برقم (١٤٧٤)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب كراهة المسألة للناس برقم (١٠٤٠).

حديث معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب، أحد شيوخ قريش وكبارها يقول ﵁: إنه سمع النبي ﷺ يقول: «**لَا تُلْحِفُوا فِي الْمَسْأَلَةِ**» تلحفوا؛ يعني: تلحوا في المسألة، إذا دعت الحاجة للمسألة ينبغي عدم الإلحاح، أن تكون المسألة خفيفة عند الضرورة إليها والحاجة إليها، ثم بيَّن ﷺ وحلف على ذلك «**فَوَاللهِ لَا يَسْأَلُنِي أَحَدٌ مِنْكُمْ شَيْئاً، فَتُخْرِجَ لَهُ مَسْأَلَتُهُ مِنِّي شَيْئاً وَأَنَا لَهُ كَارِهٌ، فَيُبَارَكَ لَهُ فِيمَا أَعْطَيْتُهُ**» هذا مما لا ينبغي للمؤمن الإلحاح في المسألة حتى ولو من بيت المال ولو من ولاة الأمور، ينبغي أن يكون حريصاً على التعفف والحرص على الاستغناء بما يسر الله له من الكسب الحلال، ولو من بيت المال، وإن كان بيت المال له فيه حق، ولا بأس أن يسأل لكن مهما أمكن أن يستغني فهو خير له؛ ولهذا تقدم قوله ﷺ في حديث حكيم بن حزام: «**الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غِنىً، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفُّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ**» المؤمن مطلوب منه أن يكون حريصاً على الحياء والعفة والبُعد عن سؤال الناس، ولا سيما الإلحاح، والإلحاح في المسألة، وقد يكون الملح عليه عاجزاً قد يكون إلحاحه عليه يضره أو يُلجئه إلى شيء يشق عليه وأنت لا تدري.

ومنها **حديث عوف بن مالك الأشجعي ﵁ (قَالَ: كان نفر عند النبي ﷺ تِسْعَةً أَوْ ثَمَانِيَةً أَوْ سَبْعَةً، فَقَالَ: «أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ» فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رسولَ اللهِ، وَكُنَّا حَدِيثِي عَهْدٍ بِبَيْعَةٍ، ثُمَّ قَالَ: «أَلا تُبَايِعُونَ رسولَ اللهِ» فَعَلامَ نُبَايِعُكَ؟ قَالَ: «عَلَى أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وأن تصلوا اَلصَّلَوَاتِ الخَمْسِ»** يعني: أن تحافظوا عليها وتجتهدوا في المحافظة عليها تأكيداً لما تقدم من البيعة؛ لأن الصلاة هي عمود الإسلام، فلهذا أكد عليها في البيعة مع عبادة الله وحده أن يحافظوا عليها، وأن يستقيموا عليها.

ثم أسر كلمة خفية «**وَلَا تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئاً» فَلَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ أُولئِكَ النَّفَرِ يَسْقُطُ سَوطُ أحَدِهِمْ فَمَا يَسأَلُ أحَداً يُنَاوِلُهُ إيّاهُ**، بل ينزل عن دابته ويأخذه حرصاً على محافظته على هذه البيعة.

وفيه دلالة على أنه لا مانع أن يبايع ولي الأمر بعض الناس عدة بيعات للتأكيد؛ لأن الرسول ﷺ قد بايع جماعة للتأكيد فيبايعهم عامة ثم يبايعهم خاصة، كما بايع سلمة بن الأكوع عدة بيعات لتأكيد المقام، فإذا رأى ولي الأمر أن يبايع بعض الناس مرة بعد مرة ليؤكد البيعة إما لشجاعته وإقدامه، وإما لتأكيد ذلك لئلا يشق العصا؛ وإلا لأسباب أخرى يراها ولي الأمر، ولا مانع لتأكيد البيعة مرة بعد مرة لمصلحة إسلامية، كما فعله النبي عليه الصلاة والسلام مع هؤلاء ومع آخرين.

كذلك **حديث ابن عمر** يقول النبي ﷺ: «**لَا تَزَالُ المَسْأَلَةُ بأَحَدِكُمْ حَتَّى يَلْقَى الله تَعَالَى، وَلَيْسَ في وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْم**» هذا يفيد الحذر، وأنه ينبغي للمؤمن أن يبتعد عن المسألة، فإنه قد يُفضي به السؤال إلى أن يكون من ديدنه ومن عادته، فيأتي يوم القيامة وليس في وجهه مُزعةُ لحم؛ يعني: يأتي عاري الوجه، علامة أنه سؤول في الدنيا، هذا شيء عظيم، سمعة له سيئة في الموقف يوم القيامة أن يراه الناس هكذا، علامة على أنه كان في الدنيا ملحاحاً سؤولاً من غير ضرورة، قد سبق قوله ﷺ: «**إنَّ المَسْأَلَةَ لا تَحِلُّ إلَّا لأَحَدِ ثَلَاثَةٍ: رَجُلٍ تَحَمَّلَ حَمَالَةً فَحَلَّتْ لَهُ المَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَهَا ثُمَّ يُمْسِك، وَرَجُلٍ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَاحَتْ مَالَهُ فَحَلَّتْ لَهُ المَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَاماً مِنْ عَيْشٍ**» يعني: سداداً؛ أي: ما يسدُّ حاجته «**وَرَجُلٍ أَصَابَتْهُ فَاقَة**» الثالث «**حَتَّى يَقُولَ ثَلَاثَةٌ مِنْ ذَوِي الحِجَا مِنْ قَوْمِهِ**» حتى يشهد له ثلاثة مِنْ ذَوِي الحِجَا مِنْ قَوْمِهِ، من له الرأي والعدالة «**لَقَدْ أَصَابَتْ فُلَاناً فَاقَةٌ فَحَلَّتْ لَهُ المَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَاماً مِنْ عَيْشٍ**» يعني: سداداً من عيش أي ما يسدُّ حاجته «**فَمَا سِوَاهُنَّ مِنَ المَسْأَلَةِ يَا قَبِيصَةُ سحت يَأْكُلُهَا صَاحِبُهَا سُحْتاً**».

هذا يفيد أن المسألة خطيرة، وأنه ينبغي للمؤمن يكون حريصاً على العفاف عنها، إلا عند الضرورة، كما بيَّن النبي ﷺ من هذه المسائل مسألة الحمالة والجائحة وشدة الحاجة.

وفَّق الله الجميع.

❋ ❋ ❋

٥٣١ ـ وعنه؛ أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ وَهُوَ عَلَى المِنْبَرِ، وَذَكَرَ الصَّدَقَةَ وَالتَّعَفُّفَ عَنِ المَسْأَلَةِ: «اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى، وَاليَدُ العُلْيَا هِيَ المُنْفِقَةُ، وَالسُّفْلَى هِيَ السَّائِلَةُ» متفقٌ عَلَيْهِ[(١)].

٥٣٢ ـ وعن أَبي هريرة ﷺ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ سَأَلَ النَّاسَ تَكَثُّراً، فإنَّمَا يَسْأَلُ جَمْراً؛ فَلْيَسْتَقِلَّ أَوْ لِيَسْتَكْثِرْ» رواه مسلم[(٢)].

٥٣٣ ـ وعن سَمُرَةَ بنِ جُنْدبٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولَ اللهِ ﷺ: «إنَّ المَسْأَلَةَ كَدٌّ يَكُدُّ بِهَا الرَّجُلُ وَجْهَهُ، إلَّا أنْ يَسْأَلَ الرَّجُلُ سُلْطاناً أَوْ في أمْرٍ لَا بُدَّ مِنْهُ» رواه الترمذي[(٣)] وقال: حديث حسن صحيح.

□ (الكد): الخَدْشُ وَنَحْوُهُ.

❁ الشَّرح ❁

هذه الأحاديث الثلاثة كلها تتعلق بفضل الصدقة والإحسان والإنفاق، والحث على القناعة والاقتصاد، والتحذير من المسألة إلا من ضرورة، تقدمت الأحاديث الكثيرة عن رسول الله عليه الصلاة والسلام،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى برقم (١٤٢٩)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى، وأن اليد العليا هي المنفقة وأن السفلى هي الآخذة برقم (١٠٣٣).

(٢) أخرجه في كتاب الزكاة، باب كراهة المسألة للناس برقم (١٠٤١).

(٣) أخرجه في كتاب الزكاة، باب ما جاء في النهي عن المسألة برقم (٦٨١).

فيها الدلالة على ما أصاب الأنبياء والرسل والأخيار من المتاعب والمشاق، وأنهم صبروا وقنعوا بما يسر الله، ولم يقدموا على ما يخرب شرع الله حتى فرج الله الأمور ويسرها، كما تقدم في قوله ﷺ في الحديث الصحيح «**لَيْسَ الغِنَى عَنْ كَثْرَةِ العَرَضِ، وَلَكِنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ**» وقوله عليه الصلاة والسلام: «**اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ عَنْ ظَهْرِ غِنًى، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ**».

ولهذا؛ أنه ﷺ خطب الناس قال: «**اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى**» من أثر الصدقة والمسألة، قال: «**وَاليَدُ العُلْيَا هِيَ المُنْفِقَةُ، وَالسُّفْلَى هِيَ السَّائِلَةُ**» قد جاء هذا المعنى في عدة أحاديث، كلها تدل على أنه ينبغي للمؤمن أن تكون يده عليا وليحرص على الإنفاق والإحسان مما يسر الله ولو بالقليل، «**اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**» الإنسان لا يحتقر ما يعطي بل يعطي مما يسر الله له، والفقير ينفعه ما يحصل له يجتمع له من هذا كذا ومن هذا كذا فيجتمع له ما ينفعه «**اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**» سبق حديث عائشة ﵂؛ أنها جاءتها سائلة ومعها ابنتان فلم تجد في البيت إلا ثلاث تمرات فأعطتها السائلة، فأعطت كل واحد من بنتيها تمرة ورفعت الثالثة إلى فيها لتأكلها، فاستطعمتها ابنتاها التمرة الثالثة فشقتها بينهما نصفين، قالت عائشة: فأعجبني شأنها فذكرت ذلك للنبي عليه الصلاة والسلام، فقال: «**إِنَّ اللهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الجَنَّةَ أَوْ أَعْتَقَهَا بِهَا مِنَ النَّارِ**» هذا يدل على فضل الإحسان والرحمة ولو بالشيء القليل «**الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ**»[1].

---

(١) أخرجه أبو داود من حديث عبد الله بن عمرو ﵄ في كتاب الأدب، باب في =

في الحديث الآخر: «مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ»[١].

الحديث الثاني: يقول ﷺ: **«مَنْ سَأَلَ النَّاسَ تَكَثُّراً فَإِنَّمَا يَسْأَلُ جَمْراً، فَلْيَسْتَقِلَّ أَوْ لِيَسْتَكْثِرْ»** أخرجه مسلم في صحيحه، والأحاديث الصحيحة تدل على الحذر من السؤال من غير علة، وأن ذلك معناه سؤالٌ للنار، وأن ما يعطاه يكون زاداً له في النار، نسأل الله العافية، من سأل الناس أموالهم تكثراً: عنده ما يكفيه عنده ما يسُدُ حاجته ولكنه الجشع والحرص؛ فلهذا جاء الوعيد الشديد **«مَنْ سَأَلَ النَّاسَ أَمْوَالَهُمْ تَكَثُّراً فإِنَّمَا يَسْأَلُ جَمْراً؛ فَلْيَسْتَقِلَّ أَوْ لِيَسْتَكْثِرْ»**.

وفَّق الله الجميع.

❋ ❋ ❋

٥٣٤ ـ وعن ابن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: **«مَنْ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَهَا بالنَّاسِ لَمْ تُسَدَّ فَاقَتُهُ، وَمَنْ أَنْزَلَهَا باللهِ، فَيُوشِكُ اللهُ لَهُ بِرِزْقٍ عَاجِلٍ أَوْ آجِلٍ»** رواه أبو داود والترمذي[٢] وقال: حديث حسن.

□ (يُوشِكُ) بكسر الشين؛ أيْ: يُسْرِعُ.

٥٣٥ ـ وعن ثوبان رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: **«مَنْ تَكَفَّلَ لِي ألَّا يَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئاً، وَأَتَكَفَّلُ لَهُ بِالجَنَّةِ؟» فقلتُ: أنا، فَكَانَ لَا يَسْأَلُ أحَداً شَيْئاً**. رواه أبو داود[٣] بإسناد صحيح.

= الرحمة برقم (٤٩٤١)، والترمذي في كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في رحمة الناس برقم (١٩٢٤)، وقال: حديث حسن صحيح.

(١) سبق تخريجه في حديث رقم (٢٢٥).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الزكاة، باب في الاستعفاف برقم (١٦٤٥)، والترمذي في كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الهم في الدنيا وحبها برقم (٢٣٢٦).

(٣) أخرجه في كتاب الزكاة، باب في كراهية المسألة برقم (١٦٤٣).

٥٣٦ ـ **وعن** أبي بِشْرٍ قَبيصَةَ بنِ المُخَارِقِ ﷺ، قَالَ: تَحَمَّلْتُ حَمَالَةً فَأَتَيْتُ رسولَ الله ﷺ أسْأَلُهُ فِيهَا، فَقَالَ: «أقِمْ حَتَّى تَأتِيَنَا الصَّدَقَةُ فَنأمُرَ لَكَ بِهَا» ثُمَّ قَالَ: «يَا قَبيصةُ، إنَّ المَسْأَلَةَ لَا تَحِلُّ إلَّا لأحَدِ ثلاثَةٍ: رَجُلٌ تحمَّلَ حَمَالَةً، فَحلَّتْ لَهُ المَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَها، ثُمَّ يُمْسِكُ، وَرَجُلٌ أصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَاحَتْ مَالَهُ، فَحلَّتْ لَهُ المَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قواماً مِنْ عَيش ـ أَوْ قَالَ: سدَاداً مِنْ عَيْشٍ ـ وَرَجُلٌ أصَابَتْهُ فَاقَةٌ، حَتَّى يَقُولَ ثَلاثَةٌ مِنْ ذَوِي الحِجَى مِنْ قَوْمِه: لَقَدْ أصَابَتْ فُلاناً فَاقَةٌ. فَحلَّتْ لَهُ المَسْأَلَةُ حَتَّى يصيب قواماً من عيش، أَوْ قَالَ: سداداً من عيشٍ، فما سِوَاهُنَّ مِنَ المسألَةِ يَا قَبِيصَةُ سُحْتٌ، يَأكُلُهَا صَاحِبُهَا سُحْتاً» رواه مسلم[(١)].

□ (الحَمَالَةُ): بفتح الحاءِ: أنْ يَقَعَ قِتَالٌ وَنَحْوُهُ بَيْنَ فَرِيقَيْنِ، فَيُصْلِحُ إنْسَانٌ بَيْنَهُمْ عَلَى مَالٍ يَتَحَمَّلُهُ وَيَلْتَزِمُهُ عَلَى نَفْسِهِ. وَ(الجَائحةُ): الآفَةُ تُصيبُ مَالَ الإنْسَانِ. وَ(القَوَامُ): بكسر القاف وفتحها: هُوَ مَا يَقُومُ بِهِ أَمْرُ الإنسَان مِنْ مَال ونحوِهِ. وَ(السِّدَادُ): بكسر السين: مَا يَسُدُّ حَاجَةَ المَعْوِزِ وَيَكْفِيهِ، وَ(الفَاقَةُ): الفَقْرُ. وَ(الحِجَى): العَقْلُ.

الشَّرح

هذه الأحاديث الثلاثة كالتي قبلها في الحث على الاقتصاد والقناعة، والحذر من السؤال إلا من ضرورة، تقدم قوله ﷺ: «**مَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَسْأَلُ النَّاسَ حَتَّى يَأْتِيَ يَوْمَ القِيَامَةِ لَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ**» وتقدم قوله عليه الصلاة والسلام أيضاً: «**مَنْ سَأَلَ النَّاسَ تَكَثُّراً فإنَّمَا يَسْأَلُ جَمْراً؛ فَلْيَسْتَقِلَّ أَوْ لِيَسْتَكْثِرْ**» وقوله ﷺ: «**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافاً وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ**».

وفي **هذا الحديث** يقول عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ أصَابَتْهُ فَاقَةٌ**

(١) أخرجه في كتاب الزكاة، باب من تحل له المسألة برقم (١٠٤٤).

فَأَنْزَلَهَا بالنَّاسِ لَمْ تُسَدَّ فَاقَتُهُ، وَمَنْ أَنْزَلَهَا باللهِ، فَيُوشِكُ اللهُ لَهُ بِرِزْقٍ عَاجِلٍ أَوْ آجِلٍ» يعني: يسدُ الله بها حاجته. في اللفظ الآخر المروي عنه عليه الصلاة والسلام: **«من أنزل حاجته بالناس لم تُسدَّ حاجته»** من أصابته فاقةٌ فأنزلها بالناس لم تسد حاجته، ومن أنزلها بالله، سد الله حاجته، **المقصود**: أن الواجب على المؤمن أن يضرع إلى الله وأن ينزل حاجته بالله، وأن يسأله من فضله، وأن يأخذ بالأسباب ولا يكون اعتماده على سؤال الناس والحاجة إلى الناس، فإن هذا يزيده فقراً، كما في الحديث: **«لَيْسَ الغِنَى عَنْ كَثْرَةِ العَرَضِ، وَلَكِنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ»** النفس إذا كانت فقيرة إلى الناس تعلقت بالناس لم تسد حاجتها ولا يزال صاحبها يلهث وراء السؤال ولو أُعطي الدنيا، فينبغي للمؤمن أن تكون له قناعة وعفة، حرص على الغُنية عما في أيدي الناس إلا عند الضرورة القصوى، حتى لا يفتح لنفسه باب مسألة ولا باب ذُل للناس ولا إنزال فاقته بهم، وبكل حال فالمطلوب من المؤمن أن يكون رفيع النفس عزيز النفس بعيداً عن سؤال الناس حريصاً على ألّا يحتاج إليهم، إلا فيما شرع الله في التعاون والتواصي بالخير والتسامح.

هكذا **حديث ثوبان** يقول ﷺ: **«مَنْ تَكَفَّلَ لِي ألّا يَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئاً، وَأَتَكَفَّلُ لَهُ بِالجَنَّةِ؟»** فقلتُ: أنَا، فَكَانَ لَا يَسْأَلُ أحَداً شَيْئاً حتى لحق بالله.

هكذا تقدم حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه، لما قال له النبي ﷺ: **«يَا حَكِيمُ إِنَّ هَذَا المَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ»** قَالَ حَكِيمٌ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ لَا أَرْزَأُ أَحَداً بَعْدَكَ شَيْئاً حَتَّى أُفَارِقَ الدُّنْيَا، فلم يسأل بعده أحداً رضي الله عنه حتى لحق بالله، وهذا من علو النفس ومن زكائها ومن ارتفاع الهمة، أن يستغني الإنسان عن سؤال

الناس والذُل لهم، وقد بايع النبي ﷺ جماعة من أصحابه ألا يسألوا الناس شيئاً، حتى السوط إذا سقط من أحدهم ينزل من دابته [مطيته] أو فرسه حتى يأخذه حرصاً على أن يستغني عن سؤال الناس، فسؤال الناس فيه ذُل كثير فيه مهانة للنفس، ثم يفتح على الإنسان باب ذُل وباب افتقار حتى يستمر لاعتياده، هذا الشيء الذي يأتيه من دون تعب، بل من طريق السؤال يكون سجية له.

ثم بيَّن النبي ﷺ في حديث قبيصة **«يَا قَبِيصَةُ إِنَّ المَسْأَلَةَ لَا تَحِلُّ إِلَّا لأَحَدِ ثَلَاثَةٍ: رَجُلٍ تَحَمَّلَ حَمَالَةً فَحَلَّتْ لَهُ المَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَهَا ثُمَّ يُمْسِكُ»** تحمل حمالة في إصلاح ذات البين، تحمل حمالة في إقامة مشروع إسلامي، تحمل حمالة في حاجة أهله وعائلته؛ لفقره وعدم أسبابه، فيعطى قوامه من زكاة أو غيرها، لا بأس أن يسأل لسد هذه القوامة لعجزه.

الثاني: **«أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ»** سيل أو حريق أو نحو ذلك من الآفات **«اجْتَاحَتْ مَالَهُ فَحَلَّتْ لَهُ المَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَاماً مِنْ عَيْشٍ ـ أَوْ قَالَ: سِدَاداً مِنْ عَيْشٍ»** فله أن يسأل حتى يصيب قوام العيش، يسأل ما يسدُّ فاقته ما يسد حاجته حتى يسهل الله له الأسباب والأرزاق؛ ولهذا قال: **«حَتَّى يُصِيبَ قِوَاماً»** القوام والسداد شيء يسد به الحاجة وتقضى به الحاجة.

والثالث: **«رَجُلٍ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ»** كان عنده ما يسدُ حاجته ثم نزل به فاقة وحاجة لأسباب أوجبت ذلك من خسارة في تجارة من موت لمواشيه إلى غير هذا من أسباب حاجة الناس **«حَتَّى يَقُولَ ثَلَاثَةٌ مِنْ ذَوِي الحِجَى مِنْ قَوْمِهِ»** من أهل البصيرة والثقة إن أصابته فاقة حاجة شديدة نزلت به كان مستوراً كان معروفاً بالسعة، ثم نزلت به هذه الحاجة التي لا يعرفها الناس، هو عند الناس مستور الحال، ظاهره الغنى، فإذا شهد له ثلاثة من ذوي الحجى من قومه أنه حصلت له فاقة، وأنه محتاج فيعطى ما يسد حاجته، ويجب عليه الإمساك بعد ذلك إذا أصاب سداداً أو قواماً من

عيش يسُدُّ حاجته، حتى يأخذ بالأسباب أو يتعين على وظيفة أو ما أشبه مما يسدُ الحاجة، يتسبب في عمل كخرازة حدادة عمل عند الناس أو غير هذا من الأسباب التي تسدُ حاجته، فإذا وجد ما يسدُ حاجته اكتفى ويكف عن السؤال.

وفَّق الله الجميع.

٭ ٭ ٭

٥٣٧ ـ وعن أَبي هريرة ﷺ؛ أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: «لَيْسَ المسكينُ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ تَرُدُّهُ اللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ، وَالتَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ، وَلكِنَّ المِسكينَ الَّذِي لَا يَجِدُ غِنىً يُغْنِيهِ، وَلَا يُفْطَنُ لَهُ فَيُتَصَدَّقُ عَلَيْهِ، وَلَا يَقُومُ فَيَسْأَلَ النَّاسَ» متفق عَلَيْهِ[(١)] [(٢)].



(١) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة: ٢٧٣] برقم (١٤٧٩)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب المسكين الذي لا يجد غنى ولا يفطن له فيتصدق عليه برقم (١٠٣٩).

(٢) شرح الشيخ هذا الحديث مع الحديث الذي يليه في الباب التالي.




٥٨ ـ بَابُ جواز الأخذ من غير مسألة ولا تطلع إليه

٥٣٨ ـ **عن** سالم بن عبد الله بن عمر، عن أبيه عبد الله بن عمر، عن عمر ﷺ، قَالَ: كَانَ رسول الله ﷺ يُعْطيني العَطَاءَ، فَأقُولُ: أعطِهِ مَنْ هُوَ أفْقَرُ إلَيْهِ مِنّي، فَقَالَ: «خُذْهُ، إذَا جاءكَ مِنْ هَذَا المَال شَيْءٌ وَأنْتَ غَيْرُ مُشْرِفٍ وَلَا سَائِلٍ، فَخُذْهُ فَتَمَوَّلْهُ، فَإنْ شِئْتَ كُلْهُ، وَإنْ شِئْتَ تَصَدَّقْ بِهِ، وَمَا لا، فَلَا تُتبعهُ نَفْسَكَ» قَالَ سَالِمٌ: فَكَانَ عَبدُ الله لَا يَسألُ أحَداً شَيْئاً، وَلَا يَرُدُّ شَيْئاً أُعْطِيَه. متفقٌ عَلَيهِ(١).

□ «مُشرف»: بالشين المعجمة، أيْ: متطلع إلَيْهِ.

الشَّرح

هذان الحديثان [٥٣٧، ٥٣٨] كالأحاديث السابقة في الحث على القناعة والتعفف، وترك المسألة إلا من ضرورة، والمشروع للمؤمن هو الحرص على ما ينفعه والاستغناء عما في أيدي الناس، والأخذ بالقناعة والتعفف، كما قال عليه الصلاة والسلام: «قَدْ أفْلَحَ مَنْ أسْلَمَ وَرُزِقَ كَفَافاً وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ» وقال عليه الصلاة والسلام: «لَيْسَ الغِنَى عَنْ كَثْرَةِ العَرَضِ، وَلَكِنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ» فينبغي للمؤمن أن يكون غني النفس راجياً ما عند الله راضياً بما رزقه الله قنوعاً بذلك، آخذاً بالأسباب المباحة تاركاً للأسباب المحرمة، هكذا المؤمن صبور

(١) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب من أعطاه الله شيئاً من غير مسألة ولا إشراف نفس برقم (١٤٧٣)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب إباحة الأخذ لمن أعطى من غير مسألة ولا إشراف برقم (١٠٤٥).

شكور قنوع طالب للرزق من طريق الحلال تارك للمسألة إلا من ضرورة.

فمعنى هذا [٥٣٧]: أن الطائف السائل ليس أحق بهذا الوصف وإن كان يسمى مسكيناً فقيراً؛ لكن ليس أحق بهذا الوصف، الأحق بهذا الوصف المتعفف الذي لا يجد غنىً يغنيه، ولا يفْطنُ له الناس ويحسنوا إليه، فَيتصَدَّقوا عليه، ولا يقوم فيسأل الناس حتى يعطى، هذا هو المؤمن الذي هو أشد حاجة وأولى بالصدقة وأولى بالمسكنة، وهذا مثل قوله ﷺ: **«لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ وَلَكِنَّ الشَّدِيدَ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ»**[1]: الصرعة يسمى شديداً الذي يطرح الناس ويصرعهم، لكن أولى منه بهذا الاسم وأحق الذي يملك نفسه عند الغضب، هكذا الطوّاف الفقير السائل مثل المسكين إذا كان ما عنده شيء لكن أولى منه في المسكنة وأحق منه في الصدقة: المتعفف الذي يستحي أن يسأل الناس وليس عنده شيء ومع ذلك يُفْطَنُ له، فَيُتصَدَّق عليه، هذا ينبغي لأهل الصدقة أن يتخصصوا ويتعرفوا ويحصلوا عليهم، وألّا ينسوهم وألّا يقتنعوا بالسائلين فقط، بل يبحثون عن أهل التعفف وحاجة ومسكنة حتى يعطوا ويحسن إليهم رحمة لحالهم وسداً لحاجتهم وتقديراً لعفتهم.

في حديث عمر رضي الله عنه [٥٣٨]: **(كان رسول الله ﷺ يعطيني من العطاء من بيت المال: فَأَقُولُ: أعطِهِ مَنْ هُوَ أَفْقَرُ إِلَيْهِ مِنّي، فَقَالَ: «خُذْهُ، إِذَا جَاءكَ مِنْ هَذَا المَال شَيْءٌ وَأنْتَ غَيْرُ مُشْرِفٍ وَلَا سَائِلٍ، فَخُذْهُ فَتَمَوَّلْهُ، فَإنْ شِئْتَ كُلْهُ، وَإنْ شِئْتَ تَصَدَّقْ بِهِ، وَمَا لا، فَلَا تُتبعْهُ نَفْسَكَ»)** ما لا يحصل إلا بتطلع وتشرف وتعرض له أو بسؤال اتركه، أي: يعني إلا من ضرورة، كما في حديث سمرة المتقدم، يقول فيه الرسول ﷺ: **«إنَّ المَسْأَلَةَ كَدٌّ يَكُدُّ بِهَا الرَّجُلُ وَجْهَهُ إلَّا أَنْ يَسْأَلَ**

---

(١) سبق شرحه وتخريجه في باب الصبر برقم (٤٥).

الرَّجُلُ سُلْطَاناً أَوْ فِي أَمْرٍ لَا بُدَّ مِنْهُ»[1] إلا الضرورة، تقدم في حديث قبيصة **«ورجلٌ أصابته فاقةٌ، حتى يقول ثلاثةٌ من ذوي الحجى من قومه: لقد أصابت فلاناً فاقةٌ، فحلت له المسألة حتى يصيب قواماً من عيشٍ»**، فالمضطر له السؤال بقدر الحاجة حتى يصيب قواماً من عيشٍ، وهكذا من أصابته جائحة من سيل أو حرق أو جراد أو غير هذا مما أتلف ماله، فله السؤال بقدر الحاجة حتى يصيب قواماً من عيشٍ، وهكذا من تحمل حمالة لإصلاح ذات البين أو لحاجته فله السؤال حتى يسدد الحمالة، وفي حديث عمر هذا الدلالة على أنه لا بأس أن يعطى من بيت المال أو من غيره إذا أُعطي من غير سؤال، لا يرد العطية إذا لم يكن فيها خطر عليه، وليس فيها شراء لدينه وإنما هي هدية من محبٍّ أو متصدِّق محسن يقبلها، أما إذا كان عن سؤال وعن تطلع يترك ذلك، كان ابن عمر رضي الله عنه إذا أتاه شيء من الملوك أو من الأمراء قبله وأكل منه، وتصدق منه ولا يطلب أحداً رضي الله عنه وأرضاه، هكذا كانت عائشة تأتيها الهدايا من الملوك فتأخذ منها حاجتها وتتصدق بالبقية على من تراه من الفقراء والأقارب، فإذا جاء للإنسان شيء من بيت المال أو من إخوانه وأحبابه من دون سؤال من دون تطلع فلا بأس يأخذ لا يردها ويتصدق ويحسن، ويأخذ حاجته، أما ما يحتاج إلى سؤال الناس والتطلع لما عندهم ينبغي له ترك ذلك، والإعراض عن ذلك إلَّا للضرورة.

وفَّق الله الجميع.

❁ ❁ ❁

(١) سبق تخريجه برقم (٥٣٣).




٥٩ ـ بَابُ الحث على الأكل من عمل يده والتعفف به عن السؤال والتعرض للإعطاء

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠].

٥٣٩ ـ وعن أبي عبد الله الزبير بن العَوَّام ﷺ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لأَنْ يَأخُذَ أحَدُكُمْ أحبُلَهُ ثُمَّ يَأتِيَ الجَبَلَ، فَيَأْتِيَ بحُزمَةٍ مِنْ حَطَب عَلَى ظَهْرِهِ فَيَبِيعَهَا، فَيكُفَّ اللهُ بِهَا وَجْهَهُ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أنْ يَسْألَ النَّاسَ، أعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ» رواه البخاري[١].

٥٤٠ ـ وعن أبي هريرة ﷺ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لأَنْ يَحْتَطِبَ أحَدُكُمْ حُزْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أنْ يَسْأَلَ أحداً، فَيُعْطِيَهُ أَوْ يَمْنَعَهُ» متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

٥٤١ ـ وعنه، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: «كَانَ دَاوُدُ ﷺ لا يَأكُلُ إلَّا مِنْ عَمَلِ يَدِهِ» رواه البخاري[٣].

٥٤٢ ـ وعنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: «كَانَ زَكرِيا ﷺ نَجَّاراً» رواه مسلم[٤].

---

(١) أخرجه في كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة برقم (١٤٧١) وفي كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده برقم (٢٠٧٥).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب البيوع. باب كسب الرجل وعمله بيده برقم (٢٠٧٤)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب كراهة المسألة للناس برقم (١٠٤٢).

(٣) أخرجه في كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده برقم (٢٠٧٣).

(٤) أخرجه في كتاب الفضائل، باب فضائل زكريا ﷺ برقم (٢٣٧٩).

٥٤٣ ـ وعن المقدام بنِ مَعْدِ يكرِبَ رضي الله عنه، **عن النبي** ﷺ، **قَالَ: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَاماً قَطُّ خَيْراً مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِه، وَإِنَّ نَبيَّ الله دَاوُدَ** عليه السلام **كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ»** رواه البخاري(١).

الشَّرح

هذه الأحاديث الخمسة وما جاء في معناها مع الآية الكريمة، كلها تدل على شرعية العمل باليد والكسب باليد والحرص على الكسب الحلال، والاستغناء عما في أيدي الناس وسؤالهم، ينبغي للمؤمن أن يجتهد في أسباب الرزق: من طريق الحراثة، من طريق البيع والشراء والتجارة، من طريق الصنعة؛ كالنجارة والحدادة والخرازة والكتابة ونحو ذلك، حتى يستغني عن سؤال الناس والتعرض له، وقد أرشد الله إلى هذا بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠] يطلب الرزق في البيع والشراء وغير ذلك.

في الحديث الآخر لما سئل عليه الصلاة والسلام: أَيُّ الكَسْبِ أَطْيَبُ؟ قَالَ: **«عَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ، وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٍ»** كسب الرجل بيده من أفضل أسباب الرزق، يطلب بهذا نجارة وحدادة وخرازة وزراعة وغير هذا من الصناعات المباحة، هكذا البيع المبرور والتجارة من الكسب الحلال إذا صدق فيها وبرَّ وابتعد عن الخيانة والكذب.

وفي **حديث الزبير بن العوام الأسدي** رضي الله عنه، حواري النبي ﷺ وابن عمته، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، يروي عن النبي ﷺ؛ أنه قال: **«لأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ أَحبُلَهُ ثُمَّ يَأْتِيَ الجَبَلَ، فَيَأْتِيَ بحُزْمَةٍ مِنْ حَطَب**

---

(١) أخرجه في كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده برقم (٢٠٧٢).

عَلَى ظَهْرِهِ فَيَبِيعَهَا، فَيكُفَّ اللهُ بِهَا وَجْهَهُ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أنْ يَسْأَلَ النَّاسَ، أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ» هكذا رواه ﷺ عن النبي ﷺ، والمعنى أنه ينبغي للمؤمن أن يحرص على الكسب والسبب حتى يستغني عما عند الناس، ولو بأن يحطب من الجبل أو من الشِّعاب الحطب والحشيش، ويبيع ليستغني عن حاجة الناس وسؤالهم.

وهكذا كان نبي الله داود يأكل من عمل يده وكان زكريا نجاراً يأكل من عمل يده، وكان نبينا ﷺ يأكل من عمل يده، من الغنائم يقول: «**جُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رِمْحِي**»(١).

وفي حديث المقدام: «**مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَاماً قَطُّ خَيْراً مِنْ أنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِه، وَإِنَّ نَبيَّ الله دَاوُدَ ﷺ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ**» عليه الصلاة والسلام، هذه النصوص تُرشد المؤمن إلى الحرص على كسب الحلال وطلب الحلال، والاستغناء عما في أيدي الخلق، وليس طلب الرزق منقصة ولا محل مذمة، بل محل تشريف، طلب الرزق شرف للعبد وليس ذماً له، وقد صحَ عن رسول الله عليه الصلاة والسلام؛ أنه قال: «**احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بالله...**» رواه مسلم في الصحيح، هذا يعم ما ينفعه في الدنيا والآخرة، أول الحديث: «**المُؤْمِنُ القَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَلَا تَعْجِزْ، فَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ «لَوْ» تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**».

المشروع للمؤمن والمؤمنة هو الحرص على الكسب الطيب

---

(١) ذكره البخاري عن ابن عمر معلقاً في كتاب الجهاد والسير، باب ما قيل في الرِّماح، ساقه بين حديث (٢٩١٣ ـ ٢٩١٤)، ووصله الإمام أحمد (٢/ ٥٠٠ و٩٢) وهذا لفظه: «**بعثت بالسيف حتى يعبد الله لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم**».

والاستغناء عما في أيدي الناس من سائر أنواع الكسب المباح، ولا ينبغي للعاقل أن يستريح بالسؤال ويترك العمل، ليس هذا من صفات الأخيار صفات أهل الإيمان الكُمل، أهل الصفات الكُمل البعد عن السؤال والحرص على السلامة منه إلا من ضرورة.

وفَّق الله الجميع.






٦٠ ـ بَابُ الكرم والجود والإنفاق في وجوه الخير ثقة بالله تعالى

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ [سبأ: ٣٩] وقال تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٢] وقال تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٧٣].

٥٤٤ ـ **وعن** ابن مسعود رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: «لا حَسَدَ إِلَّا في اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتاهُ اللهُ مَالاً، فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ في الحَق، وَرَجُلٌ آتاهُ اللهُ حِكْمَةً، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا ويُعَلِّمُهَا» متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ومعناه: يَنْبَغي ألّا يُغبطَ أحَدٌ إِلَّا عَلَى إحْدَى هَاتَيْنِ الخَصْلَتَيْنِ.

٥٤٥ ـ **وعنه**، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «أَيُّكم مَالُ وَارِثِهِ أحبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟» قالوا: يَا رسول اللهِ، مَا مِنَّا أحَدٌ إِلَّا مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ، قَالَ: «فإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ وَمَالَ وَارِثِهِ مَا أَخَّرَ» رواه البخاري[٢].

٥٤٦ ـ **وعن** عَدِيِّ بن حَاتِم رضي الله عنه؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ» متفقٌ عَلَيْهِ[٣].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب الاغتباط في العلم والحكمة برقم (٧٣)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلنه، وفضل من تعلم حكمه من فقه أو غيره، فعمل بها وعلمها برقم (٨١٦).

(٢) أخرجه في كتاب الرقاق، باب ما قدم من ماله فهو له برقم (٦٤٤٢).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب الصدقة قبل الرد برقم (١٤١٣)، ومسلم في =

﴿ الشَّرح ﴾

هذه الأحاديث الثلاثة مع الآيات الكريمات، فيها الحث على الإنفاق والإحسان والجود والكرم في وجوه الخير، في مشاريع الخير، والإحسان إلى الفقراء والمحاويج، وصلة الرحم، الله جلَّ وعلا حثَّ عباده على الإنفاق والإحسان؛ لأن كل زمان **هو كامل قابل** لا يخلو من محتاج من فقير أو مشروع خيري وفقير محتاج ونحو ذلك.

الله سبحانه شرع لعباده الإنفاق والإحسان، وشرع لهم سد حاجات المحاويج وإعانتهم وإقامة المشاريع الخيرية التي تنفع المسلمين؛ كالمدارس ودور العلم والرُبط التي تنفع المحاويج، وكتعمير المساجد ونحوها.

يقول الله جلَّ وعلا: ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الحديد: ٧] قال سبحانه: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥] قال ﷻ: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ [سبأ: ٣٩] قال ﷻ: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠].

فالعبد على خير عظيم لإنفاقه وإحسانه والتماسه مرضاة الله وفضله ﷻ، فمشاريع الخير كثيرة من أهمها مواساة الفقير: من الرحم، ومن أهمها تعمير المساجد التي يقصدها المسلمون لأداء فريضة الله تعمير المدارس والمعاهد، تعمير الربط التي يأوي الفقراء والمحاويج إليها.

يقول النبي ﷺ في **الحديث الصحيح**: «**لا حَسَدَ إِلَّا في اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالاً، فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ في الحَقّ**» يعني: على الإنفاق فيه، في اللفظ الآخر: «**ورجل آتَاهُ اللهُ حِكْمَةً، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا ويُعَلِّمُهَا**»[1] يعني:

= كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار برقم (١٠١٦).

(١) سبق تخريجه برقم (٥٤٤).

يقضي بين الناس بالحكمة والدين، أو يقضي بها بين الناس يعلمهم ويوجههم، هذا من نعم الله العظيمة على العبد، فيوفق في إنفاق المال وتعليم العلم، فيجمع بين الخيرين: مواساة الفقير، والتعليم والتوجيه، فيحصل له بذلك الأجر العظيم، والخلف من الله ﷻ مع فضل التعليم وما فيه من الخير العظيم.

كذلك **الحديث الثاني**: يقول ﷺ: «**أَيُّكُم مَالُ وَارِثِهِ أحبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟» قالوا: يَا رسول اللهِ، مَا مِنَّا أحَدٌ إِلَّا مَالُهُ أحَبُّ إِلَيْهِ. قَالَ: «فإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ وَمَالَ وَارِثِهِ مَا أخَّرَ**» مالكُ في الحقيقة ما قدمته لله وأنفقته هذا ينفعك يوم القيامة هذا مالك، أما ما أخرته بعدك هو للورثة ليس لك؛ فلهذا ينبغي أن تقدم ما ينفعك، وأن تحسن وأن تكرم بهذا الخير، فإن ساق الله ﷻ لك الخير فلا تبخل، البخل عاقبته وخيمة لكن يصرفه على حسب حاله، فاتقوا الله ما استطعتم، خير الصدقة ما كان على ظهر غنىً يبدأ بنفسه، ومن يعول وما زاد يتصدق منه ويحسن على وجوه الخير.

هكذا قوله ﷺ: «**اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**» حثٌّ للناس على الإنفاق والإحسان ولو بالقليل، ليس بشرط أن يكون كثيراً «**اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**» شق التمرة ينفع المضطر المحتاج، تقدم في حديث عائشة ؓ؛ أنها جاءتها سائلة ومعها ابنتان لها تسأل، فلم تجد في بيتها إلا ثلاث تمرات، في عهد النبي ﷺ فأعطتها ثلاث تمرات فأعطت كل واحدة من بنتيها تمرة، ورفعت التمرة الثالثة لتأكلها، فنظرت إليها ابنتاها واستطعمتاها فأعطتهما الثالثة شقتها بينهما ولم تأكل شيئاً، قالت عائشة: فأعجبني أمرها فلما جاء النبي ﷺ أخبرته، فقال: «**إن الله قَدْ أوْجَبَ لَهَا بها الجَنَّةَ أو أعتقها بها من النار**» وهذا الإحسان وهذا العطف لهذه البنتين الصغيرتين.

المقصود: أن الإحسان والرحمة والمواساة فيه خير عظيم، والله يقول: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥] ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ

﴿مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦] «مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ»(١) وفي الإنفاق رحمة وإحسان وجود ولطف وعطف، وصاحبها على خير من الأجر العظيم والخلف الجزيل من الرب ﷻ.

وفَّق الله الجميع.

***

٥٤٧ ـ وعن جابرٍ ﷺ، قَالَ: مَا سُئِلَ رَسُولُ الله ﷺ شَيْئاً قَطُّ، فقالَ: «لَا». متفقٌ عَلَيهِ(٢).

٥٤٨ ـ وعن أَبي هريرة ﷺ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ يَوْم يُصبحُ العِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلانِ، فَيَقُولُ أحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أعْطِ مُنْفِقاً خَلَفاً، وَيقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أعْطِ مُمْسِكاً تَلَفاً» متفقٌ عَلَيهِ(٣).

٥٤٩ ـ وعنه؛ أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: «قَالَ الله تَعَالَى: أنفِق يَا ابْنَ آدَمَ يُنْفَقْ عَلَيْكَ» متفقٌ عَلَيهِ(٤).

الشَّـرح

هذه الأحاديث الثلاثة تتعلق بالجود والكرم والإنفاق في وجوه الخير، قد دلَّ القرآن الكريم والسُّنَّة المطهرة على فضل ذلك، فينبغي

(١) سبق تخريجه برقم (٢٢٥).
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب حُسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل برقم (٦٠٣٤)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال: لا، وكثرة عطائه برقم (٢٣١١).
(٣) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾ [الليل: ٥] برقم (١٤٤٢)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب في المُنفق والممسك برقم (١٠١٠).
(٤) أخرجه البخاري في كتاب النفقات، باب فضل النفقة على الأهل وبرقم (٥٣٥٢)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف برقم (٩٩٣).

لأهل الإيمان الإنفاق والإحسان في وجوه البر وأعمال الخير، وأن يحذروا البخل والشح، قال تعالى: ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الحديد: ٧] قال ﷻ: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩] قال: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ١٠، ١١] قال سبحانه: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

والآيات في هذا المعنى كثيرة في الحث على النفقة والإحسان، فينبغي للمؤمن أن يكون له نصيب من هذا حسب طاقته، اتقوا النار ولو بشق تمرة، وكان ﷺ أجود الناس، وكان لا يرد سائلاً، ما سُئل شيئاً إلا أعطاه إن استطاع عليه الصلاة والسلام، وإن لم يستطع وعد خيراً عليه الصلاة والسلام، وكان يعطي السائلين على حسب حالهم وحاجتهم وعلى حسب تأليف قلوبهم، وقد يعطي الرجل السائل وغيره أحب إليه منه تأليفاً لقلبه، وخوفاً عليه من الردة، فالمؤلفة قلوبهم لهم حال خاصة في إعطائهم الزكاة من بيت المال، وغير ذلك تأليفاً لقلوبهم على الإيمان، وترغيباً لهم في الثبات على الإسلام ودعوة لهم إلى المساعدة للمسلمين، والدفاع عنهم إلى غير ذلك.

فهو ﷺ كان يعطي عطاءً من لا يخشى الفقر، ويعتذر إذا لم يتيسر شيء له عليه الصلاة والسلام، قد أعطى مرة أعرابياً غنماً بين جبلين، فقال: يا قومي أسلموا فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفقر ﷺ، ويوم حنين لما جاءت الغنائم من ثقيف وهوازن أعطى جماعة من الكبراء والرؤساء تأليفاً لقلوبهم على مائة من الإبل؛ كأبي سفيان بن حرب وعيينة بن حصن الغفاري، والأقرع بن حابس التميمي، والعباس بن

مرداس السلمي وغيرهم، ممن أعطاهم النبي تأليفاً لقلوبهم وتثبيتاً لهم على الإسلام ودعوة إلى شعوبهم وإلى قبائلهم ليتبعوه في الخير؛ ولهذا قال جابر ﷺ: (**مَا سُئِلَ رسول الله ﷺ شَيْئاً قَطُّ، فقالَ: «لَا»**)[1] كان لا يرُدُّ سائلاً عليه الصلاة والسلام، كل هذا من باب الدعوة إلى الله وتأليف القلوب وربطها بالإسلام، حتى لا تنفر حرصاً على المال وربطها بالمال.

كذلك **حديث أبي هريرة** في نزول ملكين، يقول النبي ﷺ: «**مَا مِنْ يَوْم يُصبحُ العِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقاً خَلَفَاً، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكاً تَلَفاً**» متفق عليه، هذا حثٌّ على فتح باب الإنفاق، وأن الله جلَّ وعلا سخَّر الملكين يدعوان للمنفق بالخلف وللممسك بالتلف، والجدير بالمؤمن أن يحظى بدعوة الملك وينفق ويحسن، يرجو ما عند الله من المثوبة وما عنده من الخلف ﷻ، هكذا المؤمن يتحرى الخير ويتحرى وجوه الخير ويرجو ما عند الله من المثوبة ﷻ، مع رجاء قبول دعوة الملك.

والحديث الثالث: يقول الله جلَّ وعلا: أنفق يا ابن آدم، أنفق ينفق عليك، في اللفظ: أنفق ينفق عليك، وقال النبي ﷺ: «**قَالَ الله تَعَالَى: أنفِقِ يَا ابْنَ آدَمَ يُنْفَقْ عَلَيْكَ**»، متى أنفقت أنفق الله عليك والجزاء من جنس العمل، كما قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩] ودعاء الملك يقول: اللَّهُمَّ أعط منفقاً خلفاً قال تعالى: ﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١٧] فالمؤمن يلتمس الأجر والفضل من الله والخلف منه ﷻ، في دعم المشاريع الخيرية في مواساة الفقراء، صلة الرحم، تعمير المساجد، مساعدة المجاهدين في سبيل الله، إلى غير هذا من وجوه الخير.

وفَّق الله الجميع.

---

(١) سبق تخريجه برقم (٥٤٧).

٥٥٠ ـ وعن عبد اللهِ بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما؛ أنَّ رَجُلاً سَأَلَ رسول الله ﷺ: أيُّ الإسلامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ» متفقٌ عَلَيْهِ[١].

٥٥١ ـ وعنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «أَرْبَعُونَ خَصْلَةً: أَعْلاهَا مَنِيحةُ العَنْزِ، مَا مِنْ عَامِلٍ يَعْمَلُ بخَصْلَةٍ مِنْهَا؛ رَجَاءَ ثَوَابِهَا وَتَصْدِيقَ مَوْعُودِهَا، إلَّا أدْخَلَهُ الله تَعَالَى بِهَا الجَنَّةَ» رواه البخاري[٢].

وقد سبق بيان هَذَا الحديث في باب بَيَانِ كَثْرَةِ طُرُقِ الخَيْرِ.

٥٥٢ ـ وعن أبي أُمَامَة صُدَيِّ بن عَجْلانَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «يَا ابْنَ آدَمَ، إنَّكَ أن تَبْذُلَ الفَضلَ خَيْرٌ لَكَ، وَأن تُمْسِكَه شَرٌّ لَكَ، وَلَا تُلَامُ عَلَى كَفَافٍ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَاليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى» رواه مسلم[٣].

الشَّرح

هذه الأحاديث الثلاثة كلها تتعلق بفضل الجود والكرم والإنفاق في وجوه الخير، وأنه ينبغي للمؤمن أن يكون جواداً كريماً ينفق في مشاريع الخير، ويحسن للفقير واليتيم والمسكين، ويجود على أرحامه وأقربائه ويحسن ويتفضل مما أعطاه الله، هكذا يكون المؤمن قال تعالى: ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الحديد: ٧] فإنفاق مع إيمان لصاحبه أجر عظيم وفضل كبير؛ لما فيه

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب إطعام الطعام من الإسلام برقم (١٢)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل برقم (٣٩).

(٢) أخرجه في كتاب الهبة، باب فضل المنيحة برقم (٢٦٣١).

(٣) أخرجه في كتاب الزكاة، باب بيان أن اليد العليا خيرٌ من اليد السفلى وأن اليد العليا هي المنفقة وأن السفلى هي الآخذة برقم (١٠٣٦).

من سد حاجة المحتاج، والإعانة على وجوه الخير ودعم المشاريع الخيرية، والإحسان إلى المحاويج من عباد الله؛ ولهذا تقدم قوله ﷺ يقول الله ﷻ: **«أنفِق يَا ابْنَ آدَمَ يُنْفَقْ عَلَيْكَ»**[1] وقوله ﷺ: **«مَا مِنْ يَوْمٍ يُصبحُ العِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقاً خَلَفاً، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكاً تَلَفاً»**[2] والله يقول سبحانه: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩] فالإنفاق في وجوه البر له فضل عظيم وعواقب حميدة، مع الإخلاص لله ومع الرغبة فيما عنده ﷻ، فينبغي للمؤمن أن يكون جواداً كريماً محسناً يرجو ما عند الله جلَّ وعلا.

وفي هذا الحديث حديث **عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما**، عن النبي عليه الصلاة والسلام؛ أنه قال لما سُئل: (أيُّ الإسلام خيْرٌ؟ قَالَ: **«تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ»**)، والمؤمن يطعم الطعام ويقرأ السلام على من عرف ومن لم يعرف، هذا أمر مطلوب، مثل يكون هناك فقير يكون هناك ابن السبيل المحتاج يكون هناك ضيف الذي يحتاج إلى أن ينزل بأخيه ليقريه ويواسيه، فإطعام الطعام فيه مصالح كثيرة؛ ولهذا قال: **«تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ»** هذا من خير خصال المسلم؛ أن يطعم الطعام وأن يقرأ السلام ـ يعني: يتلو السلام ويبدأ بالسلام ويفشي السلام، وفي حديث عبد الله بن سلام الإسرائيلي رضي الله عنه؛ أن النبي لما قدم المدينة عليه الصلاة والسلام قال: **«أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلَامَ وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِسَلَامٍ»**[3] فالإنفاق في وجو الخير والبر والإحسان من أفضل القربات ومن أفضل الطاعات، فينبغي لك يا عبد الله أن تجاهد نفسك في هذا الخير العظيم.

---

(١) سبق تخريجه برقم (٥٤٩).

(٢) سبق تخريجه برقم (٢٩٥).

(٣) يأتي تخريجه برقم (١١٦٦).

وفي حديث **أبي أمامة** رضي الله عنه، يقول النبي عليه الصلاة والسلام: «**يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ أن تَبْذُلَ الفَضلَ خَيْرٌ لَكَ، وَأن تُمْسِكَه شَرٌّ لَكَ**»، إمساك الفضل عن الجود والإحسان، الجود والكرم من الفضل، كما تقدم في حديث حكيم بن حزام «**خَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غِنًى**»(١)، «**وَأن تُمْسِكَه شَرٌّ لَكَ**»(٢)؛ يعني: البخل شر ﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ [محمد: ٣٨] «**وَلَا تُلَامُ عَلَى كَفَافٍ**»، الإنسان ما يلام على حاجته ويكف نفسه عن الناس «**وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ**»؛ يعني: يبدأ بمن يعول من أولاده وزوجة وأيتام وأقارب تحت يده، يبدأ بهم قبل البعيدين «**واليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى**»، «**فَاليَدُ العُلْيَا هِيَ المُنْفِقَةُ** ـ المعطية ـ **وَالسُّفْلَى هِيَ السَّائِلَةُ**» فاحرص يا عبد الله أن تكون يدك عليا منفقة محسنة ولا تكن يدك سفلى تأخذ وتسأل.

كذلك **حديث عبد الله بن عمرو بن العاص** «**أَرْبَعُونَ خَصْلَةً: أَعْلاهَا مَنِيحةُ العَنْزِ، مَا مِنْ عَامِلٍ يَعْمَلُ بخَصْلَةٍ مِنْهَا؛ رَجَاءَ ثَوَابهَا وَتَصْدِيقَ مَوْعُودِهَا، إِلَّا أدْخَلَهُ الله تَعَالَى بِهَا الجَنَّةَ**» هذا خير عظيم «**أَرْبَعُونَ خَصْلَةً**» من خصال الخير «**أَعْلاهَا مَنِيحةُ العَنْزِ**» معناها: أن تُعطي أخاك عنزاً يمتنحها يأخذ لبنها وقتاً ما ثم يعيدها إليك، وكيف إذا منحته بقرة أو من الإبل يكون أفضل وأعظم، وكيف إذا منحته ثنتين أو ثلاثاً، كيف إذا أعطيته إياه عطاءً هبة لا منيحة يكون الفضل أكثر، إذا كان أعلاه منيحة العنز هناك خصائل كثيرة تحت هذه المنيحة من الصدقة بالدرهم والدينار عيادة المريض الشفاعة لصاحب الحاجة نصر المظلوم رد السلام تشميت العاطس، كلها خصال خير فإذا تأمل الإنسان خصال الخير تجد مع أُولئك الشيء الكثير من هذه الأربعين يرجو فضلها ويرجو ما فيها من الخير العظيم، فينبغي للمؤمن أن يسارع في الخيرات وأن ينافس في أنواع الخير وألا يحتقر الشيء القليل، كما قال عليه الصلاة والسلام:

---

(١) سبق تخريجه برقم (٢٩٦).

(٢) سبق تخريجه برقم (٥١٠).

«لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئاً وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ»[١]، وكل خصلة يحبها الله وشرعها الله وأمر بها ودعا إليها، فينبغي لك أن تنافس فيها وأن تحرص عليها رجاء فضلها وموعودها، وتصديقاً بما أخبر الله عنها من فضل، وما شرع الله فيها من عمل، فالمؤمن هكذا يتبع ما شرعه الله من قول وعمل ويعمل حسب طاقته يرجو ثوابه وعظيم إحسانه كما وعد ﷻ.

وفَّق الله الجميع.

❊ ❊ ❊

٥٥٣ ـ وعن أنسٍ ﷺ، قَالَ: مَا سُئِلَ رسول الله ﷺ عَلَى الإِسْلَامِ شَيْئاً إِلَّا أَعْطَاهُ، وَلَقَدْ جَاءهُ رَجُلٌ، فَأَعْطَاهُ غَنَماً بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ: يَا قَوْمِ، أَسْلِمُوا فَإِنَّ مُحَمَّداً يُعطِي عَطَاءَ مَن لا يَخْشَى الفَقْرَ، وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُسْلِمُ مَا يُرِيدُ إِلَّا الدُّنْيَا، فَمَا يَلْبَثُ إِلَّا يَسِيراً حَتَّى يَكُونَ الإِسْلَامُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا. رواه مسلم[٢].

٥٥٤ ـ وعن عمر ﷺ، قَالَ: قسم رسول الله ﷺ قَسْماً، فَقُلْتُ: يَا رسولَ الله، لَغَيْرُ هؤلَاءِ كَانُوا أَحَقَّ بِهِ مِنْهُمْ؟ فَقَالَ: «إِنَّهُمْ خَيَّرُونِي أَنْ يَسأَلُونِي بالفُحْشِ، أَوْ يُبَخِّلُونِي، وَلَسْتُ بِبَاخِلٍ» رواه مسلم[٣].

٥٥٥ ـ وعن جبير بن مطعم ﷺ، قَالَ: بَيْنَمَا هُوَ يَسِيرُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ مَقْفَلَهُ مِنْ حُنَيْنٍ، فَعَلِقَهُ الأَعْرَابُ يَسْأَلُونَهُ، حَتَّى اضْطَرُّوهُ إِلَى سَمُرَةٍ، فَخَطِفَت رِدَاءهُ، فَوَقَفَ النَّبِيُّ ﷺ، فقال: «أَعْطُونِي رِدَائِي، فَلَوْ كَانَ لِي عَدَدُ هذِهِ العِضَاهِ نَعَماً، لَقَسَمْتُهُ بَيْنَكُمْ، ثُمَّ لا تَجِدُونِي بَخِيلاً وَلَا كَذَّاباً وَلَا

---

(١) سيأتي تخريجه برقم (٦٩٥).

(٢) أخرجه في كتاب الفضائل، باب «ما سُئل رسول الله ﷺ شيئاً قطُّ فقال: لا وكثرة عطائه» برقم (٢٣١٢).

(٣) أخرجه في كتاب الزكاة، باب إعطاء من سأل بفحش وغلظة برقم (١٠٥٦).

جَبَاناً» رواه البخاري[(١)].

□ (مَقْفَلَهُ)؛ أيْ: حَال رُجُوعِه. وَ(السَّمُرَةُ): شَجَرَةٌ. وَ(العِضَاهُ): شَجَرٌ لَهُ شَوْكٌ.

الشَّرح

هذه الأحاديث الثلاثة كلها تتعلق بفضل الجود والكرم والإنفاق والإحسان، وأنه كان عليه الصلاة والسلام في القمة من الجود والكرم عليه الصلاة والسلام.

حديث أنس يقول رضي الله عنه: كان النبي ﷺ: **(مَا سُئِلَ رسول الله ﷺ عَلَى الإسْلَامِ شَيْئاً إِلَّا أعْطَاهُ)**؛ يعني: لا يسأل شيئاً في الدخول في الإسلام والترغيب في الإسلام والتأليف على الإسلام، إلا أعطاه عليه الصلاة والسلام، فهو يرغب الناس ويؤلفهم؛ ولهذا جعل الله للمؤلفة حظاً في الزكاة وفي بيت المال ليدخلوا في الإسلام وليقوى إسلامهم وليسلم نظراؤهم وليكفوا شرهم أيضاً، فالمال فيه مصالح كثيرة إذا صرف في محله، من جوده ﷺ أنه أعطى أعرابياً غنماً بين جبلين فذهب إلى قومه وقال: يا قومي أسلموا؛ فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، هذا معناه: الحث والتحريض على الجود والكرم والإحسان في محله، للفقراء والمساكين وتأليف الأعراب وتأليف الرؤساء والكبار حتى يكونوا قدوة في الخير وقادة في الخير، وحتى يسلم أمثالهم ونظراؤهم وحتى يُدفع شرهم وشرُ نظرائهم عن المسلمين.

وهكذا ذكر عليه الصلاة والسلام أنه قد يعطي العطية من لا يصلح لها وليس أهلاً لها ليقطع لسانه عن الفحش والكذب والتبخيل، ولئلا يقع في أسباب الردة؛ ولهذا لما قسم قسماً فقال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله

---

(١) أخرجه في كتاب فرض الخُمُس، باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه برقم (٣١٤٨).

لغير هؤلاء كانوا أحق به منهم، قال: «**إِنَّهُمْ خَيرُونِي أَنْ يَسأَلُونِي بِالفُحْشِ، أَوْ يُبَخِّلُونِي، وَلَسْتُ بِبَاخِلٍ**» في اللفظ الآخر: «**إِنِّي لأُعْطِي الرَّجُلَ وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ مَخَافَةَ أَنْ يَكُبَّهُ اللهُ فِي النَّارِ**»[١]؛ يعني: يخشى عليهم من الردة يخشى عليهم من الفتنة إذا لم يعطوا فهو يعطيهم يتألفهم ويدعُ آخرين؛ لما جعل الله في قلوبهم من الغنى والخير ولا يعطيهم لما استقر في قلوبهم من الإيمان، ولأنهم لا خطر عليهم في عدم العطاء، وهكذا جرى يوم حنين أعطى كثيراً من الرؤساء المئات من الإبل وترك الأنصار؛ لما جعل الله في قلوبهم من الغنى والخير والإيمان والتقوى، لم يعطهم ووجد بعض شبابهم شيئاً في ذلك وجمعهم عليه الصلاة والسلام وبيَّن لهم أسباب إعطائهم ذلك، وقال: «**أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالأَمْوَالِ وَتَرْجِعُونَ إِلَى رِحَالِكُمْ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ**»[٢].

وبيَّن لهم أنه يعطي أُناساً يتألفهم على الإسلام.

وهكذا في **حديث جبير بن مطعم** رضي الله عنه: **أَنَّهُ بَيْنَمَا هُوَ يَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَمَعَهُ النَّاسُ، مَقْفَلَهُ مِنْ حُنَيْنٍ، فَعَلِقَهُ الأَعْرَابُ يَسْأَلُونَهُ حَتَّى اضْطَرُّوهُ إِلَى سَمُرَةٍ فَخَطِفَتْ رِدَاءَهُ، فَوَقَفَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ «أَعْطُونِي رِدَائِي، فَلَوْ كَانَ لِي عَدَدُ هَذِهِ العِضَاهِ نَعَماً لَقَسَمْتُهُ بَيْنَكُمْ، ثُمَّ لَا تَجِدُونِي بَخِيلاً وَلَا كَذُوباً وَلَا جَبَاناً»** عليه الصلاة والسلام، الحاصل: أن ولاة الأمور والأغنياء والأثرياء ينبغي لهم أن يجودوا ويحسنوا، وأن ينفقوا مما أعطاهم الله في وجوه البر والخير؛ لتأليف القلوب ونصر الدين وجمع

---

(١) متفق عليه عن سعد رضي الله عنه. أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب إذا لم يكن على الإسلام في الحقيقة برقم (٢٧)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب إعطاء من يخاف على إيمانه برقم (١٥٠)، ساقه بعد (١٠٥٨).

(٢) متفق عليه عن عبد الله بن زيد رضي الله عنه. أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب غزوة الطائف برقم (٤٣٣٠)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه برقم (١٠٦١).

الناس على الخير، تقدم قوله ﷺ يقول الله ﷻ: «**أنفِق يَا ابْنَ آدَمَ يُنْفَقْ عَلَيْكَ**»، تقدم قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩]، قوله ﷻ: ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الحديد: ٧] تقدم قوله ﷺ: «**مَا مِنْ يَوْم يُصبحُ العِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزلانِ، فَيَقُولُ أحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أعْطِ مُنْفِقاً خَلَفاً، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أعْطِ مُمْسِكاً تَلَفاً**» فالإنفاق من الكسب الحلال في وجوه الخير وأعمال الخير من صفات الأخيار، ومن أخلاق الرسل عليهم الصلاة والسلام، ومن أخلاق أتباعهم بإحسان؛ ليواسوا الفقير ويقيموا المشاريع الخيرية، وليتألفوا الناس على الإسلام، وليدفعوا عن الإسلام أيضاً شر الأعداء بسبب المال، فالمال له شأن كبير في جلب الخير ودفع الشر إذا أحسن أهله التصرف فيه.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.

❊ ❊ ❊

٥٥٦ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ **أنَّ رسول الله** ﷺ؛ **قَالَ**: «**مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَال، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْداً بِعَفْوٍ إِلَّا عِزّاً، وَمَا تَواضَعَ أحَدٌ لله إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ** ﷻ» رواه مسلم(١).

٥٥٧ ـ وعن أبي كبشة عمرو بن سعد الأنماري رضي الله عنه: **أنه سمع رسول الله** ﷺ، **يقول**: «**ثَلاثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ، وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثاً فَاحْفَظُوهُ: مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ، وَلَا ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً صَبَرَ عَلَيْهَا إِلَّا زَادَهُ اللهُ عِزّاً، وَلَا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسألَةٍ إِلَّا فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقرٍ ـ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا ـ**

(١) أخرجه في كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب العفو والتواضع برقم (٢٥٨٨).

وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثاً فَاحْفَظُوهُ» قَالَ: «إِنَّمَا الدُّنْيَا لأرْبَعَةِ نَفرٍ: عَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالاً وَعِلماً، فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَيَعْلَمُ للهِ فِيهِ حَقّاً، فَهذا بأفضَلِ المَنَازِلِ. وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ عِلْماً، وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالاً، فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ، يَقُولُ: لَوْ أنَّ لِي مَالاً لَعَمِلتُ بِعَمَلِ فُلانٍ، فَهُوَ بنيَّتِهِ، فأجْرُهُمَا سَوَاءٌ. وَعَبْدٍ رَزَقَهُ الله مَالاً، وَلَمَ يَرْزُقْهُ عِلْماً، فَهُوَ يَخبطُ في مَالِهِ بغَيرِ عِلْم، لا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَلَا يَعْلَمُ للهِ فِيهِ حَقّاً، فَهذَا بأَخْبَثِ المَنَازِلِ. وَعَبْدٍ لَمْ يَرْزُقْهُ اللهُ مَالاً وَلَا عِلماً، فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أنَّ لِي مَالاً لَعَمِلْتُ فِيهِ بعَمَلِ فُلَانٍ، فَهُوَ بنِيَّتِهِ، فوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ» رواه الترمذي[1]، وقال: حديث حسن صحيح.

﷽ الشَّرح ﷽

هذان الحديثان حديث أبي هريرة وحديث أبي كبشة الأنماري رضي الله عنهما؛ فيهما الحث والتحريض على الصدقة والإحسان والجود والكرم، والتواضع لله عز وجل والعفو عند المظلمة، وإصلاح النية والاجتهاد في تصريف المال في وجهه عن علم وبصيرة، يقول عليه الصلاة والسلام: **«مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَال»**؛ معنى ذلك: الحث على الصدقة وأنها لا تنقص الأموال، بل يزيد الله بها الأموال ويبارك في الأموال، كما قال عز وجل: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩]، فالمال الذي ينفق به في وجوه البر عن نية صالحة وإخلاص لله ينزل الله فيه البركة وتزيده الصدقات نمواً وخيراً وبركة، كما قال عز وجل: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]، **«وَمَا تَواضَعَ أحَدٌ لله إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ عز وجل»**، في اللفظ الآخر: **«وَلَا ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلِمَةً فَصَبَرَ**

(١) أخرجه في كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر برقم (٢٣٢٥).

عَلَيْهَا إِلَّا زَادَهُ اللهُ عِزّاً» ولا ظلم عبد مظلمة فصبر عليها إلا رفعه الله بها ﷻ، «**وَمَا زَادَ اللهُ عَبْداً بِعَفْوٍ إِلَّا عِزّاً**»، فالعفو قد يظن بعض الناس أنه ضعف ولكنه عزٌّ في الحقيقة، والله يريد بهذا العفو عزّاً ورفعة في مقابل تواضعهم وعدم تكبرهم على إخوانهم، فينبغي للمؤمن أن يكون كثير الصدقة كثير الإحسان حسن النية عظيم الإخلاص لله ﷻ، مع أخذه بالأسباب وعنايته بالأسباب الشرعية وصرف الصدقة في محلها مع بداءته بمن يعول، ولا يلام على كفاف، كما تقدم في الحديث، كذلك الحث على التواضع لله وعدم التكبر، وأنه ينبغي للمؤمن أن يكون متواضعاً في سائر أحواله، وأن الله يزيد به عزاً لتواضعه عزاً ورفعة، وكذلك ينبغي له أن يتعلم ويتفقه في دينه حتى تكون أعماله على السداد، والعلم والبصيرة.

ولهذا قال أبو كبشة الأنماري عن النبي ﷺ: ثلاثةٌ أقسم عليهن وذكر ما ذكره أبو هريرة التواضع والإحسان والصدقة والصبر على المظلمة وأن العفو لا يضره بل يزيده ويرفعه الله به، ثم ذكر أربعة أمور أن الدنيا لأربعة؛ يعني: في الحقيقة أن مصيرها وحقيقتها تدور على هؤلاء الأربعة: أحدهم: عبد آتاه الله علماً ومالاً؛ يعني: علماً شرعياً وبصيرة في الدين ومالاً «**فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ وَيَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقّاً**» ويتصرف فيه على مقتضى الشريعة مقتضى العلم الشرعي «**فَهَذَا بِأَفْضَلِ المَنَازِلِ**» وأرفع المنازل.

والثاني: «**عَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ عِلْماً وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالاً فَهُوَ**» فقير لكنه بنيته الصادقة وإخلاصه «**يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالاً لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ**» فَهُوَ بِنِيَّتِهِ الصادقة شريك في الأجر، له مثل أجر صاحبه المنفق بسبب نيته الصالحة وأنه عاجز، قد دلت الشريعة على أن العاجز عن العمل مع النية الصادقة يكون له مثل حقوق العاملين، من تأخر عن صلاة الجماعة لمرض له أجر المصلي في الجماعة، من تأخر عن الجهاد

لعذر له أجر المجاهدين وهكذا، يقول ﷺ: «**إِذَا كَانَ العَبْدُ يَعْمَلُ عَمَلاً صَالِحاً فَشَغَلَهُ عَنْهُ مَرَضٌ أَوْ سَفَرٌ كُتِبَ لَهُ كَصَالِحِ مَا كَانَ يَعْمَلُ وَهُوَ صَحِيحٌ مُقِيمٌ**».

ويقول ﷺ لما غزا تبوك: «**إِنَّ بِالمَدِينَةِ أَقْوَاماً مَا سِرْتُمْ مَسِيراً وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِياً إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَهُمْ بِالمَدِينَةِ قَالَ: وَهُمْ بِالمَدِينَةِ، حَبَسَهُمُ العُذْرُ**»[1] هذا من فضل الله جلَّ وعلا؛ أن من حبسه العذر الشرعي صار حكمه حكم العامل بنيته الصالحة.

والثالث: «**وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالاً، وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْماً**» قد آتاه الله مالاً على جهل «**فَهُوَ لَا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَلَا يَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقّاً فَهَذَا بِأَخْبَثِ المَنَازِلِ**» أعوذ بالله.

والرابع: ما أعطاه «**مالاً ولا علماً**» فقير جائع «**فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي**» مثل فلان الذي يعمل الأعمال الرديئة لو كان لي مثل ماله «**لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلَانٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ**» شريك له في الوزر مثل وزره، أعوذ بالله لأنه بنيته وعزمه يقول: لو كان مثل فلان من المال لخبط فيه بغير علم وصرفه فيما حرم الله ولم يتقِ فيه ربه، فيكون مثله بنيته وقصده السيئ، نسأل الله العافية، هذا يفيد المؤمن الحرص على النية الطيبة والإخلاص لله في أعماله، وأنه متى عجز عن العمل الطيب وله نية صالحة لولا العجز لفعل العمل الطيب، يكون شريكاً في ذلك شريكاً في العمل الطيب من صلاة وصوم وجهاد وغير ذلك.

وفَّق الله الجميع.

❊ ❊ ❊

(١) سبق تخريجه برقم (٤).

٥٥٨ ـ **وعن** عائشة رضي الله عنها؛ أَنَّهُمْ ذَبَحُوا شَاةً، فَقَالَ النبيُّ ﷺ: «مَا بَقِيَ مِنْهَا؟» قالت: مَا بَقِيَ مِنْهَا إِلَّا كَتِفُها. قَالَ: «بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرُ كَتِفِهَا» رواه الترمذي[1]، وقال: حديث صحيح.

ومعناه: تَصَدَّقُوا بِهَا إِلَّا كَتِفَها. فَقَالَ: بَقِيَتْ لَنَا في الآخِرَةِ إِلَّا كَتِفَهَا.

٥٥٩ ـ **وعن** أسماء بنت أبي بكرٍ الصديق رضي الله عنهما، قالت: قَالَ لي رسول الله ﷺ: «لَا تُوكِي فَيُوكى عَلَيْكِ»[2].

وفي رواية: «أنفقي أَوِ انْفَحِي، أَوْ انْضَحِي، وَلَا تُحصي فَيُحْصِي اللهُ عَلَيْكِ، وَلَا تُوعي فَيُوعي اللهُ عَلَيْكِ» متفقٌ عَلَيْهِ[3].

▫ وَ(انْفَحِي): بالحاء المهملة، وَهُوَ بمعنى أنفقي وكذلك انْضحي.

٥٦٠ ـ **وعن** أبي هريرة رضي الله عنه؛ أَنَّه سمع رسول الله ﷺ، يَقولُ: «مَثَل البَخيل وَالمُنْفِقِ؛ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُنَّتَانِ مِنْ حَديد مِنْ ثُدِيِّهِمَا إِلَى تَرَاقِيهِمَا، فَأَمَّا المُنْفِقُ فَلَا يُنْفِقُ إِلَّا سَبَغَتْ ـ أَوْ وَفَرَتْ ـ عَلَى جِلْدِهِ حَتَّى تُخْفِيَ بَنَانَهُ، وَتَعْفُو أثرَهُ، وأمَّا البَخِيلُ، فَلَا يُريدُ أَنْ يُنْفِقَ شَيْئاً إِلَّا لَزِقَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ مَكَانَهَا، فَهُوَ يُوسِّعُهَا فَلَا تَتَّسِعُ» متفقٌ عَلَيْهِ[4].

▫ (والجُنَّةُ): الدِّرْعُ؛ وَمَعناهُ: أَنَّ المُنْفِقَ كُلَّما أَنْفَقَ سَبَغَتْ، وَطَالَتْ حَتَّى تَجُرَّ وَرَاءهُ، وَتُخْفِيَ رِجْلَيْهِ وَأَثَرَ مَشْيِهِ وَخطُوَاتِهِ.

---

(١) أخرجه في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب (٣٣) برقم (٢٤٧٠).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب التحريض على الصدقة والشفاعة فيها برقم (١٤٣٣).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب هبة المرأة لغير زوجها برقم (٢٥٩١)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب الحث على الإنفاق وكراهة الإحصاء برقم (١٠٢٩).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب مثل المتصدق والبخيل برقم (١٤٤٣)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب مثل المنفق والبخيل برقم (١٠٢١).

❁ الشَرح ❁

فهذه الأحاديث الثلاثة كالتي قبلها في الحث على الجود والكرم والإنفاق في وجوه الخير، والثقة بالله وإحسان الظن به ﷻ في الخلف والمزيد وعظيم الأجر، تقدمت أحاديث كثيرة تدل على جوده ﷺ وإنفاقه في الخير، وأنه كان ما يرد سائلاً، وأنه كان يعطي عطاء من لا يخشى الفقر عليه الصلاة والسلام، تقدم قوله ﷺ: **قَالَ الله تَعَالَى: «أنفِق يَا ابْنَ آدَمَ يُنْفَقْ عَلَيْكَ»**، تقدم قوله ﷺ: **«مَا مِنْ يَوْمٍ يُصبحُ العِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزلانِ، فَيَقُولُ أحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أعْطِ مُنْفِقاً خَلَفاً، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أعْطِ مُمْسِكاً تَلَفاً»**، وسبق قوله ﷻ: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩]، وقوله ﷻ: ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الحديد: ٧].

وفي حديث عائشة هنا تقول ﵂: (**أَنَّهُمْ ذَبَحُوا شَاةً، وتصدقوا بثلث لحمها إلا كتفها فسألهم النبيُّ ﷺ: «مَا بَقِيَ مِنْهَا؟» قالت: مَا بَقِيَ مِنْهَا إِلَّا كَتِفُها. قَالَ: «بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرُ كَتِفِهَا»**)؛ يعني: الذي أُنفق هو الذي بقي لنا يوم القيامة والكتف حظ النفس وحاجة النفس، هذا يبيِّن أن ما أُنفق في سبيل الله هو الذي يبقى، كما قال جلَّ وعلا: ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ [المزمل: ٢٠]، هكذا قوله ﷺ: **«أَيُّكُم مَالُ وَارِثِهِ أحبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟»** قالوا: يَا رسول الله، مَا مِنَّا أحَدٌ إِلَّا مَالُهُ أحبُّ إِلَيْهِ. قَالَ: **«فإنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ وَمَالَ وَارِثِهِ مَا أخَّرَ»**[1]، فما قدم العبد هو الذي يجده يوم القيامة، إذا أخرجه في الله وفي سبيل الله يجده في ميزان حسناته وينفعه يوم الحادث العظيم، فينبغي للمؤمن أن يحسن وينفق حتى يجد ذلك أحوج ما كان إليه.

---

(١) سبق تخريجه برقم (٥٤٥).

هكذا حديث **أسماء** بنت أبي بكر الصديق أخت عائشة ﵄، زوجة الزبير بن العوام ﵁، قال لها النبي ﷺ: «**يا أسماء أنفقي أَوِ انْفَحِي، أَوْ انْضَحِي، وَلَا تُحصي فَيُحْصِي اللهُ عَلَيْكِ، وَلَا تُوعي فَيُوعي اللهُ عَلَيْكِ**» حثَّها على النفقة والإحسان، وأن من أنفق وسَّع الله عليه، ومن بخل ضيَّق عليه، فالجزاء من جنس العمل، فالذي يخشى الفقر لا ينفعه البخل يضره البخل، ولكن ينبغي الإنفاق والإحسان والجود مع مراعاة حاجته والبداءة بالأقرب فالأقرب، والبداءة بمن يعول فلا ينسى نفسه، كما قال ﷻ: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ﴾ [القصص: ٧٧]، يترك لأهله وحاجتهم ولأيتامه من تحت يده، وينفق مما يسَّر الله مما زاد من الفضل، هكذا المؤمن بصير بأمر دينه ودنياه، ينفق في محل الإنفاق ويبقي لأهله حاجتهم، العبد لا يلام على الكفاف لكن إن يبذل الفضل فهو خير له، وإن يترك الفضل فهو شرٌّ له.

والحديث الثالث: يقول ﷺ: «**مَثَل البَخيل وَالمُنْفِقِ؛ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُنَّتَانِ مِنْ حَديد مِنْ ثُدِيِّهِمَا إِلَى تَرَاقِيهِمَا، فَأَمَّا المُنْفِقُ فَلَا يُنْفِقُ إِلَّا سَبَغَتْ ـ أَوْ وَفَرَتْ ـ عَلَى جِلْدِهِ حَتَّى تُخْفِيَ بَنَانَهُ، وَتَعْفُو أثرَهُ**»، معناه إلى أن انشراح صدره بالإنفاق وسعة باله بالإنفاق وراحته في الإنفاق، وينفق ولا يبالي ولا يخشى الفقر «**وأَمَّا البَخِيلُ**» فهو مثل الجُبة التي عليه الضيقة، التي كلما أراد أن يفتحها ويوسعها ضاقت عليه، «**فَلَا يُريدُ أَنْ يُنْفِقَ شَيْئاً إِلَّا لَزِقَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ مَكَانَهَا، فَهُوَ يُوسِّعُهَا فَلَا تَتَّسِعُ**»، فهكذا صدره وقلبه ضيق في الإنفاق لا يستطيع الإنفاق لما جبل عليه من البخل، ولما استقر في قلبه البخل، كلما أراد الإنفاق شحت نفسه وضاق صدره وضاق قلبه حتى لا ينفق؛ كصاحب الجُبة التي عليه من حديد قد لصقت حلقها في صدره وكفَّتْ يديه قبضت يديه حتى لا يستطيع أن ينفق، هذا مثل عظيم للبخيل والمنفق، المنفق عنده انشراح صدره وعنده راحة القلب وعنده ثقة

بالله حسن ظن بالله وعنده رغبة في الإنفاق وفرح به، والعكس بالعكس البخيل بعكس ذلك، فينبغي للمؤمن أن يحاسب نفسه ويجاهدها في الإنفاق حتى ينشرح صدره حتى لا تكون له صفة البخيل يجاهد ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ﴾ [العنكبوت: ٦]، والله يقول سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت: ٦٩] إذا جاهد نفسه في الله وأنفق وأحسن وخالف هواه حمد العاقبة.

وفَّق الله الجميع.

***

٥٦١ ـ وعنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ تَصَدَّقَ بعَدلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، فَإِنَّ اللهَ يَقْبَلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهَا كَمَا يُرَبِّي أحَدُكُمْ فَلُوَّهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ» متفقٌ عَلَيْهِ[١].

□ (الفَلُوُّ): بفتح الفاء وضم اللام وتشديد الواو، ويقال أيضاً: بكسر الفاء وإسكان اللام وتخفيف الواو: وَهُوَ المُهْرُ.

٥٦٢ ـ وعنه، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِفَلَاةٍ مِن الأَرْضِ، فَسَمِعَ صَوْتاً في سَحَابَةٍ، اسقِ حَدِيقَةَ فُلانٍ، فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ فَأفْرَغَ مَاءهُ في حَرَّةٍ، فإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدِ اسْتَوْعَبَت ذَلِكَ الماءَ كُلَّهُ، فَتَتَبَّعَ المَاءَ، فإذَا رَجُلٌ قَائمٌ في حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الماءَ بِمسحَاتِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ، ما اسمُكَ؟ قال: فُلانٌ للاسم الذي سَمِعَ في السَّحابةِ، فقال له: يا عبدَ الله، لِمَ تَسْألُنِي عَنِ اسْمِي؟ فَقَالَ: إنِّي سَمِعْتُ صَوتاً في السَّحابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ، يقولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ لاسمِكَ، فَمَا تَصْنَعُ

(١) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب الصدقة من كسب طيب برقم (١٤١٠)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها برقم (١٠١٤).

فِيهَا، فَقَالَ: أمَا إذ قلتَ هَذَا، فَإنِّي أَنْظُرُ إلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، فَأتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ، وَآكُلُ أنَا وَعِيَالِي ثُلُثاً، وَأردُّ فِيهَا ثُلُثَهُ» رواه مسلم(١).

▫ (الحَرَّةُ): الأَرْضُ المُلَبَّسَةُ حجَارَةً سَوْدَاءَ. وَ(الشَّرْجَةُ): بفتح الشين المعجمة وإسكان الراءِ وبالجيم: هي مَسِيلُ الماءِ.

الشَّرح

هذان الحديثان الصحيحان عن النبي عليه الصلاة والسلام؛ كالأحاديث السابقة في الحث على الجود والكرم والإنفاق في وجوه الخير، والإحسان إلى الخلق، وأن ذلك مما يقرب من الله ﷻ ومما يسبب عظيم الأجر وجزيل الخلف، تقدم قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩]، تقدم قوله ﷺ: «يقول الله ﷻ: «أنفِق يَا ابْنَ آدَمَ يُنْفَقْ عَلَيْكَ» وقوله ﷺ: «مَا مِنْ يَوْم يُصبحُ العِبَادُ فِيهِ إلَّا مَلَكَانِ يَنْزلانِ، فَيَقُولُ أحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أعْطِ مُنْفِقاً خَلَفاً، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أعْطِ مُمْسِكاً تَلَفاً»، وكان ﷺ أجود الناس، وكان ينفق الأموال الجزيلة في وجوه الخير عليه الصلاة والسلام، ويتألف الناس على الإسلام، وما سُئل شيئاً عن الإسلام إلا أعطى عليه الصلاة والسلام، فينبغي التأسي به والعمل بما جاءت به الأوامر من الإنفاق والإحسان، رجاء ما عند الله من المثوبة، قال تعالى: ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الحديد: ٧]، قال ﷻ: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾، قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، والآيات في هذا المعنى كثيرة في الحث على النفقة والإحسان.

---

(١) أخرجه في كتاب الزهد والرقائق، باب الصدقة في المساكين برقم (٢٩٨٤).

في هذا الحديث الصحيح يقول ﷺ: «مَنْ تَصَدَّقَ بعَدلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، فَإِنَّ اللهَ يَقْبَلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهَا كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ»، الفلو: ولد الفرس ولد البقرة يقال لها: فلو؛ الفلو يعني: الولد الصغير.

المقصود: أن الله يربي هذه الصدقة وينميها له حتى تكون مثل الجبل في ميزان حسناته يوم القيامة، فينبغي للمؤمن أن يحرص على الصدقة من الكسب الطيب، يبتغي ما عند الله من المثوبة، في أعمال الخير في الفقراء والمساكين وفي المشاريع الخيرية، وفي صلة الرحم وفي الجهاد في سبيل الله وغير هذا من وجوه الخير، وبذلك يجد ثوابها عند الله قد نُمي وثُمّر له حتى يجد شيئاً كبيراً وعظيماً في ميزان حسناته وفي كتاب أعماله.

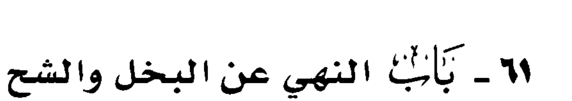
الحديث الثاني: يقول ﷺ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِفَلَاةٍ مِن الأَرْضِ، فَسَمِعَ صَوْتاً في سَحَابَةٍ، اسقِ حَدِيقَةَ فُلانٍ، فَتَنَحَّى ذَلِك السَّحَابُ فَأَفْرَغَ مَاءهُ في حَرَّةٍ، فإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدِ اسْتَوْعَبَت ذَلِك الماءَ كُلَّهُ، فَتَتَبَّعَ المَاءَ، فإِذَا رَجُلٌ قَائمٌ في حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الماءَ بِمسحَاتِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ، ما اسمُكَ؟ قال: فُلانٌ للاسم الذي سَمِعَ في السَّحابةِ، فقال له: يا عبدَ الله، لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ اسْمِي؟ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ صَوتاً في السَّحابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ، يقولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ لاسمِكَ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا، فَقَالَ: أَمَا إذ قلتَ هَذَا، فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخرُجُ مِنْهَا، فَأَتَصدَّقُ بِثُلُثِهِ، وَآكُلُ أنَا وَعِيَالِي ثُلُثاً، وَأردُّ فِيهَا ثُلُثَهُ» يُرُدُّه فيها في مصالحها وحاجاتها، وصار هذا الثلث الذي يتصدق به من أسباب أن الله جلَّ وعلا هيأ له هذا المطر، وساق إليه هذه السحابة حتى سقت هذه المزرعة بسبب عمله الطيب، هذا يدل على أن الإنسان إذا أنفق وأحسن فالله يعينه ويجود عليه ويخلف عليه ﷻ، ويشهد له الأرض كما قال ﷻ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ

أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾ [الطلاق: ٤]، الجزاء من جنس العمل هل جزاء الإحسان إلا الإحسان.

وفَّق الله الجميع.







٦١ ـ بَابُ النهي عن البخل والشح

قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾ [الليل: ٨ ـ ١١] وقال تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن: ١٦].

وأما الأحاديث فتقدمت جملة منها في الباب السابق.

٥٦٣ ـ وعن جابر رضي الله عنه؛ أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ؛ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ؛ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أنْ سَفَكُوا دِمَاءهُمْ، وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ» رواه مسلم(١).



---

(١) أخرجه في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم برقم (٢٥٧٨).




٦٢ ـ بَابُ الإيثار والمواساة

قال الله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩] وقال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨] إلى آخر الآيات.

٥٦٤ ـ **وعن** أَبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النبيِّ ﷺ، فَقَالَ: إنِّي مَجْهُودٌ، فَأرسَلَ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ، فَقالت: وَالَّذي بَعَثَك بِالحَقِّ مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ، ثُمَّ أرْسَلَ إِلَى أُخْرَى، فَقَالَتْ مِثلَ ذَلِك، حَتَّى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثلَ ذَلِكَ: لا وَالَّذِي بَعَثَكَ بالحَقِّ مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ يُضيفُ هَذَا اللَّيْلَةَ؟» فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأنْصَارِ: أنَا يَا رسولَ الله، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى رَحْلِهِ، فَقَالَ لامْرَأتِهِ: أكرِمِي ضَيْفَ رسول الله ﷺ.

📖 وفي روايةٍ قَالَ لامْرَأتِهِ: هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟ فقَالَتْ: لَا، إِلَّا قُوتَ صِبيَانِي، قَالَ: فَعَلِّليهم بِشَيْءٍ وَإذَا أَرَادُوا العَشَاءَ فَنَوِّمِيهِمْ، وَإِذَا دَخَلَ ضَيْفُنَا فَأطْفِئي السِّرَاجَ، وَأَرِيهِ أنّا نَأكُلُ، فَقَعَدُوا وَأكَلَ الضَّيْفُ وَبَاتَا طَاوِيَيْنِ، فَلَمَّا أصْبَحَ غَدَا عَلَى النَّبيِّ ﷺ، فَقَالَ: «لَقَدْ عَجبَ الله مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ» متفقٌ عَلَيْهِ[١].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب قوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ برقم (٣٧٩٨)، ومسلم في كتاب الأشربة، باب إكرام الضيف وفضل إيثاره برقم (٢٠٥٤).

الشـرح

هذه الآيات الكريمات والأحاديث [٥٦٣ و٥٦٤] فيها الحث على الإيثار والإحسان، والتحذير من البخل والشح، تقدمت الآيات الكريمات والأحاديث في الحث على الجود والكرم، والإنفاق في وجوه الخير، وأنه ينبغي للمؤمن أن يكون جواداً كريماً منفقاً محسناً مما أعطاه الله، كما قال الله ﷻ في كتابه العظيم: ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الحديد: ٧] قال ﷻ: ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ١٠، ١١] وقال ﷻ: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥] قال ﷻ: ﴿يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

فالمؤمن من صفته الجود والكرم والإحسان والإنفاق في وجوه الخير، وكان عليه الصلاة والسلام أجود الناس، وكان لا يردُ سائلاً مع القدرة، فإذا لم يتيسر شيء اعتذر إليه ووعده خيراً عليه الصلاة والسلام، أما البخل فشنيع وقبيح ومذموم؛ ولهذا قال ﷻ: ﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ [محمد: ٣٨] قال ﷻ: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن: ١٦] والشح أشد من البخل حرص معه منع، الشح: الحرص على جلب الأموال وجمعها من حلٍّ ومن حرام مع البخل بها وعدم أداء الواجب فيها؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

وتقدم تمثيل النبي ﷺ للبخيل بالذي عليه جبة من حديد قد ألصقت ثدييه وألصقت حلقاتها يديه لصدره إلى ترقوته، فكلما أراد أن ينفق

لصقت كل حلقة مكانها ولزقت كل حلقة مكانها فيوسع ولا تتسع؛ لما في قلبه من الشح، فهو مثل صاحب الجبة من الحديد التي لا يستطيع التخلص منها؛ لما في قلبه من الشح والحرص وسوء الظن، وهو لا يستطيع أن ينفق ولا يحسن.

وكان الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم من أجود الناس، كان الأنصار آثروا المهاجرين وواسوهم مما أعطاهم الله من الأموال لما هاجروا إليهم وآثروهم على أنفسهم، كما قال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩] وجاء ضيف إلى النبي ﷺ في بعض الأيام التي ليس فيها شيء عند النبي ﷺ، سأل أزواجه هل عندهم شيء لضيافته، فأجبن بأنهن ليس عندهن شيء إلا الماء، فقال «**مَنْ يُضِيفُ هَذَا اللَّيْلَةَ؟**» فقال بعض الأنصار: أنا، فذهب به إلى أهله وأعطوه قوت صبيانهم وباتوا طاويين وأشبعوا ضيفهم وأكرموه، وهذا من باب الإيثار: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾.

فالمشروع للمؤمن الإيثار والإحسان والجود والكرم، وإذا كان عنده فضل جاد من الفضل، خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى، قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ [البقرة: ٢١٩] يعني: ما زاد وما حصل من الفضل عن قوت الأهل فيبدأ بنفسه وأهل بيته ومن يعول، ثم يجود على غيره مما أعطاه الله من السعة والفضل، وإذا آثر في بعض الأحيان ضيفاً أو مضطراً هذا من مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، وينبغي للمؤمن أن تكون عنده همة عالية ورغبة فيما عند الله، وحسن ظن بالله ﷻ عند وجود أسباب الإنفاق والإحسان، ينفق ويحسن ويعمل ويكسب الكسب الحلال، ويواسي غيره من الفقراء والمحاويج.

قد قال سبحانه لأهل الإيمان من الأبرار: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩﴾

[الإنسان: ٨ ـ ٩] قال سبحانه: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ﴾ الآية [البقرة: ١٧٧] قال ﷻ: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢]، فالمؤمن عنده خشية لله وجود وكرم وينفق مما يسر الله له: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦] «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»[1] كما في الحديث الصحيح، والإنسان ينفق ويحسن ويجود حسب ما أعطاه الله حسب ما يسر الله له، لكن يبدأ بمن يعول يبدأ بنفسه ومن يعول، ثم يجود من الفضل على إخوانه المحاويج حسب طاقته وحسب ما يسره الله له.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.

❊ ❊ ❊

٥٦٥ ـ وعنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «طَعَامُ الاثْنَيْنِ كَافِي الثَّلاَثَةِ، وَطَعَامُ الثَّلاَثَةِ كَافِي الأربَعَةِ» متفقٌ عَلَيْهِ[2].

وفي رواية لمسلم عن جابر رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ، قَالَ: «طَعَامُ الوَاحِدِ يَكْفِي الاثْنَيْنِ، وَطَعَامُ الاثْنَيْنِ يَكْفِي الأَرْبَعَةَ، وَطَعَامُ الأَرْبَعَة يَكْفِي الثَّمَانِية».

٥٦٦ ـ وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي سَفَرٍ مَعَ النَّبيِّ ﷺ إذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَةٍ لَهُ، فَجَعَلَ يَصرِفُ بَصَرَهُ يَميناً وَشِمَالاً، فَقَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فَليَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لا ظَهرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لا زَادَ لَهُ» فَذَكَرَ مِنْ

---

(١) سبق تخريجه في باب بيان كثرة طرق الخير برقم (١٣٩).
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأطعمة، باب طعام الواحد يكفي الاثنين برقم (٥٣٩٢)، ومسلم في كتاب الأشربة، باب فضيلة المواساة في الطعام القليل، وأن طعام الاثنين يكفي الثلاثة ونحو ذلك برقم (٢٠٥٨).

أَصْنَافِ المالِ مَا ذكر حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لَا حَقَّ لأَحَدٍ مِنَّا في فَضْلٍ. رواه مسلم(١).

٥٦٧ ـ **وعن** سهل بن سعدٍ رضي الله عنه؛ أَنَّ أمْرَأَةً جَاءَتْ إِلَى رسول الله ﷺ بِبُرْدَةٍ مَنْسُوجَةٍ، فَقَالَتْ: نَسَجْتُها بِيَدَيَّ لأَكْسُوكَهَا، فَأَخَذَهَا النَّبيُّ ﷺ مُحْتَاجاً إِلَيْهَا، فَخَرَجَ إِلَيْنَا وَإِنَّهَا إِزَارُهُ، فَقَالَ فُلانٌ: اكْسُنِيهَا مَا أَحْسَنَهَا! فَقَالَ: «نَعَمْ» فَجلَسَ النَّبيُّ ﷺ في المَجْلِس، ثُمَّ رَجَعَ فَطَوَاهَا، ثُمَّ أَرْسَلَ بِهَا إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ القَومُ: مَا أَحْسَنْتَ! لَبِسَهَا النَّبيُّ ﷺ مُحتَاجاً إِلَيْهَا، ثُمَّ سَأَلْتَهُ وَعَلِمْتَ أَنَّهُ لا يَرُدُّ سَائِلاً، فَقَالَ: إِنِّي وَاللهِ مَا سَأَلْتُهُ لأَلْبِسَهَا، إِنَّمَا سَأَلْتُهُ لِتَكُونَ كَفَنِي، قَالَ سَهْلٌ: فَكَانَتْ كَفَنَهُ. رواه البخاري(٢).

الشَّرح

هذه الأحاديث الثلاثة تدل على شرعية الإيثار والجود والكرم والإحسان بالفضل، ومواساة المحتاج، والفقير وإجابة السائل والمحتاج وكان عليه الصلاة والسلام أجود الناس وأسخاهم يداً عليه الصلاة والسلام، وكان لا يرد سائلاً عليه الصلاة والسلام، إما أن يجيبه وإما أن يعتذر إذا لم يجد شيئاً عليه الصلاة والسلام، وتقدم قوله جلَّ وعلا: ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الحديد: ٧] تقدم قوله جلَّ وعلا: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا﴾ [المنافقون: ١٠ ـ ١١] ويقول جلَّ وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ

---

(١) أخرجه في كتاب اللُّقطة، باب استحباب المؤاساة بفضول المال برقم (١٧٢٨).

(٢) أخرجه في كتاب الجنائز، باب من استعد الكفن في زمن النبي ﷺ فلم ينكر عليه برقم (١٢٧٧).

يَوۡمٌ لَّا بَيۡعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥٤] فالمؤمن يغتنم الفرصة والحياة يجود ويحسن مما أعطاه الله ولو بالقليل فاتقوا الله ما استطعتم.

تقدم قوله ﷺ: «خَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غِنًى»[1] وقوله ﷺ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقاً خَلَفاً، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكاً تَلَفاً»، ويقول جلَّ وعلا: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩] فالإنفاق والإحسان والجود والكرم من صفات الأخيار، والحاجة قد تدعو إلى ذلك بين المسلمين، فإذا تفقد المسلم إخوانه وجاد مما أعطاه الله كان ذلك من أفضل القربات ومن أفضل الأعمال.

وقد قال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لا ظَهرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لا زَادَ لَهُ» فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ المالِ مَا ذكر، قال أبو سعيد: (حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لَا حَقَّ لأحَدٍ مِنَّا في فَضْلٍ) فينبغي لأهل الإيمان الجود والإحسان والمواساة وعدم الشح، والله يقول سبحانه: ﴿وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞ﴾ [الحشر: ٩] مدح به الأنصار رضي الله عنهم وأرضاهم.

ويقول عليه الصلاة والسلام زاد الواحد يكفي الاثنين، زاد الاثنين يكفي الثلاثة في الحديث الآخر: «طَعَامُ الوَاحِدِ يَكْفِي الاثْنَيْنِ، وَطَعَامُ الاثْنَيْنِ يَكْفِي الأَرْبَعَةَ، وَطَعَامُ الأَرْبَعَة يَكْفِي الثَّمَانِيَة» يعني: ينبغي فيه الإحسان والجود وسخاوة النفس، وألا يشح الإنسان بل يكتفي بما يسدُّ حاجته، ويحصل به مواساة إخوانه والتوسعة عليهم، فإذا كان الطعام معداً لأربعة كفى ثمانية، يحصل كل واحد منهما ما يكفيه، وإن لم يشبع الشبع الزائد الذي قد يعتاده إنما هو كفاية، وهكذا زاد الاثنين المعد لاثنين يكفي الأربعة.

---

(١) سبق تخريجه برقم (٢٩٦).

وفي **الحديث الثالث**: أنه ﷺ جاءته امرأة من الأنصار (**بِبُرْدَةٍ مَنْسُوجَةٍ، فَقَالَتْ: نَسَجْتُها بِيَدَيَّ لأَكْسُوكَهَا**) البُردة، والبُرد: ثوب يتخذ إزاراً ويتخذ رداء، قطعة خلاف القميص فإنه مصنوع على البدن كله، أما البردة والخف هو قطعة من الثياب يتخذ إزاراً ويتخذ رداءً، فأخذها عليه الصلاة والسلام واتزر بها وخرج بها، فقال بعض الصحابة: ما أحسنها اكسنيها يا رسول الله، فقال: «**نعم**» فجلس فيها ما شاء الله ثم ذهب إلى بيته فطواها، ثم أرسل بها إليه، فقال بعض الناس: ما أحسنت! لبسها النبي ﷺ محتاجاً إليها، وأنت تعلم أنه لا يردُّ سائلاً فكيف تسأله؟ قال الرجل: إني والله ما سألته لألبسها، إنما سألته لتكون كفني؛ لأنها ماست بشرته عليه الصلاة والسلام وجلده فأحب أن تكون هذه البردة كفناً له؛ لكونها قد مست جسد النبي عليه الصلاة والسلام، يرجو بركة ذلك وفضل ذلك، فكانت كفنه، قال سهلٌ: فكانت كفنه.

والله جعل فيما يمس جسده البركة، شعره، وعرقه عليه الصلاة والسلام، وكان يقبل الهدية ويُثيب عليها، فهذه الأنصارية أهدت إليه هذا البرد أو هذه البردة، وكان يُكافئ على الهدية عليه الصلاة والسلام، يقبلها ويكافئ على الهدية ولا يقبل الصدقة عليه الصلاة والسلام.

فالسُّنَّة قبول الهدية من المهدي إذا كانت ليس فيها ما ينقض به ولا على عمل سيئ بالسمعة، ويكافئ عليها، أما إن كانت قد تحمل على عمل سيئ كأن يعطاها لأنه شهد في كذا، ولأنه حكم في كذا فإن هذا قد ينسب بسببها إلى الزور وإلى الحكم بالجور، فينبغي التنزه عن ذلك لمن يخشى عليه من ظن السوء وأنها رشوة، فالهدية تقبل ما لم تكن رشوة، ويُثيب عليها صاحبها يقابلها بما يماثلها أو أزيد من ذلك، كما كان يقبل الهدية عليه الصلاة والسلام ويثيب عليها، لكن إذا اقترن بالمصلحة الشرعية ردُّها، ردها بألّا يتهم فيها لكونه قاضياً أو شاهداً أو أميراً أو نحو ذلك، مما قد يتهم بأخذها ويظن به السوء.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.

***

٥٦٨ ـ **وعن** أبي موسى رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الأشْعَرِيِّينَ إذَا أرْمَلُوا في الغَزْوِ، أوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بالمَدِينَةِ، جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ في ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ في إنَاءٍ وَاحدٍ بالسَّوِيَّةِ فَهُمْ مِنِّي وَأنَا مِنْهُمْ» متفقٌ عَلَيهِ[1].

□ (أرْمَلُوا): فَرَغَ زَادُهُمْ أوْ قَارَبَ الفَرَاغَ.

***

(١) أخرجه البخاري في كتاب الشركة، باب الشركة في الطعام والنهد والعروض برقم (٢٤٨٦)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل الأشعريين برقم (٢٥٠٠).




٦٣ ـ بَابُ التنافس في أمور الآخرة والاستكثار مما يتبرك به

قال الله تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].

٥٦٩ ـ **وعن** سَهْلِ بن سَعدٍ رضي الله عنه؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أُتِيَ بِشَرابٍ، فَشَرِبَ مِنْهُ وَعَنْ يَمِينِهِ غُلَامٌ، وَعَنْ يَسَارِهِ الأَشْيَاخُ، فَقَالَ لِلغُلَام: «أَتأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَ هؤُلاء؟» فَقَالَ الغُلامُ: لَا وَاللهِ يَا رسولَ الله، لا أُوْثِرُ بِنَصِيبي مِنْكَ أحداً. فَتَلَّهُ رَسُولُ الله ﷺ في يَدِهِ. متفقٌ عَلَيهِ[١].

□ (تَلَّهُ): بالتاءِ المثناة فوق؛ أيْ: وَضَعَهُ. وَهذَا الغُلامُ هُوَ ابنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما.

٥٧٠ ـ **وعن** أَبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قَالَ: «بَيْنَا أَيُوبُ عليه السلام يَغْتَسِلُ عُرْيَاناً، فَخَرَّ عَلَيْهِ جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ أَيُوبُ يَحْثِي فِي ثَوْبِهِ، فَنَادَاهُ رَبُّهُ عز وجل: يَا أَيُوبُ، أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيتكَ عَمَّا تَرى؟! قَالَ: بَلَى وَعِزَّتِكَ وَلَكِنْ لَا غِنى بي عن بَرَكَتِكَ» رواه البخاري[٢].

الشَّرح

قد سبق جملة من الأحاديث عن النبي عليه الصلاة والسلام، فيها الحث على المواساة والإحسان والإيثار لذوي الحاجة، والجود والكرم،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المُساقاة، باب في الشرب ومن رأى صدقة الماء وهبته ووصيته جائزة مقسوماً كان أو غير مقسوم برقم (٢٣٥١)، ومسلم في كتاب الأشربة، باب استحباب إدارة الماء واللبن ونحوهما عن يمين المُبتدئ برقم (٢٠٣٠).

(٢) أخرجه في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣] برقم (٣٣٩١).

وسبق أنه ﷺ كان أجود الناس عليه الصلاة والسلام، وأسرعهم إلى الخير عليه الصلاة والسلام، سبق قوله تعالى في كتابه العظيم: ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الحديد: ٧] سبق قوله سبحانه: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩] قوله ﷻ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ﴾ [الحشر: ٩].

وفي حديث أبي موسى الأشعري [٥٦٨]: عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا في الغَزْوِ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بالمَدِينَةِ، جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ في ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ في إنَاءٍ وَاحدٍ بالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ**» هذا فيه الدلالة على فضل الإيثار والمواساة والإحسان، وأن القرية أو القبيلة أو الأسرة إذا تساعدوا في سد حاجة أحدهم وواسوه وجمعوا ما عندهم وتواسوا فيه؛ أن هذا فيه فضل عظيم حتى قال الرسول: «**فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ**» بما عندهم من المواساة والإحسان ورحمة الفقير، فدل ذلك على أنه ينبغي للأسر والجيران والجماعات أينما كانوا أن يتساعدوا وأن يتعاونوا وأن يواسي بعضهم بعضاً إذا اشتدت الحاجة، هكذا المؤمنون شيء واحد جسد واحد، إلههم واحد، كما قال عليه الصلاة والسلام: «**إِنَّ المُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً**» وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ[1].

وفي **الحديثين الأخيرين** والآية الكريمة: المسابقة إلى الخيرات والمسارعة إلى الطاعات وإلى الشيء الذي فيه البركة، قال تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦] في مثل هذا من أعمال الأبرار يتنافس المتنافسون في عمل الخير، قبلها يقول جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ

---

(١) سبق تخريجه في باب تعظيم حرمات المسلمين وبيان حقوقهم برقم (٢٢٢).

مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٢ ـ ٢٦] يعني: في هذا الثواب وفي هذا الخير وهذا النعيم يتنافس أهل القلوب الحية والنفوس الرفيعة والقلوب السليمة، قال تعالى في إعمار الجنة: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾ [الصافات: ٦١] قال تعالى: ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [البقرة: ١٤٨]، قال: ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحديد: ٢١] قال سبحانه: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

الله ﷻ يحث على المسارعة والمسابقة والمنافسة في الخيرات والاستباق إليها، لما فيها من الخير العظيم والعاقبة الحميدة، فالمؤمن يسابق في طلب العلم، في الإحسان إلى الناس، في الجهاد، في صلة الرحم، في بر الوالدين، في الاستكثار من الصلوات والصدقات والذكر إلى غير هذا.

وفي الحديث؛ أن النبي ﷺ كان ذات يوم في مجلسه وعنده ابن عباس عن يمينه وأشياخ عن يساره فأُتِيَ بشرابٍ، فشرب والسُّنَّة أن الكأس مجراها اليمين؛ أن الإنسان إذا شرب يعطي الفضلة من على يمينه، هذه السُّنَّة إلا أن يسمح لمن عن شماله فلا بأس، فقال النبي ﷺ للغلام وهو ابن عباس: («**أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَ هؤُلاء؟» فَقَالَ الغُلامُ: لَا وَاللهِ يَا رسولَ الله، لا أُوْثِرُ بِنَصِيبِي مِنْكَ أحَداً، فَتَلَّهُ رسولُ الله ﷺ في يَدِهِ**). قصد ابن عباس أن يشرب من فضلته عليه الصلاة والسلام؛ لما في فضلته من الخير والبركة عليه الصلاة والسلام، هذا يدلنا على فوائد: منها أن الشيء الذي يجري يكون على اليمين لبن يُشرب، هذا يشرب، هذا يشرب، هذا يشرب، يعطيها على يمينه، ماء؛ أيُّ شرابٍ، عن يمينه أو شيء يوزعه يبدأ باليمين، ثم هكذا حتى ينتهي.

وفيه من الفوائد: تواضعه ﷺ وحسن خلقه عليه الصلاة والسلام، حتى قال للصبي: «**أَتَأْذَنُ لِي**».

وفيه: أنه ينبغي إيثارُ أهل الحق بالحق ولو كانوا صغاراً ولو كانوا أعراباً يعطون حقوقهم.

وفيه: أن من كان على اليمين يؤثر ولو كان على اليسار أفضل منه أو أسن منه أو أعلم منه، لكن إذا سمح وقال: أعط على من يسارك لا بأس، إذا قال: أنا سامح أعطه إذا أراد أن يعطيه قال: لا، أعطه للذي على اليسار؛ لأنه أفضل مني أو أسن مني فلا بأس.

وفي **الحديث الثاني**: قصة أيوب نبي الله عليه الصلاة والسلام، كان أصابه مرض عظيم ثم أعاذه الله منه، وكان يغتسل يوماً عارياً ما عنده أحد «**فَخَرَّ عَلَيْهِ جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ أَيُّوبُ يَحْثِي فِي ثَوْبِهِ**»، فأوحى الله إليه «**يَا أَيُّوبُ، أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيتكَ عَمَّا تَرَى؟! قَالَ: بَلَى وَعِزَّتِكَ وَلَكِنْ لَا غِنى بي عن بَرَكَتِكَ**»، هذه البركة ما استغنى عن البركة من الله، ولهذا لما رأى هذا الجراد من الذهب جعل يحثي منه، وهذا ابتلاء وامتحان واختبار، ربنا يعطي، ابن آدم يحب الزيادة من المال ولو كان غنياً يحب الزيادة من المال ولا سيما إذا كان فيه بركة وخير من فضل الله ﷻ، البركة مطلوبة فلا مانع من أن يطلب المال.

الإنسان يطلب المال للزيادة في البيع والشراء والتجارات والزراعة وغيرها لا بأس، لكن يكون من طريق الحلال من الكسب الحلال، ثم إذا رزقه الله المال يجود ويحسن وينفق ويصل الرحم وينفق في وجوه الخير لا يبخل ﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ [محمد: ٣٨]، والله جواد يحب الجود ﷻ ويحب الإنفاق، فمن رزقه الله المال ووسع عليه ينفق ويحسن حتى يجد ذلك عند مولاه ﷻ أوفر ما كان وأحوج ما كان إليه، تقدم قوله ﷺ: «**مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ وَلَا يَقْبَلُ اللهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ**

فَلُوَّهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ»[١]، إذا تصدق الإنسان بالدرهم أو بتمرة أو بعدل ذلك من كسب طيب لوجه الله قصده الإخلاص، رَبَّها الله له ونماها له حتى تكون أجراً عظيماً في ميزانه يوم الحساب.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.



(١) سبق تخريجه في شرح الحديث رقم (٥٦١).



٦٤ ـ بَابُ فضل الغني الشاكر، وهو من أخذ المال من وجهه وصرفه في وجوهه المأمور بها

قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥ ـ ٧] وقال تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝١٧ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ [الليل: ١٧ ـ ٢١] وقال تعالى: ﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٧١] وقال تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٩٢].

والآيات في فضل الإنفاق في الطاعات كثيرةٌ معلومةٌ.

٥٧١ ـ وعن عبدِ الله بن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «**لَا حَسَدَ إِلَّا في اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالاً، فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا**» متفقٌ عَلَيْهِ[1].

وتقدم شرحه قريباً.

٥٧٢ ـ وعن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ، قَالَ: «**لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ القُرْآنَ، فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهارِ، وَرَجُلٌ**

(١) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب الاغتباط في العلم والحكمة برقم (٧٣)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه وفضل من تعلم حكمة من فقه أو غيره فعمل بها وعلمها برقم (٨١٦).

آتَاهُ مَالاً، فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ» متفقٌ عَلَيْهِ[١].

□ (الآناء): السَّاعاتُ.

٥٧٣ ـ وعن أبي هريرة ﷺ؛ أنَّ فُقَراءَ المُهَاجِرِينَ أتَوْا رسول الله ﷺ، فَقَالُوا: ذَهَبَ أهْلُ الدُّثُورِ بِالدَّرَجَاتِ العُلَى، وَالنَّعِيم المُقيم، فَقَالَ: «وَمَا ذَاك؟» فَقَالوا: يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ وَلَا نَتَصَدَّقُ، وَيَعْتِقُونَ وَلَا نَعْتِقُ، فَقَالَ رسول الله ﷺ: «أفَلا أُعَلِّمُكُمْ شَيْئاً تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ، وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ، وَلَا يَكُونُ أحَدٌ أفْضَلَ مِنْكُمْ إلَّا مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ؟» قالوا: بَلَى يَا رسول الله، قَالَ: «تُسَبِّحُونَ وَتُكَبِّرُونَ وَتَحْمدُونَ، دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلاثاً وَثَلاثِينَ مَرَّةً» فَرَجَعَ فُقَرَاء المُهَاجِرِينَ إلَى رسول الله ﷺ، فقالوا: سَمِعَ إخْوَانُنَا أهلُ الأمْوالِ بِمَا فَعَلْنَا، فَفَعَلُوا مِثلَهُ؟ فَقَالَ رسول الله ﷺ: «ذَلِك فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ» متفقٌ عَلَيْهِ[٢]، وَهَذا لفظ رواية مسلم.

□ (الدُّثور): الأمْوَالُ الكَثِيرَةُ، وَالله أعلم.

الشَّرح

فهذه الآيات الكريمات والأحاديث الثلاثة في فضل الإنفاق في سبيل الله، وفضل الغني الشاكر الذي أخذ المال بحقه ويصرفه في وجوهه، فالغني الشاكر الذي ينفق مما أعطاه الله ويجمع الحلال من

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب اغتباط صاحب القرآن برقم (٥٠٢٥)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه، وفضل من تعلم حكمة من فقه أو غيره فعمل بها وعلمها برقم (٨١٥).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب الذكر بعد الصلاة برقم (٨٤٣)، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة، وبيان صفته برقم (٥٩٥).

الوجوه الطيبة، أفضل عند الله من الفقير؛ لما لديه من كثرة العمل الصالح ونفع الناس؛ ولهذا حض الله سبحانه على النفقة في آيات كثيرات، كما قال ﷻ: ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الحديد: ٧]، قال جلَّ وعلا: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥ ـ ٧]، فمن يعطي وينفق ويحسن ييسر لليسرى، وقال سبحانه: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝١٧ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾ [الليل: ١٧، ١٨]؛ يعني: ينفق ويحسن، قال ﷻ: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢]، قال سبحانه: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٧١] والآيات في النفقة كثيرة منها قوله جلَّ وعلا: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]، ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩]، فالإنفاق أبرز وأفضل صفات المؤمن، وهي من صفات الرسل عليهم الصلاة والسلام، كان نبينا أجود الناس عليه الصلاة والسلام، وأبسطهم يداً في العطاء والجود عليه الصلاة والسلام، فينبغي التأسي به في ذلك وفي هذه الأحاديث دلالة على ذلك.

يقول ﷺ: «**لَا حَسَدَ إِلَّا في اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالاً، فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ**»؛ يعني: على إنفاقه هذا يغبط هذا معناه غبطة؛ يعني: يغبط من هذا الخير ويفرح المؤمن أن يكون مثله، «**وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا**»؛ يعني: فقه في الدين فهو يقضي بها ويعلمها.

في حديث ابن عمر «**لَا حَسَدَ إِلَّا في اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ القُرْآنَ، فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ مَالاً، فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ**» فهما متفقان في معنى واحد، حديث ابن مسعود وحديث

ابن عمر؛ لأن القرآن هو أصل الحكمة، هو أصل العلم، فمن رُزق القرآن والفقه في الدين والنفقة في سبيل الله في وجوه الخير هذا من أحسن الناس حالاً، ويستحق أن يغبط بذلك وأن يتمنى المؤمن أن يكون مثله، كونه يعتني بالقرآن الكريم تدبراً وتعقلاً، وعملاً وينفق في وجوه البر والإحسان، هذا من أفضل المنازل، ولما اشتكى الفقراء إلى النبي ﷺ، أن الأغنياء سبقونا بسبب ما عندهم من المال، ويتصدقون ولا نتصدق، ويعتقون ولا نعتق؛ يعني: نشترك معهم في الصلاة والصوم لكن هم يفضّلون في العتق والصدقات.

قال عليه الصلاة والسلام: **«أفَلا أُعَلِّمُكُمْ شَيْئاً تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ، وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ، وَلَا يَكُونُ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْكُمْ إِلَّا مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ؟» قالوا: بَلَى يَا رسول الله، قَالَ: «تُسَبِّحُونَ وَتُكَبِّرُونَ وَتَحْمدُونَ، دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلاثاً وَثَلاثِينَ مَرَّةً»** هذا يقوم مقام إنفاق الأموال في حق العاجز: التسبيح والتحميد والتهليل يقوم مقام إنفاق الأموال، العاجز من عجز عن المال ويدرك باللسان فضل المنفقين والمحسنين بأنه بنيَّته الصالحة وعمله الطيب يدرك أعمال المنفقين، ففعل الفقراء (**فَرَجَعَ فُقَرَاء المُهَاجِرِينَ إِلَى رسول الله ﷺ، فقالوا: سَمِعَ إخْوَانُنَا أهلُ الأَمْوالِ بِمَا فَعَلْنَا، فَفَعَلُوا مِثْلَهُ؟**) صاروا يسبحون ويحمدون ويذكرون دبر كل صلاة مثلنا، شاركونا أيضاً في هذا (**فَقَالَ رسول الله ﷺ: «ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ»**).

إذا أخذ أهل الغنى والسعة من الأعمال الطيبة والأذكار الشرعية وشاركوا إخوانهم الفقراء بمثل الأعمال الصالحات وزادوا عليهم في الصدقة والإحسان والإنفاق، فهذا فضل الله يؤتيه من يشاء ﷻ، لكن من فضل الله أن الفقير إذا صدقت نيَّته، وأنه متى رزق من المال أنفق منه وعمل، يكون شريكاً في الأجر مثلما أن المريض يكتب له ما كان

يعمل، وهو صحيحٌ إذا كان حبسه المرض ولولا المرض لفعل، والمسافر كذلك، هكذا الفقير إذا كان له نية صالحة، لو كان له مثل فلان من المال لأنفق وأحسن، يعطى مثل أجره فضل من الله ﷻ.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.





٦٥ ـ بَابُ ذكر الموت وقصر الأمل

قال الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: ٣٤]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾ [النحل: ٦١] وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ٩ ـ ١١]، وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَـٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَـٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَـٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٩ ـ ١٠٥]، إلى قوله تعالى: ﴿قَـٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَـٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٢ ـ ١١٥]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن

﴿قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦] والآيات في الباب كثيرة معلومة.

٥٧٤ ـ وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: أخذ رسول الله ﷺ بِمنْكَبي، فَقَالَ: «كُنْ في الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ».

وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما، يقول: إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحتَ فَلَا تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ. رواه البخاري[1].

٥٧٥ ـ وعنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: «مَا حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِم، لَهُ شَيْءٌ يُوصِي فِيهِ، يَبيتُ لَيْلَتَيْنِ إِلَّا وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ» متفقٌ عَلَيْهِ[2]، هَذَا لفظ البخاري.

📖 وفي رواية لمسلم: «يَبِيتُ ثَلَاثَ لَيَالٍ» قَالَ ابن عمر: مَا مَرَّتْ عَلَيَّ لَيْلَةٌ مُنْذُ سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ قَالَ ذَلِكَ إِلَّا وَعِنْدِي وَصِيَّتِي.

٥٧٦ ـ وعن أنس رضي الله عنه، قَالَ: خَطَّ النَّبيُّ ﷺ خُطُوطاً، فَقَالَ: «هَذَا الأَمَلُ، وَهَذَا أَجَلُهُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَ الخَطُّ الأَقْرَبُ» رواه البخاري[3].

الشَّرح

فهذه الآيات الكريمات والأحاديث فيها الحث على ذكر الموت وقصر الأمل والإعداد للآخرة، وأنه ينبغي للمؤمن ألّا يغفل عن الآخرة

---

(١) أخرجه في كتاب الرقاق، باب قول النبي ﷺ: «كن في الدنيا كأنك غريبٌ أو عابر سبيلٍ» برقم (٦٤١٦).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الوصايا، باب الوصايا برقم (٢٧٣٨)، ومسلم في كتاب الوصية برقم (١٦٢٧).

(٣) أخرجه في كتاب الرقاق، باب في الأمل وطوله برقم (٦٤١٨).

وألّا ينساها، الموت الذي لا بد أن ينزل به ويبني على ذلك إعداده للآخرة، وحذره من الاغترار بالدنيا وزينتها وغفلتها، فإن الأجل يأتي بغتة فلا ينبغي للعاقل أن يهمله وأن يضيعه وأن يغفل عنه، بل الواجب أن يعد العُدة للقاء ربه ﷻ قبل أن يقول: ياليتني قدمتُ لحياتي، قبل أن يتمنى الرجعة؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، قال ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون: ٩]؛ يعني: عن طاعة الله واتباع شرعه، ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ۝٩ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ﴾ [المنافقون: ٩، ١٠] هلا أخرتني ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [المنافقون: ١٠]، ثم بيَّن سبحانه أن هذا لا حيلة فيه، إلى أن قال: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا﴾ [المنافقون: ١١] ليس هناك مهلة، متى نزل الأجل ارتحل بصاحبه؛ ولهذا يقول سبحانه: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل: ٦١]، الواجب على العاقل، وعلى المؤمن؛ أن يُعدَّ لهذا اليوم عُدة صالحة بتقوى الله والاستقامة على أمره والوقوف عند حدوده، والحذر مما نهى عنه ﷻ، ولا تغره الدنيا بزهرتها، بل يجب أن يستعين بها على طاعة الله، وليأخذ أُهبته.

ولهذا في حديث **ابن عمر** ﷺ يقول ﷺ: «**كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ**». والعابر والغريب: وهو عابر السبيل، إنما يأخذ من البلد حاجته التي توصله إلى بلاده، هذا هو المعتاد المعروف فإذا مر ببلد يتأهب منها بطريقه، وأنت في هذا الدار راحل وسائر، والمنتهى: إما الجنة وإما النار، فالعاقل يُعدُّ العُدة إلى المنزلة الصالحة إلى دار الكرامة، قبل أن يقول: يا ليتني، قبل أن يحال بينه وبين ذلك، ورُوي

عنه؛ أنه قال عليه الصلاة والسلام: «**اغْتَنِمْ خَمْساً قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ**»[١].

كل إنسان قد تعرض لهذه العوارض فليغتنم، يغتنم حال الصحة الحياة والفراغ والغنى والقدرة، يغتنم ذلك في أعمال الخير والاستعداد للآخرة والحذر مما يصده عن ذلك (**وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ** ﷺ، **يقول: إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحتَ فَلَا تَنْتَظِرِ المَسَاءَ**)؛ يعني: أخذ من الحديث هذه الفائدة، (**وَإِذَا أَصْبَحتَ فَلَا تَنْتَظِرِ المَسَاءَ وَإِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ**)؛ يعني: كان يأمر إخوانه بأن يستعدوا ويحذروا وألّا يطولوا الأمل فيكسلوا عن العمل، بل يعدُّ العُدة خشية أن يهجم الأجل صباحاً ومساء، والناس يشاهدون من يصبح ولا يمسي ويُمسي ولا يُصبح، من تهجم عليه الآجال لأسباب ما كانت في باله من موت السكتة، من انقلاب السيارات، من صدام السيارات، ومن غير هذا من الحوادث فليس عنده وثيقة أنه يمرض ويطول مرضه ويكره أن يستعتب، وقد يهجم الأجل من دون مرض ومن دون مقدمات.

وفي حديث ابن عمر الثاني يقول ﷺ: «**مَا حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، لَهُ شَيْءٌ يُوصِي فِيهِ، يَبِيتُ لَيْلَتَيْنِ إِلَّا وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ**» في لفظ: ثلاث، قال ابن عمر: فما مرت علي ليلةٌ منذ سمعت هذا من رسول الله إلا وعندي وصيتي.

فالعاقل الحازم يأخذ بالحيطة فيجتهد في الاستعداد لِما يُرضي الله ويوصي بما يلزم، كأن يحب أن يوصي بشيء بثلثه أو ربعه أو غير ذلك،

---

(١) أخرجه عن ابن عباس ﷺ الحاكم في المستدرك وصححه ووافقه الذهبي (٤/ ٣٤١) برقم (٧٨٤٦).

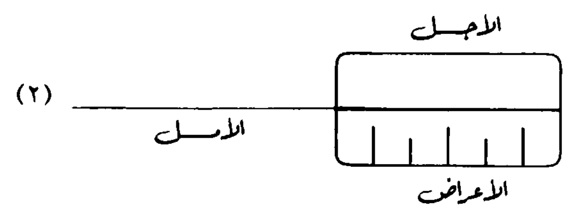
يوصي فإن كانت عليه حقوق يوصي بها؛ لئلا تضيع، ولا سيما الحقوق التي ليس عنده لها وثائق عليها من ديون أو أمانات ونقود وغير هذا، يقيدها يكتبها ويبينها حتى لا تضيع حقوق الناس، هكذا المؤمن، هكذا المؤمنة كل واحد منهما يأخذ بالحيطة ويجتهد في الإعداد ويوصي بما يلزم مخافة الندم مخافة التفريط.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.

❖ ❖ ❖

٥٧٧ ـ **وعن** ابن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: خَطَّ النَّبيُّ ﷺ خَطّاً مُرَبَّعاً، وَخَطَّ خَطّاً في الوَسَطِ خَارِجاً مِنْهُ، وَخَطَّ خُطَطاً صِغَاراً إِلَى هَذَا الَّذِي في الوَسَطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي في الوَسَط، فَقَالَ: «هَذَا الإنْسَانُ، وَهذَا أَجَلُهُ مُحيطاً بِهِ ـ أَوْ: قَدْ أَحَاطَ بِهِ ـ وَهذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمَلُهُ، وَهذِهِ الخُطَطُ الصِّغَارُ الأَعْرَاضُ، فَإنْ أَخْطَأَهُ هَذَا، نَهَشَهُ هَذَا، وَإنْ أَخْطَأَهُ هَذَا، نَهَشَهُ هَذَا» رواه البخاري[1].

وَهذِهِ صُورَتُهُ:



٥٧٨ ـ **وعن** أَبي هريرة رضي الله عنه؛ أَنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: «بَادِرُوا بِالأعْمَالِ سَبْعاً، هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلَّا فَقْراً مُنْسِياً، أَوْ غِنَىً مُطْغِياً، أَوْ مَرَضاً مُفْسداً، أَوْ هَرَماً مُفَنِّداً، أَوْ مَوْتاً مُجْهِزاً، أَوْ الدَّجَّالَ، فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ، أَوْ

(١) أخرجه في كتاب الرقاق، باب في الأمل وطوله برقم (٦٤١٧).

(٢) هذا التصور التوضحي منقول من نسخة رياض الصالحين، بتحقيق وتخريج وتقديم الشيخ شعيب الأرنؤوط، (ص٢٠٥) طبعة مؤسسة الرسالة، ط٣ عام ١٤٢٢هـ.

السَّاعَةَ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ؟!» رواه الترمذي[١]، وقال: حديث حسن.

٥٧٩ ـ وعنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ»؛ يعني: المَوْتَ. رواه الترمذي[٢]، وقال: حديث حسن.

الشَّرح

هذه الأحاديث الثلاثة فيها الحث على قصر الأمل والإعداد للآخرة، وعدم الركون للدنيا والغفلة عن الآخرة، وينبغي للمؤمن أن يتذكر أنه ميِّت، وأن الأجل يهجم عليه بغتة، وأن الواجب الإعداد للآخرة والتزود لها، كما قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٩٧]، فالمؤمن من شأنه العناية بمستقبله وما ينتظره، وأن يعد العدة للآخرة، وأن يحذر الركون إلى الدنيا، والغفلة عما وراءه من أمر الآخرة، ولكن ذلك لا يمنعه مِن أخذ نصيبه من الدنيا وطلب الرزق والأخذ بالحلال، والقيام بما أوجب الله عليه من حقه وحق عباده فيجمع بين هذا وهذا، كما قال الله سبحانه: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧].

هذا الحديث عن الرسول ﷺ مثل ابن آدم وأجله وما يحيط به من الآفات، خط خطاً مستديراً مربعاً، وخط خطاً خارجاً عنه، وخط خطاً من داخل، وخط خطوطاً صغيرة حواليه، قال هذا ابن آدم في داخل المخطوط، خطَّ له من داخل وهذا أجله محيط به ما له مفر من

---

(١) أخرجه في كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في المبادرة بالعمل برقم (٢٣٠٦).

(٢) أخرجه في كتاب الزهد، باب ما جاء في ذكر الموت برقم (٢٣٠٧).

الأجل، الأجل لا بد منه ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ﴾ [آل عمران: ١٨٥] ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ١١] فليس له محيص من الموت، وهذا الخط الخارجي هذا أمل يؤمل آمالاً بعيدة، يؤمل آمالاً بعيدة وليس له إلا ما كتب الله له، فهذا الخطط الصغار التي حولها هي الآفات والأعراض فإن أخطأه هذا نهشه هذا، وإن أخطأه هذا نهشه هذا، ما يصيبه من أمراض وخوارق، التي تصيب الإنسان من الآفات، كل شيء قد مضى في علم الله وقدره السابق ﷻ.

فإذا علم المؤمن أنه لا محيص له من الموت وأنه محيط به وأن أجله لا بد منه فلا ينبغي أن يغتر بالآمال: تطويل الآمال، وينسى الآخرة وينسى الموت، بل يعد العُدة ويحذر هجوم الأجل وإعداد العُدة ولزوم طاعة الله، والاستقامة على أمر الله، وترك معاصي الله، والوقوف عند حدود الله والإكثار من ذكره وطاعته والمسابقة إلى الخير، هذه العُدة، كثير من الناس قد يتساهل ويؤمل أمالاً طويلة فيهجم عليه الأجل وهو على تفريط وعلى إضاعة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وفي هذا يقول ﷺ: «**بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ سَبْعاً**،» بادروا قبل أن تقع بكم هذه السبعة «**هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلَّا فَقْراً مُنْسِياً، أَوْ غِنَىً مُطْغِياً، أَوْ مَرَضاً مُفْسِداً، أَوْ هَرَماً مُفَنِّداً، أَوْ مَوْتاً مُجْهِزاً، أَوْ الدَّجَالَ، فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ، أَوْ السَّاعَةَ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ؟!**»، فالإنسان ما يسلم من هذه الأشياء إما فقر يُنسيه طاعة الله ويكون مشغولاً بنفسه، وإما «**غِنَىً مُطْغِياً**» يُطغيه ويغره ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق: ٦، ٧] وإما «**مَرَضاً مُفْسِداً**» يفسد عليه حركته وقوته حتى لا يستطيع العمل، وإما «**هَرَماً مُفَنِّداً**» وهو تغير العقل لكبر السن، التخريف فلا يعتبر كمال العمل بعد ذلك لفساد العقل، أو موت يهجم عليه: الأجل «**أَوْ مَوْتاً مُجْهِزاً**» لا حيلة له فيه ولا

يمكن رده حتى يستعتب حتى يتوب «**أَوْ الدَّجَّالَ**» إن طالت به الحياة «**فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ**»، الدجال؛ لأنه كذاب يلبس على الناس أمورهم ويدعي أنه نبي، ثم يدعي أنه ربُّ العالمين، ويأتي معه بمخارق تلتبس على أكثر الخلق «**أَوْ السَّاعَةَ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ**؟!» والنهاية **السَّاعَة** من طال من عاش، آخر أمره **السَّاعَةَ** فإنها تقوم على آخر الناس وهم شرار الناس، تقوم على شرار الناس بعدما يقبض الله روح كل مؤمن ومؤمنة، فيبقى الأشرار وعليهم تقوم **السَّاعَةُ**، فالمؤمن يعدُ العُدة قبل أن يصاب بشيء من الهموم، يغتنم الفرصة، يغتنم حياته وصحته وسلامته وعقله حتى يعد لآخرته.

الحديث الثالث: «**أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ**»؛ يعني: **المَوْتَ**. هَاذِمِ؛ يعني: قاطع؛ يعني: أكثروا **ذِكْرَ** الموت ذكر هاذم **اللَّذَّاتِ** الذي يقطع اللذات ويحوّل العبد من هذه الدار إلى دار أخرى وهي الجنة أو النار، فينبغي ذكره فيكون على البال حتى لا يفرط الإنسان، وحتى لا يغفل، حتى لا يضيع أمر الله ﷻ، من تذكر الموت أعد له، ومن غفل عنه قد يتساهل فيقع فيما حرَّم الله ويتساهل في ترك ما أوجب الله فيهلك بذلك، أو تصيبه بسبب ذلك عقوبات شديدة إما عاجلاً وإما آجلاً.

نسأل الله للجميع العافية والهداية.

❊ ❊ ❊

٥٨٠ ـ وعن أُبَيِّ بن كعب ﵁: **كَانَ رسول الله ﷺ إِذَا ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ قَامَ، فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، اذْكُرُوا اللهَ، جَاءتِ الرَّاجِفَةُ، تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ، جَاءَ المَوْتُ بِمَا فِيهِ، جَاءَ المَوْتُ بِمَا فِيهِ» قُلْتُ: يَا رسول الله، إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ، فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي؟ فَقَالَ: «مَا شِئْتَ» قُلْتُ: الرُّبُع، قَالَ: «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ» قُلْتُ: فَالنِّصْف؟**

قَالَ: «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ» قُلْتُ: فالثُّلُثَيْنِ؟ قَالَ: «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ» قُلْتُ: أجعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا؟ قَالَ: «إذاً تُكْفى هَمَّكَ، وَيُغْفَر لَكَ ذَنْبكَ» رواه الترمذي[(١)]، وقال: حديث حسن.

الشَّرح

هذا حديث أُبي بن كعب فيما بيَّنه من قيام النبي ﷺ إذا مضى ثلث الليل «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، اذْكُرُوا اللهَ، جَاءتِ الرَّاجِفَةُ، تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ، جَاءَ المَوْتُ بِمَا فِيهِ، جَاءَ المَوْتُ بِمَا فِيهِ» هذا لو صح معناه من باب التذكير بالموت، ولكن السند فيه ضعف، سند هذا الحديث فيه ضعف، وليس من الأحاديث الثابتة عن النبي عليه الصلاة والسلام، في هذا النداء، ولو صح لكان معناه التذكير بالآخرة والتذكير بما يكون فيها للإعداد لها، والحذر من الركون إلى الدنيا والغفلة عن الآخرة.

وأما قول أُبي: (يا رسول الله، إنِّي أُكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ، فَكَمْ أجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي؟ فَقَالَ: «مَا شِئْتَ» قُلْتُ: الرُّبُع، قَالَ: «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ» قُلْتُ: فَالنِّصْف؟ قَالَ: «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ» قُلْتُ: فالثُّلُثَيْنِ؟ قَالَ: «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ» قُلْتُ: أجعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا؟ قَالَ: «إذاً تُكْفى هَمَّكَ، وَيُغْفَر لَكَ ذَنْبكَ») هذا معناه عند أهل العلم: أن لأُبيِّ صلاة دعوات يدعو بها، فاستأذن النبي ﷺ في أن يجعل له الربع النصف إلى آخره، فقال: أجعلها لك كلها قال: «إذاً تُكْفى هَمَّكَ، وَيُغْفَر لَكَ ذَنْبكَ» يعني: إذاً بإكثارك من الصلاة عليَّ عليه الصلاة والسلام: «تُكْفى هَمَّكَ، وَيُغْفَر لَكَ ذَنْبكَ» هذا يبيِّن لنا أن الإكثار

---

(١) أخرجه في كتاب صفة القيامة والورع عن رسول الله ﷺ، باب منه برقم (٢٤٥٧)، وأخرجه أحمد ٥/ ١٣٦. وقد ضعف هذا الحديث سماحته. ـ كما سيأتي في شرحه له، وانظر: أيضاً مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لسماحته (٢٦/ ١٠٢) ـ.

من الصلاة على النبي ﷺ من أسباب غفران الذنوب وإزالة الهموم، قد صح عن النبي ﷺ؛ أنه قال: «**مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْراً**»(١)، والله يقول: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا**﴾ [الأحزاب: ٥٦] الصلاة والسلام عليه من أفضل القربات ومن أفضل الطاعات من أسباب تفريج الهموم وتفريج الكروب ومضاعفة الحسنات ومغفرة الذنوب، فينبغي للمؤمن أن يكثر من الصلاة والسلام عليه في الليل والنهار وفي يوم الجمعة بالمزيد من ذلك، وعند ذكره ﷺ إذا مرَّ ذكره عليه الصلاة والسلام، وهكذا بعد الفراغ من الأذان يصلي على النبي ﷺ المؤذن والمستمع وبعد الصلاة: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ وَالصَّلَاةِ القَائِمَةِ آتِ مُحَمَّداً الوَسِيلَةَ وَ الفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ المَقَامَ المَحْمُودَ الَّذِي وَعَدْتَهُ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ المِيعَادَ إِلَّا حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي**»(٢).

قال عليه الصلاة والسلام من قال ذلك حلت له شفاعتي يوم القيامة.

ولما قال بعضهم يا رسول الله إن المؤذنين يقولونها قال: «**قل كما يقولون**» يعني: قل كما يقول المؤذن.

في اللفظ الآخر: «**إِذَا سَمِعْتُمُ المُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَمَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْراً ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِيَ الوَسِيلَةَ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ فَمَنْ سَأَلَ لِيَ الوَسِيلَةَ، حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ**».

في اللفظ الآخر يقول ﷺ: «**مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ وَالصَّلَاةِ القَائِمَةِ، آتِ مُحَمَّداً الوَسِيلَةَ وَ الفَضِيلَةَ،**

---

(١) سيأتي تخريجه برقم (١٣٩٧).

(٢) أخرجه البيهقي من حديث جابر ﷺ، في السنن الكبرى ١/ ٤١٠ برقم (١٧٩٠)، وقال سماحته رَحِمَهُ اللهُ في الفتاوى الجزء التاسع والعشرون (ص١٤١) زاد البيهقي بسند جيد عن جابر بعد قوله الذي وعدته. «**إنك لا تخلف الميعاد**».

وَابْعَثْهُ مَقَاماً مَحْمُوداً الَّذِي وَعَدْتَهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ»[١] هذا فيه فضل كبير، فينبغي للمؤمن أن يحرص على ذلك، فيجيب المؤذن ويقول كما يقول المؤذن إلا عند قوله: حي على الصلاة حي الفلاح يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم بعد فراغه من قول: لا إلـٰه إلا الله يقول: اللَّهُمَّ صلِّ وسلم على رسول الله، اللَّهُمَّ صلِّ على محمد ثم يقول: **«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ وَالصَّلَاةِ القَائِمَةِ آتِ مُحَمَّداً الوَسِيلَةَ وَالفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ المَقَامَ المَحْمُودَ الَّذِي وَعَدْتَهُ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ المِيعَادَ»** ففي هذا فضل عظيم.



---

(١) سيأتي تخريجه رقم (١٠٣٩).




٦٦ ـ بَابُ استحباب زيارة القبور للرجال وما يقوله الزائر

٥٨١ ـ **عن** بُرَيْدَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عن زِيَارَةِ القُبُورِ فَزُورُوها» رواه مسلم(١).

وفي رواية: «فَمَنْ أرَادَ أنْ يَزُورَ القُبُورَ فَلْيَزُرْ؛ فإنَّهَا تُذَكِّرُنَا الآخِرَةَ»(٢).

٥٨٢ ـ **وعن** عائشة رضي الله عنها، قالت: كَانَ رسول الله ﷺ كلَّما كَانَ لَيْلَتُهَا مِنْ رسول الله ﷺ يَخْرُجُ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ إلَى البَقِيعِ، فَيقولُ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَأتَاكُمْ مَا تُوعَدُونَ، غداً مُؤَجَّلُونَ، وَإنَّا إنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأهْلِ بَقِيعِ الغَرْقَدِ» رواه مسلم(٣).

٥٨٣ ـ **وعن** بريدة رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ النبيُّ ﷺ يُعَلِّمُهُمْ إذَا خَرَجُوا إلَى المَقَابِرِ أنْ يَقُولَ قَائِلُهُمْ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أهلَ الدِّيَارِ مِنَ المُؤْمِنينَ وَالمُسلمينَ، وَإنَّا إنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ للَاحِقونَ، أسْألُ اللهَ لَنَا وَلَكُمُ العَافِيَةَ» رواه مسلم(٤).

٥٨٤ ـ **وعن** ابن عباسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: مرَّ رسول الله ﷺ بِقُبورٍ بالمدِينَةِ

---

(١) أخرجه في كتاب الجنائز، باب استئذان النبي ﷺ ربه ﷻ في زيارة قبر أمه برقم (٩٧٧).

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الجنائز، باب الرخصة في زيارة القبور برقم (١٠٥٤).

(٣) أخرجه في كتاب الجنائز، باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها برقم (٩٧٤).

(٤) أخرجه في كتاب الجنائز، باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها برقم (٩٧٥).

فَأَقْبَلَ عَلَيْهِمْ بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: «السَّلامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ القُبُورِ، يَغْفِرُ اللهُ لَنَا وَلَكُمْ، أَنْتُمْ سَلَفُنَا وَنَحنُ بالأَثَرِ» رواه الترمذي[1]، وقال: حديث حسن.

الشَّرح

هذه الأحاديث: تدل على فضل الزيارة للقبور وأنها سُنَّة؛ ولذا قال عليه الصلاة والسلام: «زُورُوا القُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمُ الآخِرَةَ» زيارة القبور فيها فضل كبير وتذكير للموت، تذكير للآخرة دعاء للأموات وترحم عليهم، ففيها مصالح للزائر والمزُورين، الزائر يتذكر ويدعوه ذلك للاستعداد والحذر وعدم الغفلة، والمزورون يُدعى لهم ويترحم عليهم؛ ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة»، في اللفظ الآخر «زُورُوا القُبُور فَإِنَّهَا تُذَكِّر المَوْت»، وكان يعلم أصحابه إذا زاروا القبور أن يقولوا: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أهلَ الدِّيَارِ مِنَ المُؤْمِنينَ وَالمُسلمينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ للَاحِقونَ، أَسْأَلُ اللهَ لَنَا وَلَكُمُ العَافِيَةَ».

في حديث عائشة كان يقول إذا زار القبور: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْم مُؤْمِنِينَ، وَأَتَاكُمْ مَا تُوعَدُونَ، غداً مُؤَجَّلُونَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأَهْلِ بَقِيعِ الغَرْقَدِ».

ورُوي عنه عليه الصلاة والسلام في حديث ابن عباس (مرَّ رسول الله ﷺ بِقُبورٍ بالمدِينَةِ فَأقبَلَ عَلَيْهِمْ بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ القُبُورِ، يَغْفِرُ اللهُ لَنَا وَلَكُمْ، أَنْتُمْ سَلَفُنَا وَنَحنُ بالأثَرِ») هكذا ينبغي لأهل الإيمان الاستكثار من زيارة القبور؛ لما فيها من التذكير بالآخرة وترقيق القلوب والدعاء للموتى بالمغفرة والرحمة، هكذا شرع الله الزيارة لما فيه من المصالح وهذا للرجال خاص، أما النساء فليس لهن زيارة

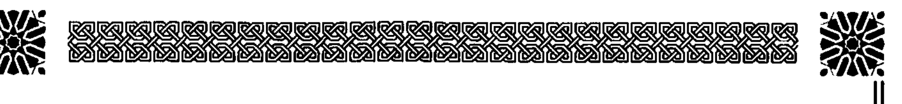
(١) أخرجه في كتاب الجنائز، باب ما يقول الرجل إذا دخل المقابر برقم (١٠٥٣).

القبور؛ لأنهن فتنة، وصبرهن قليل، فمن حكمة الله أن منعهن من القبور، لكن يصلين على الميت مع الناس، يصلين على الموتى، أما زيارة القبور فمنهي عنها، وفي هذا الحديث: «**لَعَنَ رَسُولُ اللهُ ﷺ زَائِرَاتُ القُبُورِ**»[1]، القبور إنما يزورها الرجال دون النساء.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.



(١) أخرجه أبو داود من حديث ابن عباس رضي الله عنهما في كتاب الجنائز، باب في زيارة القبور للنساء برقم (٣٢٣٦)، والترمذي في كتاب مواقيت الصلاة، باب ما جاء في كراهية أن يتخذ القبر مسجداً برقم (٣٢٠)، والنسائي في كتاب الجنائز، باب التغليظ في اتخاذ السرج على القبور برقم (٢٠٤٣).



٦٧ ـ بَابُ كراهية تمني الموت بسبب ضر نزل به، ولا بأس به لخوف الفتنة في الدين

٥٨٥ ـ **عن** أَبي هريرة ﷺ؛ أنَّ رسول الله ﷺ، قال: «لا يَتَمَنَّ أحَدُكُم المَوْتَ، إمَّا مُحْسِناً فَلَعَلَّهُ يَزْدَادُ، وَإمَّا مُسِيئاً فَلَعَلَّهُ يَسْتَعْتِبُ» متفقٌ عَلَيْهِ، وهذا لفظ البخاري[١].

📖 وفي رواية لمسلم، عن أَبي هريرة ﷺ، عن رسول الله ﷺ، قَالَ: «لَا يَتَمَنَّ أَحَدُكُم المَوْتَ، وَلَا يَدْعُ بِهِ مِنْ قَبْلِ أنْ يَأتِيَهُ؛ إنَّهُ إذَا مَاتَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ، وَإنَّهُ لَا يَزِيدُ المُؤْمِنَ عُمُرُهُ إلَّا خَيْراً».

٥٨٦ ـ **وعن** أنسٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «لَا يَتَمَنَّيَنَّ أحَدُكُم المَوْتَ لِضُرٍّ أصَابَهُ، فَإنْ كَانَ لَا بُدَّ فَاعِلاً، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ أحْيِنِي مَا كَانَتِ الحَيَاةُ خَيْراً لي، وَتَوَفَّنِي إذَا كَانَت الوَفَاةُ خَيراً لي» متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

٥٨٧ ـ **وعن** قيسِ بن أَبي حازم، قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى خَبَّاب بن الأرَتِّ ﷺ نَعُودُهُ وَقَدِ اكْتَوَى سَبْعَ كَيَّاتٍ، فَقَالَ: إنَّ أَصْحَابَنَا الَّذِينَ سَلَفُوا، مَضَوْا وَلَمْ تَنْقُصْهُمُ الدُّنْيَا، وَإنَّا أصَبْنَا مَا لَا نَجِدُ لَهُ مَوْضِعاً إلَّا التُّرَابَ، وَلولا أنَّ النبي ﷺ نَهَانَا أنْ نَدْعُوَ بالمَوْتِ لَدَعَوْتُ بِهِ. ثُمَّ أتَيْنَاهُ مَرَّةً أُخْرَى وَهُوَ يَبْنِي حَائِطاً لَهُ، فَقَالَ: إنَّ المُسْلِمَ لَيُؤْجَرُ فِي كُلِّ شَيْءٍ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التمني، باب ما يكره من التمني برقم (٧٢٣٥)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب كراهية تمني الموت لضُرٍّ نزل به برقم (٢٦٨٢).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التمني، باب ما يكره من التمني برقم (٧٢٣٣)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب كراهية تمني الموت لضُرٍّ نزل به برقم (٢٦٨٠).

يُنْفِقُهُ إِلَّا فِي شَيْءٍ يَجْعَلُهُ فِي هَذَا التُّرَابِ. متفقٌ عَلَيْهِ، وهذا لفظ رواية البخاري[(١)].

﴿ الشَّرح ﴾

في هذه الأحاديث الدلالة على أنه لا يجوز للمسلم أن يتمنى الموت؛ لأنه لا يدري ماذا أمامه، ولأن عمره لا يزيده إلا خيراً إذا كان مؤمناً، حسنات يحصل له بها الخير العظيم، وأعمال صالحات واستدراك لما سبق منه من فلتات بالتوبة النصوح وهو على خير من حياته إذا وفقه الله، فلا ينبغي له الدعاء بالموت، ولكن يدعو بالدعاء الذي أرشد إليه النبي ﷺ وهو: «**اللَّهُمَّ أحْيِني مَا كَانَتِ الحَيَاةُ خَيْراً لي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَت الوَفَاةُ خَيراً لي**» فإن الله أعلم بأحوال العبد ﷻ وأعلم بمستقبله فلا يقول: اللَّهُمَّ أمتني اللَّهُمَّ عجل لي الموت، أو اللَّهُمَّ اقبض روحي، لا، ولكن يقول: «**اللَّهُمَّ أحْيِني مَا كَانَتِ الحَيَاةُ خَيْراً لي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَت الوَفَاةُ خَيراً لي**»؛ **ولهذا نهى النبي ﷺ عن تمني الموت قال: «إمَّا مُحْسِناً فَلَعَلَّهُ يَزْدَادُ، وَإِمَّا مُسِيئاً فَلَعَلَّهُ يَسْتَعْتِبُ»**؛ يعني: حياة الإنسان قد يكون محسناً فيزداد إحساناً، قد يكون مذنباً فيوفق للتوبة فلا وجه للدعاء بالموت.

في اللفظ الآخر: يقول ﷺ: «**لَا يَتَمَنَّ أَحَدُكُمُ المَوْتَ وَلَا يَدْعُ بِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُ**»؛ لا يقول: يا ليتني أموت، ولا يقول: اللَّهُمَّ أمتني، لا يتمنى ولا يدعو، التمني ليتني أموت، ليتني أموت، عسى أن أموت والدعاء يقول: اللَّهُمَّ أمتني اللَّهُمَّ اقبض روحي اللَّهُمَّ عجل أجلي وما

(١) أخرجه البخاري في كتاب المرضى، باب نهي تمني المريض الموت برقم (٥٦٧٢)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب كراهية تمني الموت لضُرٍّ نزل به برقم (٢٦٨١).

أشبه ذلك، كل هذا لا يجوز «**وَلَا يَدْعُ بِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُ إِنَّهُ إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ وَإِنَّهُ لَا يَزِيدُ الْمُؤْمِنَ عُمُرُهُ إِلَّا خَيْراً**». وهذا مصداق الحديث الآخر: «**إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ وَعِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ وَوَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ**»[١] فلا يجوز للمؤمن أن يدعو بالموت ولا أن يتمناه.

وهكذا **حديث أنس** ﵁ يقول ﷺ: «**لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ المَوْتَ لِضُرٍّ أَصَابَهُ**»؛ كالمرض والظلم ونحو ذلك، فإن كان لا بد، فليقل: «**فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ فَاعِلاً، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الحَيَاةُ خَيْراً لي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَت الوَفَاةُ خَيراً لي**»، وجاء في حديث عمار بن ياسر ﵁، عن النبي ﷺ، أنه كان يقول: «**اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الغَيْبَ وَقُدْرَتِك عَلَى الخَلْقِ أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الحَيَاةَ خَيْراً لِي وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الوَفَاةَ خَيْراً لِي**»[٢].

هذا هو الدعاء الصالح، وأما تمني الموت والدعاء به فلا، حتى ولو خائف، وقول المؤلف إلا إذا كان فتنة، هذا ليس بجيد مخالف للأحاديث الصحيحة، حتى ولو خائف يقول: «**اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الحَيَاةُ خَيْراً لي**» يكفي هذا الدعاء العظيم، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي؛ لأنه لا يدري بالفتنة قد يوفق فيصلح بين الناس ويتوسط في إطفاء الفتنة قد ينفع الله به، ولكن إذا خاف يقول: «**اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الحَيَاةُ خَيْراً لي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَت الوَفَاةُ خَيراً لي**» هذا كافٍ.

وهكذا **حديث خباب بن الأرت** ﵁، وهو أحد المهاجرين، أصابه مرض وكُوي سبع كياتٍ فقال لأصحابه لما زاروه: لولا أن

---

(١) سيأتي تخريجه برقم (٩٤٩).

(٢) أخرجه عن عمار بن ياسر النسائي في كتاب السهو، باب نوع آخر من الدعاء برقم (١٣٠٥)، وأحمد في المسند (٤/ ٢٦٤) برقم (١٨٣٥١)، وصححه الحاكم في المستدرك ووافقه الذهبي (١/ ٧٠٥) برقم (١٩٢٣).

الرسول نهانا أن ندعو بالموت لدعوت به؛ يعني: من شدة ما أصابه من الأمراض، رضي الله عنه وأرضاه، ثم قال: إن العبد المؤمن ليؤجر في كل ما ينفقه إلا فيما يجعله في هذا التراب؛ يعني: يؤجر في نفقاته في أنواع الخير في سبيل الله في أهله، في الفقراء في جيرانه، في ضيفه، في غير هذا من وجوه الخير، إلا ما ينفقه في التراب في البناء، هذا ليس له فيها أجر، وهذا عند أهل العلم محمول عن عدم الحاجة، أما إذا كان للحاجة والسكن وما تدعو إليه الحاجة ونحو ذلك، أو يستعين بها على طاعة الله للتأجير والإنفاق على نفسه والصدقة منه، هذا غير داخل بل هو مأجور على حسب نيته، وهذا ليس بحديث، هذا من كلام خباب من كلامه واجتهاده ﷺ، ولم يرفعه إلى النبي عليه الصلاة والسلام، لكن لو رفع، لو كان مرفوعاً هذا هو المراد، الذي ينفق في التراب من أجل التوسع في الدنيا من أجل كثرة المال، أما إذا عمر للدنيا هو كمن غرس، إذا عمر ليسكن ليس فيه إسراف، أو ليؤجر ليستعين بالإيجار على مصلحة حاله ومصلحة أولاده والنفقة في الخير، هذا مأجور؛ لأنه أراد خيراً بخلاف من يبني بغير نية أو بنية فاسدة، هذا لا يؤجر إنما الذي يؤجر من بنى بنيَّة صالحة أو لقصد ذوي الحاجة يدعو إلى ذلك لسكنه وسكن عائلته، أو ليجعله في سبيل الله وقفاً أو ليتصدق به على الفقراء، أو لغير هذا من وجوه الخير، فالبناء فيه مصالح مأجور صاحبه على حسب نيته.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.






٦٨ ـ بَابُ الورع وترك الشبهات

قال الله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤].

٥٨٨ ـ **وعن** النعمان بن بشير رضي الله عنهما، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ، يقول: «إنَّ الحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإنَّ الحَرامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبهاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ، اسْتَبْرَأَ لِدِينهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ في الحَرَامِ؛ كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى يُوشِكُ أنْ يَرْتَعَ فِيهِ، ألَا وَإنَّ لكُلِّ مَلِكٍ حِمىً، ألَا وَإنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ، ألَا وَإنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إذَا صَلَحَت صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، ألَا وَهِيَ القَلْبُ» متفقٌ عَلَيهِ[١]، وروياه مِنْ طرقٍ بِألفَاظٍ متقاربةٍ.

٥٨٩ ـ **وعن** أنسٍ رضي الله عنه؛ أنَّ النبيَّ ﷺ وَجَدَ تَمْرَةً فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ: «لَوْلَا أنِّي أخَافُ أنْ تَكُونَ مِنَ الصَّدَقَة لأَكَلْتُهَا» متفقٌ عَلَيهِ[٢].

٥٩٠ ـ **وعن** النَّواسِ بن سمعان رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: «البِرُّ: حُسْنُ الخُلُقِ، وَالإثْمُ: مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ، وَكَرِهْتَ أنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ» رواه مسلم[٣].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب الحلال بيِّن والحرام بيِّن وبينهما مشتبهات برقم (٢٠٥١)، ومسلم في كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات برقم (١٥٩٩).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب ما ينزه من الشبهات برقم (٢٠٥٥)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب تحريم الزكاة على رسول الله ﷺ وعلى آله وهم بنو هاشم وبنو المطلب دون غيرهم برقم (١٠٧١).

(٣) أخرجه في كتاب البر والصلة والآداب، باب تفسير البر والإثم برقم (٢٥٥٣).

﴿ الشرح ﴾

هذه الأحاديث الثلاثة مع الآيتين الكريمتين فيها الحث على الورع والأخذ بالحيطة في الدين، والبعد عن المشتبهات؛ لأنها ذريعة إلى المحارم، وسدُّ الذرائع من أهم المهمات؛ ولهذا جاءت الشريعة بالنهي عن تعاطي المشتبهات والحث على الورع، والبعد عما يجر إلى ما حرَّم الله ﷻ، يقول الله جلَّ وعلا في قصة أهل الإفك: ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥]؛ يعني: إشاعة الكلام في أعراض المؤمنات والمؤمنين، قد يظنه الجاهل هيناً وهو عند الله عظيم، الواجب الحذر من ظلم الناس وهتك أعراضهم والتساهل في ذلك، وهكذا قوله جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤]؛ يعني: لا تخفى عليه خافية ولا يضيع عليه شيء، بل هو يعلم كل شيء ولا يخفى عليه شيء ﷻ، ولهذا يقول سبحانه في الآية الثالثة: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: ٦١]، الله لا تخفى عليه خافية ـ جلَّ وعلا ـ يعلم أعمال العباد وأحوالهم، وما تنطوي عليه قلوبهم، فليحذر المؤمن ويحذر العاقبة، وليحذر ذو اللب أن يتعاطى ما حرَّم الله، أو يُصر على شيء مما حرمه الله، أو يتساهل بما أوجب الله، وبما حرم الله، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ﷻ.

وفي **حديث النعمان** يقول ﷺ: «**إِنَّ الحَلَالَ بَيِّنٌ**» قد وضحت أدلته «**وَإِنَّ الحَرامَ بَيِّنٌ**» كذلك، قد بيَّنه الله في كتابه وعلى لسان رسوله عليه الصلاة والسلام؛ كتحريم البنات والأمهات والأخوات والعمات ونحو ذلك، تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير، وغير ذلك، وكما أحل ما أحل الله من النكاح، والإبل والبقر والغنم والحبوب والثمار، وأشباه ذلك مما هو حلال بيّن.

وهناك أمور مشتبهات تخفى على كثير من الناس، هل هي من قسم الحلال أو قسم الحرام، كثير من الناس يعرف العلم يخفى عليه أمرها، فبيَّن الرسول ﷺ ما ينبغي في هذه الحال، الوقوف على وسط المشتبه حتى يتضح الأمر؛ ولهذا قال: «**فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ، اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ**»، ابتعد عن الشيء الذي يجرح عرضه ويجرح دينه وأخذ بالبراءة، فإنه قد يكون محرماً فيكون في ذلك نقص في دينه وقدح في عرضه وهو لا يشعر، فالواجب على العاقل أن يتبصر في دينه وأن يتفقه حتى يكون على بيّنة.

أما الحديث الآخر حديث الحسن بن علي رضي الله عنهما يقول عليه الصلاة والسلام: «**دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ**»[١]، قول الفقهاء في الشبهات: من تساهل بها وقع في الحرام، جرَّهم ذلك إلى الوقوع في الحرام، تضعف الغيرة ويضعف الورع فيجره ذلك إلى أن يتساهل بالمحارم؛ «**كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ**»، يُوشِكُ؛ يعني: يقرب فالراعي يجعل إبله أو غنمه أو بقره عند الحمى؛ يعني: عند مزارع الناس وعند خضرواتهم فإنه في الغالب يقع، تقع هذه البهائم في الحمى؛ لأنه حام قريباً من الحمى فربما غفل أو نام حصل له مانع وشغل فترتع فيه أو مال الناس.....[٢] في المحرمات فهو أقرب للسلامة ومن وقع في المشتبهات وخالط أهل المعاصي قرب من الوقوع في المحرمات.

ثم قال عليه الصلاة والسلام: «**أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمىً، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ**» الملوك لهم حمى في الغالب لخيلهم وإبلهم التي يستعملونها في الحروب والجهاد الشرعي، إذا كانوا مسلمين ولحاجاتهم، ويغضبون إذا انتهك ذلك الحمى ويعاقبون، فملك الملوك أولى وأولى بأن يحفظ حماه تبارك وتعالى، وهو الملك العظيم الذي لا شبيه له

---

(١) سبق تخريجه برقم (٥٥).

(٢) انتهى الشريط ويوجد سقط في الكلام.

ولا ند له، وهو القاهر لكل شيء والعالي فوق كل شيء والمالك لكل شيء ﷻ، فهو الواجب أن يحذر حماه، وحماه محارمه ما حرَّم علينا، فيجب على المؤمن أن يحذر ذلك الحِمى وألّا يُقدم عليه وألّا ينتهكه من التساهل واتباع الشهوات وطاعة الهوى، ثم بيَّن ﷺ حال القلب: **«أَلَا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَت صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ القَلْبُ»** يسمى مضغةً؛ لأنه قطعة لحم تشبه المضخة؟.

هذه المُضغة التي هي القلب بها صلاحك وبها فسادك، متى صلحت وعمرت بتقوى الله وخشيته وتعظيمه والإخلاص له صلح العبد واستقام أمره واستقامت أحواله، ومتى خبثت هذه المضغة وساءت وملئت بالشكوك والأوهام والنفاق ساءت أحوال العبد وصار إلى الهلاك، فوجب عليه أن يعتني بهذه المُضغة وأن يغذيها بذكر الله وطاعته والإخلاص له ومحبته وتعظيمه واتباع شريعته، والحذر من محارمه حتى يصلح هذا القلب، وليحذر من معاصي الله التي تسبب مرض هذا القلب أو موته.

الحديث الثاني: حديث أنس ﷺ **(أَنَّ النبيَّ ﷺ وَجَدَ تَمْرَةً فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ: «لَوْلَا أَنِّي أَخَافُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الصَّدَقَة لأَكَلْتُهَا»)** هذا يدل على عظم ورعه عليه الصلاة والسلام، في لفظ: **«إِنِّي لأَدْخُلُ بَيْتِي أَجِدُ التَّمْرَةَ مُلْقَاةً عَلَى فِرَاشِي»**[١] هذا من باب الورع؛ لأن الله حرم عليه الصدقة وأباح له الطيبات، والصدقة أوساخ الناس، زكواتهم حرمت عليه وعلى أهل بيته، هذا من ورعه يتعاطاه عليه الصلاة والسلام.

وهكذا حديث النواس: **«البِرُّ: حُسْنُ الخُلُقِ، وَالإِثْمُ: مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ»**، فما حاك في نفسك وتردد أن يكون حراماً فدعه واصبر حتى تجد ما يطمئنك على حله وتحريمه، مثل

---

(١) أخرجه البيهقي من حديث أنس ﷺ، باب ما جاء في قليل اللقطة (٢/ ٢٣) برقم (١٢٤٥٦).

حديث وابصة «اسْتَفْتِ قَلْبَكَ، البرُّ: مَا اطْمَأنَّت إِلَيْهِ النَّفسُ، وَاطْمأنَّ إِلَيْهِ القَلْبُ، وَالإِثْمُ: مَا حَاكَ في النَّفْسِ، وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ، وَإنْ أفْتَاكَ النَّاسُ وَأفْتوكَ»، وقال ﷺ: «لَا يَبْلُغُ العَبْدُ أَنْ يَكُونَ مِنَ المُتَّقِينَ حَتَّى يَدَعَ مَا لَا بَأْسَ بِهِ حَذَراً لِمَا بِهِ البَأْسُ»، فالمؤمن يتباعد عن المشتبهات ويتحرى الطيبات ويقف عند الاشتباه حتى يتضح الأمر.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.

***

٥٩١ ـ وعن وَابِصَةَ بن مَعبدٍ ﷺ، قَالَ: أتَيْتُ رَسُول الله ﷺ، فَقَالَ: «جئتَ تَسْألُ عَنِ البرِّ؟» قُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: «اسْتَفْتِ قَلْبَكَ، البرُّ: مَا اطْمَأنَّت إِلَيْهِ النَّفسُ، وَاطْمأنَّ إِلَيْهِ القَلْبُ، وَالإِثْمُ: مَا حَاكَ في النَّفْسِ، وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ، وَإنْ أفْتَاكَ النَّاسُ وَأفْتوكَ» حديث حسن، رواه أحمد[١] والدَّارميُّ في مُسْنَدَيهِمَا.

٥٩٢ ـ وعن أَبي سِرْوَعَةَ ـ بكسر السين المهملة وفتحها ـ عُقبَةَ بنِ الحارثِ ﷺ: أنَّهُ تَزَوَّجَ ابنَةً لأبي إهَابِ بن عزيزٍ، فَأتَتْهُ امْرَأةٌ، فَقَالَتْ: إنّي قَدْ أرضَعْتُ عُقْبَةَ وَالَّتِي قَدْ تَزَوَّجَ بِهَا. فَقَالَ لَهَا عُقْبَةُ: مَا أعْلَمُ أنَّك أرضَعْتِنِي وَلَا أخْبَرْتِني، فَرَكِبَ إِلَى رسول الله ﷺ بِالمَدِينَةِ، فَسَألَهُ: فَقَالَ رسول الله ﷺ: «كَيْفَ؟ وَقَد قِيلَ» فَفَارَقَهَا عُقْبَةُ وَنَكَحَتْ زَوْجاً غَيْرَهُ. رواه البخاري[٢].

---

(١) أخرجه أحمد (٤/٢٢٨) برقم (١٨٠٢٨)، والدارمي في كتاب البيوع، باب دع ما يريبك إى ما لا يريبك برقم (٣٥٣٦).

(٢) أخرجه في كتاب العلم، باب الرحلة في المسألة النازلة وتعليم أهله برقم (٨٨)، وفي كتاب البيوع، باب تفسير المشبهات برقم (٢٠٥٢)، وفي كتاب الشهادات، باب إذا شهد شاهد برقم (٢٦٤٠)، وفي باب شهادة الإماء والعبيد برقم (٢٦٥٩)، =

▫ (إهَابٌ): بكسر الهمزة، (وَعَزِيزٌ): بفتح العين وبزاي مكررة.

٥٩٣ ـ وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما، قَالَ: حَفِظتُ من رسول الله ﷺ: «دَعْ مَا يريبُكَ إِلَى ما لَا يَرِيبُكَ» رواه الترمذي[1]، وقال: حديث حسن صحيح.

▫ معناه: اتْرُكْ مَا تَشُكُّ فِيهِ، وَخُذْ مَا لَا تَشُكُّ فِيهِ.

الشَرح

هذه الأحاديث الثلاثة كالتي قبلها فيها الحث على الاحتياط في الدين والأخذ بالحزم والحرص على السلامة من المشتبهات، حتى يكون المؤمن في دينه على غاية من الحيطة والبعد عما قد يضره، ويدخله في حيز الحرام، تقدم حديث النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنه وعن أبيه، عن النبي ﷺ؛ أنه قال: **«إِنَّ الحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ، اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ في الحَرَام»** تقدم قوله ﷺ في حديث النواس: **«البِرُّ: حُسْنُ الخُلُقِ، وَالإِثْمُ: مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ»** تقدم أيضاً قوله ﷺ: **وَجَدَ تَمْرَةً فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ: «لَوْلَا أَنِّي أَخَافُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الصَّدَقَةِ لأَكَلْتُهَا»** كل هذا يدل على أنه ينبغي للمؤمن أن يحتاط لدينه وأن يحذر الوقوع فيما حرَّم الله، ومن وسائل ذلك التساهل في المشتبهات، والتساهل فيها يجر إلى الوقوع في المحرمات؛ كالراعي يرعى حول الحمى؛ كالذي يرعي إبله أو غنمه وبقره حول حمى الناس حول زروعهم وربما غفل أو نعس فرتعت سوائبه في حمى الناس، فهكذا هذه الشبهات ينبغي الحذر.

= وفي باب شهادة المرضعة برقم (٢٦٦٠)، وفي كتاب النكاح، باب شهادة المرضعة برقم (٥١٠٤).

(١) سبق تخريجه برقم (٥٥).

ولهذا قال النبي ﷺ **لوابصة بن معبد**: «**جئتَ تَسْأَلُ عَنِ البِرِّ؟**» في اللفظ الآخر عن البر والإثم (**قُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ**: «**اسْتَفْتِ قَلْبَكَ، البِرُّ: مَا اطْمَأَنَّت إِلَيْهِ النَّفسُ، وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ القَلْبُ**»)؛ يعني: لوضوح دليله، ما ظهر دليله واطمأن إليه القلب بوضوح الدليل على إباحته وحله فافعل «**وَالإِثْمُ: مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ، وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ، وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتوكَ**»، كما تقدم في حديث النواس: «**وَالإِثْمُ: مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ**» خوفاً أن يكون حراماً، فلا تعجل حتى يطمئن قلبك، وحتى يتضح الأمر حتى تعلم أنه من قسم البر، لا من قسم الإثم، ولو أفتاك الناس فإن كثيراً من الناس قد يفتي على غير بيِّنة أو لا يفهم كلامه، أو لقلة علمه، فالواجب التثبت في الأمور حتى تطمئن حتى يتضح الأمر.

وهكذا قوله ﷺ: «**دَعْ مَا يريبُكَ إِلَى ما لَا يَرِيبُكَ**» هو من هذا الباب، حديث الحسن: «**دع ما يريبُكَ إِلَى ما لَا يَرِيبُكَ**» رابه يريبه أرابه يريبه؛ يعني: التبس عليه خفي عليه أمره، فالمؤمن يدع ذلك؛ يعني: دع ما اشتبه عليك حله إلى الشيء الذي هو واضح حتى يتبين لك الأمر، وأنه من قسم الحل، ولا توقع نفسك فيما حرَّم الله، ولا يخفى على كل ذي لُب أن العبد إذا تساهل في المشتبهات وتساهل فيما يخفى عليه أمره، جرَّه ذلك إلي الوقوع في المحارم؛ لأن القلب يضعف والإيمان يضعف بهذه الأمور، فيقع صاحبها فيما حرَّم الله ﷻ عليه.

وهكذا **حديث عقبة بن الحارث** في قصة المرأة التي جاءته: إني قد أرضعتك مع فلانة؛ يعني: بنت أبيها وزوجته التي تزوجها، قالت: إني أرضعتكما، قال: لا أعلم ذلك، وكان في مكة بعد الفتح، فرحل إلى النبي ﷺ في المدينة يسأله فقال: «**كَيْفَ؟ وَقَد قِيلَ**» دعها عنك، فطلَّقها عقبة وتزوج غيرها، هذا يدل على أن المرأة يكتفى بها في الشهادة إذا كانت ثقة، وقالت: أنا أرضعتك، يكتفي بذلك وتكون بناته حراماً عليه،

أما إذا كانت غير ثقة فلا يعول عليها، هكذا الرجل إذا شهد بذلك وهو ثقة والمرأتان والأكثر؛ لأن هذه أمور في الغالب إنما يطلع عليها النساء أكثر، فالمرأة فيها كافية والمرأتان أوثق، وهكذا كلما زاد العدد صار أوثق، النبي ﷺ لم يطلب امرأة أُخرى بل اكتفى بها، وقال: دعها عنك: «كَيْفَ؟ وَقَد قِيلَ» ففارقها رضي الله عنه، فدل ذلك على أنه ينبغي للمؤمن أن يحتاط لدينه، وأن يبتعد عن المشتبهات، وأن المؤمن يرتحل لطلب العلم إذا اشتبهت عليه الأمور، يرتحل إذا ما وجد في محله من يكفيه يرتحل، ولو إلى مسافة تحتمل إلى شد الرحل، كما ارتحل عقبة إلى المدينة، فالرحلة في طلب العلم أمر معلوم وواقع بين أهل العلم من قديم الزمان، من عهد الصحابة إلى يومنا هذا؛ فالمؤمن يطلب العلم ويسأل ولو ارتحل، ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، ولا يبقى على جهل وفيه حسن خلقه ﷺ وتعليمه لأصحابه بالحكمة والكلام الطيب من غير عنف ولا شدة؛ ليرشدهم إلى أسباب النجاة وإلى ما أوجب الله عليهم وما حرم عليهم بالأساليب الواضحة الحسنة التي ليس فيها عنف ولا شدة، قال: «كَيْفَ؟ وَقَد قِيلَ» دعها عنك فاكتفى بذلك عقبة وفارقها.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.

***

٥٩٤ ـ وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: **كَانَ لأبي بَكر الصديق رضي الله عنه غُلَامٌ يُخْرِجُ لَهُ الخَرَاجَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَأْكُلُ مِنْ خَرَاجِهِ، فَجَاءَ يَوْماً بِشَيءٍ، فَأَكَلَ مِنْهُ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ لَهُ الغُلامُ: تَدْرِي مَا هَذَا؟ فَقَالَ أَبُو بكر: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: كُنْتُ تَكَهَّنْتُ لإنْسَانٍ في الجَاهِلِيَّةِ وَمَا أُحْسِنُ الكهَانَةَ، إلَّا أَنّي خَدَعْتُهُ، فَلَقِيَنِي، فَأَعْطَانِي لِذلِكَ هَذَا الَّذِي أَكَلْتَ مِنْهُ، فَأَدْخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَدَهُ فَقَاءَ كُلَّ**

شَيْءٍ فِي بَطْنِهِ. رواه البخاري(١).

□ (الخَرَاجُ): شَيْءٌ يَجْعَلُهُ السَّيِّدُ عَلَى عَبْدِهِ يُؤدِّيهِ كُلَّ يَومٍ، وَباقِي كَسْبِهِ يَكُونُ لِلْعَبْدِ.

٥٩٥ ـ وعن نافِعٍ؛ أن عُمَرَ بن الخَطّاب رضي الله عنه كَانَ فَرَضَ لِلمُهَاجِرينَ الأَوَّلِينَ أرْبَعَةَ الآفٍ وَفَرَضَ لابْنِهِ ثَلاَثَة آلافٍ وَخَمْسَمئَةٍ، فَقيلَ لَهُ: هُوَ مِنَ المُهَاجِرينَ فَلِمَ نَقَصْتَهُ؟ فَقَالَ: إنَّمَا هَاجَرَ بِهِ أبُوهُ. يقول: لَيْسَ هُوَ كَمَنْ هَاجَرَ بِنَفْسِهِ. رواه البخاري(٢).

٥٩٦ ـ وعن عَطِيَّةَ بن عُروة السَّعْدِيِّ الصحابيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «لَا يَبْلُغُ العَبدُ أنْ يَكُونَ منَ المُتَّقِينَ حَتَّى يَدَعَ مَا لَا بَأسَ بِهِ، حَذَراً مِمَّا بِهِ بَأسٌ» رواه الترمذي(٣)، وقال: حديث حسن.

الشَّرح

فهذه الأحاديث الثلاثة فيها الدلالة على ما تقدم وشرعية الورع والحذر من المشتبهات، والحرص على أن يكون مكسبه طيباً حلالاً واضحاً، وأن يبتعد عن المشتبهات، وأن يأخذ بالحيطة، هكذا ينبغي للمؤمن في أموره كلها؛ ولهذا تقدم في قوله ﷺ: **«من اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام»**، تقدم قوله ﷺ: **«دَعْ مَا يريبُكَ إلَى ما لَا يَرِيبُكَ»**؛ يعني: دع ما فيه شك في حله وجوازه إلى الشيء الذي ليس فيه شك بل هو واضح، تقدمت أحاديث أخرى تدل على ورعه ﷺ وحذره من المشتبهات، مثلما تقدم

(١) أخرجه في كتاب مناقب الأنصار، باب أيام الجاهلية برقم (٣٨٤٢).

(٢) أخرجه في كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة برقم (٣٩١٢).

(٣) أخرجه في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب (١٩) برقم (٢٤٥١).

بأنه رأى تمرة في الطريق فقال: «**لَوْلَا أَنِّي أَخَافُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الصَّدَقَة لأَكَلْتُهَا**» في لفظ: رآها حول فراشه، فقال: «**إِنِّي لأَدْخُلُ بَيْتِي أَجِدُ التَّمْرَةَ مُلْقَاةً عَلَى فِرَاشِي**»، هذا فيه الحيطة والبعد عن المشتبهات، وهكذا ينبغي للمؤمن التأسي بالنبي عليه الصلاة والسلام في ذلك، وأن يتحرى الطيب الحلال من غير وساوس، بل يتحرى الطيب الحلال بالأدلة الشرعية، ويدع ما اشتبه بالأدلة الشرعية لا من طريق الوساوس وسبيل الشيطان، ولكن من جهة الأدلة الشرعية.

وهنا **قصة الصديق** ﷺ كان له غلام؛ يعني: مملوكاً يؤدي إليه الخراج، والخراج أن يصطلح السيد مع المملوك على شيء معلوم يدفعه له كل يوم أو كل شهر، ويكون باقي كسبه له، فيقول مثلاً: تدفع إلي كل يوم درهماً أو درهمين أو ثلاثة أو كل شهر وباقي كسبك لك كالنجار والحداد والبناء أو غير ذلك، يكتسب يكون كسبه لنفسه ما عدا هذا الخراج الذي يتفق عليه مع سيده، هذا المملوك جاء ذات يوم بشيء من مال فأعطاه الصديق الخراج وكان طعاماً، ثم جاء أبو بكر فقال له الغلام: أتدري ما هذا؟ قال: لا، قال: (**كُنْتُ تَكَهَّنْتُ لإِنْسَانٍ فِي الجَاهِلِيَّةِ وَمَا أُحْسِنُ الكِهَانَةَ**) والكهانة دعوى علم الغيب بالطرق الخفية يتعاطاها كثير من العرب بواسطة الجن، اتصال بالجن وسؤالهم وطاعتهم وعبادتهم، والرسول حذَّر من هذا عليه الصلاة والسلام، قال: «**مَنْ أَتَى عَرَّافاً فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً**»[1] قال: «**مَنْ أَتَى كَاهِناً أَوْ عَرَّافاً فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ**»[2] عليه الصلاة والسلام، فلما أخبر الصديق بذلك أدخل يده في فمه وسحبه لما في جوفه من هذا الطعام الذي حصل للغلام من الكهانة، فهذا من ورع الصديق وحرصه على ألا يدخل جوفه إلا شيء طيب مباح، فلما علم أنه

---

(١) سيأتي تخريجه برقم (١٦٦٩).

(٢) أخرجه الإمام أحمد من حديث أبي هريرة والحسن (٢/ ٤٢٩) برقم (٩٥٣٢).

تحصَّل على هذا الكسب من طريق قبيح من طريق الكهانة والخداع، سحبه من بطنه وقاءه؛ لئلا يبقى في قلبه شيء من الكسب الحرام، فالمقصود من هذا الحذر من المكاسب الرديئة التي لا ينبغي تعاطيها والتحرز من ذلك وتعاطي الحيطة في أمور دينه.

ومن هذا **قصة عمر** مع ولده عبد الله، كان عمر ﷺ فرض للمهاجرين من بيت المال حقاً كل عام يدفعه إليهم من بيت المال، واجباً سنوياً يدفع إليهم من بيت المال، وكان فرض لكل واحد من المهاجرين أربعة آلاف وأعطى ابنه عبد الله ثلاثة آلاف وخمسمائة، فقيل له في ذلك: لِم لم تسوِّه بالمهاجرين؟ قال: لأنه هاجر مع أبيه ما كان مستقلاً؛ لأنه كان صغيراً حين هاجر كان صغيراً في سن العاشرة أو الحادي عشر فكان تابعاً لأهله، فكان من ورع عمر ومن تحريه حرصه على السلامة، لم يساوه ببقية المهاجرين الكبار، بل نقصه عنهم بعض الشيء؛ لكونه ليس مستقلاً، بل هو هاجر تابعاً لوالديه، وهذا من ورع عمر وحرصه على أن تكون الأمور في مجاريها المناسبة.

وهكذا **حديث عطية السعدي** ﷺ، عن النبي ﷺ قال: **«لَا يَبْلُغُ العَبدُ أَنْ يَكُونَ منَ المُتَّقِينَ حَتَّى يَدَعَ مَا لَا بَأسَ بِهِ، حَذَراً مِمَّا بِهِ بَأسٌ»**؛ يعني: من كمال التقوى ومن كمال الحذر ومن كمال الخوف من الله من كمال الحيطة أن «**يَدَعَ مَا لَا بَأسَ بِهِ حَذَراً مِمَّا بِهِ بَأسٌ**»؛ يعني: يتحرى ترك بعض الأشياء التي يخشى أن تجره إلى ما فيه بأس، فيدعها حرصاً على سلامة دينه، ومن ذلك المشتبهات التي يخشى منها أن تجره إلى باطلة أو إلى غير واضحة، وهكذا أولياء الله خواص عباده قد يدعون بعض الحلال إذا خشوا أن يجرهم إلى ما حرم الله؛ كالتوسع في التنعم التوسع بالحلال خوفاً أن يجرهم إلى ما لا تحمد عقباه.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.

❁ ❁ ❁



٦٩ - بَابُ استحباب العزلة عند فساد الزمان، أو الخوف من فتنة في الدين، أو وقوع في حرام وشبهات ونحوها

قال الله تعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾ [الذاريات: ٥٠].

٥٩٧ ـ **وعن** سعد بن أَبي وقاص ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ، يقول: «إنَّ الله يُحِبُّ العَبْدَ التَّقِيَّ الغَنِيّ الخَفِيَّ» رواه مسلم(١).

□ والمُرَادُ بـ(الغَنِيّ): غَنِيُّ النَّفْسِ، كَمَا سَبَقَ في الحديث الصحيح.

٥٩٨ ـ **وعن** أبي سعيد الخدري ﷺ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: أيُّ النَّاسِ أفْضَلُ يَا رسولَ الله؟ قَالَ: «مُؤْمِنٌ مُجَاهِدٌ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ في سَبيلِ اللهِ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ رَجُلٌ مُعْتَزِلٌ فِي شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ يَعْبُدُ رَبَّهُ».

🕮 وفي رواية: «يَتَّقِي اللهَ، وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ» متفقٌ عَلَيهِ(٢).

٥٩٩ ـ **وعنه**، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «يُوشِكُ أنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ المُسْلِمِ غَنَمٌ يَتَّبعُ بِهَا شَعَفَ الجِبَالِ، وَمَواقعَ القَطْر يَفِرُّ بِدينِهِ مِنَ الفِتَنِ» رواه البخاري(٣).

□ (وشَعَفُ الجِبَالِ): أعْلاَهَا.

---

(١) أخرجه في كتاب الزهد والرقائق برقم (٢٩٦٥).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب أفضل الناس مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله برقم (٢٧٨٦)، وفي كتاب الرقاق، باب العزلة راحة من خُلَّاط السُوء برقم (٦٤٩٤)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والرباط برقم (١٨٨٨).

(٣) أخرجه في كتاب الإيمان، باب من الدين الفرار من الفتن برقم (١٩)، وفي كتاب الفتن، باب التعرب في الفتنة برقم (٧٠٨٨).

الشَّرح

هذه الأحاديث الثلاثة الصحيحة عن رسول الله عليه الصلاة والسلام مع الآية الكريمة، فيها الدلالة على الحث على الحرص على سلامة الدين والبعد عن أسباب الشبهات، وأنه ينبغي للمؤمن عند فساد أهل الزمان وتغير الأحوال وخوفه على نفسه من الوقوع في الشرك أو الكبائر وكثرتها؛ أن يبتعد عن المجتمع الذي فيه ذلك، وأن يفر بدينه إلى أماكن سليمة؛ لقوله سبحانه: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الذاريات: ٥٠] فروا إلى الله من كل ما يغضبه من الشرك بالله، من المعاصي، من مخالطة أهلها، من البدع، فالآية عامة فالمؤمن يفر إلى الله من كل ما يغضبه إلى ما يرضيه، يفر إلى الله من الشرك إلى التوحيد، من المعاصي إلى الطاعة، من البدع إلى السُّنَّة، من الفتن التي تقع بين الناس إلى مواضع الأمن والسلامة، إلا إذا كان وجوده فيها وبقاؤه فيها يعين على مراضي الله، ويزيل الشبه ويوضح الحق لأهل الخير والهدى والصلاح، فإنه يتصبر كما صبر الرسل ويبقى إذا كان بقاؤه ينفع مما أعطاه الله من العلم والبصيرة، حتى يوضح الحق وحتى يرشد إليه ويزول الباطل، حتى يبصر الناس بما يجب عليهم ويحفظ عليهم كما صبر الرسل، كما قال الله لنبيه: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥] الرسل صبروا وخالطوا الناس وصبروا على أذاهم لإرشادهم إلى الخير ودعوتهم إلى الحق، فالمؤمن هكذا إن كان بقاؤه في المجتمع ينفع الناس «**إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا كَانَ مُخَالِطاً النَّاسَ، وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ خَيْرٌ مِنَ الْمُسْلِمِ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ، وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ**»(١) أما إذا كان يخشى على نفسه لعدم قبول الحق منه،

---

(١) أخرجه الترمذي من حديث يحيى بن وثاب عن شيخ من أصحاب النبي ﷺ في كتاب صفة القيامة، باب (٥٥) برقم (٢٥٠٧) قال ابن عدي كان شعبة يرى أنه ابن عمر، وابن ماجه في كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء برقم (٤٠٣٢).

ولأنهم يتظاهرون عليه بالإثم والعدوان ويؤذونه في دينه، ففراره إلى مواضع السلامة والأمن أولى.

وعلى هذا يحمل **الحديث الصحيح**: «**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ العَبْدَ التَّقِيَّ الغَنِيَّ الخَفِيَّ**» تقي معروف، متقٍ لله، الغني غني القلب؛ يعني: قد أغنى الله قلبه، «**لَيْسَ الغِنَى عَنْ كَثْرَةِ العَرَضِ، وَلَكِنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ**»، الخفي الذي لا يطلب الشهرة ولا يريد الشهرة ولا الرياء فهو يعبد الله ويتقي الله ويسارع إلى مراضيه، ولا يسعى لشهرةٍ أو دخول أمره بين الناس، بل ما يهمه إلا طاعة الله ورسوله هو خفي بين الناس؛ لأنه لا يتعاطى أسباب الشهرة ولا يطلبها، أما إذا اشتهر بين الناس وعُرف بين الناس من غير قصد منه لذلك ولا رياء فلا حرج عليه في ذلك، ولا سيما إذا كان ظهوره بين الناس وشهرته بين الناس تنفعهم، ليُسأل عن علمه وليبذل علمه في الناس وليعينهم على الخير كما فعل الرسل وأتباع الرسل عليهم الصلاة والسلام.

وهكذا **الحديث الثاني**: يقول عليه الصلاة والسلام لما سُئل: (**أيُّ النَّاسِ أفْضَلُ يَا رسولَ الله؟ قَالَ: «مُؤْمِنٌ مُجَاهِدٌ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ في سَبيلِ اللهِ»**)، ثم أي؟ قال: «**ثُمَّ رَجُلٌ مُعْتَزِلٌ فِي شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ يَعْبُدُ رَبَّهُ وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ**»، هذا محمول على أوقات الفتن الذي يعتزل المدن والقرى لما فيها من الفتن والشرور، إلى شعب من الشعاب يعبد الله فيه ويدعُ الناس من شره، في زراعة أو غُنيمة أو غير ذلك مما يعينه على طاعة الله، أما إذا كان بقاؤه في المدينة أو في القرية أو في القبيلة ينفعها لعلمه وتوجيهه إلى الخير وإرشاده فلا يسوغ له أن يدعهم وينتقل عنهم ويضيعهم.

وهكذا **الحديث الثالث**: يقول ﷺ: «**يُوشِكُ**»؛ يعني: يقرب «**أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ المُسْلِمِ غَنَمٌ يَتَّبِعُ بِهَا شَعَفَ الجِبَالِ، وَمَواقعَ القَطْر**»؛ يعني: مواقع المطر «**يَفِرُّ بِدينِهِ مِنَ الفِتَنِ**»؛ يعني: يبتعد بدينه عن أسباب

الفتنة، فهذا هو المعذور الذي يخشى على دينه؛ لأن أهل البلد لا يقبلون منه ولا يحترمون قوله، بل يضرونه ويؤذونه، فإذا خاف على دينه انتقل إلى شعبٍ من الشعاب، أما ما دام ينفع الناس وما دام يقبل منه العلم ما دام الناس في حاجة إليه، فليس له أن ينتقل، بل يجب عليه أن ينفع الناس وأن يرشد الناس وأن يتصبر على ما قد يقع من أذى، اقتداءً بالرسل عليهم الصلاة والسلام.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.

❋ ❋ ❋

٦٠٠ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قَالَ: «مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيّاً إِلَّا رَعَى الغَنَمَ» فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وأَنْتَ؟ قَالَ: «نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لأَهْلِ مَكَّةَ» رواه البخاري[(١)].

٦٠١ ـ وعنه، عن رسول الله ﷺ؛ أَنَّه قَالَ: «مِنْ خَيْرِ مَعَاشِ النَّاسِ لهم رَجُلٌ مُمْسِكٌ عِنَانَ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ الله، يَطِيرُ عَلَى مَتْنِهِ كُلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةً أَوْ فَزعَةً، طَارَ عَلَيْهِ يَبْتَغِي القَتْلَ، أَوْ المَوْتَ مَظَانَّه، أَوْ رَجُلٌ فِي غُنَيمَةٍ فِي رَأسِ شَعَفَةٍ مِنْ هذِهِ الشَّعَفِ، أَوْ بَطنِ وَادٍ مِنْ هذِهِ الأَوْدِيَةِ، يُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَيُؤتِي الزَّكَاةَ، وَيَعْبُدُ رَبَّهُ حَتَّى يأتِيَهُ اليَقِينُ، لَيْسَ مِنَ النَّاسِ إِلَّا فِي خَيْرٍ» رواه مسلم[(٢)].

□ (يَطِيرُ)؛ أيْ: يُسْرِعُ. (وَمَتْنُهُ): ظَهْرُهُ. (وَالهَيْعَةُ): الصوتُ للحربِ. (وَالفَزعَةُ): نحوه. (وَمَظَانُّ الشَيْءِ): المواضعُ الَّتي يُظَنُّ وجودُهُ فِيهَا. (وَالغُنَيْمَة): بضم الغين، تصغير الغنم. (وَالشَّعَفَةُ): بفتح الشين والعين، هي أعلى الجَبَل.

---

(١) أخرجه في كتاب الإجارة، باب رعي الغنم على قراريط برقم (٢٢٦٢).
(٢) أخرجه في كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والرباط برقم (١٨٨٩).

﴿ الشرح ﴾

فهذان الحديثان كالأحاديث السابقة، أراد المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ أنها يحتج بها عن العُزلة والبُعد عن أسباب الفتن عند تغير الزمان وتغير الأحوال وكثرة الفتن، يشرع للمؤمن أن يعتزل في قرية أو شعب من الشعاب ليسلم في دينه من الفتن، تقدم قوله ﷺ لما سُئل: أيُّ النَّاسِ أفْضَلُ يَا رسولَ الله؟ قَالَ: **«مُؤْمِنٌ مُجَاهِدٌ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبيلِ اللهِ»** قيل: ثم من؟ قال: **«ثُمَّ رَجُلٌ مُعْتَزِلٌ فِي شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ يَتَّقِي اللهَ، وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ»**[١].

وهنا يقول: **«مِنْ خَيْرِ مَعَاشِ النَّاسِ لهم رَجُلٌ مُمْسِكٌ عِنَانَ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ الله، يَطِيرُ عَلَى مَتْنِهِ كُلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةً أَوْ فَزعَةً، عَلَيْهِ يَبْتَغِي القَتْلَ، أَوْ المَوْتَ مَظَانَّه»** يعني: يجاهد في سبيل الله يتطلب مظان الموت ومظان القتل في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ، يريد نصر دين الله وحماية دينه، هذا من خير الناس. تقدم أنه أفضل الناس؛ لكونه بذل نفسه في نصر دين الله، وحماية شرع الله، وإقامة عدل الله في الأرض، ثم يلي ذلك **«رَجُلٌ فِي غُنَيمَةٍ»** أو غيرها كالإبل والبقر ونحو ذلك **«في رَأسِ شَعَفَةٍ مِنْ هذِهِ الشَّعَفِ»** **«يَعْبُدُ رَبَّهُ وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ»**، ولكن ذكر الغُنَيْمَة لأنها أقرب إلى التواضع وأقرب إلى المسكنة، وأقرب إلى السلامة من التكبر؛ ولهذا قال في غُنَيْمَةٍ، كما تقدم في الحديث السابق: **«ثُمَّ رَجُلٌ مُعْتَزِلٌ فِي شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ يَتَّقِي اللهَ وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ»**، تقدم قوله ﷺ: **«يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ المُسْلِمِ غَنَمٌ يَتَّبعُ بِهَا شَعَفَ الجِبَالِ، وَمَوَاقعَ القَطْر يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الفِتَنِ»**[٢]، هذا يدل ويبين لنا إذا كان هناك أسباب للفتن في أي

---

(١) سبق تخريجه برقم (٥٩٨).

(٢) سبق تخريجه برقم (٥٩٩).

بلد، في أي قبيلة، يخشى على نفسه منها لقلة علمه أو لكثرة الفساد واعتزل فلا بأس، هذا من أسباب الوقاية والسلامة. الرسل صبروا وخالطوا الناس ودعوهم إلى الله وعلموهم وأرشدوهم، ولهذا في الحديث يقول ﷺ: «**إِنَّ المُسْلِمَ إِذَا كَانَ مُخَالِطاً النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ خَيْرٌ مِنَ المُسْلِمِ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ**»؛ لأن الدعوة تحتاج إلى مخالطة وإلى صبر، لكن إذا كان يخشى على نفسه لقلة علمه أو لكثرة الفساد واعتزل فلا بأس، هذا من أسباب الوقاية والسلامة.

وأما حديث إنه رعى الغنم لقريش «**مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيّاً إِلَّا رَعَى الغَنَمَ**» هذا له معنىً ثانٍ، غير معنى العُزلة قول المؤلف هنا ليس بجيد، بل هذا معناه: أن الله جل وعلا يستعمل الأنبياء في رعاية الغنم ليتعلموا ويتمرنوا على رعاية الناس، لينتقلوا من رعاية البهائم إلى رعاية بني آدم، وليتعلموا التواضع وخفض الجناح، فإن رعاية الغنم فيها تمام التواضع، فيها المسكنة فيها الصبر على مشقة الرعي في الحر وفي الأراضي الوعرة وفي غير ذلك، مما يسبب التعب فالله شرع للأنبياء أن يقبلوا هذه المهنة من جهة الرعاية حتى يتمرنوا بها ويتدرجوا منها إلى رعاية بني آدم من المكلفين، فيصبروا على أذاهم ويخالطوهم ويوجهوهم، كما أن الراعي يصبر على الرعاية ويوجه غنمه إلى المراعي الطيبة، ويسلك بها المسالك الحسنة والدروب الطيبة ويلتمس لها مواضع الماء، فهكذا الرسل عليهم الصلاة والسلام والدعاة إلى الله، يلتمسون للناس الخير ويدعونهم إلى الخير ويجتهدون في إيصال الخير إليهم بالطرق الممكنة.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.

❁ ❁ ❁



٧٠ ـ بَابُ فضل الاختلاط بالناس

وحضور جمعهم وجماعاتهم ومشاهد الخير، ومجالس الذكر معهم، وعيادة مريضهم، وحضور جنائزهم، ومواساة محتاجهم، وإرشاد جاهلهم، وغير ذلك من مصالحهم لمن قدر على الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وقمع نفسه عن الإيذاء، وصبر على الأذى

اعْلم أنَّ الاختلاط بالنَّاسِ عَلَى الوجهِ الَّذِي ذَكَرْتُهُ هُوَ المختارُ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ رسول الله ﷺ وسائر الأنبياء صلواتُ اللهِ وسلامه عَلَيْهِمْ، وكذلك الخُلفاءُ الرَّاشدون، ومن بعدَهُم مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، ومن بَعدَهُم من عُلَماءِ المُسلمين وأَخْيَارِهم، وَهُوَ مَذْهَبُ أكثَرِ التَّابِعينَ وَمَنْ بَعدَهُمْ، وبه قَالَ الشافعيُّ وأحمدُ وأكثَرُ الفقهاءِ رضي اللهُ عنهم أجمعين. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢] والآيات في معنى مَا ذكرته كثيرة معلومة.

٧١ ـ بَابُ التواضع وخفض الجناح للمؤمنين

قال الله تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥]، وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، وقال تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟

أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢] وقال تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف: ٤٨، ٤٩].

٦٠٢ ـ وعن عِيَاضِ بنِ حمارٍ رضي الله عنه**، قَالَ: قَالَ رسول الله** ﷺ**: «إنَّ الله أوْحَى إِلَيَّ أنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أحَدٌ عَلَى أحَدٍ، وَلَا يَبْغِي أحَدٌ عَلَى أحَدٍ»** رواه مسلم[١].

٦٠٣ ـ وعن أَبي هريرة رضي الله عنه**؛ أنَّ رسول الله** ﷺ**، قَالَ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زادَ اللهُ عَبْداً بعَفْوٍ إِلَّا عِزّاً، وَمَا تَوَاضَعَ أحَدٌ للهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ»** رواه مسلم[٢].

٦٠٤ ـ وعن أنس رضي الله عنه**؛ أنَّهُ مَرَّ عَلَى صبيَانٍ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، وقال: كَانَ النبيُّ** ﷺ **يفعله.** متفقٌ عَلَيهِ[٣].

الشَّرح

فهذه الآيات الكريمات والأحاديث الثلاثة عن رسول الله عليه الصلاة والسلام، فيها الحث على التواضع وخفض الجناح للمؤمنين، وعدم التكبر سواء كان رجلاً فقيراً أو غنياً نسيباً أو غير نسيب تقياً أو غير ذلك، الواجب عليه التواضع، فلا ينبغي له أن يغتر بماله ولا بانتسابه إلى الخير وتقوى الله ﷻ ولا بنسبه ولا بوظيفته ولا غير ذلك، بل يجب

---

(١) أخرجه في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار برقم (٢٨٦٥).

(٢) أخرجه في كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب العفو والتواضع برقم (٢٥٨٨).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الاستئذان، باب التسليم على الصبيان برقم (٦٢٤٧)، ومسلم في كتاب السلام، باب استحباب السلام على الصبيان برقم (٢١٦٨).

التواضع وعدم التكبر وتذكر أن العزة إنما هي بالتقوى والكرم بالتقوى، والرفعة عند الله بطاعته لا بالمال ولا بالنسب ولا بالجاه، ولهذا قال جلَّ وعلا في كتابه الكريم: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨]، هكذا يأمر نبيه ﷺ في الآية الأخرى: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥] ويقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤] أذلة؛ يعني: متواضعين لأهل الإيمان أعزة على أهل الكفر بالله، ويقول جلَّ وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ [الحجرات: ١٣] والكرم عند الله بالتقوى، لا بالأموال، ولا بالأنساب، ولا بالجاه، ولا بالوظائف، ولا بقوة البدن، ولكن ذلك يتعلق بالتقوى بطاعة الله ورسوله، وترك ما نهى الله عنه ورسوله، فأفضل الناس أتقاهم لله وأكرمهم عنده، وإن كان فقيراً وإن كان غير معروف، وأوضعهم عند الله أكثرهم وأبعدهم عن طاعته، وإن ذا نسب ومال، والواجب على المؤمن أن تحمله تقواه ويحمله إيمانه على التواضع والانكسار، وتربية النفس وعدم تزكيتها، كما قال تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢].

ويقول ﷺ: «**إِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ**»، هكذا أوحاه إليه أن يأمر الناس بالتواضع حتى «**لا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ**»؛ يعني: حتى لا يظلم أحدٌ أحداً، ولا يتعدى عليه ولا يفخر أحدٌ على أحدٍ، ومن رزقه الله التقوى والإيمان والمال والخير حمد الله وأثنى عليه، وتواضع لله الذي رزقه ويسر له وأعطاه من مال وتُقى ونسب وجاهٍ ووظيفة وغير ذلك، وليس له أن يترفع بذلك عن المؤمنين أو يتكبر بذلك على عباد الله.

ويقول ﷺ: «**مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ**»، في اللفظ الآخر: «**مَا**

نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زادَ اللهُ عَبْداً بعَفْوٍ إلَّا عِزّاً، وَمَا تَوَاضَعَ أحَدٌ للهِ إلَّا رَفَعَهُ اللهُ» رواه مسلم في الصحيح، فالتواضع يزيدك رِفعة، بعض الناس قد يخيل إليه أنه إذا تواضع وجلس مع المسكين أو حدث المسكين أو أجاب دعوته قد يظن أن هذا ينقص قيمته، وأنه يضعه عند الناس، والعكس والصواب أن هذا التواضع يرفعه عند الله وعند المؤمنين، ومرَّ ﷺ على جماعة من الصبيان فسلم عليهم، ولم يتكبر عن تسليمه على الصبيان، كما قال أنس، دلَّ ذلك على أنه إذا مرَّ بالصبيان يسلم عليهم، لا يقول: هؤلاء لا قيمة لهم صغار، بل يسلم عليهم حتى يتعودوا سماع السلام ويردُّ السلام، كذلك يسلم على النسوة، فقد أتى عليه الصلاة والسلام مصلى النساء يوم العيد فسلم عليهن ووعظهن، فالمؤمن يسلم على الرجال والنساء والصبيان ولا يتكبر، ويبدأ بالسلام على من دونه ويرُد السلام على من دونه، ومن بدأ كان أفضل، أولى الناس بالله من بدأهم بالسلام، خيرهم الذي يبدأُ بالسلام.

وفَّق الله الجميع.

❊ ❊ ❊

٦٠٥ ـ وعنه، قَالَ: إن كَانَتِ الأَمَةُ مِنْ إمَاءِ المَدينَةِ لَتَأْخُذُ بِيَدِ النَّبيِّ ﷺ، فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءتْ. رواه البخاري[1].

٦٠٦ ـ وعن الأَسْوَدِ بن يَزيدَ، قَالَ: سُئِلَتْ عائشةُ رضي الله عنها: مَا كَانَ النَّبيُّ ﷺ يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ؟ قالت: كَانَ يَكُون في مِهْنَةِ أهْلِهِ ـ يعني: خِدمَة أهلِه ـ فإذا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ، خَرَجَ إلَى الصَّلَاةِ. رواه البخاري[2].

---

(١) أخرجه في كتاب الأدب، باب الكبر برقم (٦٠٧٢).
(٢) أخرجه في كتاب الأدب، باب كيف يكون الرجل في أهله برقم (٦٠٣٩).

٦٠٧ ـ **وعن** أَبي رِفَاعَةَ تَميم بن أُسَيْدٍ ﷺ، قَالَ: انْتَهَيْتُ إِلَى رَسولِ الله ﷺ وَهُوَ يخطب، فقلت: يَا رسول الله، رَجُلٌ غَريبٌ جَاءَ يَسْأَلُ عن دِينهِ لا يَدْرِي مَا دِينُهُ؟ فَأَقْبَلَ عَليَّ رسولُ اللهِ ﷺ، وتَرَكَ خُطْبَتَهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَيَّ، فَأُتِيَ بِكُرْسيٍّ، فَقَعَدَ عَلَيْهِ، وَجَعَلَ يُعَلِّمُني مِمَّا عَلَّمَهُ اللهُ، ثُمَّ أَتَى خُطْبَتَهُ فَأَتَمَّ آخِرَهَا. رواه مسلم[1].

٦٠٨ ـ **وعن** أنس ﷺ؛ أن رسول الله ﷺ كَانَ إِذَا أَكَلَ طَعَاماً، لَعِقَ أَصَابِعَهُ الثَّلَاثَ. قَالَ: وقال: «إِذَا سَقَطَتْ لُقْمَةُ أَحَدِكُمْ فَلْيُمِط عنها الأَذى، وليَأْكُلْها وَلَا يَدَعْها لِلشَّيْطان» وأمرَ أن تُسلَتَ القَصْعَةُ، قَالَ: «فإِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ في أَيِّ طَعَامِكُمُ البَرَكَة» رواه مسلم[2].

الشَرح

هذه الأحاديث الثلاثة كلها تتعلق بالتواضع وخفض الجناح للمؤمنين، وأنه ينبغي لأهل الإيمان من الرؤساء والحكام والأغنياء وغيرهم التواضع وخفض الجناح للمؤمنين، وعدم التكبر تأسياً برسول الله عليه الصلاة والسلام، تقدم قوله عليه الصلاة والسلام: «**إِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ**»[3] تقدم قوله ﷺ: «**مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زادَ اللهُ عَبْداً بِعَفْوٍ إِلَّا عِزّاً، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ للهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ**»[4] تقدم أنه كان عليه الصلاة والسلام إذا مرَّ بالصبيان سلَّم عليهم، تقدم قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا

---

(١) أخرجه في كتاب الجمعة، باب حديث التعليم في الخطبة برقم (٨٧٦).
(٢) أخرجه في كتاب الأشربة، باب استحباب لعق الأصابع والقصعة وأكل اللقمة الساقطة بعد مسح ما يصيبها من أذى برقم (٢٠٣٤).
(٣) سبق تخريجه برقم (٦٠٢).
(٤) سبق تخريجه برقم (٥٥٦).

ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، فلا يليق بالمؤمن التكبر على أخيه؛ لأنه فقير أو لأسباب أُخرى؛ بل ينبغي له أن يكون متواضعاً خافضاً جناحه للمؤمنين، معترفاً بنعمة الله عليه يشكر الله على نعمه، ولا يتكبر على عباده.

ومن هذا قول أنس ﷺ: أن الأمة تأخذ بيده ﷺ لحاجتها؛ معنى هذا الكلام: أنه ﷺ كان متواضعاً حتى للإماء إذا جاءت الأمة مملوكة تسأل عن حاجة تشكو إليه حاجة ذهب معها لقضاء حاجتها والنظر في أمرها؛ لأنها قد تكون مظلومة، فلا يقضي حاجتها سوى أن يذهب معها لينظر ظلامتها عليه الصلاة والسلام، أما كونها تأخذ بيده فلعل المراد كان ذلك قبل أن يمنع ذلك من مس المرأة للرجل والرجل المرأة، أو كان ذلك من خصائصه عليه الصلاة والسلام؛ لأنه معصوم من أن تقع منه الفاحشة بها، عليه الصلاة والسلام، فأخذها بيده محتمل أن يكون بطرف ردائه، أو بيده؛ لأنه معصوم، عليه الصلاة والسلام لا يخشى عليه الفتنة، كما ثبت في الحديث الآخر من أن الشيطان جاء بأمة تدفع ليستحل بها الطعام لا تسمي، فأمسك بيدها حتى أمرها بأن تسمي في الطعام[1].

المقصود من هذا كله؛ أنه كان يتواضع فيقضي حاجة المساكين من الإماء وغير الإماء والأعراب وغير الأعراب، ولا يتكبر عنهم عليه الصلاة والسلام ولا يترفع عليهم، بل يتواضع عملاً بقول الله له:

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما برقم (٢٠١٧)، وهذا لفظه: عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: كُنَّا إِذَا حَضَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ طَعَامًا لَمْ نَضَعْ أَيْدِيَنَا حَتَّى يَبْدَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَيَضَعَ يَدَهُ وَإِنَّا حَضَرْنَا مَعَهُ مَرَّةً طَعَاماً فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ كَأَنَّهَا تُدْفَعُ فَذَهَبَتْ لِتَضَعَ يَدَهَا فِي الطَّعَامِ فَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهَا ثُمَّ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ كَأَنَّمَا يُدْفَعُ فَأَخَذَ بِيَدِهِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إِنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَحِلُّ الطَّعَامَ أَلَّا يُذْكَرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ جَاءَ بِهَذِهِ الْجَارِيَةِ لِيَسْتَحِلَّ بِهَا فَأَخَذْتُ بِيَدِهَا فَجَاءَ بِهَذَا الْأَعْرَابِيِّ لِيَسْتَحِلَّ بِهِ فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ يَدَهُ فِي يَدِي مَعَ يَدِهَا»**.

﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨] عليه الصلاة والسلام.

وفي **الحديث الثاني**: أنه ﷺ جاءه سائل جاهل جاء يسأل عن دينه ما يدري ما دينه، والنبي يخطب قال: يا رسول الله أنا جاهل لا أدري ما ديني فعلمني ديني، فنزل عليه الصلاة والسلام وأُتي له بكرسي فجلس عليه فعلمه حقيقة الدين، ثم رجع وأكمل خطبته عليه الصلاة والسلام، هذا من التواضع العظيم من العناية العظيمة بالجاهل وتعليمه وإرشاده، وأنه لا بأس أن يقطع الإنسان خطبته التي يخطبها في الناس ويذكرهم؛ لتعليم الجاهل، أو إنقاذ معصوم، أو أمر بمعروف، أو نهي عن منكر، ثم يعود إلى خطبته، هذا من باب التواضع، ومن باب العناية بمراعاة حاجات المؤمنين والتلطف بهم، والعناية بهم حتى تقضى حاجاتهم التي رفعوها واشتكوا من أجلها.

كذلك **حديث لعق الأصابع**، كان يلعق أصابعه ولا يتكبر عن لعق الأصابع عليه الصلاة والسلام، كان يأكل بثلاثة أصابع ويلعقها، وكان يأمر أن تُسلَتَ القَصْعَةُ، قَالَ: **«فإنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ في أيِّ طَعَامِكُمُ البَرَكَة»**، ويقول: **«إِذَا سَقَطَتْ لُقْمَةُ أَحَدِكُمْ فَلْيُمِط عنها الأذى، وليَأكُلْها وَلَا يَدَعْها لِلشَّيْطان»** كل هذا من التواضع وعدم التكبر، فيتكبر الإنسان فلا يلعق أصابعه، ويمسحها بالمنديل أو يغسلها، لا، السُّنَّة أن يلعقها أولاً، قبل أن يغسلها، وقبل أن يمسحها بالمنديل، يلعقها ويأخذ ما فيها من الطعام، ثم إذا أراد مسحها بالمنديل أو غسلها بالماء لا بأس، وهكذا كان يفعل عليه الصلاة والسلام، وهذا من التواضع ومن العناية بإزالة آثار الطعام، ثم يكون الغسل بعد ذلك، أو المسح بالمنديل، وهكذا سقوط اللُقمة أو اللحمة أو شبه ذلك، يميط ما بها من الأذى إذا علقها شيء، يُزيل ذلك ويأكل ما بقي ولا يدعها للشيطان، هكذا سلت الصحفة، سلت الطبق إذا كانت مثل العصيدة

مثل شيء له أثر يسلتُ مكانه فيأكله، ولا يدع مكانه مُبعثراً هاهنا، وها هنا، بل يكون مكانه مسلوت ليس فيه بعثرة من باب الأدب في الطعام.

وفَّق الله الجميع.

* * *

٦٠٩ ـ وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: «مَا بَعَثَ الله نَبِيّاً إِلَّا رَعَى الغَنَمَ» قَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ، كُنْتُ أرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لأَهْلِ مَكَّةَ» رواه البخاري(١).

٦١٠ ـ وعنه، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: «لَوْ دُعِيتُ إِلَى كُراعٍ أَوْ ذِرَاعٍ لأَجَبْتُ، ولو أُهْدِيَ إِلَيَّ ذراعٌ أَوْ كُراعٌ لَقَبِلْتُ» رواه البخاري(٢).

٦١١ ـ وعن أنس رضي الله عنه، قَالَ: كَانَتْ نَاقةُ رسول الله ﷺ العضْبَاءُ لَا تُسْبَقُ، أَوْ لَا تَكَادُ تُسْبَقُ، فَجَاءَ أعْرَابيٌّ عَلَى قَعودٍ لَهُ، فَسَبَقَهَا، فَشَقَّ ذَلِك عَلَى المُسْلِمِينَ حَتَّى عَرَفَهُ، فَقَالَ: «حَقٌّ عَلَى اللهِ أنْ لَا يَرْتَفِعَ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا وَضَعَهُ» رواه البخاري(٣).

الشَّرح

هذه الأحاديث الثلاثة كالتي قبلها في الحث على التواضع والحذر من التكبر، قد قال الله عز وجل في كتابه العظيم للنبي عليه الصلاة والسلام: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨]، قال عز وجل: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]،

(١) سبق تخريجه برقم (٦٠٠).
(٢) أخرجه في كتاب الهبة، باب القليل من الهبة برقم (٢٥٦٨).
(٣) أخرجه في كتاب الرقاق، باب التواضع برقم (٦٥٠١).

فالمؤمن من شأنه أن يتواضع ولو كان أميراً ولو كان حاكماً وملكاً، ولو كان غنياً، يتواضع ويعرف حق إخوانه الفقراء ولا يتكبر عليهم، تقدم في الحديث قوله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ**»، تقدم قوله ﷺ: «**مَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ**»، ينبغي للمؤمن التواضع أينما كان، مع من فوقه، مع من دونه، مع الرجال، والنساء، والصبيان، يرجو ما عند الله من المثوبة.

ومن ذلك هذا الحديث: «**مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيّاً إِلَّا رَعَى الغَنَمَ**» **فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وأَنْتَ؟ قَالَ:** «**نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لأَهْلِ مَكَّةَ**»، هذا من التواضع ومن كسب الحلال أيضاً، الأنبياء رعوا الغنم، ونبينا رعى الغنم عليه الصلاة والسلام قبل أن يوحى إليه، قال أهل العلم: وفي ذلك من الحكمة أن في رعاية الغنم ورعاية البهائم توطيناً وتمهيداً لرعاية بني آدم، وأن الرسل بعثهم الله ليرعوا بني آدم ويوجهوهم ويرشدوهم ويعلموهم، فينتقلوا من رعاية البهائم إلى رعاية المكلفين؛ للتوجيه والتعليم والإرشاد وطلب التسهيل، كما أن الراعي يلتمس للغنم وغيرها الطريقة السهلة، والمرعى المناسب، والماء الكثير، ونحو ذلك، فهكذا ينبغي بل يجب على رعاة بني آدم أن يعنوا بهم، وأن يجتهدوا في تسهيل سبيلهم إلى الآخرة، وتوجيههم إلى أسباب النجاة، والرسل هم الأئمة في هذا، هم القدوة، عليهم الصلاة والسلام، والعلماء خلفاؤهم، العلماء خلفاء الرسل عليهم الصلاة والسلام، فينبغي للمؤمن أن يكون متواضعاً حريصاً على كسب الحلال ولو من الطرق التي قد ينفر منها بعض الناس كالرعاية.

كذلك كانت ناقة النبي ﷺ العضباء لا تُسبق فجاء أعرابي بقعود له فَسَبَقَهَا، فَشَقَّ ذلك على الناس، فعرف ذلك النبي ﷺ، فقال عليه الصلاة

والسلام: «**حَقٌّ عَلَى اللهِ أَنْ لَا يَرْتَفِعَ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا وَضَعَهُ**»، فالدنيا مآلها إلى النقص والذهاب والزوال، كلُّ ما ارتفع منها ينزل، فالإنسان بعد الشباب يكون إلى الهرم والضعف وإلى الموت، وهكذا البهائم هذه الدنيا زائلة، ومآلها إلى النقص.

أما ما رفعه الله لا ينزل، من رفعه الله فهو مرفوع، ولهذا الرواية الصحيحة ما ارتفع شيءٌ من الدنيا، بعضهم يقول: حقٌّ على الله أن لا يرفع شيءٌ إلا وضعه، وليس الأمر كذلك، إنما الرواية: إن حقاً على الله ما ارتفع شيءٌ من الدنيا إلا وضعه الله ﷻ، ليعلم العباد أنها مصيرها إلى الزوال وإلى الاضمحلال والنقص، فلا ينبغي أن يتكبروا، ولا أن يتجبروا على من دونهم من فقراء المسلمين.

كذلك حديث أبي هريرة: «**لَوْ دُعِيتُ إِلَى كُراعٍ أَوْ ذِرَاعٍ لأَجَبْتُ، ولو أُهْدِيَ إِلَيَّ ذراعٌ أَوْ كُراعٌ لَقَبِلْتُ**»، هذا من التواضع أيضاً، وبيَّن ﷺ أنه لا ينبغي للمؤمن أن يترفع عن الدعوى إذا دعاه أخوه الفقير، بل يجيب دعوته، وإذا أُهدي إليه شيءٌ من بعض إخوانه لا يكدر خاطره، بل يقبل هديته، وإن كانت ضئيلة من باب التواضع، وجبر خواطر الإخوان والأحباب؛ ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «**لَوْ دُعِيتُ إِلَى كُراعٍ أَوْ ذِرَاعٍ لأَجَبْتُ، ولو أُهْدِيَ إِلَيَّ ذراعٌ أَوْ كُراعٌ لَقَبِلْتُ**»، كل هذا من التواضع منه عليه الصلاة والسلام، فينبغي التأسي به عليه الصلاة والسلام.

وفَّق الله الجميع.





٧٢ - بَابُ تحريم الكبر والإعجاب

قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣] وقال تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [الإسراء: ٣٧]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨] ومعنى تصعر خدك للناس؛ أي: تميله وتعرض به عن الناس تكبراً عليهم. والمرح: التبختر. وقال تعالى: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦] إلى قوله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ [القصص: ٨١].

٦١٢ - **وعن** عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ في قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّة مِنْ كِبْرٍ!» فَقَالَ رَجُلٌ: إنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَناً، ونَعْلُهُ حَسَنَةً؟ قَالَ: «إنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ، الكِبْرُ: بَطَرُ الحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ» رواه مسلم[1].

□ (بَطَرُ الحَقِّ): دَفْعُهُ وَرَدُّهُ عَلَى قَائِلِهِ، (وَغَمْطُ النَّاسِ): احْتِقَارُهُمْ.

٦١٣ - **وعن** سلمة بن الأكوع رضي الله عنه؛ أنّ رَجُلاً أكَلَ عِنْدَ رسول الله ﷺ بشمالِهِ، فَقَالَ: «كُلْ بيَمِينِكَ» قَالَ: لَا أسْتَطِيعُ! قَالَ: «لا اسْتَطَعْتَ» مَا

---

(١) أخرجه في كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه برقم (٩١).

مَنَعَهُ إِلَّا الكِبْرُ. قَالَ: فما رفَعها إِلَى فِيهِ. رواه مسلم(١).

٦١٤ ـ **وعن** حارثة بن وهْب ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ، يقول: «ألا أُخْبِرُكُمْ بأهْلِ النَّار: كلُّ عُتُلٍ جَوّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ» متفقٌ عَلَيْهِ(٢)، وتقدم شرحه في بابِ ضعفةِ المسلمين.

الشَّرح

هذه الآيات الكريمات والأحاديث الثلاثة كلها تتعلق بوجوب التواضع، وتحريم التكبر والإعجاب بالنفس، وأن الواجب على المؤمن أن يتواضع لله، وأن يعرف قدر نفسه، وأن يحذر التكبر على عباد الله والتعاظم عليهم، وأن يُعجب بعمله ونفسه، بل عليه أن يحذر ذلك، فإن التكبر والإعجاب بالنفس والعمل عاقبتهما وخيمة نسأل الله العافية؛ ولهذا قال ﷻ: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ﴾؛ يعني: الجنة ﴿نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣]، فالجنة لأهل التقوى والإيمان والتواضع، ليس لأهل التكبر والفساد، فيجب على المؤمن أن يحذر أخلاق الكافرين والضالين من التكبر والإعجاب بالنفس والتعاظم على الناس واحتقارهم، هذه حال المجرمين، وحال أصحاب النار، فإنها بئس مثوى المتكبرين، نسأل الله العافية.

وهكذا قوله سبحانه: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [لقمان: ١٨]، تصعير الخد: يميل وجهه تكبراً وتعاظماً ويمشي في

---

(١) أخرجه في كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما برقم (٢٠٢١).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ [القلم: ١٣] برقم (٤٩١٨)، ومسلم في كتاب الجنة، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء برقم (٢٨٥٣).

الأرض مرحاً؛ يعني: تكبراً ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨] نسأل الله العافية، فالواجب التواضع والاعتراف بقدر الناس وإنزالهم منازلهم، والحذر من التكبر عليهم، فالمؤمن من طبيعته الخضوع لله والتواضع له ولعباده، وعدم التكبر والإعجاب.

وهكذا لما تكبر قارون وتعاظم في نفسه واستكبر عن اتباع الحق وبغى، خسف الله به وبداره الأرض، ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾؛ يعني: بتكبره وعناده، ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ﴾؛ يعني: من الأموال ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ﴾ مفاتح الكنوز ﴿لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ﴾؛ يعني: تُعجزهم وتشقُّ عليهم، وهم عُصبة كبيرة؛ لكثرة خزائنه وأمواله فاغتر بها، ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ﴾؛ يعني: لا تتكبر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦]؛ يعني: المُتكبرين، مراد الفرح هنا: التكبر والتعاظم، ثم قال: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧] لكنه لم ينتفع بالنصيحة ولم يقبلها؛ فلهذا خسف الله به وبداره الأرض نسأل الله العافية، فيجب على المؤمن الحذر من صفات المتكبرين وأخلاق المجرمين، حتى لا يصيبه ما أصابهم.

فيقول عليه الصلاة والسلام في **الحديث الصحيح**: «**لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّة مِنْ كِبْرٍ!**» وعيد عظيم، فقال رجل: يا رسول الله إنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَناً، ونَعْلُهُ حَسَنَةً، قال عليه الصلاة والسلام: «**إنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ، الكِبْرُ: بَطَرُ الحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ**»، **الكِبْرُ** ردُ الحق **وبَطَرُ الحَقِّ** رد الحق ودفع الحق، **وَغَمْطُ النَّاسِ**؛ يعني: احتقار الناس هذا هو **الكِبْرُ** احتقار الناس ورد الحق إذا خالف هواه، أما التجمل ولبس الجميل من الثياب والملابس هذا ليس

من الكبر، «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ»؛ ولكن التكبر احتقار الناس وغمطهم واحتقارهم واستصغارهم وزعمه أنه فوقهم، ورد الحق إذا خالف هواه.

هكذا **الحديث الثاني**: أن رجلاً أكل عنده ﷺ فأكل (**بشماله فقال: «كُلْ بيَمِينِكَ» قَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ! قَالَ: «لا اسْتَطَعْتَ» مَا مَنَعَهُ إِلَّا الكِبْرُ**): قَالَ: فما رفَعها إِلَى فِيهِ؛ يعني: عُوقب، شلت يده، نسأل الله العافية، بسبب تكبرهِ عن الأكل بيمينه وصار يأكل بشماله تكبراً وتعاظماً ويدعي أن لا يستطيع[1].

والجفاء والإعراض والغفلة وعدم أداء الحقوق، فالعُتل هو الغليظ الجافي المُعرض عن الحق، والجواظ الجموع المنوع الذي يجمع الأموال من غير حق، ويمنع الحق مع التكبر، نسأل الله العافية، والتعاظم عن الناس، هؤلاء هم أهل النار، أما أهل الجنة فهم أهل التواضع والعمل الصالح والقُرب من العباد وعدم التكبر، كل هين لين قريب سهل لا يتكبر على عباد الله، بل يطيع الله ورسوله ويتواضع، هؤلاء هم أهل الجنة، بخلاف أهل النار فأمرهم التكبر والتعاظم والخيلاء والإعجاب بالنفس، نسأل الله السلامة والعافية.

وفَّق الله الجميع.

❋ ❋ ❋

٦١٥ ـ وعن أَبي سعيد الخدري ﷺ، عن النبي ﷺ، قَالَ: «**احْتَجَتِ الجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَت النَّارُ: فيَّ الجَبَّارُونَ والمُتَكَبِّرُونَ. وقالتِ الجَنَّةُ: فيَّ ضُعفاءُ الناس ومساكينُهُم، فقضى اللهُ بَينهُما: إنكِ الجنّةُ رَحْمَتِي أرْحَمُ بكِ مَنْ أشَاءُ، وَإنَّكِ النَّارُ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أشَاءُ، وَلِكِلَيْكُمَا عَلَيَّ**

(١) بعد هذه الكلمة انتهى الشريط وبدأ الوجه الثاني بكلمة الجفاء.

مِلْؤُهَا» رواه مسلم[١].

٦١٦ ـ **وعن** أبي هريرة ﷺ؛ أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: «**لَا يَنْظُرُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَى مَنْ جَرَّ إِزَارَهُ بَطَراً**» متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

٦١٧ ـ **وعنه**، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «**ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَة، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ**» رواه مسلم[٣].

□ (العَائِلُ): الفَقِيرُ.

الشَّرح

ففي هذه الأحاديث التحذير من الكبر، وأن عاقبته وخيمة، وأن أهله متوعدون بالنار نسأل الله العافية، قد سبق قوله ﷺ: «**لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ**»، في الرواية الأخرى: «**لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**»، قيل: يا رسول الله الرجل يُحِبُّ أنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَناً، ونَعْلُهُ حَسَنَةً؟ فذلك من الكِبر؟ قال عليه الصلاة والسلام: «**إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ، الكِبْرُ: بَطَرُ الحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ**»[٤] هذا هو الكبر بطرُ الحق؛ يعني: رد الحق إذا خالف هواه، رده تكبراً وتعاظماً وطاعةً لهواه وغمطُ الناس؛ يعني: احتقار

---

(١) أخرجه في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء برقم (٢٨٤٧).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب اللباس، باب من جرَّ ثوبه من الخيلاء برقم (٥٧٨٨)، ومسلم في كتاب اللباس، باب تحريم جر الثوب خيلاء وبيان حَدِّ ما يجوز إرخاؤه إليه وما يستحب برقم (٢٠٨٧).

(٣) أخرجه في كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار والمنِّ بالعطية وتنفيق السلعة بالحلف وبيان الثلاثة برقم (١٠٧).

(٤) سبق تخريجه برقم (٦١٢).

الناس وازدراءهم، إما لأنه غني وهم فقراء، أو لأسباب أُخرى، يحتقرهم من أجل ذلك، هذا هو الكبر نعوذ بالله من ذلك، تقدم في الحديث الصحيح؛ أن رجلاً أكل مع النبي ﷺ بشماله فقال له النبي: **«كُلْ بيَمِينِكَ»** قَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ! قَالَ: **«لا اسْتَطَعْتَ مَا مَنَعَهُ إِلَّا الكِبْرُ»** قَالَ: فما رفَعها إِلَى فِيهِ[١]، عوقب شلت يمينه حتى لم يستطع يرفعها، قال: ما منعه إلا الكبر، نسأل الله العافية.

وفي هذا يقول ﷺ: **«احْتَجّتِ الجَنَّةُ وَالنَّارُ»** احتجتا عند ربهما اختصمتا، **«فَقَالَت النَّارُ: فيَّ الجَبَّارُونَ والمُتَكَبِّرُونَ، وقالتِ الجَنَّةُ: فيَّ ضُعفاءُ الناس ومساكينُهُم، فقضى اللهُ بينهُما: إنكِ الجنّةُ رَحْمَتِي أرْحَمُ بك مَنْ أشَاءُ، وَإِنَّكِ النَّارُ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أشَاءُ، وَلِكِلَيْكُمَا عَلَيَّ مِلْؤُهَا»** تمام الحديث فأما النار **«فَيَضَعُ فِيهَا رَبُّ العِزَّةِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدَمَهُ عَلَيْهَا فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ، فَهُنَالِكَ تَمْتَلِئُ وَيُزْوَى...»** وأما الجنة فلا تمتلئ فينشئُ الله لها أقواماً يدخلهم الجنة ﷻ، ففي هذا تحذير من الكبر، وأن عاقبة أهله النار، نسأل الله العافية.

وهكذا **الحديث الثاني**: يقول ﷺ: **«لَا يَنْظُرُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَى مَنْ جَرَّ إِزَارَهُ بَطَراً»** من جر ثوبه في لفظ: **«مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلَاءَ لَمْ يَنْظُرِ اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ»**[٢] لم ينظر الله إليه يوم القيامة، والبطر الخيلاء، هذا فيه الحذر من كون الإنسان يسحب ثيابه وهو فيها تكبراً وتعاظماً، وأن هذا من أسباب دخول النار، نسأل الله العافية، جر الثياب مُنكر مطلقاً ولو ما قصد الخيلاء لا يجوز، لكن إذا كان مع الخيلاء صار الشرُ أعظم، صارت المعصية أكبر والعقوبة أشد، وفي اللفظ الآخر: **«مَا أَسْفَلَ مِنَ**

---

(١) سبق تخريجه برقم (٦١٣).
(٢) سيأتي تخريجه برقم (٧٩١).

الكَعْبَيْنِ مِنَ الإِزَارِ فَفِي النَّارِ»[١] رواه البخاري، في اللفظ الآخر: «**ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ: المَنَّانُ الَّذِي لَا يُعْطِي شَيْئاً إِلَّا مَنَّهُ وَالمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالحَلِفِ الفَاجِرِ وَالمُسْبِلُ إِزَارَهُ**»[٢] وإنما دخل في المسبل؛ لأنه في الغالب إنما يحمله على ذلك التكبر، ولو زعم أنه ليس متكبراً إلا أنه يجره إلى الكبر، نسأل الله العافية، مع ما فيه من الإفساد للثياب وتعريضها إلى الأوساخ والنجاسات.

وفي هذا الحديث يقول ﷺ: «**ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَة، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ**» مع فقره مستكبر عائل؛ يعني: فقير، هذا الشاهد لما قال السلف: إن الجريمة تعظم مع قلة الداعي، إذا قلَّ الداعي لها صارت عقوبتها أشد: شيخٌ زانٍ، شايب، الزنى من الشباب محرم، لكنه من الشيخ الكبير أشدُّ تعذيباً أشدُ إثماً لضعف الدواعي، ولأنه إذا زنى وهو شيخ هو دلالة على أن هذا سجية له وطبيعة له، نسأل الله العافية، كذلك ملكٌ كذابٌ، الكذب محرم على الجميع، على الملوك وغير الملوك، كون الملك عنده القدرة عنده الخير العظيم، ثم يلجأ إلى الكذب لماذا؟ من الذي يحمله على الكذب؟ وعنده الدنيا وعنده الخير إلا أنه سجية له وقلة مبالاة بالكذب؛ ولهذا صار الذنب أعظم في حقه، نسأل الله العافية، وهكذا عائل مستكبر؛ يعني: فقير مستكبر العائل الفقير، فالكبر محرم على الجميع على العائل والغني، لكن إذا كان من العائل من الفقير صار أشد في الإثم؛ لأن الغني قد يحمله الغنى أو الوظيفة إذا كانت وظيفة كبيرة، قد يحمله ذلك على الكبر، ثم يتنازل إذا زالت الوظيفة أو

(١) سيأتي تخريجه برقم (٧٩٣).

(٢) أخرجه مسلم من حديث أبي ذر رضي الله عنه في كتاب الإيمان، باب بيان تغليظ تحريم إسبال الإزار، والمن بالعطية، وتنفيق السلعة بالحلف، وبيان الثلاثة برقم (١٠٦).

استقر أو يتنبه بعد ذلك، لكن العائل من الذي يحمله إلا أنه سجية له طبيعة له في قلبه مع فقره يتكبر، نسأل الله العافية.

ولهذا شاهد؛ لأن الذنب والإثم يعظم مع قلة الداعي وضعف الداعي، نسأل الله العافية والسلامة.

رزق الله الجميع العافية والسلامة.

❊❊❊

٦١٨ ـ **وعنه**، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «قَالَ الله ﷻ: العِزُّ إِزَارُهُ وَالكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ فَمَنْ يُنَازِعُني عَذَّبْتُهُ» رواه مسلم[١].

٦١٩ ـ **وعنه**: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمشِي فِي حُلَّةٍ تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ، مُرَجِّلٌ رَأسَهُ، يَختَالُ فِي مَشْيَتِهِ، إذْ خَسَفَ اللهُ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ في الأَرضِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ» متفقٌ عَلَيهِ[٢].

□ (مُرَجِّلٌ رَأسَهُ)؛ أيْ: مُمَشِّطُهُ، يَتَجَلْجَلُ بالجيمين؛ أيْ: يَغُوصُ وَيَنْزِلُ.

٦٢٠ ـ **وعن** سَلَمَةَ بنِ الأكْوَعِ ﷺ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَذْهَبُ بِنَفْسِهِ حَتَّى يُكْتَبَ في الجبَّارِينَ، فَيُصيبَهُ مَا أصَابَهُمْ» رواه الترمذي، وقال: حديث حسن[٣].

□ (يَذْهَبُ بِنَفْسِهِ)؛ أيْ: يَرْتَفِعُ وَيَتَكَبَّرُ.

الشَّرح

فهذه الأحاديث الثلاثة كالتي قبلها فيها التحذير من الكبر والخيلاء

---

(١) أخرجه في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الكِبرِ برقم (٢٦٢٠).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب اللباس، باب من جرَّ ثوبه من الخيلاء برقم (٥٧٨٩)، ومسلم في كتاب اللباس والزينة، باب تحريم التبختر في المشي مع إعجابه بثيابه برقم (٢٠٨٨).

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الكبر برقم (٢٠٠٠).

وإعجاب المرءِ بنفسه، وأن الواجب على المؤمن التواضع لله وعدم التكبر والاختيال، وغمط الناس، والتكبر داءٌ عضال وعاقبته وخيمة؛ ولهذا جعل الله النار مثوى المتكبرين فيجب الحذر، وتقدم قول النبي ﷺ لما سُئل قال له رجل: يا رسول الله الرجل يُحِبُّ أنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَناً، ونَعْلُهُ حَسَنَةً فذلك من الكِبر؟ قال: **«إنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ، الكِبْرُ: بَطَرُ الحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ»** بيَّن أن الكبر رد الحق وعدم قبوله إذا خالف هواه وغمط الناس؛ يعني: احتقارهم وازدراؤهم والترفع عليهم، فالواجب على المؤمن أن يحذر هذه الصفة الذميمة وأن يتواضع لله، وأن ينظر في عيوب نفسه وتقصيره، وأنه محل أن يزدري نفسه وأن يحتقرها وأن يحاسبها وأن يُشغل بها عن احتقار الناس.

ويقول ﷺ: **«قَالَ الله ﷻ: العِزُّ إزَاري، والكبرياءُ رِدائي، فَمَنْ يُنَازِعُني في وَاحِدٍ منهما عَذَّبْتُهُ»**، فالكبرياء لله والعزة لله سبحانه هو العزيز الحكيم وهو الكبير المتعال، فمن نازع الله عزته وكبرياءه عذبه، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فوجب التواضع لله وشكره على نعمه، وأن تعرف نفسك وتنزلها منزلتها، وألا ترفعها فوق منزلتها، فإن ذلك شرٌ لك وعاقبته وخيمة.

وفي **الحديث الثاني**: يقول ﷺ: **«بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمشِي في حُلَّةٍ تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ، مُرَجِّلٌ رَأسَهُ، يَخْتَالُ فِي مَشْيَتِهِ، إِذْ خَسَفَ اللهُ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ في الأَرضِ إلَى يَوْمِ القِيَامَةِ»** بسبب تكبره وخيلائه وتعاظمه في نفسه، فعوقب عقوبة عاجلة، نسأل الله العافية، فيجب الحذر؛ لئلا يُصيبك أيها الأخ وأيها الإنسان ما أصاب غيرك ممن ذهب بنفسه وتكبر وتعاظم حتى أُخذ، وقد تعجل العقوبة وتؤخر لحكمة بالغة، وتكون العقوبة أشد، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وهكذا **حديث سلمة بن الأكوع**، يقول النبي ﷺ: **«لَا يَزَالُ الرَّجُلُ

يَذْهَبُ بِنَفْسِهِ»؛ يعني: يتعاظم ويتكبر «**لَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَذْهَبُ بِنَفْسِهِ حَتَّى يُكْتَبَ فِي الجبَّارِين، فَيُصِيبَهُ مَا أَصَابَهُمْ**»، نسأل الله العافية، فينبغي للمؤمن التواضع وأن يعرف نفسه، وأنه ضعيف من نطفة ضعيف من ماءٍ مهين، ومرده الموت، وهو معروف حاله يحمل بين جنبيه العذرة يبول كما يبول الناس ويتغوط كما يتغوط الناس، وتصيبه الآفات كما تصيب الناس، فمن الذي يوجب له هذا الترفع وهذا التعاظم وهو كالناس الآخرين، وروي عن بعض السلف؛ أنه رأى رجلاً متكبراً فقال له الرجل: أتعرفني؟ قال: نعم أعرفك أصلك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وأنت تحمل بين جنبك العذرة؛ يعني: ما الداعي إلى أن تتعاظم والأصل هذه النطفة الضعيفة والمصير الموت والذهاب والزوال، وأنت تحمل بين جنبيك ما يحمله الناس من سفالة الأكل والشرب وما هو معروف، فجدير بالعاقل الذي هذا حاله وهذه صفته وهذا أصله وهذه نهايته، أن يتواضع لله وأن يحذر عاقبة الكبر وأن يجتهد في أسباب النجاة لعله ينجو.

وفَّق الله الجميع.





٧٣ - بَابُ حسن الخلق

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، وقال تعالى: ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ الآية [آل عمران: ١٣٤].

٦٢١ - **وعن** أنس رضي الله عنه، قال: كَانَ رَسولُ الله ﷺ أحْسَنَ النَّاس خُلُقاً. متفقٌ عَلَيْهِ(١).

٦٢٢ - **وعنه**، قَالَ: مَا مَسِسْتُ دِيبَاجاً وَلَا حَرِيراً أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ رسولِ اللهِ ﷺ، وَلَا شَمَمْتُ رَائِحَةً قَطُّ أَطْيَبَ مِنْ رَائِحَةِ رسولِ اللهِ ﷺ، وَلَقَدْ خدمتُ رسول اللهِ ﷺ عَشْرَ سنين، فما قَالَ لي قَطُّ: أُفٍّ، وَلَا قَالَ لِشَيءٍ فَعَلْتُهُ: لِمَ فَعَلْتَه؟ وَلَا لشَيءٍ لَمْ أفعله: ألَا فَعَلْتَ كَذا؟ متفقٌ عَلَيْهِ(٢).

٦٢٣ - **وعن** الصعب بن جَثَّامَةَ رضي الله عنه، قَالَ: أهديتُ رسولَ الله ﷺ حِمَاراً وَحْشِيّاً، فَرَدَّهُ عَلَيَّ، فَلَمَّا رأى مَا في وجهي، قَالَ: «إنّا لَمْ نَرُدَّهُ عَلَيْك إلَّا لأنّا حُرُمٌ» متفقٌ عَلَيْهِ(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب الكنية للصبي وقبل أن يولد للرجل برقم (٦٢٠٣)، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جواز الجماعة في النافلة والصلاة على حصير وخمرة وثوب وغيرها من الطاهرات برقم (٦٥٩).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ برقم (٣٥٦١)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب طيب رائحة النبي ﷺ ولين مَسه والتبرك بمسحه برقم (٢٣٣٠).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب جزاء الصيد، باب إذا أُهدي للمُحرم حمار وحشي حياً لم يقبلْ برقم (١٨٢٥)، ومسلم في كتاب الحج، باب تحريم الصيد للمحرم برقم (١١٩٣).

الشَّرح

هذه الآيات والأحاديث فيما يتعلق بحسن الخلق، حسن الخلق من أفضل القربات من أعظم الطاعات، ومن أحسن الخصال التي تخلق بها العبد، قد جاء فيه من الآيات والأحاديث ما يدل على فضله وأنه من أفضل الخصال؛ ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «**البِرُّ حُسْنُ الخُلُقِ**»[1] جعل البر حسن الخلق لعظم فائدته وما فيه من التأليف والتقريب وإصلاح القلوب وإزالة الشحناء، والفوائد التي لا تحصر، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، يخاطب نبيه محمداً عليه الصلاة والسلام: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ قالت عائشة: كان خلقه القرآن[2] يعني: يمتثل أوامر القرآن، وينتهي عن نواهي القرآن، وفي القرآن الحث على حُسن الخلق وكظم الغيظ والعفو عن الناس، على أن يقول للناس حُسناً، فكان خلقه القرآن، عليه الصلاة والسلام، قال في وصف أهل الجنة من أهل التقوى: ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، فالعفو عن الناس وكظم الغيظ وطيب الكلام ومعالجة الأمور بالحكمة واللين والرفق، كل هذا من حسن الخُلق.

قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: «**البِرُّ حُسْنُ الخُلُقِ**»، وقال أنس رضي الله عنه: (**كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً**) عليه الصلاة والسلام فهو أكمل الناس في كل شيء عليه الصلاة والسلام، وكان أنس يخدمه، خدمه عشر سنين، فما قال له قط: أُفٍ؛ يعني: ما كلمه كلاماً سيئاً ولا عابه لشيء فعله لِمَ فعلته، ولشيء لم يفعله لِمَ لم تفعله، كان رفيقاً به عليه الصلاة والسلام، وكان أنس أديباً صالحاً يفعل ما أمر به، ويخدم الخدمة التي تليق منه للنبي عليه الصلاة والسلام،

---

(١) سبق تخريجه برقم (٥٩٠).

(٢) أخرجه الإمام أحمد من حديث عائشة رضي الله عنها (٦/ ٩١ و١٦٣ و٢١٦) برقم (٢٤٦٤٥، ٢٥٣٤١، ٢٥٨٥٥).

وكان النبي ﷺ معه في غاية من حسن الخلق، وفيه دلالة على حُسن رائحته عليه الصلاة والسلام أنه كان طيب الرائحة وإن لم يتطيب، قال: ما شَمَمْتُ أطيب من ريح رسول الله عليه الصلاة والسلام، كان ألين الناس كفاً عليه الصلاة والسلام، قد أحسن الله له الخَلقَ والخُلق عليه الصلاة والسلام، فينبغي التأسي به في أخلاقه وأقواله وأعماله، عليه الصلاة والسلام.

كذلك **حديث الصعب بن جثامة**، لما أهدى للنبي ﷺ حماراً وحشياً ردَّه النبي ﷺ، فلما رأى ما في وجهه من التكدر قال: «**إنّا لَمْ نَرُدَّهُ عَلَيْكَ إِلَّا لأَنّا حُرُمٌ**» اعتذر إليه، هذا من حُسن الخُلق، بيَّن له إنا ما رددنا عليك حمار الوحش إلا أنا حرمٌ، المحرم لا يأكل الصيد، والحمار الوحشي نوع من الصيد، غير الحُمر المعروفة الأهلية، فهذا الصيد لما كان حياً وأهداه الصعب للنبي وهو محرم لم يقبله، فلما ردَّه عليه استنكر ذلك الصعب وتغير وجهه، خاف أن يكون ذلك عن شيء في نفس النبي عليه الصلاة والسلام، فبيَّن له النبي ﷺ؛ أنه ليس هناك شيء إلا أنا حرمٌ، والمحرم لا يأكل الصيد الحي، أما لو كان صيداً مذبوحاً ذبحه حلال ليس من أجل المحرم فلا بأس، كما فعل أبو قتادة لما صاد صيداً وهو حلال وأهداه لأصحابه وهم محرمون وتوقفوا، أذن لهم النبي من أكله؛ لأنه ما صاده من أجلهم، فالمحرم ليس له صيد الصيد، وليس له أكله إذا صيد من أجله، أما إذا صيد من أجل الحلال وأُهدي للمحرم فلا بأس بذلك، إذا أهدي منه شيء مذبوح: لحم؛ ولهذا في الحديث: «**صَيْدُ البَرِّ لَكُمْ حَلَالٌ مَا لَمْ تَصِيدُوهُ أَوْ يُصَدْ لَكُمْ**»[1].

يخاطب المحرمين يقول الله: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًاۗ﴾

---

(١) أخرجه أبو داود عن جابر ﷺ في كتاب المناسك، باب لحم الصيد للمحرم برقم (١٨٥١)، والترمذي في كتاب الحج، باب ما جاء في أكل الصيد للمحرم برقم (٨٤٦)، والنسائي في كتاب المناسك، باب إذا أشار المحرم إلى الصيد فقتله الحلال برقم (٢٨٢٧).

[المائدة: ٩٦]، فلما تكدر الصعب أخبره النبي ﷺ؛ أنه إنما ردَّه عليه؛ لأنه محرم عليه الصلاة والسلام، لا لشيء في نفسه على الصعب، هذا من حسن خلقه، إذا عاملت أخاك معاملة قد يستنكرها تبين له العذر، تبين له الأسباب لترد هدية أو رد كلام أشار ولم تقبله منه، أو ما أشبه ذلك تَرُدُ عليه رداً يُطيب نفسه ويبين له الحقيقة التي من أجلها رددت هذا الشيء، إذا كان الردُ ليس لأمر يوجب الغضب عليه أو يوجب الإنكار عليه، بل لأمر آخر. الحاصل أن من حسن الخلق الاعتذار للأخ المسلم وطيب الكلام معه وطيب السلام وردّ السلام والسُؤال عن أحواله والبشاشة في وجهه، كل هذا من حسن الخلق.

وفي الحديث الآخر: «**مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي المِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الخُلُقِ**»(١) ويكون حُسن الخلق بالفعل الطيب والكلام الطيب والبشاشة.

وفَّق الله الجميع.

❋ ❋ ❋

٦٢٤ ـ وعن النَّوَاس بنِ سمعان رضي الله عنه، قَالَ: سألتُ رسولَ الله ﷺ عن البِرِّ وَالإثم، فَقَالَ: «البِرُّ: حُسنُ الخُلقِ، والإثمُ: مَا حاكَ في صدرِك، وكَرِهْتَ أن يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ» رواه مسلم(٢).

٦٢٥ ـ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قَالَ: لَمْ يكن رسولُ الله ﷺ فَاحِشاً وَلَا مُتَفَحِّشاً، وكان يَقُولُ: «إنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أحْسَنَكُمْ أخْلَاقاً» متفقٌ عَلَيهِ(٣).

---

(١) سيأتي تخريجه برقم (٦٢٦).

(٢) أخرجه في كتاب البر والصلة والآداب، باب تفسير البر والإثم برقم (٢٥٥٣).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ برقم (٣٥٥٩)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب كثرة حيائه ﷺ برقم (٢٣٢١).

٦٢٦ ـ **وعن أبي الدرداءِ** رضي الله عنه؛ **أن النبي** ﷺ، **قَالَ: «مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ العبدِ المُؤْمِنِ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ حُسْنِ الخُلُقِ، وَإِنَّ اللهَ يُبْغِضُ الفَاحِشَ البَذِيَّ»** رواه الترمذي[1]، وقال: حديث حسن صحيح.

▫ (البَذِيُّ): هُوَ الَّذِي يتكلَّمُ بِالفُحْشِ ورديء الكلامِ.

الشَّرح

هذه الأحاديث الثلاثة كالتي قبلها في بيان فضل حسن الخلق والترغيب فيه، وأنه خُلق النبي عليه الصلاة والسلام، وتقدم أنه كان أحسن الناس خُلقاً عليه الصلاة والسلام، وتقدم قوله جلَّ وعلا في وصفه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، قالت عائشة رضي الله عنها: كان خلقه القرآن؛ يعني: كان يمتثل أوامر القرآن، وينتهي عن نواهي القرآن، ويتخلق بالأخلاق التي مدحها الله في كتابه، فهكذا ينبغي لأهل الإيمان التأسي بنبيهم عليه الصلاة والسلام، والحرص على تطبيق ما دلَّ عليه القرآن في أقوالهم وأعمالهم، كما فعل عليه الصلاة والسلام، وهذا هو الخلق العظيم هو تطبيق القرآن في قولك وعملك والسير على منهجه، والوقوف عند حدوده على ما فسَّره به نبيه، عليه الصلاة والسلام.

وفي **حديث النواس بن سمعان**؛ أنه سأل النبي ﷺ عن البر والإثم فقال: **«البِرُّ: حُسنُ الخُلقِ»** والمعنى: أن حُسن الخلق من البر، فأطلق عليه البر تعظيماً له، والدين النصيحة، والحج عرفة، يُبين عظم شأن حُسن الخلق، وأن شأنه عظيم حتى أطلق عليه البر، حسن الخلق طيب الكلام وطلاقة الوجه وكف الأذى، هكذا المؤمن طيِّب الكلام، طيّب الصحبة والمعاشرة طليق الوجه كاف الأذى، قال عليه

(١) أخرجه في كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في حسن الخلق برقم (٢٠٠٣).

الصلاة والسلام: «**لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ المَعْرُوفِ شَيْئاً وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ**»[(١)] قال: «**إِنَّكُمْ لَا تَسَعُونَ النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ لِيَسَعْهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ الوَجْهِ وَحُسْنُ الخُلُقِ**»[(٢)] قال تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣]، قال: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦] ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، هكذا المؤمن يتحرى حسن الخلق، وطيب الكلام، وطيب الفعال، والدفع بالتي هي أحسن، وكف الأذى، أما الإثم فهو ما حاك في النفس وتردد في الصدر، هذا هو الإثم؛ ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «**والإثمُ: مَا حاك في صدرِك، وكَرِهْتَ أن يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ**» وما ذاك إلا لشك في حله، فأنت في ريب منه فقف حتى يتضح الأمر وحتى يتبين لك حله فتُقدم عليه على بصيرة.

ويقول عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما: (**لَمْ يكن رسولُ الله ﷺ فَاحِشاً وَلَا مُتَفَحِّشاً، وكان يَقُولُ: «إنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقاً»**) في اللفظ الآخر: «**إنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إليَّ، وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِساً يَوْمَ القِيَامَةِ، أَحَاسِنَكُم أَخْلَاقاً**»[(٣)].

وفي حديث أبي الدرداء، يقول ﷺ قال: «**مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ في مِيزَانِ العبدِ المُؤْمِنِ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ حُسْنِ الخُلُقِ، وَإِنَّ الله يُبْغِضُ الفَاحِشَ البَذِيَّ**» هذا كله يبين لنا فضل حسن الخلق، وينبغي للمؤمن أن يكون هكذا، حسن الخلق، طيب الكلام، طيب الفعال، حسن السيرة، حسن

---

(١) سيأتي تخريجه برقم (٦٩٥) وسيكرره المؤلف برقم (٨٩٢).
(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك عن أبي هزيرة ؓ (١/ ١٢) برقم (٤٢٧).
(٣) سبق تخريجه برقم (٦٣١).

المعاشرة، رفيقاً في قوله وعمله، تأدباً بآداب القرآن وعملاً بما دل عليه كتاب الله وسُنَّة الرسول عليه الصلاة والسلام، إلا في مواضع الغلظة إذا دعت الحاجة إلى ذلك، فلذلك محل مع المعاند فهذا مثل ما قال جلَّ وعلا: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾ [العنكبوت: ٤٦] من ظلم وتعدى هذا يعامل بالذي ينبغي من الردع والغلظة والشدة، حتى يستقيم، أما قبل المعاندة قبل الظلم فيعامل بالتي هي أحسن، حتى يقبل الحق، حتى ينشرح صدره للصواب؛ ولهذا قال عليه الصلاة والسلام، عليكم بالرفق: «**مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الخَيْرَ كُلَّهُ**»[(١)].

وفَّق الله الجميع.

***

٦٢٧ ـ وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: سُئِلَ رسولُ الله ﷺ عَنْ أكثرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الجَنَّةَ؟ قَالَ: «تَقْوَى اللهِ وَحُسنُ الخُلُقِ»، وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ، فَقَالَ: «الفَمُ وَالفَرْجُ» رواه الترمذي[(٢)]، وقال: حديث حسن صحيح.

٦٢٨ ـ وعنه، قال: قَالَ رسول الله ﷺ: «أَكْمَلُ المُؤمنينَ إيمَاناً أحسَنُهُمْ خُلُقاً، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ» رواه الترمذي[(٣)]، وقال: حديث حسن صحيح.

---

(١) سيأتي تخريجه وشرحه في باب الحلم والأناة والرفق (٦٣٨).
(٢) أخرجه في كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في حسن الخلق برقم (٢٠٠٤).
(٣) أخرجه في كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها برقم (١١٦٢).

٦٢٩ ـ **وعن** عائشة ﵂، قالت: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ، يقول: «إنَّ المُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بحُسْنِ خُلُقِه دَرَجَةَ الصَّائِمِ القَائِمِ» رواه أبو داود[١].

٦٣٠ ـ **وعن** أبي أُمَامَة الباهِلِيِّ ﵁، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «أنَا زَعِيمٌ بِبَيتٍ في رَبَض الجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ المِرَاءَ، وَإنْ كَانَ مُحِقّاً، وَبِبَيْتٍ في وَسَطِ الجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الكَذِبَ، وَإنْ كَانَ مَازِحاً، وَبِبَيْتٍ في أعلَى الجَنَّةِ لِمَنْ حَسُنَ خُلُقُهُ» حديث صحيح، رواه أبو داود[٢] بإسناد صحيح.

▫ (الزَعِيمُ): الضَّامِنُ.

٦٣١ ـ **وعن** جابر ﵁؛ أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: «إنَّ مِنْ أحَبِّكُمْ إليَّ، وَأقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِساً يَوْمَ القِيَامَةِ، أحَاسِنَكُم أخْلَاقاً، وَإنَّ أبْغَضَكُمْ إلَيَّ وَأبْعَدَكُمْ مِنِّي يَوْمَ القِيَامَةِ، الثَّرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ وَالمُتَفَيْهِقُونَ» قالوا: يَا رسول الله، قَدْ عَلِمْنَا «الثَّرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ»، فمَا المُتَفَيْهِقُونَ؟ قَالَ: «المُتَكَبِّرُونَ» رواه الترمذي[٣]، وقال: حديث حسن.

▫ (الثَّرْثَارُ): هُوَ كَثِيرُ الكَلَامِ تَكَلُّفاً. (وَالمُتَشَدِّقُ): المُتَطَاوِلُ عَلَى النَّاسِ بِكَلَامِهِ، وَيَتَكَلَّمُ بِملءِ فِيهِ تَفَاصُحاً وَتَعْظِيماً لِكلامِهِ، (وَالمُتَفَيْهِقُ): أصلُهُ مِنَ الفَهْقِ وَهُوَ الامْتِلَاءُ، وَهُوَ الَّذِي يَمْلأُ فَمَهُ بِالكَلَامِ وَيَتَوَسَّعُ فِيهِ، ويُغْرِبُ بِهِ تَكَبُّراً وَارْتِفَاعاً، وَإظْهَاراً للفضيلَةِ عَلَى غَيْرِهِ.

📖 وروى الترمذي عن عبد الله بن المبارك ﵀ في تفسير حُسْنِ الخُلُقِ، قَالَ: «هُوَ طَلَاقَةُ الوَجه، وَبَذْلُ المَعروف، وَكَفُّ الأذَى».

---

(١) أخرجه في كتاب الأدب، باب في حسن الخُلق برقم (٤٧٩٨) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي المستدرك (١/١٢٨) برقم (١٩٩).

(٢) أخرجه في كتاب الأدب، باب في حسن الخُلق برقم (٤٨٠٠).

(٣) أخرجه في كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في معالي الأخلاق برقم (٢٠١٨).

﴿ الشـَرح ﴾

هذه الأحاديث كالتي قبلها في بيان فضل حسن الخلق والترغيب فيه والحث عليه، وأنه من أخلاق أهل الإيمان، بل هو خلق النبي عليه الصلاة والسلام، فإنه كان أحسن الناس خلقاً وأسخاهم كفاً عليه الصلاة والسلام، قال الله تعالى في حقه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، كان خلقه القرآن عليه الصلاة والسلام، ينتهي بنواهي القرآن ويمتثل أوامره ويقف عند حدوده.

قال أنس رضي الله عنه: كان النبي أحسن الناس خلقاً عليه الصلاة والسلام، وتقدم قوله ﷺ: «**البِرُّ: حُسنُ الخُلقِ**» وقوله ﷺ: «**إِنَّكُمْ لَا تَسَعُونَ النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ لِيَسَعْهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ الوَجْهِ وَحُسْنُ الخُلُقِ**»[1] الحديث الآخر: «**مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ في المِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الخُلُقِ**»، وتقدم قوله ﷺ: «**إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقاً**»، في اللفظ الآخر: «**إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إليَّ، وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِساً يَوْمَ القِيَامَةِ، أَحَاسِنَكُم أَخْلَاقاً**»[2].

وفي هذا يقول ﷺ: (عَنْ أكثرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الجَنَّةَ؟ قَالَ: «تَقْوَى اللهِ وَحُسنُ الخُلُقِ»، وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ، فَقَالَ: «الفَمُ وَالفَرْجُ»)، والتقوى: توحيد الله وطاعته والاستقامة على أمره، و«**أَكْثَرَ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ الفَمُ وَالفَرْجُ**»؛ يعني: اللسان والفرج الزنى والفواحش وآفات اللسان، نسأل الله السلامة، ويقول ﷺ: «**أَكْمَلُ المُؤمنينَ إيمَاناً أحسَنُهُمْ خُلُقاً**»، فالمؤمن يُحسن خلقه مع أهل بيته مع إخوانه وأصحابه، مع أُستاذه مع جاره مع صديقه وزميله، مع المسلمين

---

(١) سبق تخريجه في (ص٤٣٥) من هذا المجلد شرح حديث رقم (٢٦٥).

(٢) سبق تخريجه برقم (٦٢٥).

جميعاً، ليس بفظٍّ ولا غليظ ولا عنيف ولا سيئ الخلق ولا سباب، بل يجتهد في تحري الكلام الطيب والأسلوب الحسن.

الحديث الثالث: يقول الرسول ﷺ: «**إِنَّ المُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ القَائِمِ**»، يدرك فضل ذلك بحسن خلقه وطيب شمائله، هذا حسن الخلق، حسن الخلق يشمل أموراً ثلاثة: طلاقة الوجه، طيب الكلام طيب الفعال، كافُّ الأذى، طليق الوجه منبسط الوجه، ليس بمكفهر ولا عنيف في كلامه ولا في أفعاله، كثير من الناس لا يهتم بهذا الخلق العظيم، لا مع أهل بيته ولا مع إخوانه ولا مع الناس، فيضر نفسه ويضر غيره، والتوفيق بيد الله ﷻ فالمؤمن يجاهد نفسه.

من أسباب دخول الجنة: حفظ ما بين رجليه وما بين لحييه لسانه وفرجه وهو أخطر ما يكون عليه فرجه ولسانه فهو من أسباب النار إن تساهل بهما، ومن أسباب دخول الجنة إن حذرها، فينبغي للمؤمن أن يجتهدْ في إحسان خلقه وضبط نفسه وحفظ لسانه من الكلام الضار والمنكر، وأن يكون كلامه فيما ينفع، إما الخير وإما الصمت.

ويقول عليه الصلاة والسلام: «**أَنَا زَعِيمٌ بِبَيتٍ في ربَض الجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ المِرَاءَ، وَإِنْ كَانَ مُحِقّاً**»؛ يعني: بالمجادلة والمفاصلة، ولهذا ينبغي للمؤمن ألا يكون كثير المراء والجدال، بل يدعو إلى الله برفق وحكمة ويجادل بالتي هي أحسن، من دون حاجة إلى المراء الذي يغير القلوب ويدعو إلى الشحناء.

ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «**أَنَا زَعِيمٌ بِبَيتٍ في ربَض الجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ المِرَاءَ، وَإِنْ كَانَ مُحِقّاً، وَبِبَيْتٍ في وَسَطِ الجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الكَذِبَ، وَإِنْ كَانَ مَازِحاً**»، فينبغي ترك الكذب ولو في المزح، ينبغي ترك الكذب ترك المِرَاء مهما استطاع، في الحديث يقول ﷺ: «**وَيْلٌ لِلَّذِي**

يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ لِيُضْحِكَ بِهِ القَوْمَ وَيْلٌ لَهُ وَيْلٌ لَهُ»[١] يكذب لإضحاك القوم، يحذر الكذب، ويحفظ لسانه من ذلك، **«وأنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ في أعلَى الجَنَّةِ لِمَنْ حَسُنَ خُلُقُهُ»**، هذا يدل على فضل حسن الخلق، وينبغي للمؤمن أن يحسن خلقه وأن يلاحظ ذلك ويعتني بذلك، حتى يكون حسن الخلق وصفاً له، وحتى يفوز بهذه الخيرات التي علقها النبي ﷺ على حسن الخلق.

وفَّق الله الجميع.



---

(١) أخرجه أبو داود من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده في كتاب الأدب، باب في التشديد في الكذب برقم (٤٩٩٠)، والترمذي في كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب فيمن تكلم بكلمة يضحك بها الناس برقم (٢٣١٥) وقال هذا حديث حسن.




٧٤ ـ بَابُ الحلم والأناة والرفق

قال الله تعالى: ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، وقال تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٤، ٣٥] وقال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣].

٦٣٢ ـ **وعن** ابن عباس رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ لأَشَجِّ عَبْدِ القَيْسِ: «إنَّ فيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الحِلْمُ وَالأَنَاةُ» رواه مسلم[1].

٦٣٣ ـ **وعن** عائشة رضي الله عنها، قالت: قَالَ رسول الله ﷺ: «إنَّ اللهَ رفيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّه» متفقٌ عَلَيْهِ[2].

٦٣٤ ـ **وعنها**: أنَّ النبيَّ ﷺ، قَالَ: «إنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفقَ، وَيُعْطي عَلَى الرِّفق، مَا لَا يُعْطِي عَلَى العُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ» رواه مسلم[3].

---

(١) أخرجه في كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ وشرائع الدين والدعاء إليه والسؤال عنه وحفظه وتبليغه من لم يبلغه برقم (١٧).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله برقم (٦٠٢٤)، ومسلم في كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يُردُّ عليهم برقم (٢١٦٥).

(٣) أخرجه في كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق برقم (٢٥٩٣).

﴿ الشَّرح ﴾

هذه الآيات الكريمات والأحاديث الصحيحة كلها تدل على شرعية الحلم والأناة والرفق في الأمور، وكظم الغيظ والصبر والتحمل؛ لأن بذلك تكثر الخيرات وتحسن العاقبة وتقل الشحناء ويضعف سلطان الشيطان، وبالانتقام والشدة. وعدم الصبر تكثر الشرور وتكثر الشحناء، فينبغي للمؤمن أن يتعود الحلم والأناة والرفق في الأمور، وكظم الغيظ والتصبر والتحمل حتى يدرك الخير بتوفيق الله، بأسباب تحريه هذه الأخلاق الكريمة، وهذه أخلاق النبي عليه الصلاة والسلام: الحلم والأناة والصبر والتحمل، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] اللَّهُمَّ صلِّ عليه، كان خلقه القرآن، يمتثل أوامر القرآن، وينتهي عن نواهي القرآن، ويتصف بالصفات التي مدحها الله في كتابه، ويبتعد عن الصفات التي ذمها وعابها الله ﷻ، ومن هذا قوله: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، يصف المتقين، وصف الله المتقين بأنهم ينفقون في السراء والضراء ويكظمون الغيظ ويعفون عن الناس، هذه من صفاتهم العظيمة، وقال لنبيه: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، هذا من الأخلاق الكريمة أخذ العفو وبما تيسر من أخلاق الناس والأمر بالخير والإعراض عن الجاهلين: التحلم والصبر، قال تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣]، ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥]، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢].

وهكذا من الأخلاق الحميدة دفع السيئة بالحسنة، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٤، ٣٥]، قال تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ نَحْنُ

أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٦]، فالمؤمن يجتهد في دفع السيئة بالحسنة ومقابلة الإساءة بالإحسان، يرجو ما عند الله من الخير والعاقبة الحميدة، هكذا يقول سبحانه: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣]، ويقول ﷻ: ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، أن النبي ﷺ قال لأشج عبد القيس: «**إِنَّ فيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الحِلْمُ وَالأَنَاةُ**». قال أشجُّ عبد القيس، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَنَا أَتَخَلَّقُ بِهِمَا أَم اللهُ جَبَلَنِي عَلَيْهِمَا قَالَ: «**بَلِ اللهُ جَبَلَكَ عَلَيْهِمَا**». قَالَ: الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَبَلَنِي عَلَى خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ وَرَسُولُهُ.

الحلم في محله والأناة وعدم العجلة في الأمور، بل تؤديها برفق وأناة، والتثبت والنظر إلى العواقب لا بالعجلة والطيش.

هكذا قوله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ رفيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّه**»، في اللفظ الآخر: «**إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفقَ، وَيُعْطي عَلَى الرِّفق مَا لَا يُعْطِي عَلَى العُنْفِ**»، في اللفظ الآخر: «**إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ في شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ**»[1]، يشرع للمؤمن أن يكون رفيقاً في أموره، في أمره ونهيه وعطائه ومنعه وسائر شؤونه، ويقول عليه الصلاة والسلام: «**اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئاً فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئاً فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ**»[2].

فالمؤمن يتحرى الرفق مع أهله مع أولاده مع خدمه مع عماله مع جيرانه مع أصدقائه، ويبتعد عن العنف مهما أمكن، وبذلك تحصل له المحبة والوئام مع إخوانه، ويثنى عليه وتقضى حوائج شؤونه وتُقضى

(١) سبق تخريجه برقم (٦٣٥).
(٢) يأتي تخريجه برقم (٦٥٥).

حوائج غيره، أما مع العنف والشدة فيكثر الخصوم ويقلُّ الأصدقاء وتكثرُ الشحناء وتسوء العاقبة إلا من رحم الله.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية.

❋ ❋ ❋

٦٣٥ ـ وعنها؛ أنَّ النبيَّ ﷺ، قَالَ: «إنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ في شَيْءٍ إلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إلَّا شَانَهُ» رواه مسلم[(١)].

٦٣٦ ـ وعن أبي هريرة ﵁، قَالَ: بَال أعْرَابيٌّ في المسجدِ، فَقَامَ النَّاسُ إِلَيْهِ لِيَقَعُوا فِيهِ، فَقَالَ النبيُّ ﷺ: «دَعُوهُ وَأرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلاً مِنْ مَاءٍ، أَوْ ذَنُوباً مِنْ مَاءٍ، فَإنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَم تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ» رواه البخاري[(٢)].

▫ (السَّجْلُ): بفتح السين المهملة وإسكان الجيم، وَهِيَ الدَّلو المُمْتَلِئَةُ مَاءً، وَكَذلِكَ الذَّنُوبُ.

٦٣٧ ـ وعن أنس ﵁، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: «يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا» متفقٌ عَلَيهِ[(٣)].

٦٣٨ ـ وعن جريرِ بنِ عبدِ اللهِ ﵁، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ، يقولُ: «مَنْ يُحْرَمِ الرِفْقَ، يُحْرَمِ الخَيْرَ كلَّهُ» رواه مسلم[(٤)].

---

(١) أخرجه في كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق برقم (٢٥٩٤).

(٢) أخرجه في كتاب الأدب، باب قول النبي ﷺ: «يسروا ولا تُعسروا» برقم (٦١٢٨).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب قول النبي ﷺ: «يسروا ولا تُعسروا» برقم (٦١٢٥)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير برقم (١٧٣٤).

(٤) أخرجه في كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق برقم (٢٥٩٢).

الشَّرح

هذه الأحاديث الأربعة عن رسول الله عليه الصلاة والسلام، كلها أحاديث صحيحة مع التي قبلها، وفيها الدلالة على شرعية الحلم والرفق والأناة في الأمور وعدم العجلة؛ لأن الله يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وتقدم قوله ﷺ لأشَجِّ عَبْدِ القَيْسِ: **«إنَّ فيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ ﷻ: الحِلْمُ وَالأنَاةُ»** قال: وما هما يا رسول الله؟ قال: **«الحِلْمُ وَالأنَاةُ»**، الحِلْمُ وَالأنَاةُ خصلتان يحبهما الله جلَّ وعلا، فينبغي للمؤمن التحلي بهما، وهو الحلم والأناة وعدم العجلة في الأمور.

في حديث عائشة يقول ﷺ: **«إنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ في شَيْءٍ إلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إلَّا شَانَهُ»** تقدم قوله ﷺ: **«إنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفقَ، وَيُعْطي عَلَى الرِّفق، مَا لَا يُعْطِي عَلَى العُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ»**[1] وفي حديث جرير يقول ﷺ: **«مَنْ يُحْرَم الرِفْقَ، يُحْرَم الخَيْرَ كلَّهُ»**[2] تقدم قوله ﷺ: **«إنَّ اللهَ رفيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّه»**[3].

ولما بال الأعرابي في المسجد زجره الناس فقال: **«دَعُوهُ وَأرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلاً مِنْ مَاءٍ، أَوْ ذَنُوباً مِنْ مَاءٍ، فَإنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَم تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ»**، ثم دعاه وعلَّمه عليه الصلاة والسلام، وأخبره أن المساجد لا يصلح فيه شيء من البول والقذر، وإنما بُنيت لذكر الله والصلاة وقراءة القرآن، فعلَّمه وأحسن تعليمه عليه الصلاة والسلام؛ لأنه جاهل حديث عهد بالإسلام لا يُنفر.

ولهذا قال ﷺ: **«يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا»** كان إذا

---

(١) سبق تخريجه برقم (٦٣٤).
(٢) سبق تخريجه برقم (٦٣٨).
(٣) سبق تخريجه برقم (٦٣٣).

بعث الأمراء على الجيوش والسرايا يقول لهم: «يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا تطاوعوا ولا تختلفوا»[١] والله يقول سبحانه: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥] ويقول ﷻ: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ﴾ [الحج: ٧٨] فالمؤمن يتحرى للدين كلها، لا يرخص فيما حرَّم الله ولا يشد فيما يسَّر الله فيه، ولكن يتحرى الرفق في الأمور كلها حسب ما جاءت الشريعة، فلا جفاء ولا إفراط وغلو، ولكن وسط في أمره بالمعروف وفي نهيه عن منكر وتعليم أولاده وفي تأديب زوجته، وفي غير هذا من الأمور مع جيرانه مع أصدقائه، يكون رفيقاً في نصيحته في توجيهه في تعليمه في دعواه، خصومته، لا يكون عنيفاً يكون رفيقاً حليماً ذا أناة وتؤدة وحلم، حتى تقضى الحقوق بالرفق والسهولة، وحتى لا ينفر منه أخيه، ويسبب الشحناء والعداوة.

وفَّق الله الجميع.

❋ ❋ ❋

٦٣٩ ـ **وعن** أَبي هريرة رضي الله عنه؛ أَنَّ رَجُلاً قَالَ للنبيِّ ﷺ: أَوْصِني. قَالَ: «لَا تَغْضَبْ»، فَرَدَّدَ مِرَاراً، قَالَ: «لَا تَغْضَبْ» رواه البخاري[٢].

٦٤٠ ـ **وعن** أَبي يعلى شَدَّاد بن أوسٍ رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ، قَالَ: «إنَّ الله كَتَبَ الإحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإذَا قَتَلْتُم فَأحْسِنُوا القِتْلَة، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأحْسِنُوا الذِّبْحَةَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَه، وَلْيُرِح ذَبِيحَتَهُ» رواه مسلم[٣].

٦٤١ ـ **وعن** عائشة رضي الله عنها، قالت: مَا خُيِّرَ رسول الله ﷺ بَيْنَ أمْرَيْنِ

---

(١) سبق تخريجه برقم (٦٣٧).

(٢) أخرجه في كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب برقم (٦١١٦).

(٣) أخرجه في كتاب الصيد والذبائح، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة برقم (١٩٥٥).

قَطُّ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إثماً، فَإِنْ كَانَ إثماً، كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ. وَمَا انْتَقَمَ رسول الله ﷺ لِنَفْسِهِ في شَيْءٍ قَطُّ، إِلَّا أن تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ الله، فَيَنْتَقِمَ للهِ تَعَالَى. متفقٌ عَلَيْهِ(١).

٦٤٢ ـ **وعن** ابن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «ألا أخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَى النَّار؟ أَوْ بِمَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّار؟ تَحْرُمُ عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ، هَيِّنٍ، لَيِّنٍ، سَهْلٍ» رواه الترمذي(٢)، وقال: حديث حسن.

الشَّرح

هذه الأحاديث الأربعة فيما يتعلق بالحلم والأناة والرفق، تقدمت أحاديث كثيرة مع آيات كريمة كلها تدل على شرعية الحلم والأناة وكظم الغيظ والرفق في الأمور وعدم العجلة، كما في قوله تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، وفي قوله جلَّ وعلا: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وفي قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣]، وفي قوله عز وجل: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ﴾ [المؤمنون: ٩٦]، وتقدم قوله ﷺ: «إِنَّ اللهَ رفيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّه».

وفي هذا الحديث يقول ﷺ، سأله رجل أن يوصيه قال: أوصني، قال له النبي: «لَا تَغْضَبْ» فكرر مراراً؛ قال: «لَا تَغْضَبْ» كرر هذا الوصية بعدم الغضب، وما ذاك إلا لأن الغضب قد يجر إلى شرور

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ برقم (٣٥٦٠)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب مُباعدته ﷺ للآثام واختياره من المُباح أسهله وانتقامه لله عند انتهاك حُرماته برقم (٢٣٢٧).

(٢) أخرجه في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب (٤٥) برقم (٢٤٨٨).

كثيرة؛ لأن الغضب جمرة من النار؛ يعني: حرارته في الجوف والقلب قد يجر صاحبها إلى ما لا تحمد عقباه، قد تجره إلى ضرب أو طلاق أو غير هذا مما ينشأُ عن الغضب، وكان النبي ﷺ عرف من الرجل أنه كثير الغضب، فلهذا قال له: «**لَا تَغْضَبْ**» فينبغي للمؤمن أن يتحاشى الغضب وليبتعد عن أسبابه، فإذا غضب يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، هذا من أسباب إطفاء الغضب، والوضوء كذلك من أسباب إطفاء الغضب.

وفي حديث شداد بن أوس يقول ﷺ: «**إنَّ الله كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَإِذَا قَتَلْتُم فَأَحْسِنُوا القِتْلَة، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَه، وَلْيُرِح ذَبِيحَتَهُ**»؛ الشفرة: السكين، هذا من الرفق والحلم وألا يستعجل، وليحد الشفرة ويريح الذبيحة وليحسن القتل فيما أباح الله قتله، ويحسن الذبح فيما أباح الله ذبحه، فلا يعجل ويقتل قتلة سيئة، كما في القصاص أو في الحدود، بل يقتل كما أمره الله، وهكذا في الذبح، إذا ذبح حيواناً يحسن ذبح الحيوان بآلة جيدة وبقوة حتى يُريحها، وهذا من الرفق والإحسان؛ فإحداد الشفرة السكين من أسباب راحة الذبيحة، إذا حدَّ شفرته جيداً كان هذا من أسباب إراحة الذبيحة والإسراع في ذبحها.

في الحديث الآخر يقول ﷺ: «**ألا أخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَى النَّار؟ أَوْ بِمَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّار؟ تَحْرُمُ عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ، هَيِّنٍ، لَيِّنٍ، سَهْلٍ**»؛ يعني: ليس بفظ ولا غليظ، بل هو قريب بفعله مع الناس، لين الحديث سهل المراجعة ليس بفظٍ ولا غليظ ولا متشدد، بل لين مع إخوانه متواضع مع إخوانه، هذا من صفات أهل الجنة من صفات أهل الإيمان والتقوى عدم الغلظة والشدة.

في الحديث الرابع: تقول عائشة ﵂: (**مَا خُيِّرَ رسول الله ﷺ بَيْنَ**

أَمْرَيْنِ قَطُّ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إثماً، فَإِنْ كَانَ إثماً، كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ)، هذا يدل على أنه إذا كان هناك أمران جائزان: فالأفضل الأخذ بأيسرهما وأسهلهما وأنفعهما، مثل صوم النفل في السفر، صوم النفل في المرض، يأخذ بالأسهل وبالرخصة، يصلي ركعتين في السفر ويفطر في رمضان، شق عليه المرض لا يشق على نفسه **(وَمَا انْتَقَمَ رسول الله ﷺ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ قَطُّ)** عليه الصلاة والسلام بل يعفو ويصفح وقد يُساءُ إليه كثيراً فيعفو ويصفح عليه الصلاة والسلام إلا إذا انتهكت محارم الله، فإنه ينتقم لله في إقامة الحدود، والأخذ على يد المنتهكين.

أما في حقه ﷺ فإنه يسمح كثيراً ويعفو كثيراً، ومن ذلك: أن غريماً قال له عليه الصلاة والسلام أنه لم يطلع بني عبد المطلب أن يطلبه شيئاً من الدين «يَتَقَاضَاهُ، فَأَغْلَظَ. فَهَمَّ بِهِ أَصْحَابُهُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«دَعُوهُ فَإِنَّ لِصَاحِبِ الحَقِّ مَقَالاً»**»[1] ولم يقل لشدته، جاء في رواية عثمان، وقال: إنما أردت من هذه الشدة اختبار حلمك، ومن ذلك الرجل الذي جبذه من ردائه حتى أثر في رقبته عليه الصلاة والسلام، وقال: «يَا مُحَمَّدُ أَعْطِنِي مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي عِنْدَكَ، فَالتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ»[2].

وله في هذا أشياء كثيرة عليه الصلاة والسلام، يعفو ويصفح عليه الصلاة والسلام، مع الإساءة من بعض الأعراب والمنافقين والجهلة، وكان هذا من أسباب دخول الناس في الإسلام ورغبتهم في الإسلام، لما رأوه من سماحته وتيسير شرائعه وعلو أخلاق هذا النبي العظيم عليه الصلاة والسلام ومع ما اتّصف به ﷺ من البر والرفق والحكمة

---

(١) سيأتي تخريجه برقم (١٣٦٧).
(٢) سيأتي تخريجه وشرحه في باب العفو والإعراض عن الجاهلين برقم (٦٤٥).

والتواضع، والتيسير في الأمور وعدم التشديد، كل هذه من أسباب الدخول في الإسلام والرغبة فيه والدعوة إليه.

وفَّق الله الجميع.






٧٥ ـ بَابُ العفو والإعراض عن الجاهلين

قال الله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وقال تعالى: ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥]، وقال تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ﴾ [النور: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، وقال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣].

والآيات في الباب كثيرة معلومة.

٦٤٣ ـ وعن عائشة ﵂: أنها قالت للنبيِّ ﷺ: هَلْ أتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ قَالَ: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ، وَكَانَ أشَدُّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ العَقَبَةِ، إذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيْلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إلَى مَا أرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأنا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أسْتَفِقْ إلَّا وأنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، وَإذَا أنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإذَا فِيهَا جِبريلُ ﵇، فَنَادَاني، فَقَالَ: إنَّ الله تَعَالَى قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَد بَعَثَ إلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بمَا شِئْتَ فِيهِمْ. فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إنَّ اللهَ قَدْ سَمِع قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأنا مَلَكُ الجِبال، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبِّي إلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ، فَمَا شِئْتَ، إنْ شِئْتَ أطْبَقْتُ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ». فَقَالَ النبي ﷺ: «بَلْ أرْجُو أنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً» متفقٌ عَلَيْهِ[1].

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم: آمين برقم (٣٢٣١)، =

□ (الأخْشَبَان): الجَبَلان المُحيطان بمكَّة. (وَالأخشبُ): هُوَ الجبل الغليظ.

٦٤٤ ـ **وعنها**، قالت: مَا ضَرَبَ رسولُ الله ﷺ شَيْئاً قَطُّ بِيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً وَلَا خَادِماً، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ، إِلَّا أن يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللهِ تَعَالَى، فَيَنْتَقِمُ للهِ تَعَالَى. رواه مسلم[(١)].

٦٤٥ ـ **وعن** أنس رضي الله عنه، قَالَ: كُنْتُ أمشي مَعَ رسول الله ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانيٌ غَلِيظُ الحَاشِيَةِ، فأدْرَكَهُ أعْرَابِيٌّ فَجَبذَهُ بِرِدَائِهِ جَبْذَةً شَديدةً، فَنَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبيِّ ﷺ، وَقَدْ أثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مُر لِي مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي عِنْدَكَ. فَالتَفَتَ إِلَيْهِ، فَضَحِكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ. متفقٌ عَلَيهِ[(٢)].

الشَّرح

هذه الآيات الكريمات والأحاديث الثلاثة كلها تتعلق بالحث على العفو والترغيب في الصفح والإعراض عن الجاهلين، وعدم الانتقام فيما يتعلق بحظ النفس وحق النفس، وأن العفو من الإنسان في حق نفسه والتحمل والصفح عن الجاهلين أفضل له وخير له وأحسن عاقبة، أما ما يتعلق بحق الله فالواجب أن يؤخذ حق الله من إقامة الحدود والردع عن المعاصي، هذا أمر لله لا بد من أخذ حق الله؛ ولهذا يقول سبحانه جلَّ

= ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين برقم (١٧٩٥).

(١) أخرجه في كتاب الفضائل، باب مُباعدته ﷺ للآثام واختياره من المُباح أسهله وانتقامه لله عند انتهاك حُرماته برقم (٢٣٢٨).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب فرض الخُمس، باب ما كان النبي ﷺ يعطي المُؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخُمُس ونحوه برقم (٣١٤٩)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب إعطاء من سأل بفُحشٍ وغلظة برقم (١٠٥٧).

وعلا في كتابه العظيم: ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٧]؛ يعني: في حقوق الناس، قال تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]؛ يعني: أعرض عن الانتقام منهم لجهلهم، وعلِّمهم ووجِّههم، كما في الآية الأُخرى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ [القصص: ٥٥]، قال ﷻ: ﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢]، ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣]، أهل العلم والإيمان يتحملون عن الجاهلين ويعلمونهم ويرشدونهم ويوجهونهم ويعفون عما قد يقع من الهفوة ومن الزلة في الكلمات أو غير ذلك، يرجون ما عند الله ويتألفونهم على الإسلام وعلى الهدى، قال تعالى: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، قال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣]، والله يقول جلَّ وعلا في كتابه العظيم وهو أصدق القائلين: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ [المؤمنون: ٩٦] ﴿، فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٤، ٣٥].

ولهذا تقول عائشة رضي الله عنها: كان النبي ﷺ لا ينتقم لنفسه، فما ضرب خادماً ولا خادمة ولا زوجة عليه الصلاة والسلام، وما كان ينتقم لنفسه إذا نيل منه، إلا أن ينتهك شيءٌ من حرمات الله فينتقم لله عليه الصلاة والسلام، ويغضب لله، ولما آذاه قومه قبل الهجرة وكان يعرض عليهم نفسه في أيام الحج في أيام منى على القبائل يطلب منهم أن يؤووه حتى يبلغ رسالة ربه فيردون عليه رداً سيئاً؛ يعني: غالبهم.

وهكذا أصحاب الطائف أبناء أبي كُلال ردوا عليه رداً شنيعاً، فذهب على نفسه مغموماً من شدة كلامهم عليه وردهم عليه، فلم يفق إلا وهو بقرن الثعالب، موضع قريب من الطائف، فإذا هو بسحابةٍ قد أظلته،

فإذا فيها جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، فناداه وقال: يا محمد إن الله قد سمع كلام قومك لك، وقد أرسل إليك ملك الجبال لتأمره بما تشاء فيهم، فناداه ملك الجبال، فسلم عليه وقال ملك الجبال: أمرني الله أن أنفذ ما تأمُرني به «إنْ شئْتَ أطْبَقْتُ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ»؛ يعني: جبلي مكة، فَقَالَ النبي ﷺ: «بَلْ أرْجُو أنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً»، فلم ينتقم منهم ولم يأمر بالانتقام منهم، فصبر عليهم رجاء أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله، فتاب الله على أكثرهم وهداهم وأخرج من أصلابهم من قُتل منهم في بدر من يعبد الله، هذا يدل على رحمته وعفوه وحرصه على اللطف واللين والصبر والحلم، وعدم الانتقام من أجل حظ النفس لعل الله يهدي ذلك الذي أساء فيرجع إلى الصواب ويقبل الحق، وهكذا الرسل عليهم الصلاة والسلام كلهم يتصبرون ويتحملون ويرجون ما عند الله عَزَّ وَجَلَّ، رجاء أن تقبل دعوتهم وأن يدخل أقوامهم في الإسلام، قال الله جلَّ وعلا: ﴿فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥]، ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ [النحل: ١٢٧]، ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، ﴿وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا﴾ [المزمل: ١٠]، رجاء أن يهدي الله أُولئك القوم فيقبلوا الحق ويدعُوا ما هم عليه من الباطل، وهدى الله الكثير ورجعوا إلى دين الله، ولما فتحت مكة دخلوا في دين الله أفواجاً.

وفي حديث **أنس**؛ أن الرسول ﷺ كان ذات يوم يمشي بين أصحابه وعليه بردٌ نجرانيّة لها حافة غليظة، كان العرب يلبسون البرود؛ يعني: الإزار والرداء كما يلبس كثير من الناس اليوم من اليمن وغير اليمن، ويلبسون القُمص أيضاً والأعمة فتارة يلبسون رداءً وإزاراً، وتارة يلبسون القُمص مع العمامة، فجذبه أعرابي بردائه جذبة شديدة، والأعرابي: البدوي هم من عادتهم الجفاء إلا القليل، فقال: مُر لي من

مال الله الذي عندك. (**فَالتَفَتَ إِلَيْهِ ﷺ، فَضَحِكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ**) ولم يعاقبه عليه الصلاة والسلام، وصبر واحتسب يرجو ما عند الله ويتألف أُولئك على الإسلام والخير، وتقدم قصة الذي بال في المسجد وزجره الناس، فقال: «دعوه» فلما قضى بوله أمر أن يصب على بوله سجلُ من ماء، وكان بدوياً جاهلاً ثم دعاه وعلَّمه، وقال: «**إِنَّ هَذِهِ المَسَاجِد لَا تَصْلُح لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا البَوْل وَلَا القَذَرِ، إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ الله وَقِرَاءَة القُرْآن**»[1] فعلَّمه ووجهه إلى الخير، وكان الناس حُدثاء عهد بالإسلام يحتاجون إلى الصبر والتعليم، فهكذا ينبغي للدعاة إلى الله وأُمراء الإسلام وملوك الإسلام والعلماء وأعيان الناس، أن يتحملوا من الجاهل من ولدٍ أو جارٍ وغير ذلك، حتى يعلم حتى يوجه إلى الخير؛ لأن هذا أقرب إلى الخير من الانتقام فيما يتعلق بحظ النفس.

وفَّق الله الجميع.

❊ ❊ ❊

٦٤٦ ـ وعن ابن مسعود ﷺ، **قَالَ: كأني أنظر إِلَى رسول الله ﷺ يَحْكِي نَبِيّاً مِنَ الأنبياءِ، صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُه عَلَيْهِمْ، ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدْمَوْهُ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ، ويقول: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»** متفقٌ عَلَيْهِ[2].

٦٤٧ ـ وعن أَبي هريرة ﷺ؛ **أَنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ»** متفقٌ عَلَيْهِ[3].

---

(١) سيأتي تخريجه برقم (١٦٩٥).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب (٥٤) برقم (٣٤٧٧)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أُحد برقم (١٧٩٢).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب برقم (٦١١٤)، ومسلم =

۞ الشَّـرح ۞

هذان الحديثان الصحيحان عن النبي ﷺ، فيهما الدلالة على شرعية التحمل والعفو والصفح، ولا سيما لأتباع الرسل والدعاة إلى الله والمعلمين والمرشدين، فإن الواجب عليهم من التحمل والصفح والحرص على بذل الدعوة للناس وتأليف قلوبهم ما ليس على غيرهم، ولهذا قال جلَّ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، قال: ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥] قال: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤] ويقول سبحانه: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣] فالمشروع للمؤمن أن يتحلى بهذه الصفات: كتم الغيظ والعفو والصفح عن حقه ما دام في ذلك المصلحة العظيمة للمسلمين، وتأليف القلوب والدعوة إلى الخير، أما إذا كان القصاص أنفع وأصلح فإنه يفعل، وإلا فالعفو أفضل، ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٧] ويقول عليه الصلاة والسلام: «**مَا زَادَ اللهُ عَبْداً بِعَفْوٍ إِلَّا عِزّاً**»[(١)].

في هذا يقول ﷺ **يقول ابن مسعود** رضي الله عنه: **كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يَحْكِي نَبِيّاً مِنَ الأنبياءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدْمَوْهُ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ، ويقول: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»**، هذا يدل على كمال صبر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وحلمهم وعفوهم هذا ضربه قومه وهو يدعوهم إلى الله ويرشدهم، ومع هذا ضربوه حتى أدموه، وكان الضرب في وجهه، فجاء يمسح الدم عن وجهه، ويقول: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**» المعنى: اللَّهُمَّ أهدهم وبصِّرهم حتى تغفر

= في كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب، وبأيِّ شيء يذهب الغضب برقم (٢٦٠٩).

(١) سبق تخرجه برقم (٥٥٦).

ذنوبهم، هكذا نبينا ﷺ آذاه قومه في مكة وفي المدينة يوم أُحد ويوم بدر يوم الأحزاب، ومع ذلك صبر واحتسب واستمر في الدعوة إلى الله، فلما فتح الله عليه مكة عفا عنهم جميعاً وأطلق سراحهم، وقال: «**اذهبوا فأنتم الطُلقاء**»[(١)].

وهكذا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هم أحلم الناس وأصبر الناس في دعوتهم إلى الله وعفوهم عن الخلق وتأليف القلوب والصبر على الأذى، فينبغي للعلماء والدعاة إلى الله والمرشدين والمعلمين التأسي بهم.

ويقول ﷺ: «**لَيْسَ الشَّديدُ بِالصُّرَعَةِ، إنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ**» الشديد القوي، والصُرعة؛ كهُمزة الذي يصرع الناس يطرح الناس بقوته، ليس هذا هو الشديد في الحقيقة، وإنما الشديد في الحقيقة والقوي في الحقيقة الذي يملك نفسه عند الغضب، يقهرها إذا غضب لا ينفذ مقتضى الغضب بالسب ولا بالضرب ولا بالقتل ولا بغير ذلك، بل يتعوذ بالله من الشيطان ويملك نفسه عند الغضب، هذا هو القوي في الحقيقة، أقوى من صاحب الصرع للناس، فالذي يصرع الناس ويطرحهم لقوته يسمى شديداً، ولكن أشد منه وأكمل منه وأقوى منه الذي يملك نفسه عند الغضب.

هذا فيه الحث على ملك النفس عند الغضب، وأنه ينبغي للمؤمن أن يكون في حالة الغضب يحاسب نفسه ويملكها ويقهرها، حتى لا يؤذي أحداً بسبب الغضب ولا يسبُ أحداً ولا يقتل أحداً ولا يضرب أحداً، فإن الغضب جمرة من النار قد تغلي، قد يتغير شعوره بسبب الغضب، قد يفعل ما لا ينبغي بسبب شدة الغضب، لكن المؤمن يجاهد

---

(١) أخرجه البيهقي عن أبي هريرة ﷺ في السنن الكبرى (٩/ ١١٨) برقم (١٨٧٣٩).

نفسه عند الغضب ويملكها ويقهرها ويتعوذ بالله من الشيطان حتى لا يقع منه ما لا ينبغي.

وهذا مثل قوله ﷺ: «**لَيْسَ المِسْكِينُ الذي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ تَرُدُّهُ اللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ، وَالتَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ، وَلَكِنَّ المِسْكِينُ الذي لَا يَجِدُ غِنًى يُغْنِيهِ، وَلَا يُفْطَنُ بِهِ فَيُتَصَدَّقُ عَلَيْهِ، وَلَا يَقُومُ فَيَسْأَلُ النَّاسَ**»[1] يعني: المُتعفف هو المسكين في الحقيقة الذي يستحق الصدقة أكثر؛ لأنه متعفف لا يسألُ الناس ولا يفطنون له وليس عنده ما يُغنيه، هذا أشد مسكنة وأعظم، أما الطوَّاف وإن كان مسكيناً، لكن الطواف يعطى، يعطيه هذا شيئاً هذا يعطيه كسرة هذا يعطيه تمرة هذا يعطيه ريالاً يتجمع، لكن الذي يستحي ولا يطلب هو المسكين في الحقيقة هو أشد وأولى بالصدقة لعفته.

وفَّق الله الجميع.



(١) سبق تخريجه برقم (٢٦٤).




٧٦ ـ بَابُ احتمال الأذى

قال الله تعالى: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، وقال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣] وفي الباب: الأحاديث السابقة في الباب قبله.

٦٤٨ ـ **وعن** أبي هريرة رضي الله ـ تَعَالَى ـ عنه؛ أَنَّ رَجُلاً، قَالَ: يَا رسول الله، إنّ لي قَرَابةً أصِلُهم وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنهم وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ! فَقَالَ: «لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ المَلَّ، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ـ تَعَالَى ـ ظَهيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ» رواه مسلم[١].

وقد سَبَقَ شَرْحُهُ في بَابِ صلة الأرحام[٢].

الشَّرح

يقول الله ﷻ: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٤] كظم الغيظ في تحمل الأذى، وقال تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟﴾ [النور: ٢٢] قال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣] كل هذا في تحمل الأذى ولا سيما في الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإرشاد الناس إلى الخير والحكم بينهم، لا بد أن يحصل للإنسان أذى في هذه الأمور، فيشرع له التحمل والصبر حتى يُبلغ ما عنده من الخير، وحتى ينتفع الناس بما

(١) سبق تخريجه في شرح الحديث رقم (٣١٨).
(٢) ينظر: لشرحه (٢/١٣ ـ ١٥) من هذا المجلد.

لديه من العلم وحتى يفوز بالأجر العظيم والعاقبة الحميدة: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩].

ولهذا جاء في الحديث الصحيح: يقول ﷺ للذي شكا إليه قال: (إنّ لي قَرَابةً أصِلُهم وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إلَيَّ، وَأحْلُمُ عَنهم وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ! فَقَالَ: «لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ المَلَّ، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ تَعَالَى ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ»)[1] المل: الرماد الحامي؛ يعني: كأنك تُعطيهم الرماد الحامي من أجل ما في قلوبهم من الكراهة والقطيعة «وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ تَعَالَى ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ» هذا فيه الحث على الصبر، وأن الله سوف يُعينك، ويظهره على من أساء إليه، وأنه بهذا له الأجر كاملاً، وهو مُعان من الله ﷻ إذا وصلهم وأحسن عليهم، وإن قطعوه وإن أساؤوا، يقابل المعروف بضده، وهذا يقع كثيراً من كثير من الناس مع أقربائهم وأصدقائهم، فينبغي للمؤمن التحمل طاعة لله وطلباً لمرضاته؛ ولأن العاقبة لأهل التقوى، فإنه متى صبر صارت العاقبة حميدة، كما قال جلَّ وعلا: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ [المؤمنون: ٩٦] ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٤، ٣٥] فمع الصبر يرجع المُسيء ويتأمل ويعلم أنه مخطئ، فيرجع إلى الصواب ويرجع إلى المحبة والوئام.



(١) سبق تخريجه في باب بر الوالدين وصلة الأرحام.



٧٧ ـ بَابُ الغضب إذا انتهكت حرمات الشرع والانتصار لدين الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج: ٣٠] وقال تعالى: ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧] وفي الباب حديث عائشة السابق في باب العفو.

٦٤٩ ـ **وعن** أبي مسعود عقبة بن عمرو البدري ﷺ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النبيِّ ﷺ، فَقَالَ: إنِّي لأَتَأَخَّرُ عَن صَلاةِ الصُّبْحِ مِنْ أَجْلِ فلانٍ مِمَّا يُطِيلُ بِنَا! فَمَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ غَضِبَ في مَوْعِظَةٍ قَطُّ أشَدَّ مِمَّا غَضِبَ يَوْمَئِذٍ؛ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ، فَأَيُّكُمْ أَمَّ النَّاسَ فَلْيُوجِزْ؛ فَإنَّ مِنْ وَرَائِهِ الكَبِيرَ وَالصَّغِيرَ وَذَا الحَاجَةِ» متفقٌ عَلَيهِ[1].

٦٥٠ ـ **وعن** عائشة ﷺ، قالت: قَدِمَ رسولُ الله ﷺ مِنْ سَفرٍ، وَقَدْ سَتَرْتُ سَهْوَةً لِي بِقِرَامٍ فِيهِ تَمَاثِيلُ، فَلَمَّا رَآهُ رسول الله ﷺ هتكَهُ وَتَلَوَّنَ وَجهُهُ، وقال: «يَا عائِشَةُ، أشَدُّ النَّاسِ عَذَاباً عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُونَ بخَلْقِ اللهِ!» متفقٌ عَلَيْهِ[2].

□ «السَّهْوَة»: كَالصُّفَّةِ تَكُونُ بَيْنَ يدي البيت. «وَالقِرام»: بكسر القاف: سِتر رقيق، «وَهَتَكَه»: أفْسَدَ الصُّورَةَ الَّتي فِيهِ.

(١) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب الغضب في الموعظة والتعليم إذا رأى ما يكره برقم (٩٠)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام برقم (٤٦٦).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب اللباس، باب ما وطئ من التصاوير برقم (٥٩٥٤)، ومسلم في كتاب اللباس والزينة، باب تحريم تصوير صورة الحيوان... برقم (٢١٠٧).

الشرح

هذه الأحاديث في تحمل الأذى والصبر عليه طلباً لمرضاة الله، وحرصاً على أجر العفو، وفيما يتعلق بالغضب لله إذا انتهكت محارمه، ينبغي لأهل العلم والإيمان والغيرة لله ولكل مؤمن أن يغضب لله عند انتهاك محارمه، وأن ينصح لله ولعباده حتى لا تنتهك محارم الله،

وقال أيضاً في الغضب لله: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج: ٣٠]، ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢] فالمؤمن يتحمل في ذات الله ويصبر في ذات الله ويغضب لله عند انتهاك محارمه، يرجو ثوابه وحسن جزائه ﷻ.

يقول النبي ﷺ لما اشتكى إليه بعض الصحابة، قال: (**إنِّي لأَتَأَخَّرُ عَن صَلاةِ الصُّبْحِ مِنْ أَجْلِ فلانٍ مِمَّا يُطِيلُ بِنَا! فَمَا رَأَيْتُ النَّبيَّ ﷺ غَضِبَ في مَوْعِظَةٍ قَطُّ أَشَدَّ مِمَّا غَضِبَ يَوْمَئِذٍ؛ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ، فَأَيُّكُمْ أَمَّ النَّاسَ فَلْيُوجِزْ؛ فَإِنَّ مِنْ وَرَائِهِ الكَبِيرَ وَالصَّغِيرَ وَذَا الحَاجَةِ»**) فينبغي للمؤمن أن يتحرى الإيجاز ومراعاة الضعيف من كبير السن والمريض، كما يُراعي أصحاب الحاجات، فإن الطول قد يشقُّ عليه، فينبغي للإمام أن يراعي رعيته، ومن أجل هذا غضب النبي ﷺ، قال أبو مسعود: فما رأيت النبي ﷺ غضب في موعظةٍ قط أشد مما غضب يومئذٍ؛ لما اشتكى إليه بعض الناس أن فلاناً يطول تطويلاً يمنع بعض الناس من الصلاة خلفه، غضب في مثل ذلك، وقال: «**إنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ**».

وهكذا لما رأى النبي ﷺ ستراً عند عائشة فيه تصاوير غضب

وهتكه، وقال: «يا عائشة إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّوَرِ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ»[(١)] في اللفظ الآخر: «أَشَدُّ النَّاسِ عَذَاباً عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُونَ بخَلْقِ اللهِ» يعني: يشبهون بخلق الله، فلا يجوز تعليق الستور التي فيها الصور، صور الحيوانات ولا اتخاذ الصور أيضاً في البيوت والتماثيل، بل يجب طمسها والقضاء عليها وإتلافها؛ ولهذا أنكر النبي ﷺ على عائشة لمَّا علقت الستر الذي على باب بعض حجرها، وقال: «إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّوَرِ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ» ويقال لهم: أحيوا ما خلقتم، وقال: «إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَاباً عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ المُصَوِّرُونَ» وهم الذين يضاهون بخلق الله، وفَّق الله الجميع.

❊ ❊ ❊

٦٥١ ـ وعنها ﵂: أن قرَيشاً أَهَمَّهُمْ شَأنُ المَرأَةِ المخزومِيَّةِ الَّتي سَرَقَتْ، فقالوا: مَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رسول الله ﷺ؟ فقالوا: مَنْ يَجْتَرِئ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بنُ زَيْدٍ حِبُّ رسول الله ﷺ؟ فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقَالَ رسول الله ﷺ: «أَتَشْفَعُ في حَدٍّ مِنْ حُدُودِ الله تَعَالَى؟!» ثُمَّ قامَ فَاخْتَطَبَ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أقامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَايْمُ الله، لَوْ أَنَّ فَاطمَةَ بِنْتَ مُحمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعتُ يَدَهَا» متفقٌ عَلَيْهِ[(٢)].

٦٥٢ ـ وعن أنس ﵁: أَنَّ النبيَّ ﷺ رَأى نُخَامَةً في القبلَةِ، فَشَقَّ

---

(١) متفق عليه من حديث عائشة ﵂. أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب هل يرجع إذا رأى منكراً في الدعوة برقم (٥١٨١)، ومسلم في كتاب اللباس، باب تحريم تصوير صورة الحيوان وتحريم اتخاذ ما فيه صورة غير ممتهنة بالفرش ونحوه برقم (٢١٠٧).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب (٥٤) برقم (٣٤٧٥)، ومسلم في كتاب الحدود، باب قطع السارق والشريف وغيره والنهي عن الشفاعة في الحدود برقم (١٦٨٨).

ذَلِكَ عَلَيْهِ حَتَّى رُئِيَ في وَجْهِهِ؛ فَقَامَ فَحَكَّهُ بِيَدِهِ، فَقَالَ: «إن أحدَكُمْ إِذَا قَامَ فِي صَلَاتِهِ فَإِنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ، وَإِنَّ رَبَّهُ بَيْنَهُ وبيْنَ القِبْلَةِ، فَلَا يَبْزُقَنَّ أحَدُكُمْ قِبَلَ القِبْلَةِ، وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ، أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ» ثُمَّ أخَذَ طَرَفَ رِدَائِهِ فَبَصَقَ فِيهِ، ثُمَّ رَدَّ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ، فقَالَ: «أَوْ يَفْعَلُ هكذا» متفقٌ عَلَيْهِ[1].

وَالأمرُ بالبُصَاقِ عَنْ يَسَارِهِ أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ هُوَ فِيما إِذَا كَانَ في غَيْرِ المسجِدِ، فَأمَّا في المسجدِ فَلَا يَبصُقُ إِلَّا في ثَوْبِهِ.

﴿ الشَّرح ﴾

هذان الحديثان في الغضب لله، تقدم أنه ينبغي للمؤمن أن يغضب لله عند انتهاك محارمه، وأنه كان عليه الصلاة والسلام يغضب لله إذا انتهكت محارم الله، وكان لا يغضب لنفسه ولا ينتقم لنفسه، بل يعفو ويصفح عليه الصلاة والسلام، أما إذا انتهكت محارم الله فإنه يغضب لله عملاً بقول الله جلَّ وعلا: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج: ٣٠] وقوله ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

فالمؤمن يغارُ لله وينتقم لله، ولهذا كان عليه الصلاة والسلام يغار لله، وينتقم لله، كان إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه، حَتَّى كأنَّه مُنْذِرُ جَيشٍ يَقُولُ صَبَّحكُم وَمَسَّاكُمْ[2] عليه الصلاة والسلام.

ولما أخبره بعض الصحابة؛ أن معاذاً يطوّل في صلاته قال: «يَا

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب حك البُزاق باليد من المسجد برقم (٤٠٥) واللفظ له، ومسلم في كتاب المساجد، باب النهي عن البصاق في المسجد في الصلاة وغيرها برقم (٥٥١).

(٢) سبق تخريجه برقم (١٧٠).

مُعَاذُ أَفَتَّانٌ أَنْتَ» وغضب غضباً شديداً، وقال: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ، فَأَيُّكُمْ أَمَّ النَّاسَ فَلْيُوجِزْ، فَإِنَّ مِنْ وَرَائِهِ الكَبِيرَ وَالصَّغِيرَ وَذَا الحَاجَةِ**»[١].

ولما سرقت امرأة من بني مخزوم في مكة، فأمر النبي بقطع يدها، عظم ذلك على أقاربها وطلبوا من يشفع عند النبي ﷺ في ألا تقطع يدها، وطلبوا من أُسامة بن زيد أن يشفع فكان أسامة وأبوه من أحباء الرسول ﷺ وهما مولاه قد أعتقهما عليه الصلاة والسلام، فجاء أسامة يشفع في ألا تقطع يدها، فقال عليه الصلاة والسلام: «**أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ الله تَعَالَى؟!**» في الرواية الأُخرى وغضب وقال: «**إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ**» يعني: من الأمم «**أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ!**» وخطب الناس بهذا عليه الصلاة والسلام ووعظهم بهذا، وقال: «**وَايْمُ الله، لَوْ أَنَّ فَاطمَةَ بِنْتَ مُحمّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعتُ يَدَهَا**»، يبين أن الواجب على المسلم تعظيم حرمات الله والغضب لله، وإقامة الحدود على الكبير والصغير والضعيف والشريف، وعدم المحاباة في حدود الله، وإذا تساهل الناس بهذا وأقاموا الحدود على الضعيف وتركوا الكبير عمت العقوبة ولا حول ولا قوة إلا بالله، فلهذا أرشد عليه الصلاة والسلام إلى الانتصار بالدين والغضب لله وترك المداهنة في ذلك، رجاء ما عند الله من المثوبة وخشية عقابه ﷻ.

كذلك حديث أنس رضي الله عنه: في قصة النخامة، أن النبي ﷺ رأى النخامة في قبلة المسجد، فغضب، تغير وجهه عليه الصلاة والسلام «**فَقَامَ فَحَكَّهُ بِيَدِهِ**» عليه الصلاة والسلام، وقال: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ فِي صَلَاتِهِ،**

---

(١) أخرجه البخاري من حديث جابر رضي الله عنه في كتاب الأذان، باب من شكا إمامه إذا طول برقم (٧٠٥).

فَإِنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ ـ أَوْ إِنَّ رَبَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ القِبْلَةِ ـ فَلَا يَبْزُقَنَّ أَحَدُكُمْ قِبَلَ قِبْلَتِهِ، وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ، أَوْ تَحْتَ قَدَمَيْهِ» وفي اللفظ الآخر «**فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ يُصَلِّي، فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قِبَلَ وَجْهِهِ، فَلَا يَبْصُقَنَّ قِبَلَ وَجْهِهِ وَلَا عَنْ يَمِينِهِ، وَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ تَحْتَ رِجْلِهِ اليُسْرَى، فَإِنْ عَجِلَتْ بِهِ بَادِرَةٌ فَلْيَقُلْ بِثَوْبِهِ هَكَذَا**»[1] تأدباً مع الله ﷻ، والله جلَّ وعلا فوق العرش فوق جميع الخلق، وهو أمام المصلين ﷻ، وهو أمامك إذا قمت تصلي، وأنت تناجيه في صلاتك ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٥، ٦] تقرأُ كتابه تناجيه اللَّهُمَّ اغفر لي، فلا يليق بك أن تبصق أمامك وأنت تصلي، ولا عن يمينك؛ لأن عن يمينك ملك الحسنات، ولكن تبصق عن شمالك أو تحت قدمك إذا كان في غير المسجد، أما في المسجد فلا يجوز، قال عليه الصلاة والسلام: «**البُصَاقُ فِي المَسْجِدِ خَطِيئَةٌ**»[2] ولكن في غير المسجد يبصق عن يساره أو في طرف ثوبه أو في منديل معه ولا يبصق في المسجد.

المقصود: المسجد محل النظافة، النبي عليه الصلاة والسلام أمر بتنظيف المساجد وتطييبها فلا يجوز أن يتنخم فيها أو يُطرح فيها شيء من الأذى؛ لأنها بيوت الله محل العبادة، وقد أمر عليه الصلاة والسلام أن تنظف وتطيب حتى تكون محل العبادة محل رغبة الناس فيها، فإذا وجد فيها القذر صار من التنفير عنها والتنفير عن صلاة الجماعة فيها.

وفَّق الله الجميع.

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه مسلم من حديث جابر ؓ في كتاب الزهد والرقاق، باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر برقم (٣٠٠٨).

(٢) سيأتي تخريجه برقم (١٦٩٣).



٧٨ ـ بَابُ أمر ولاة الأمور بالرفق برعاياهم ونصيحتهم والشفقة عليهم، والنهي عن غشهم، والتشديد عليهم، وإهمال مصالحهم، والغفلة عنهم وعن حوائجهم

قال الله تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

٦٥٣ ـ **وعن** ابن عمر ﵄، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ، يقول: «**كُلُّكُم رَاعٍ، وَكُلُّكُم مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ: الإمَامُ رَاعٍ وَمَسؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ في أهلِهِ وَمَسؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ في بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ رَاعٍ في مال سيِّدِهِ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**» متفقٌ عَلَيهِ[1].

٦٥٤ ـ **وعن** أبي يعلى مَعْقِل بن يَسارٍ ﵁، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ، يقول: «**مَا مِنْ عَبْدٍ يَسترْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الجَنَّة**» متفقٌ عليه[2].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب العتق، باب كراهية التطاول على الرقيق قوله: عبدي وأمتي برقم (٢٥٥٤)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم برقم (١٨٢٩).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام، باب من استرعى رعية فلم ينصح برقم (٧١٥١)، ومسلم في كتاي الإيمان، باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته برقم (١٤٢) وساقه أيضاً في كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر... برقم (١٨٢٩) وبرقم (٢١) في الكتاب المذكور.

📖 وفي رواية: «فَلَمْ يَحُطْهَا بِنُصْحِهِ إلا لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الجَنَّة»[(١)].

📖 وفي رواية لمسلم: «مَا مِنْ أميرٍ يلي أمور المُسْلِمينَ، ثُمَّ لا يَجْهَدُ لَهُمْ وَيَنْصَحُ لَهُمْ، إلَّا لَمْ يَدْخُلْ مَعَهُمُ الجَنَّةَ»[(٢)].

٦٥٥ ـ وعن عائشة ﵂، قالت: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ، يقول في بيتي هَذَا: «اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أمْرِ أُمَّتِي شَيْئاً فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئاً فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارفُقْ بِهِ» رواه مسلم[(٣)].

الشَرح

هذه الآيات والأحاديث في الحث على الرفق بالرعية والنظر في مصالح الرعية والعناية بذلك، والحذر من المشقة على الرعية وظلمهم، وأن الواجب على الأمراء والحكام أن يتقوا الله في الرعايا، وأن يحسنوا إليهم، وينظروا في مصالحهم ويدفعوا الشر عنهم، ويرفقوا بهم، قال جلَّ وعلا: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥] وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠] فالأمراء وغيرهم كلهم مأمورون بالعدل والإحسان، والنهي عن الفحشاء والمنكر، والبغي والظلم، ولا سيما ولاة الأمور، فإن الواجب عليهم عظيم في تحري الخير والعدل في الرعية والإحسان إليهم، وصرف الأذى عنهم، وجلب كل خير إليهم.

في الحديث الأول: يقول ﷺ: **«كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»** هذا حديث عظيم من جوامع الكلم **«كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»** حتى الإنسان مع زوجته مع أولاده وغير ذلك هو مسؤول عن

(١) أخرجها البخاري في كتاب الأحكام، باب من استرعى رعية فلم ينصح برقم (٧١٥٠).
(٢) أخرجها في كتاب الإيمان، باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار برقم (١٤٢).
(٣) أخرجه في كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم برقم (١٨٢٨).

رعيته، فالأحسن يؤدي الواجب، أو ظلم وتعدى أو قصر، **«فالإِمَامُ رَاعٍ»** من أولياء الناس، السلطان راعٍ **«وَمَسؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أهلِهِ وَمَسؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِه، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ في بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ رَاعٍ في مال سيِّدِهِ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»** ثم قال: **«ألا وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»**.

الواجب على كل مؤمن أن يعتني بالرعية من أهل وأولاد وغيرهم، وإن كان أميراً على قرية أو على بلد أو على دولة رعى الرعية وأحسن إليها، ودفع الظلم عنها والشر، وألزمها بالخير وألزمها بالحق، فهو يسعى لها فيما ينفعها، ويأمرها بتقوى الله ويلزمها بطاعة الله التي أوجب عليها، وينهى عن محارم الله، وينظر في مصالحها ويدفع الشرَّ عنها، والرعاية تقتضي عناية بالمرعي وحرصاً على أسباب سلامته ودفع الضرر عنه، وإذا كان الإمام مشغولاً عن ذلك وجب عليه أن يعين من ينظر في أمور الناس، ويرفع إليه حوائجهم، وما ينوب من مظالم وشرور حتى يكون على بينة، وهكذا صاحب البيت يستعين بما عنده من أولاده الطيبين وإخوانه الطيبين في إصلاح شؤون البيت وإعطاء الرعية حقها، ولا يغفل ولا يتساهل في ذلك فإن الرعاية شأنها عظيم وخطرها كبير، وهكذا من يرعى الغنم أو البقر أو الإبل يتقي الله في ذلك ويرعاها رعاية واجبة، ويجتهد في أن تسلك الطريق الحسن، وأن يذهب بها المرعى الحسن، وأن يحوطها من الذئاب ونحو ذلك.

هكذا **الحديث الثاني**: يقول ﷺ: **«مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ»** هذا عام؛ أيُّ أمير يسترعى رعية، وأي إنسان يسترعى رعية ثم لا يحوطها بنصره ولا يجهد لها ولا يتقي الله في شأنها، فالجنة عليه حرام نسأل الله العافية، لظلمه وعدوانه وعدم القيام بواجبه، كثير من الناس لا يُبالي بهذا

الأمر ولا يهتم بهذا الأمر، بل إنما تهمه مصالحه الشخصية وحاجاته التي له فيها رغبة وفائدة ولا يهمه صلاح رعيته أو فسادها، هذا من الجهل والظلم ومن سُوءِ المعتقد.

والحديث الثالث: حديث عائشة ﵂، تقول إن النبي ﷺ قال: «**اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئاً فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئاً فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارفُقْ بِهِ**» الجزاء من جنس العمل، النبي ﷺ يدعو لمن رفق بالأمة أن الله يرفق به «**اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئاً فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارفُقْ بِهِ**» سواءٌ إمارة أو قضاء أو فُتيا أو غير ذلك من شؤون الأُمة، ثم قال: «**وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئاً فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فاشْقُقْ عَلَيْهِ**» يعني: يجازى بمثل ما فعل إذا أحسن فأحسن إليه، وإن أساء فعاقبه.

والمقصود من هذا: الحث على الإحسان للرعية والرفق بالرعية وقضاء حوائجها، والحرص على تحصيل مصالحها ودفع الشرِ عنها، وأنه متى فعل ذلك يسر الله أمره وأعانه ورفق به، وسهل أموره، فالجزاء من جنس العمل، وإذا فرط وتساهل عُوقب بمثل ذلك، نسأل الله العافية، وبعض الناس لا يبالي بالشدة على الرعية، وعدم العناية بقضاء حوائجها، وهذا تارة يكون من الجهل، وتارة يكون من قلة الدين وعدم المبالاة، وفَّق الله الجميع.

❋ ❋ ❋

٦٥٦ ـ وعن أَبي هريرة ﵁، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «**كَانَتْ بَنُو إسرَائِيلَ تَسُوسُهُم الأَنبِيَاء، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبيٌّ، وَإنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي، وَسَيكُونُ بَعْدِي خُلفَاءُ فَيَكثُرُونَ**» قالوا: يَا رسول الله، فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «**أَوْفُوا بِبَيْعَةِ الأَوَّل فَالأَوَّل، ثُمَّ أعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ، وَاسْأَلُوا الله الَّذِي لَكُمْ،**

فَإِنَّ اللهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ» متفقٌ عليه[(١)].

٦٥٧ ـ **وعن** عائِذ بن عمرو رضي الله عنه؛ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى عُبَيْد اللهِ بن زيادٍ، فَقَالَ لَهُ: أيْ بُنَيَّ، إنِّي سَمِعْتُ رسول الله ﷺ، يقول: «إنَّ شَرَّ الرِّعَاءِ الحُطَمَةُ، فإيَاكَ أن تَكُونَ مِنْهُمْ» متفقٌ عَلَيهِ[(٢)].

٦٥٨ ـ **وعن** أَبي مريم الأزدِيِّ رضي الله عنه؛ أَنه قَالَ لِمعاوية رضي الله عنه: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ، يقول: «مَنْ وَلَّاهُ اللهُ شَيْئاً مِنْ أُمُورِ المُسْلِمِينَ، فَاحْتَجَبَ دُونَ حَاجَتِهِمْ وَخَلَّتِهِمْ وَفَقْرِهِمْ، احْتَجَبَ اللهُ دُونَ حَاجَتِهِ وَخَلَّتِهِ وَفَقْرِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ» فجعل معاوية رجلاً عَلَى حوائج النَّاسِ. رواه أَبو داود، والترمذي[(٣)].

الشَّـرح

هذه الأحاديث الثلاثة كالتي قبلها في الحث على رعاية أمر المسلمين، والعناية بشؤونهم، والحرص على قضاء حوائجهم، والنصح لهم، لولاة الأمور والعلماء وأعيان الناس، كل واحد عليه نصيبه من العناية والرحمة، والعطف والمشاركة في الخير، والتعاون على البر

(١) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذُكرَ عن بني إسرائيل برقم (٣٤٥٥)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخُلفاء الأول فالأول برقم (١٨٤٢).

(٢) أخرجه مسلم في الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية، والنهي عن إدخال المشقة عليهم برقم (١٨٣٠) تفرد به مسلم رحمه الله وليس هو عند البخاري كما قال المصنف هنا رحمه الله، وقد سبق أن أورد المصنف برقم (١٩٢) وهناك عزاه فقط لمسلم وهو الصواب. نقلاً عن تحقيق: شعيب الأرنؤوط لرياض الصالحين (ص٢٢٢).

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الخراج والفيء والإمارة، باب فيما يلزم الإمام من أمر الرعية والحجبة عنهم برقم (٢٩٤٨)، والترمذي في كتاب الأحكام عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في إمام الرعية برقم (١٣٣٣)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، المستدرك (٤/ ١٠٥) برقم (٧٠٢٧).

والتقوى، وعلى رأس ذلك الأمراء والحكام، فإن عليهم أن يرفقوا برعاياهم ويحسنوا إليهم، ويجتهدوا في قضاء حوائجهم، وإصلاح شؤونهم، وإلزامهم بشرع الله، ومنعهم عن محارم الله، وإيقافهم عند حدوده، هذا هو واجب ولاة الأمور، وعلى الرعية السمع والطاعة، والتعاون معهم على الخير، وعلى العلماء توجيه الناس إلى الخير، وتعليمهم وإرشادهم، وأمرهم بلزوم الحق وترك الباطل.

في الحديث الأول: أخبر ﷺ أنه **«كَانَتْ بَنُو إِسرَائِيلَ تَسُوسُهُم الأَنبِيَاء»** بنو إسرائيل هم بنو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، يقال لهم: بنو إسرائيل، وإسرائيل اسم ليعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه الصلاة والسلام، كان فيهم أنبياء كثيرون، كانت تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبيٌّ، يعلمهم ويرشدهم، لكن نبينا هو خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام ليس بعده نبي.

وقال: **«وَسَيكُونُ بَعْدِي خُلفَاءُ فَيَكثرُونَ»** يعني: أمراء وحكام، قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: **«أَوْفُوا بِبَيْعَةِ الأَوَّل فَالأَوَّل»** يعني: أوفوا ببيعة الأول فالأول إذا بايعتم الخليفة فعليكم بالوفاء في بيعته، والنصح له وعدم الخروج عليه، ثم قال: **«ثُمَّ أَعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ، وَاسْأَلُوا الله الَّذِي لَكُمْ، فَإِنَّ اللهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ»**؛ يعني: عليكم أن توفوا ببيعة الأول فالأول؛ يعني: عليكم أن تلزموا البيعة الشرعية، وأن تستقيموا على الجماعة، فإذا خرج خارج على هذا الرئيس هذا الأمير، فلا تتابعوه، بل عليكم بأن تكونوا مع الأول بأن تكثروا الجماعة وتكونوا معه في حرب الثاني؛ ولهذا في اللفظ الآخر يقول ﷺ: **«مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ أَوْ يُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ فَاقْتُلُوهُ»**[1]

---

(١) أخرجه مسلم من حديث عرفجة في كتاب الإمارة، باب حُكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع برقم (١٨٥٢).

ويقول عليه الصلاة والسلام: «**إِذَا بُويِعَ لِخَلِيفَتَيْنِ فَاقْتُلُوا الآخرَ مِنْهُمَا**»[١] يعني: الآخر هو الذي يحصل به شق العصا والتفرق، والواجب على الرعايا أن تلزم البيعة، وأن تلتزم بالعهد الذي عليها، وأن تساعد ولي الأمر في الخير، وأن تنصح له إذا زل، وأن تعينه على كل حق، وإذا قصَّر لا يخرج عليه؛ بل تدعو الله له بالهداية ولا تنزع عليه يداً من طاعة، ما دام على الإسلام لم يأتِ بكفر بواح، أما إذا أتى كفراً بواحاً معلوماً من الدين بالضرورة، فإنه ينصح ويوجه إلى الخير، فإذا أبى واستطاعت الأمة أن تزيله وتأتي بغيره فلا بأس إذا لم يجب إلى تحكيم الشريعة، وهذا واجب المسلمين جميعاً التعاون فيها على البر والتقوى والحرص على تحكيم الشريعة، والتحاكم إليها والثبات عليها والاستقامة عليها؛ لأنها طريق النجاة، ولأنها الصراط المستقيم، من استقام عليها نجا ومن حاد عنها هلك.

الحديث الثاني: يقول عائذ بن عمرو المزني لما دخل على أمير البصرة، أمير العراق عبيد الله بن زياد، قال: يا بُنيَّ إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ شَرَّ الرِّعَاءِ الحُطَمَةُ فإيَاكَ أن تَكُونَ مِنْهُمْ**» والحُطمة: مثل الهُمزة؛ يعني: الذي يحطم الرعية ولا يبالي بها، يعرضها للطرق الوعرة لا يذهب بها إلى المراعي الحسنة، هذا من شر الرعاء، الواجب على الراعي أن يتحرى ما فيه الخير للرعية يسلك بها المسالك الحسنة اليسيرة المسهلة، يذهب بها إلى المراعي والمواضع التي فيها المياه، هذا الواجب عليه، فإذا حاد عن ذلك وحطم رعيته، وساقها إلى الطرق الوعرة وإلى الأرض المُجدبة صار بذلك من شرّ الرعاء، واستحق العقوبة بخيانته للأمانة وعدم قيامه بواجب الأمانة، والإحسان إلى الرعية، إذا كان هذا للبهائم، فكيف برعاية الناس إذا كان من أساء

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي سعيد في كتاب الإمارة، باب إذا بويع لخليفتين برقم (١٨٥٣).

الرعاية للبهائم يكون من شرِّ الناس، فالذي يرعى الأمة ويرعى المخالفين ويعاشرونهم أولى بأن يهتم بهم؛ وأن يعتني بهم، وأن يسعى لمصالحهم، وأن يعطيهم حقوقهم حتى تبرأ ذمته «**إنَّ شَرَّ الرِّعَاءِ الحُطَمَةُ**» يعني: الذي يحطم الرعية ولا ينظر في مصالحها؛ بل يضرها.

كذلك حديث أبي مريم عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ وَلَّاهُ اللهُ شَيْئاً مِنْ أُمُورِ المُسْلِمِينَ، فَاحْتَجَبَ دُونَ حَاجَتِهِمْ وَخَلَّتِهِمْ وَفَقْرِهِمْ، احْتَجَبَ اللهُ دُونَ حَاجَتِهِ وَخَلَّتِهِ وَفَقْرِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ**» فمن كان على أمر المسلمين من إمارة أو وزارة أو غير هذا من شؤون المسلمين، ثم احتجب عنهم ولم يمكنهم منه، احتجب عن حاجتهم وفقرهم، وخلتهم: مسكنتهم، فالعقوبة من جنس العمل، يحتجب الله عنه يوم القيامة.

فالواجب على من كان على شيء من أمور المسلمين أن يمكن الناس منه، وأن يجعل من يأخذ عرائضهم وينظر في شؤونهم، حتى يعطوا حقوقهم، ولا تضيع حقوقهم، ولما سمع معاوية رضي الله عنه أمير المؤمنين هذا الحديث جعل على أمور الناس إنساناً يبلغ حاجاتهم.

وفَّق الله الجميع.






٧٩ ـ بَابُ الوالي العادل

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠] وقال تعالى: ﴿وَأَقْسِطُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩].

٦٥٩ ـ **وعن** أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ الله في ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عادِلٌ، وَشَابٌّ نَشَأ في عِبادة الله تَعَالَى، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ في المَسَاجِدِ، وَرَجُلانِ تَحَابَّا في اللهِ اجتَمَعَا عَلَيْهِ، وَتَفرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأةٌ ذاتُ مَنْصِبٍ وجَمالٍ، فَقَالَ: إنّي أخافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ الله خَالِياً فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ» متفقٌ عَلَيهِ[١].

٦٦٠ ـ **وعن** عبدِ اللهِ بنِ عَمرو بنِ العاص رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «إنَّ المُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ: الَّذِينَ يَعْدِلُونَ في حُكْمِهِمْ وأَهْلِيْهِم وَمَا وَلُوْا» رواه مسلم[٢].

٦٦١ ـ **وعن** عوفِ بن مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ، يقول: «خِيَارُ أئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ، وشِرَارُ أئِمَّتِكُم الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ!»، قَالَ: قُلْنَا: يَا رسول اللهِ، أفَلَا نُنَابِذُهُم؟ قَالَ: «لَا، مَا أقَامُوا

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب الصدقة باليمين (١٤٢٣)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة برقم (١٠٣١)، وقد سبق برقم (٣٧٦) وبرقم (٤٤٩).

(٢) أخرجه في كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية، والنهي عن إدخال المشقة عليهم برقم (١٨٢٧).

فِيْكُمُ الصَّلَاةَ. لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ» رواه مسلم[١].

▫ قَوْله: (تصلّون عَلَيْهِمْ): تدعون لَهُمْ.

الشَّرح

هذه الآيات والأحاديث في فضل ولي الأمر العادل المستقيم الحاكم بشرع الله، وأن فضله عظيم، وأن الواجب على ولاة الأمور سواء كانوا ولاةً عاملين، أو أُمراء في القرى والقبائل ونحو ذلك، الواجب عليهم جميعاً أن يعدلوا في الرعية، وأن يحكموا فيهم شرع الله ﷻ، ويحذروا الظلم في جميع الأحوال؛ ولهذا يقول جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠] البغي: الظلم، والعدل: وضع الأمور في مواضعها، والظلم والبغي وضعها في غير مواضعها، قال تعالى: ﴿وَأَقْسِطُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩] أقسطوا؛ يعني: اعدلوا، القسط: العدل.

والواجب على كل من ولّاه الله شيئاً من أمور المسلمين أن يعدل، وأن يتحرى الحق، سواء كان أمير عامة أو أمير خاصة، حتى الرجل في أهل بيته وفي أولاده يجب عليه أن يعدل على حسب حكم الله؛ ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: **«سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ الله في ظِلِّهِ»**؛ يعني: سبعة أصناف من الناس **«يُظِلُّهُمُ الله يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ»** يعني: يوم القيامة.

«إِمَامٌ عادِلٌ» بدأ به؛ لأنه أعظم الناس فضلاً ونفعاً إذا عدل واستقام، وأضر الناس على الناس إذا مال وأبى الحق، ففضله عظيم ونفعه كبير إذا استقام وعدل، وشره عظيم إذا انحرف عن الهدى؛ ولهذا قال: **«إمام عادل»** بدأ به لفضل العدل وما فيه من الخير العظيم والمصالح العظيمة للمسلمين.

---

(١) أخرجه في كتاب الإمارة، باب خيار الأئمة وشرارهم برقم (١٨٥٥).

«وَشَابٌ نَشَأَ في عِبادة الله تَعَالَى، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ في المَسَاجِدِ» بالحرص على الجماعة وأدائها في الجماعة الحرص على الصلاة وأدائها في الجماعة.

«وَرَجُلانِ تَحَابًا في اللهِ اجتَمَعَا عَلَيْهِ، وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ» وهكذا: امرأتان تحابتا في الله ورجل وامرأة تحابا في الله؛ المقصود الحب في الله من الجميع من الرجال والنساء، يحبه لله لطاعة الله وللقيام بأمر الله لا لطمع في مال أو لنسب أو صداقة دنيوية ونحو ذلك؛ بل محبة لله وفي الله هو من السبعة الذين «يُظِلُّهُمُ الله يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ» يقول الله جلَّ وعلا: «أَيْنَ المُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي اليَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي»(١) هكذا رواه مسلم في الصحيح عن النبي عليه الصلاة والسلام.

الخامس: «وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذاتُ مَنْصِبٍ وجَمالٍ، فَقَالَ: إنِّي أخافُ اللهَ» دعته امرأة ذات منصب يعني منزلة ونسب رفيع ومحل رفيع من الناس، ومع ذلك ذات جمال فأبى عليها، وقال: «إني أخافُ اللهَ» وهكذا المرأة التي يدعوها ذو المنصب والجمال، فتقول: إني أخافُ اللهَ، من السبعة الذي يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.

والسادس: «وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ» من شدة إخلاصه من كمال إخلاصه، أخفاها ودفعها للمستحقين سراً يرجو ما عند الله ﷻ، هذا هو الأفضل، وإن تصدق علانية فلا بأس، كما قال ﷻ: ﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ﴾ تُبدُوها تظهروها ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ الآية [البقرة: ٢٧١] فالصدقة مطلوبة سراً وجهراً، لكن إذا أخفاها كان هذا أكمل في الإخلاص والبعد عن الرياء، إلا إذا دعت الحاجة إلى إظهارها فلا بأس، إذا دعت الحاجة إلى إظهارها، مثل مشروع يجتمعون له ويقوم فيهم من يحثهم على التبرع له كإقامة مدرسة، مسجد، مشروع خيري ينفع

(١) سبق تخريجه برقم (٣٧٧).

المسلمين فإظهار المساعدة في هذا والتعاون مطلوب، حتى يتأسى بعضهم ببعض؛ ولهذا لما رأى النبي ﷺ جماعة من مُضر اشتدت بهم الحاجة والفاقة، خطب الناس وحثهم على الصدقة، فجاء رجل بصُرة من فضة كادت كفه تعجز عنه، فتتابع الناس في ذلك، تتابعوا في الصدقة، فلما رأى النبي تتابعهم هذا يأتي بدراهم وهذا يأتي بثياب وهذا يأتي بطعام، استنار وجهه عليه الصلاة والسلام كأنه مذهبة، فرحاً بعملهم ومسارعتهم، وقال: **«مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ»**[1]؛ يعني: أظهرها وبينها للناس وسابق إليها حتى يقتدى به.

فينبغي للمؤمن المسارعة في الخيرات، وإخفاء الصدقة إذا لم يكن هناك حاجة إلى إظهارها، فإذا دعت الحاجة إلى إظهارها فلا بأس.

والسابع: «وَرَجُلٌ ذَكَرَ الله خَالِياً فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ» هذا من السبعة، رجل ذكر الله خالياً ليس عنده أحد في مكان خاص، ففاضت عيناه بُكاءً من خشية الله ﷻ، هذا له الأجر العظيم، وأنه من السبعة الذين **«يُظِلُّهُمُ الله يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ»** هذا فضل كبير يدل على أنه ينبغي للمؤمن أن يحرص على البكاء من خشية الله، ويتذكر مقامه بين يدي الله يوم القيامة، والجنة والنار، وأهوال القيامة، وأهوال القبر وحال القبر، يتذكر هذه الأمور حتى يخشع قلبه حتى يبكي من خشية الله، لعله ينجو فينبغي للمؤمن أن يخشى هذا الأمر العظيم، بل ينبغي له أن يجتهد في أسباب البكاء من خشية الله، لعله يبكي من خشية الله، لعل قلبه يخشع، ولا شك أن تدبر القرآن الكريم وتذكر الآخرة والجنة والنار والقبر وفتنته إلى غير هذا، كل هذا مما يعين على البُكاء من خشية الله ﷻ.

---

(١) سبق تخريجه برقم (٧١).

الحديث الثاني: يقول ﷺ: «**إنَّ المُقْسِطِين**» هم أهل العدل، المقسط هو العادل «**إنَّ المُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ: الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وأَهْلِيْهِم وَمَا وَلُوْا**» هؤلاء هم المقسطون عند الله يوم القيامة على منابر من نور؛ لأنهم عدلوا في أهلهم وفي أموالهم وفيما ولوا، وفي حكمهم وأهليهم، وفيما ولوا من أمور المسلمين في الإمارة من نظر وهيئة نظر، حكم قضاء، من غير ذلك من وجوه الولايات؛ يعني: يرفع الله شأنهم يوم القيامة ويعلي أمرهم حتى يراهم الناس على منابر من نور يوم القيامة، بسبب عدلهم لأحكامهم في أهليهم وفي ولاياتهم.

والحديث الثالث: يقول ﷺ: «**خِيَارُ أئِمَّتِكُمُ**» يعني: أُمراءكم «**الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ، وشِرَارُ أئِمَّتِكُم الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ!**» هؤلاء هم شرارهم، الولاة الذين تُبغضهم الرعية، وتلعنهم الرعية وهم يلعنون الرعية ويبغضون الرعية لاختلافهم في الدين وكثرة الفساد، قالوا: يا رسول الله (**أفَلَا نُنَابِذُهُم؟**) يعني: نقاومهم بالسيف؛ يعني: نُقاتلهم **قَالَ**: «**لَا**» يعني: لا تنزعوا يداً من طاعة لا تؤثروا الفتنة «**مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ**» وفي اللفظ الآخر: «**إلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْراً بَوَاحاً، عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ**»[1].

فالواجب الدعاء لهم والتعاون معهم في الخير والنصيحة لهم، حتى يستقيموا وحتى يحصل التحاب بينهم مع الرعية على طاعة الله، فإن لم يحصل ذلك فلا ينزعن يداً من طاعة ولا يخرج بالسلاح على الأُمراء، ما داموا يصلون، ما داموا لم يظهروا كفراً بواحاً، فأما إذا أظهروا كفراً بواحاً وتركوا الصلوات يلزم الخروج عليهم ممن يستطيع ذلك من الجيش العادل الطيب، الناس الطيبون الذين يستطيعون إزالة هذا الوالي الكافر

---

(١) سبق تخريجه برقم (١٨٦).

والإتيان بغيره من الصُلحاء إذا استطاعوا ذلك، وإلا تركوا المنازعة واجتهدوا في الخير وعاونوا على الخير، أما من أظهر الإسلام ولم يظهر كفراً بواحاً وإن ظلم وإن جرى منه بعض المعاصي، لا يجوز الخروج عليه لا يجوز نزع اليد من الطاعة وإظهار السلاح وإثارة الفتنة، هذا لا يجوز.

وفَّق الله الجميع.



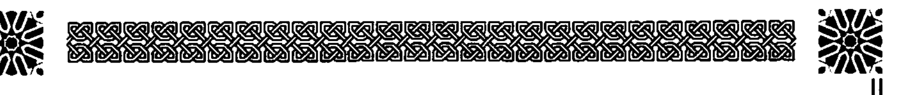
٦٦٢ ـ وعن عِياضِ بن حِمارٍ ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ، يقول: «أهلُ الجَنَّةِ ثَلاَثَةٌ: ذُو سُلطانٍ مُقْسِطٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحيمٌ رَقِيقُ القَلْبِ لكُلِّ ذي قُرْبَى ومُسْلِمٍ، وعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذو عِيالٍ» رواه مسلم[1][2].

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يُعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار برقم (٢٨٦٥).

(٢) سيأتي شرحه في مطلع شرح أحاديث الباب الآتي (ص٤٨٢).



٨٠ ـ بَابُ وجوب طاعة ولاة الأمور في غير معصية، وتحريم طاعتهم في المعصية

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ﴾ [النساء: ٥٩].

٦٦٣ ـ **وعن** ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: «عَلَى المَرْءِ المُسْلِمِ السَّمْعُ والطَّاعَةُ فِيمَا أحَبَّ وكَرِهَ، إلَّا أنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيةٍ، فَإذَا أُمِرَ بِمَعْصِيةٍ، فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ» متفقٌ عَلَيْهِ(١).

٦٦٤ ـ **وعنه**، قَالَ: كُنَّا إِذَا بَايَعْنَا رسولَ الله ﷺ عَلَى السَّمعِ والطَّاعَةِ، يَقُولُ لَنَا: «فِيمَا اسْتَطَعْتُمْ» متفقٌ عَلَيْهِ(٢).

٦٦٥ ـ **وعنه**، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ، يقول: «مَنْ خَلَعَ يَداً مِنْ طَاعَةٍ لَقِيَ اللهَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ في عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً» رواه مسلم(٣).

📖 وفي رواية لَهُ: «وَمَنْ مَاتَ وَهُوَ مُفَارِقٌ لِلجَمَاعَةِ، فَإنَّهُ يَمُوتُ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»(٤).

▫ المِيتَةُ: بكسر الميم.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب السمع والطاعة للإمام برقم (٢٩٥٥)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية برقم (١٨٣٩).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام، باب كيف يبايع الناس الإمام برقم (٧٢٠٢)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب البيعة على السمع والطاعة فيما استطاع برقم (١٨٦٧).

(٣) أخرجه في كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، وفي كل حال، وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة برقم (١٨٥٠).

(٤) تكملة للرواية السابقة في الحاشية (٢).

الشَرح

هذه الأحاديث فيما يتعلق بالسمع والطاعة لولاة الأمور، وبيان أهل الجنة، يقول النبي عليه الصلاة والسلام في حديث عياض بن حمار المُجاشعي التميمي ﷺ [٦٦٢]: **«أهلُ الجَنَّةِ ثَلاثَةٌ: ذُو سُلطانٍ مُقْسِطٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحيمٌ رَقِيقُ القَلْبِ لكُلِّ ذي قُرْبَى ومُسْلِم، وعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذو عِيالٍ»** المعنى: أن هؤلاء من أهل الجنة، وأن أهل الجنة ينقسمون إلى ثلاثة أقسام:

«ذُو سُلطانٍ مُقْسِطٌ مُوَفَّقٌ» يعني: عادل في إمرته وولايته بين الرعية، يتحرى الحق ويقوم به، وقد وفقه الله لذلك وهذا في أرفع المنازل، وهو الإمام العادل.

والثاني: «وَرَجُلٌ رَحيمٌ رَقِيقُ القَلْبِ لكُلِّ ذي قُرْبَى ومُسْلِم» المسلم الذي في وصفه أنه رحيم ذو رحمة وعطف على إخوانه المسلمين، مع رقة القلب لقرابته ولأهل الإسلام، وهذا شأن كل مسلم؛ أن المسلم إذا استقام إيمانه يكون رحيماً عطوفاً ذا رحمة وذا إحسان وذا رقة قلب على إخوانه المسلمين، وعلى قراباته.

والثالث: «وعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذو عِيالٍ» عفيف عن محارم الله في نفسه متعفف؛ يعني: حريص على التعفف وتعاطى أسبابه **«ذو عِيالٍ»** قد أحسن إليهم وقام بحقهم، فهو عفيف متعفف مع كونه ذا عيال، لم تحمله حاجته على تعدي حدود الله وترك ما أوجب الله، بل التزم بالحق واستقام عليه، وعفَّ عن الباطل مع كونه ذا عيال يحتاج إلى مؤنتهم.

وفي الأحاديث الأخرى [٦٦٣ ـ ٦٦٤ ـ ٦٦٥] الدلالة على وجوب السمع والطاعة لولاة الأمور في المعروف لا في المعاصي، بل في المعروف إذا أمروا بالمعروف فيما ينفع المسلمين، وفيما يُرضي الله يسمع لهم ويطاع فيما أباح الله، أما في المعاصي فلا، لو أمرك أبوك أو

أميرك أن تشرب الخمر أو تعق والديك لا، لا سمع ولا طاعة، إنما الطاعة في المعروف، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩] يعني: في المعروف، كما جاءت السُّنَّة بذلك، أُولي الأمر بين المسلمين، إنما يكون في الحقيقة من أُولي الأمر من أهل الاستقامة إذا أمروا بالمعروف، وإلا يكونوا من أهل الانحراف، فلا سمع ولا طاعة في معصية الله ﷻ، لا لولي الأمر ولا لغيرهم من الناس، إنما الطاعة في المعروف؛ ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: **«السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى المَرْءِ المُسْلِمِ، فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ»**.

وفي اللفظ الآخر: **«إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي المَعْرُوفِ»** المعروف: ما أباحه الله وشرعه لا فيما حرم ﷻ، كذلك كان النبي ﷺ إذا بايعهم على السمع والطاعة، يقول لهم: **«فِيمَا اسْتَطَعْتُمْ»** يعني: على المرءِ السمع والطاعة فيما استطاع، والله يقول: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [التغابن: ١٦] فعليه أن يقوم بالواجب، وأن يجتهد في طاعة ولي أمره فيما استطاع، ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦] فإذا حُمل ما لا يستطيع لم يلزمه ما لا يستطيع، فإنه يلزمه ما استطاع، كذلك من خرج على الجماعة **«مَنْ خَلَعَ يَداً مِنْ طَاعَةٍ لَقِيَ اللهَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلا حُجَّةَ لَهُ»** في اللفظ الآخر: **«مَنْ خَرَجَ عَنْ الطَّاعَةِ، وَفَارَقَ الجَمَاعَةَ، وَمَاتَ فَمِيتَتُهُ مِيتَةٌ جَاهِلِيَّةٌ»** في اللفظ الآخر: **«مَنْ مَاتَ لَيْسَ فِي رَقَبَتِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مَوْتَةً جَاهِلِيَّةً»**(١) والمعنى: أن الواجب على المسلم أن يكون ذا سمع وطاعة لولي الأمر، فلا يخرج على ولي الأمر ولا يشقُّ المسلمين، ولا يتسبب في فتنة تقع بين المسلمين، بل عليه السمع والطاعة والمساعدة في الخير

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ في كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، وفي كل حال... برقم (١٨٤٨).

والحرص على هدوء المسلمين وطمأنينتهم وأمنهم، وعدم شق العصا إلا أن يؤمر بمعصية الله فلا، كما تقدم؛ ولهذا كان إذا بايعهم يقول ﷺ: **«لا تنازعوا الأمر أهله أدوا لهم حقهم، واسألوا الله الذي لكم، إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان»**.

وفَّق الله الجميع.

***

٦٦٦ ـ **وعن** أنسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «اسْمَعُوا وأطِيعُوا، وَإنِ استُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشيٌّ؛ كأنَّ رأْسَهُ زَبيبةٌ» رواه البخاري[1].

٦٦٧ ـ **وعن** أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «عَلَيْكَ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ في عُسْرِكَ وَيُسْرِكَ، وَمَنْشَطِكَ وَمَكْرَهِكَ، وَأثَرَةٍ عَلَيْكَ» رواه مسلم[2].

٦٦٨ ـ **وعن** عبدِ اللهِ بن عمرو رضي الله عنهما، قَالَ: كنا مَعَ رسول الله ﷺ في سَفَرٍ، فَنَزَلْنَا مَنْزلاً، فَمِنَّا مَنْ يُصْلِحُ خِبَاءَهُ، وَمِنّا مَنْ يَنْتَضِلُ، وَمِنَّا مَنْ هُوَ في جَشَرِهِ، إذْ نَادَى مُنَادِي رسولِ الله ﷺ: الصَّلاةَ جَامِعَةً فَاجْتَمَعْنَا إلَى رسولِ الله ﷺ، فَقَالَ: «إنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبيٌّ قَبْلِي إلَّا كَانَ حَقّاً عَلَيْهِ أنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُم شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ. وَإنَّ أُمَّتَكُمْ هذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا في أوَّلِهَا، وَسَيُصيبُ آخِرَهَا بَلاَءٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا، وَتَجِيءُ فِتنَةٌ يُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضاً، وَتَجِيءُ الفتنَةُ فَيقُولُ المُؤْمِنُ: هذه مُهلكتي، ثُمَّ تنكشفُ، وتجيء الفتنةُ فيقولُ المؤمنُ: هذِهِ هذِهِ. فَمَنْ أحَبَّ أنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ، ويُدْخَلَ الجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ منيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنَ باللهِ واليَوْمِ الآخِرِ، وَلْيَأتِ إلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أنْ يُؤتَى إلَيْهِ، وَمَنْ بَايَعَ إمَاماً فَأعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ، وثَمَرَةَ قَلْبِهِ،

---

(١) أخرجه في كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية برقم (٧١٤٢).

(٢) أخرجه في كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية برقم (١٨٣٦).

فَلْيُطِعْهُ إن استَطَاعَ، فإنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الآخَرِ» رواه مسلم[١].

▫ قَوْله: «يَنْتَضِلُ»؛ أيْ: يُسَابِقُ بالرَّمْي بالنَّبل والنُّشَّاب. «وَالجَشَرُ»: بفتح الجيم والشين المعجمة وبالراء، وهي: الدَّوابُ الَّتي تَرْعَى وَتَبِيتُ مَكَانَهَا.

▫ وَقَوْلُه: «يُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضاً» أيْ: يُصَيِّرُ بَعْضُهَا بَعْضَاً، «رقيقاً»؛ أيْ: خَفِيفاً لِعِظَمِ مَا بَعْدَهُ، فالثَّانِي يُرَقِّقُ الأوَّلَ. وقيل مَعنَاهُ: يُشَوِّقُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ بتحسينهَا وَتَسوِيلِهَا.

▫ وقيل: يُشبِهُ بَعْضُها بَعضاً.

الشَّرح

هذه الأحاديث الثلاثة كالتي قبلها في وجوب السمع والطاعة لولاة الأمور في المعروف، وتحريم الخروج عليهم وتحريم معصيتهم في المعروف، ووجوب التعاون معهم على البر والتقوى والخير، وتحريم طاعتهم في معاصي الله ﷻ، كما قال عليه الصلاة والسلام: «**لَا طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي المَعْرُوفِ**».

حديث أنس، يقول عليه الصلاة والسلام: «**اسْمَعُوا وأطِيعُوا، وَإنِ استُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشيٌّ؛ كأنَّ رأْسَهُ زَبيبةٌ**» وفي اللفظ الآخر: «**عَلَيْكَ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ في عُسْرِكَ وَيُسْرِكَ، وَمَنْشَطِكَ وَمَكْرَهِكَ، وَأثَرَةٍ عَلَيْكَ**» والمعنى: أنه يجب على الرعية طاعة ولاة الأمور في جميع الأحوال، في المنشط والمكره، والعُسر واليسر، وفي الأثرة عليهم، الأثرة معناها: أن لا يساوى بينهم في العطاء ويعطي أحدٌ فوق أحداً، فإن الواجب السمع والطاعة، وعدم نزع يد من الطاعة، وعدم الخروج على ولاة الأمور بالفتنة والسيف؛ لأن ذلك يترتب عليه من الفساد والشر والفُرقة والاختلاف ما لا يحصي ضرره إلا الله؛ ولهذا أمر الرسول ﷺ بالسمع والطاعة لولاة

(١) أخرجه في كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول برقم (١٨٤٤).

الأمور، وعدم الخروج عليهم، وإن رأيت منهم ما تكره من معصية الله ﷻ.

ولهذا في الحديث الآخر، يقول ﷺ إذا رأى أحد من أميره شيئاً من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله ولا ينزعن يداً من طاعة، فإن من فارق الجماعة مات ميتة جاهلية، وقال في حديث عبادة: (قَالَ بَايَعْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي العُسْرِ وَاليُسْرِ وَالمَنْشَطِ وَالمَكْرَهِ، وَعَلَى أَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَعَلَى أَلَّا نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ)(١).

يعني: ألّا ينازعوا ولاة الأمور الأمر، قال: «**إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْراً بَوَاحاً**» وفي لفظ: «**لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ**»(٢) وما ذاك إلا لأن الخروج على ولاة الأمور بالسيف يُسبب فتناً كثيرة وانقساماً وتفرقاً واختلافاً وسفكاً للدماء؛ فلهذا نهى عنه النبي عليه الصلاة والسلام إلا إذا وجد كفرٌ بواحٌ واضحٌ تستطيع الأمة أن تزيله.

وفي **الحديث الثالث**: حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ﵄، عن النبي ﷺ: «**إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقّاً عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُم شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ**» ونبينا أفضلهم وأعظمهم، وقد دلَّ الأمة على كل ما يعلمه لها من الخير، وأنذرها ما يعلم من الشر؛ لأنه عليه الصلاة والسلام أنصح الناس عليه الصلاة والسلام وأكمل الناس بلاغاً، وأكملهم إرشاداً ونصيحة، ولهذا دلَّ الأمة على خير ما يعلمه لها، وأنذرها شر ما يعلمه لها، وبلَّغ البلاغ المُبين، عليه الصلاة والسلام، قال: «**وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا في أَوَّلِهَا**» أمة محمد ﷺ «**وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا**» وقد وقع من ذلك الشيء الكثير، وسيقع الشيء الكثير، وقال: «**وَتَجِيءُ فِتنَةٌ يُرَقِّقُ بَعْضُهَا**

(١) سبق تخريجه برقم (١٨٦).

(٢) أخرجه مسلم من حديث عوف بن مالك ﵁ في كتاب الإمارة، باب خيار الأئمة وشرارهم برقم (١٨٥٥).

بَعْضاً» كل فتنة ترقق التي قبلها من شدتها وخطرها، وهذه الفتن تكون بالسلاح والحروب، تكون بالشهوات والشبهات، وتكون بغير ذلك من أنواع الشر والاختلاف **«وَتَجِيءُ الفتنَةُ، فَيقُولُ المُؤْمِنُ: هذه مُهلكتي»** لعظم شرها ثم تنكشف، وتجيء فتنة أُخرى أعظم منها فيقول: هذه هذه؛ يعني: هذه هذه أعظم من تلك، قال عليه الصلاة والسلام: **«فَمَنْ أحَبَّ أنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ، ويُدْخَلَ الجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ منيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنَ باللهِ واليَوْمِ الآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أنْ يُؤتَى إِلَيْهِ»** يعني: يجاهد نفسه حتى يستقيم على دين الله، وحتى يصبر على الحق وليعامل الناس بما يحب أن يعاملوه به من النصيحة والصدق والأمانة وغير ذلك.

قال: **«وَمَنْ بَايَعَ إمَاماً فَأعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ، وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ، فَلْيُطِعْهُ إن استَطَاعَ، فإنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الآخَرِ»** يعني: يطيعه بطاعة الله يطيعه في المعروف، وعلى الجميع أن يوفوا ببيعتهم، فإذا جاءهم رجل آخر يريد أن يفرق جماعتكم ويشق عصاكم فاضربوا عنقه، وقال عليه الصلاة والسلام: **«إذَا بُويعَ لِخَلِيفَتَيْنِ فَاقْتُلُوا الآخَرَ مِنْهُمَا»**[(١)] والمعنى في هذا: أن الواجب السمع والطاعة لولاة الأمور، وعدم الانشقاق، وعدم الفتنة إذا تمت البيعة لإنسان، ثم جاء أحد ينازعه وجب قتل هذا الأخير الذي يُسبب الفرقة والنزاع ويعتبر باغياً، يقاتل قتال البغاة إذا لم يرجع عما طلب بالنصيحة والتوجيه والكلام الطيب؛ لأن قيامهم بشق العصا وإشهار السلاح يسبب انقسام المسلمين، ويسبب سفك الدماء، ووجب أن يُقضى عليه هو؛ لأنه هو المسبب للفتنة إذا كان ولي الأمر لم يأتِ كفراً بواحاً وكان يقيم الصلاة، أما إذا أتى الكفر البواح أو ترك الصلوات هذا محل قيام الأمة عليه حتى يستقيم أو ينصب غيره،

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ في كتاب الإمارة، باب إذا بويع الخليفتين برقم (١٨٥٣).

إذا كانت الأمة تستطيع ذلك وعندها القدرة ويعينه على إزالته وينصب من يقيم الدين.

وفّق الله الجميع.

❊❊❊

٦٦٩ ـ **وعن** أَبي هُنَيْدَةَ وَائِلِ بن حُجرٍ ﷺ، قَالَ: سَأَلَ سَلَمَةُ بن يَزيدَ الجُعفِيُّ رسولَ الله ﷺ، فَقَالَ: يَا نَبيَّ الله، أرأيتَ إنْ قامَت عَلَيْنَا أُمَرَاءُ يَسأَلُونَا حَقَّهُم، وَيمْنَعُونَا حَقَّنَا، فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَأَعْرَضَ عنه، ثُمَّ سَأَلَهُ، فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: «اسْمَعْوا وَأَطِيعُوا، فإنَّمَا عَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا، وَعَلَيْكُمْ مَا حملْتُمْ» رواه مسلم[1].

٦٧٠ ـ **وعن** عبد الله بن مسعود ﷺ، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «إنَّهَا سَتكُونُ بَعْدِي أثَرَةٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا!» قالوا: يَا رسول الله، كَيْفَ تَأمُرُ مَنْ أدْرَكَ مِنَّا ذَلِكَ؟ قَالَ: «تُؤَدُّونَ الحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ، وَتَسْأَلُونَ اللهَ الَّذِي لَكُمْ» متفقٌ عَلَيهِ[2].

٦٧١ ـ **وعن** أَبي هريرة ﷺ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ أطَاعَنِي فَقَدْ أطَاعَ اللهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللهَ، وَمَنْ يُطِعِ الأَمِيرَ فَقَدْ أطَاعَنِي، وَمَنْ يَعصِ الأميرَ فَقَدْ عَصَانِي» متفقٌ عَلَيهِ[3].

---

(١) أخرجه في كتاب الإمارة، باب في طاعة الأمراء وإن منعوا الحقوق برقم (١٨٤٦).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام برقم (٣٦٠٣)، وفي كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ: «سترون بعدي أموراً تُنكرونها» برقم (٧٠٥٢)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخُلفاء الأول فالأول برقم (١٨٤٣).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب يُقاتل من وراء الإمام ويُتقى به برقم (٢٩٥٧)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية الله وتحريمها في المعصية برقم (١٨٣٥).

﴿ الشَّرح ﴾

هذه الأحاديث الثلاثة الصحيحة كالتي قبلها في وجوب السمع والطاعة لولاة الأمور، وأن الواجب على الرعية السمع والطاعة لولاة الأمور فيما أحبوا وكرهوا في العُسر واليسر والمنشط والمكره وفي أثرةٍ عليك، لقول الله جلَّ وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩] وصحَّ عن رسول الله عليه الصلاة والسلام؛ أنه قيَّد ذلك بالمعروف، وقال: «**إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي المَعْرُوفِ**» «**لا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الخَالِقِ**» فعلى الرعية السمع والطاعة في المعروف، وألّا ينزعوا يداً من طاعة؛ ولهذا لما سُئل عليه الصلاة والسلام عمن يلي من الأمراء الذين لا يقومون بما يجب من حق الرعية، قال: «**اسْمَعوا وَأَطِيعُوا، فإِنَّمَا عَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا، وَعَلَيْكُمْ مَا حملْتُمْ**» يحملون من يؤدي الواجب، وأن يؤدوا الأمانة وينصحوا للرعية، وأن يقوموا بما يجب بالإحسان إليها ومواساتها وتوجيها وتعليمها إلى غير ذلك، وعلى الرعية ما حُملوا من السمع والطاعة في المعروف.

هكذا لما سألوه عما قال لهم ما يجب على الأمراء قال: «**إِنَّهَا سَتَكُونُ بَعْدِي أَثَرَةٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا!**» قالوا: يَا رسول الله، كَيْفَ تَأمُرُ مَنْ أدْرَكَ مِنَّا ذَلِكَ؟ قَالَ: «**تُؤَدُّونَ الحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ، وَتَسْأَلُونَ اللهَ الَّذِي لَكُمْ**» يعني: أدُّوا الحق الذي عليكم من السمع والطاعة في المعروف وغير ذلك مما يجب عليكم، واسألوا الله الذي لكم ما قصروا فيه واسالوا الله الذي لكم، ولا تنزعوا يداً من طاعة، بل يجب ألّا ينزع العبد يداً من طاعة، وأن يسمع لولي الأمر ما لم يؤمر بمعصية الله، فإذا أُمر بمعصية الله فلا، قال: «**إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْراً بَوَاحاً، عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ**» فعند ذلك يجوز الخروج عليهم، إذا أمكن من دون مضرة على المسلمين، إذا أمكن لإزالة الكافر وتولية المسلم بالطرق الشرعية التي ليس فيها ضرر للمسلمين.

في الحديث الثالث: يقول ﷺ: «**مَنْ أطَاعَنِي فَقَدْ أطَاعَ اللهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللهَ، وَمَنْ يُطِعِ الأَمِيرَ فَقَدْ أطَاعَنِي، وَمَنْ يَعصِ الأميرَ فَقَدْ عَصَانِي**» يبيِّن ﷺ، أن من طاعة الله ورسوله طاعة الأمراء في المعروف، وعدم الخروج عليهم وعدم شق العصا، إلا أن يرى المؤمن كفراً بواحاً، في اللفظ الآخر: «**مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ**» وما ذاك إلّا لأن ترك الصلاة كفرٌ بواح، وبهذا يُعلم أن الواجب على الرعية السمع والطاعة لولاة الأمور، وإن ظلموا وإن قصروا في أداء حق الرعية ما لم يأتوا كفراً بواحاً، أو يؤمر العبد بمعصية الله، إذا أمروا بمعصية الله فلا سمع ولا طاعة، «**إنَّمَا الطَّاعَةُ فِي المَعْرُوفِ**» ولا يجوز الخروج عليهم؛ لما في الخروج عليه من الفساد وسفك الدماء؛ ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا**»[1] قال عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ أَوْ يُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ فَاقْتُلُوهُ**»[2].

فدل ذلك على وجوب السمع والطاعة في المعروف، وألّا ينزع العبد يداً من طاعة، وأن يطيع ولاة الأمور حتى تستقيم الأمور ويستتب الأمن، ويحصل التعاون على الخير بخلاف النزاع والاختلاف مع ولاة الأمور، فإن من أسباب الفتن سفك الدماء بغير حق.

وفَّق الله الجميع.

❖ ❖ ❖

---

(١) متفق عليه عن ابن عمر ﷺ أخرجه البخاري في كتاب الديات، باب قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ [المائدة: ٣٢] برقم (٦٨٧٤)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: «**من حمل علينا السلاح فليس منا**» برقم (٩٨).

(٢) أخرجه مسلم من حديث عرفجة ﷺ في كتاب الإمارة، باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع برقم (١٨٥٢).

٦٧٢ ـ **وعن** ابن عباسٍ ﵄؛ أن رسول الله ﷺ، قَالَ: «مَنْ كَره مِنْ أمِيرِهِ شَيْئاً فَلْيَصْبِرْ، فَإنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلطَانِ شِبْراً مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً» متفقٌ عَلَيهِ(١).

٦٧٣ ـ **وعن** أَبي بكرة ﵁، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ، يقول: «مَنْ أهانَ السُّلطَانَ أَهَانَهُ اللهُ» رواه الترمذي(٢) وقال: حديث حسن(٣).

وفي الباب أحاديث كثيرة في الصحيح. وَقَدْ سبق بعضها في أبواب.

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ: «سترون بعدي أُموراً تنكرونها» برقم (٧٠٥٣)، ومسلم في كتاب الإمارة، وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة برقم (١٨٤٩).

(٢) أخرجه في كتاب الفتن، باب منه برقم (٢٢٢٤).

(٣) سيأتي شرح هذه الأحاديث ضمن الباب التالي.




٨١ ـ بَابُ النهي عن سؤال الإمارة واختيار ترك الولايات إذا لم يتعين عليه أو تدع حاجة إليه

قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣].

٦٧٤ ـ **وعن** أبي سعيدٍ عبدِ الرحمٰنِ بن سَمُرَة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ لي رسول الله ﷺ: «يَا عَبْدَ الرَّحمٰن بن سَمُرَةَ، لَا تَسْأَلِ الإمَارَةَ؛ فَإنّكَ إن أُعْطِيتَهَا عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا، وَإنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِلْتَ إلَيْهَا، وَإذَا حَلَفْتَ عَلَى يَمِينٍ، فَرَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْراً مِنْهَا، فَأْتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ وَكَفِّرْ عَنْ يَمِينكَ» متفقٌ عَلَيهِ(١).

الشَرح

الحديثان الأولان يتعلقان بالسمع والطاعة لولاة الأمور في المعروف، وتقدم قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩] وطاعة ولاة الأمور أمر لازم ومتعين وفريضة في المعروف؛ لأن بذلك تصلح الأمور، وتستقيم الأحوال، وتؤخذ الحقوق لأهلها، وتُقام الحدود ويستتب الأمن، وبالاختلاف وعدم السمع والطاعة تختل الأمور، وتفسدُ الأحوال، وتسود الفوضى؛ ولهذا

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأيمان والنذور، باب قول الله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩] برقم (٦٦٢٢)، ومسلم في كتاب الأيمان، باب ندب من حلف يميناً فرأى غيرها خيراً منها أن يأتي الذي هو خير ويكفر عن يمينه برقم (١٦٥٢)، وأخرج أوله فقط في كتاب الإمارة، باب النهي عن طلب الإمارة والحرص عليها بين رقمي (١٨٢٣ و١٨٢٤).

أمر الله ﷻ بطاعة ولاة الأمور؛ لما في طاعتهم من الخير العظيم، والطمأنينة والأمان، وحفظ الحقوق واستيفائها، إلى غير ذلك.

ولهذا في حديث ابن عباس [٦٧٢]: يقول عليه الصلاة والسلام: «مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئاً فَلْيَصْبِرْ، فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْراً مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»، في اللفظ الآخر: «مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الجَمَاعَةَ فَمَاتَ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»، في اللفظ السابق قال: «السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى المَرْءِ المُسْلِمِ، فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ»(١).

وهكذا قوله ﷺ: «اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَإِنِ اسْتُعْمِلَ حَبَشِيٌّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ»، قوله ﷺ لما سألوه حين قال لهم: «إِنَّهَا سَتَكُونُ بَعْدِي أَثَرَةٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا!» قالوا: يَا رسول الله، كَيْفَ تَأْمُرُ مَنْ أدْرَكَ مِنَّا ذَلِكَ؟ قَالَ: «تُؤَدُّونَ الحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ، وَتَسْأَلُونَ اللهَ الَّذِي لَكُمْ»، هكذا يقول ﷺ: «أَلَا مَنْ وَلِيَ عَلَيْهِ وَالٍ فَرَآهُ يَأْتِي شَيْئاً مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ فَلْيَكْرَهْ مَا يَأْتِي مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ وَلَا يَنْزِعَنَّ يَداً مِنْ طَاعَةٍ»(٢).

وهكذا حديث [٦٧٣]: «مَنْ أهانَ السُّلطَانَ أَهَانَهُ الله» المقصود من هذا: أن في طاعة ولاة الأمور وإكرامهم وتعظيمهم التعظيم الشرعي ومعاونتهم في الخير، في ذلك صلاح أحوال الناس، واستتباب الأمن، وإنفاذ الحقوق، وإقامة الحدود، وردع المجرمين، إلى غير هذا من المصالح العظيمة، وفي الاختلاف ونزع اليد من الطاعة الشرُ العظيم،

---

(١) متفق عليه من حديث عبد الله. أخرجه البخاري في كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية برقم (٧١٤٤)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية الله وتحريمها في المعصية برقم (١٨٣٩).

(٢) أخرجه مسلم من حديث عوف بن مالك الأشجعي في كتاب الإمارة، باب خيار الأئمة وشرارهم برقم (١٨٥٥).

والعواقب الوخيمة، لكنهم مع هذا لا يطاعون في المعاصي. إذا قال تفعل ما لا يجوز لا يطيعه في المعصية، كأن يقول له اشرب الخمر أو استعمل الربا أو عُق والديك أو ما أشبه ذلك من المعاصي، فلا سمع ولا طاعة، «**إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي المَعْرُوفِ**»، «**لا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الخَالِقِ**» لو أمرك أبوك أو سلطانك أو أميرك أو أمر الزوج لزوجها بمعصية الله، فلا سمع ولا طاعة في المعاصي، إنما الطاعة في المعروف، قال الله في حق نبيه: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ [الممتحنة: ١٢].

أما **حديث عبد الرحمٰن بن سمرة**: هو يدل على أنه ينبغي للمؤمن ألا يسأل الإمارة؛ لأنه على خطر، قد يسألها ولا يؤدي حقها، قد لا يُعان عليها، فينضر بذلك ضرراً عظيماً، ولكن متى بُلي ورأى من نفسه القوة فليصبر، وليقبل وليستعنْ بالله؛ ولهذا قال النبي لعبد الرحمٰن بن سمرة ﷺ: «**يَا عَبْدَ الرَّحمٰنِ: لَا تَسْأَلِ الإمَارَةَ**»؛ يعني: الولاية «**لَا تَسْأَلِ الإمَارَةَ؛ فَإِنَّكَ إِن أُعْطِيتَهَا عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا، وَإِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِلْتَ إِلَيْهَا**» هذا يدل على أنه متى أعطيها من غير مسألة وأُلزم بها أعانه الله ويسر أمره، في لفظ في بعض الأحاديث نزل الله ملكاً يُسدده(١)، أما إذا طلبها هو على خطر قد لا يُعان عليها، بل يوكلُ إليها، إلا في حاجة تكون هناك مصلحة، فلا مانع من طلبها، كأن تكون فوضى، ويقصد بذلك أن يصلح بين الناس ويقيم الحق؛ لأنه لم ير من يقوم بذلك، ولم ير من تأهل لهذا، فطلب الولاية ليقيم الحق وليحفظ كيان الأمة، وليحفظ الأمن، وليعين على الخير، فإذا كان هذا قصده فهو مشكور ولا حرج عليه، كما قال يوسف عليه الصلاة والسلام لما رأى

---

(١) لعله يشير لحديث أنس بن مالك الذي رواه أبو داود في كتاب الأقضية، باب في طلب القضاة والشرع إليه برقم (٣٥٧٨)، والترمذي في كتاب البيوع، باب ما جاء عن رسول الله ﷺ في القاضي برقم (١٣٢٤) ولفظه «**مَنْ طَلَبَ القَضَاءَ وَاسْتَعَانَ عَلَيْهِ وُكِلَ إِلَيه، وَمَنْ لم يَطْلُبْهُ وَلَمْ يَسْتَعِنْ عَلَيهِ أَنْزَلَ اللهُ مَلَكاً يُسَدِّدُهُ**».

الفوضى في مصر والفساد، قال لعزيزها: ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥] فطلب الولاية ليصلح بين الناس ويقيم الحق.

وهكذا جاء في حديث عثمان بن أبي العاص الثقفي رضي الله عنه؛ أنه قال: يا رسول الله اجْعَلْنِي إِمَامَ قَوْمِي. قَالَ: **«أَنْتَ إِمَامُهُمْ وَاقْتَدِ بِأَضْعَفِهِمْ»**(١) ولم ينكر عليه طلبها للمصلحة، إذا طلب المؤمن للمصلحة لا لرغبة في الدنيا ولا لطمع في الدنيا، ولكن طلبها لمصلحة الرعية، مصلحة المسلمين مصلحة البلد؛ لما رأى فيها الفساد والفوضى، فلا بأس عليه، أما طلبها للدنيا والتكبر على الناس هذا خطر عظيم، كما قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣]، والآخرة هي الجنة أعدها الله للذين لا يريدون عُلواً في الأرض ولا فسادا، بل قصدهم الإصلاح في الأرض وإقامة الحق، وردع الباطل، وإقامة الحدود ونشر العدالة بين الناس، هؤلاء هم أهل الصلاح، وأهل العاقبة الحميدة، ثم قال: **«وَإِذَا حَلَفْتَ عَلَى يَمِينٍ، فَرَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْراً مِنْهَا، فَأْتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ وَكَفِّرْ عَنْ يَمِينِكَ»** هذا يقع للناس كثيراً، إذا حلف على يمين فرأى أن الصواب نقضها والحنث بها، فلا بأس يحنث ويكفر عن يمينه؛ لأن المقصود فعل الأصلح، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: **«إِذَا حَلَفْتَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْراً مِنْهَا فَأْتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ وَكَفِّرْ يَمِينَكَ»** ويقول ﷺ: **«وَإِنِّي وَاللهِ إِنْ شَاءَ اللهُ لَا أَحْلِفُ عَلَى يَمِينٍ فَأَرَى غَيْرَهَا خَيْراً مِنْهَا إِلَّا أَتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ»**(٢) فإذا قال: والله لا أكلم فُلاناً أو والله لا أزوره، ثم رأى

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب أخذ الأخيرة على التأذين برقم (٥٣١)، والنسائي في كتاب الأذان، باب اتخاذ المؤذن الذي لا يأخذ على أذانه أجر برقم (٦٧٢)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، المستدرك (١/ ٣١٤، ٣١٧)، برقم (٧١٥، ٧٢٢).

(٢) سيأتي تخريجه برقم (١٧١٧).

المصلحة تقتضي زيارته ومكالمته، وأن ترك ذلك فيه شر فإنه ينقض، يكفر عن يمينه ويزور أخاه، يكلم أخاه، أو قال: والله لأُطلق فُلانة ثم رأى المصلحة في عدم طلاقها، يكفِّر عن يمينه، أو حلف عليك أخوك ليأكل وليمة، وقال: والله ما آكل وليمتك والله ما أجلس، ثم رأى المصلحة أن يجلس ويأكل الوليمة يكفِّر عن يمينه، ويجلس يجبر خاطر صاحبه، وهكذا ما أشبه ذلك، إذا كانت اليمين من المصلحة يكفر عن يمينه ويخالف يمينه، وهذا معنى قوله ﷺ: **«إِذَا حَلَفْتَ عَلَى يَمِينٍ، فَرَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْراً مِنْهَا، فَأْتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ وَكَفِّرْ عَنْ يَمِينِكَ»**.

وفَّق الله الجميع.

* * *

٦٧٥ ـ **وعن أبي ذرٍّ** رضي الله عنه، **قَالَ: قَالَ لي رسول الله ﷺ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفاً، وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي. لَا تَأَمَّرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ، وَلَا تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ»** رواه مسلم[1].

٦٧٦ ـ **وعنه، قَالَ: قُلْتُ: يَا رسول الله، ألا تَسْتَعْمِلُني؟ فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبي، ثُمَّ قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وإنّها أمانةٌ، وَإِنَّهَا يَوْمَ القِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا»** رواه مسلم[2].

٦٧٧ ـ **وعن أبي هريرة** رضي الله عنه**؛ أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَحْرِصُونَ عَلَى الإِمَارَةِ، وَسَتَكُونُ نَدَامَةً يَوْمَ القِيَامَةِ»** رواه البخاري[3].

(١) أخرجه في كتاب الإمارة، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة برقم (١٨٢٦).
(٢) أخرجه في كتاب الإمارة، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة برقم (١٨٢٥).
(٣) أخرجه في كتاب الأحكام، باب ما يكره من الحرص على الإمارة برقم (٧١٤٨).

الشَّرح

هذه الأحاديث الثلاثة فيما يتعلق بالإمارة، تقدم قوله ﷺ لعبد الرحمٰن بن سمرة: **«لَا تَسْأَلِ الإمَارَةَ؛ فَإنَّكَ إن أُعْطِيتَهَا عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا، وَإنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِلْتَ إلَيْهَا»** ينبغي للمؤمن ألّا يسأل الإمارة، وهي الولاية العامة أو الخاصة على قرية أو جماعة؛ لأنها أمانة وفيها خطر عظيم قد يقوم بواجبها وقد لا يقوم بواجبها، ولهذا نهى الرسول ﷺ عن طلبها، قال لعبد الرحمٰن بن سمرة: **«لَا تَسْأَلِ الإمَارَةَ؛ فَإنَّكَ إنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا، وَإنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِلْتَ إلَيْهَا»**، متفق على صحته، لكن إذا دعت الحاجة إلى ذلك وعرف الإنسان من نفسه القوة على مؤونة الولاية وحقوقها، والله جلَّ وعلا يعلم من قلبه الإخلاص والصدق وأنه ما طلبها من أجل حظ عاجل، فلا حرج في ذلك للمصلحة العامة، كما طلبها يوسف نبي الله عليه الصلاة والسلام قال: ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥]؛ لأنه أراد بهذا إصلاح «الأمة» هناك في مصر؛ لإقامة أمر الله فيها فلهذا طلبها، «الولاية» وهكذا ما ثبت في حديث عثمان بن أبي العاص الثقفي؛ أنه قال: يا رسول الله اجْعَلْنِي إمَامَ قَوْمِي. قَالَ: **«أَنْتَ إمَامُهُمْ»** ولم ينكر عليه سؤال الإمامة؛ لأن ذلك للمصلحة العامة في قومه، إذا عرف الإنسان من نفسه أنه يقدر على ذلك، وأنه إنما أراد بذلك الخير لأُمته وجماعته والمصلحة لهم، لا حباً في الرئاسة ولا طلباً للمال والجاه، ولا لغير هذا من الأمور الدنيوية، فلا حرج في ذلك.

وفي الحديث الثاني: حديث أبي ذر، قال له النبي ﷺ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إنِّي أَرَاكَ ضَعِيفاً، وَإنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي. لَا تَأَمَّرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ، وَلَا تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيم» فنهاه عن الإمارة لما فيها من الخطر؛ ولأنها كما في اللفظ الثاني: «وإنَّها أمانةٌ، وَإنَّهَا يَوْمَ القِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إلَّا مَنْ أخَذَهَا

بِحَقِّهَا، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا» ولا ينبغي للعاقل أن يسأل الإمارة إلا للضرورة أو الحاجة التي تقدم بيانها، من أجل المصلحة العامة والقصد الصالح والنية الطيبة، لا لأمر آخر من أمور الدنيا، وإذا كان ضعيفاً لا يقوى على تصريف شؤون الإمارة فليحذر طلبها.

وهكذا الولاية على أموال اليتامى أو الأوقاف إذا كان فيه ضعف عن القيام بواجب الولاية فليحذر سؤالها، وليحذر قبولها أيضاً إذا كان يخشى أن لا يقوم بواجبها، سواء كانت لأيتام، أو الولاية على بعض القرى أو بعض الأوقاف أو ما أشبه ذلك، فلا يقبل، إلا إذا كان يعرف من نفسه القوة على ذلك والأمانة، وإلا فليدعه، النبي ﷺ قال لأبي ذر: **«إنها أمانة»** لما قال: ألا تستعملني؛ يعني: ألا توليني على وظيفة إمرة، قال: «**إنّها أمانةٌ، وَإنَّهَا يَوْمَ القِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ**» إنَّكَ ضَعِيفٌ لا تقوى عليها، هذا من النصيحة، نصحه عليه الصلاة والسلام وأخبر بالسبب، فالولايات أمانات وفي يوم القيامة خزي وندامة وفضيحة على من أخذها ولم يؤدِ واجبها، إلا من أخذها بحقها، وأدى الذي عليه فيها.

وهكذا **حديث أبي هريرة** ﷺ: يقول النبي ﷺ: «**إِنَّكُمْ سَتَحْرِصُونَ عَلَى الإمَارَةِ، وَسَتَكونُ نَدَامَةً**» في اللفظ الآخر: «**إِنَّكُمْ سَتَحْرِصُونَ عَلَى الإِمَارَةِ، وَسَتَكُونُ نَدَامَةً يَوْمَ القِيَامَةِ، فَنِعْمَ المُرْضِعَةُ وَبِئْسَتِ الفَاطِمَةُ**» والخلاصة:

أن الإمارة والولايات فيها أخطار، فلا ينبغي أن يقبلها ولا أن يسألها المؤمن، إلا إذا كان هناك حاجة ماسة إلى ذلك، وعرف من نفسه القدرة والقوة على شؤونها، فإنه لا بأس أن يقبلها ويستعين بالله عليها، وإلا فليربح العافية، وليحذر أن يُعرض نفسه للأخطار التي تضره في الدنيا والآخرة وفَّق الله الجميع.

❁ ❁ ❁




٨٢ ـ بَابُ حث السلطان والقاضي وغيرهما من ولاة الأمور على اتخاذ وزير صالح وتحذيرهم من قرناء السوء والقبول منهم

قال الله تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧].

٦٧٨ ـ **وعن** أبي سعيدٍ وأبي هريرة رضي الله عنهما؛ أنَّ رسولَ الله ﷺ، قَالَ: «مَا بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبِيٍّ، وَلَا اسْتَخْلَفَ مِنْ خَلِيفَةٍ إِلَّا كَانَتْ لَهُ بِطَانَتَانِ: بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بالمَعْرُوفِ وتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، وَبِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بالشَّرِّ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، وَالمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللهُ» رواه البخاري(١).

٦٧٩ ـ **وعن** عائشة رضي الله عنها، قالت: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللهُ بِالأَمِيرِ خَيْراً، جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ صدقٍ، إنْ نَسِيَ ذَكَّرَهُ، وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ، وَإِذَا أَرَادَ بِهِ غَيْرَ ذَلِكَ جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ سُوءٍ، إنْ نَسِيَ لَمْ يُذَكِّرْهُ، وَإِنْ ذَكَرَ لَمْ يُعِنْهُ» رواه أَبو داود(٢) بإسنادٍ جيدٍ عَلَى شرط مسلم.

الشَّرح

هذان الحديثان مع الآية الكريمة فيهما الحث على اتخاذ الوزراء الطيبين والأعوان الأخيار؛ لأنهم يعينون على الخير ويُذكرون به، وفيهما مع الآية التحذير من اتخاذ الوزراء الأشرار والأعوان الذين لا يظن فيهم الخير، ولا يرجى منهم الخير.

---

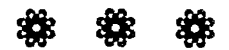
(١) أخرجه في كتاب الأحكام، باب بطانة الإمام وأهل مشورته برقم (٧١٩٨).
(٢) أخرجه في كتاب الخراج والفيء والإمارة، باب في اتخاذ الوزير برقم (٢٩٣٢).

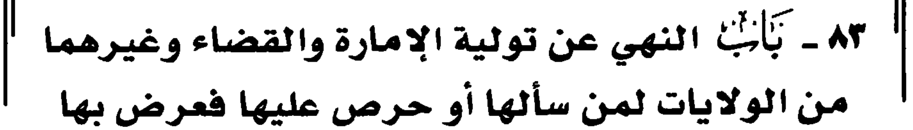
يقول الله جلَّ وعلا: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧] الأخلاء: هم الأحباء والأصدقاء يوم القيامة، تكون بينهم عداوة وبغضاء إلا المتقين، إلا من كانت خُلته لله وفي الله، هؤلاء أحباء في الدنيا وفي الآخرة، ولهم عند الله أجر عظيم، كما قال ﷻ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣] فالأولياء المتحابون في الله المتعاونون على البر والتقوى لهم البشرى في الدنيا وفي الآخرة، وهم أهل التقوى والإيمان، بخلاف الأخلاء على المعاصي والدنيا، هؤلاء ترجع خلتهم إلى عداوة وبغضاء يوم القيامة.

وفي الحديثين الدلالة على أنه ينبغي للمؤمن الوالي أن يتخذ الوزراء الطيبين والأعوان الطيبين، يقول ﷺ: «**مَا بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبِيٍّ، وَلَا اسْتَخْلَفَ مِنْ خَلِيفَةٍ إِلَّا كَانَتْ لَهُ بِطَانَتَانِ: بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالمَعْرُوفِ وتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، وَبِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، وَالمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللهُ**» في اللفظ الآخر: «**إِذَا أَرَادَ اللهُ بِالأَمِيرِ خَيْراً جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ صِدْقٍ**» يعني: وزير خير، وزير هدى، وزير صلاح، «**إِنْ نَسِيَ ذَكَّرَهُ وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ**» إن نسي الخير ذكره به، وإن ذكره أعانه عليه؛ كإنصاف المظلوم وردع الظالم، ومواساة الفقير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغيرها من وجوه الخير، «**وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِهِ غَيْرَ ذَلِكَ جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ سُوءٍ إِنْ نَسِيَ لَمْ يُذَكِّرْهُ وَإِنْ ذَكَرَ لَمْ يُعِنْهُ**» وهذا يوجب على الوالي أن يتحرى الأخيار، وأن يتخذ من يعتقد فيهم الخير والصلاح، وأنهم يعينونه على الخير ويذكرونه به، وتوجب له أن يحذر بطانة السوء وعون السوء؛ لأنهم إن ذكر لم يعينوه، وإن نسي لم يذكروه؛ لخبثهم وفساد عقائدهم، وهذا من النصح لله ولعباده، أن يتخذ الوزراء الطيبين، سواءٌ كنت أميراً، أو ملكاً، أو رئيس جمهورية، أو قاضياً، أو غير ذلك، يحرص على صحبة الأخيار، واتخاذ

البطانة الطيبة المعروفة بالخير والاستقامة، حتى تُعينه على الخير وتذكره، ويحذر دعاة السوء وأصحاب الشر؛ لأنهم إن ذكر لم يعينوه، وإن نسي لم يذكروه؛ ولأنهم أيضاً يدعونهم إلى الباطل ويجرونهم إلى الباطل ويثبطونهم عن الحق.

وفَّق الله الجميع.





٨٣ ـ باب النهي عن تولية الإمارة والقضاء وغيرهما من الولايات لمن سألها أو حرص عليها فعرض بها

٦٨٠ ـ **عن** أَبي موسى الأشعريِّ ﷺ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى النَّبيِّ ﷺ أنَا وَرَجُلانِ مِنْ بَنِي عَمِّي، فَقَالَ أحَدُهُمَا: يَا رسول الله، أَمِّرْنَا عَلَى بَعْض مَا ولَّاكَ اللهُ ﷻ، وقال الآخَرُ مِثلَ ذَلِك، فَقَالَ: «إنَّا وَاللهِ لَا نُوَلِّي هَذَا العَمَلَ أحَداً سَأَلَهُ، أَوْ أحَداً حَرَصَ عَلَيْهِ» متفقٌ عَلَيْهِ[1].

﴿ الشَّرح ﴾

هذا الحديث الثابت عن رسول الله عليه الصلاة والسلام.

يدل على أنه لا ينبغي أن يولى الأمور من طلبها وحرص عليها؛ لأن ذلك دليل على قلة مبالاة أو الرغبة في الدنيا، أو نحو ذلك مما يدل على عدم خوفه من معرة هذه الولاية وخطرها، ولهذا لما سأله الأشعريان أن يوليهما بعض الأمور قال عليه الصلاة والسلام: «إنَّا وَاللهِ لَا نُوَلِّي هَذَا العَمَلَ أحَداً سَأَلَهُ، أَوْ أحَداً حَرَصَ عَلَيْهِ» وتقدم قوله ﷺ لعبد الرحمٰن بن سمرة: «يا عبد الرحمٰن: لَا تَسْأَلِ الإمَارَةَ؛ فَإنَّك إن أُعْطِيتَهَا عَنْ غَيرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا، وَإنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِلْتَ إِلَيْهَا» هذا يدل على أنه ينبغي للمؤمن أن يتورع عن ذلك، وأن لا يسأل الإمارة والقضاء ونحو ذلك؛ لأنها خطر ولا يدري ماذا يقع له، تقدم قوله ﷺ

---

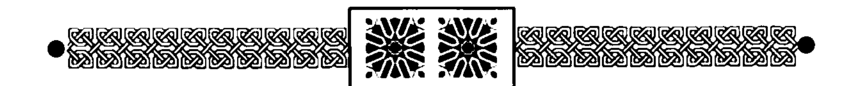
(١) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام، باب ما يكره من الحرص على الإمارة برقم (٧١٤٩)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب النهي عن طلب الإمارة والحرص عليها برقم (١٧٣٣).

لأبي ذر لا تسأل الإمارة: «يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ ضَعِيفٌ وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا».

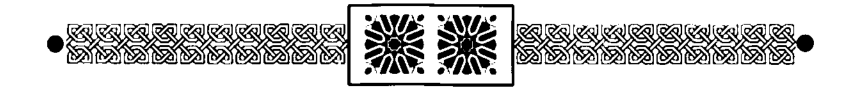
فمن ابتلي فليستعن بالله، وليحرص على أداء الواجب وأداء الأمانة وبذل المستطاع في إيصال الحق إلى أهله، أما من لم يُبتل فلا ينبغي أن يسألها إلا إذا كان لمصلحة إسلامية، كما تقدم فلا مانع أن يسألها إذا كان لقصد إصلاح البلاد وأهلها، أو إصلاح قومه ولم ير من هو أهلٌ لها سواه فسألها عن المصلحة العامة لا للدنيا والرغبة فيها، بل للمصلحة العامة فلا بأس، كما سألها يوسف في قوله جلَّ وعلا لما قال لعزيز مصر: ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾ [يوسف: ٥٥] إنما حمله على هذا قصده الإصلاح في مصر وأن يطهرها من أسباب الشر التي فيها، فلهذا قال: ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ يعني: أرض مصر ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾ فيوسف عليه الصلاة والسلام سأل الولاية لمصلحة العباد وتوجيههم إلى الخير وتطهير البلاد من الشرِ وأهله، هكذا ما ثبت في حديث عثمان بن أبي العاص الثقفي ﷺ؛ أنه قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ اجْعَلْنِي إِمَامَ قَوْمِي، قَالَ: «أَنْتَ إِمَامُهُمْ وَاقْتَدِ بِأَضْعَفِهِمْ»؛ فلم يُنكر عليه ذلك؛ لأنه سأل ذلك للمصلحة العامة.

وفق الله الجميع.

❁ ❁ ❁



فهرس الأحاديث النبوية



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة